الموسوعة التاريخية
للأمة الشركسية "الأديغة"

(من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد)

الأستاذ الدكتور
محمد خير مامسر باتسج

الجذور التاريخية
للأمة الشركسية

المجلد الأول

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٩/١/٣٦٥)
الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية: الأديغة: من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد/ جمع وإعداد محمد خير مامسر باتسج.
عمان: دار وائل، ٢٠٠٩
(٦١٦) ص
ر.إ. : (٢٠٠٩/١/٣٦٥)
الواصفات: الشراكسة / القواميس
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

****

رقم التصنيف العشري / ديوي : ٣٠٥,٩٩٩٦
ISBN 978-9957-11-795-5 (ردمك)

* الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية: الأديغة: من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد
* الأستاذ الدكتور محمد خير مامسر باتسج
* الطبعـــــة الأولى ٢٠٠٩
* جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

عنوان المؤلف:
الأردن – عمان . ص. ب ١٣٢٣٣ الرمز البريدي: ١١٩٤٢
فاكس ٠٠٩٦٢٦٥١٥٣٠٥٥
تلفون ٠٠٩٦٢٦٥١٥١٨٣٨ .E-Mail: mamser@orange.jo

دار وائـــل للنشر والتوزيع
* الأردن – عمان – شارع الجمعية العلمية الملكية – مبنى الجامعة الاردنية الاستثماري رقم (٢) الطابق الثاني
هـــاتف : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣٨٤١٠ – فاكس : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣١٦٦١ – ص. ب (١٦١٥ – الجبيهة)
www.darwael.com E-Mail: Wael@Darwael.Com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو ترجمته أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف.
All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

إهداء

إلى منْ سكنتْ نفسي طويلاً . .ووقفتْ إلى جانبي فألفتُها . . .

إلى من ساندتْ طموحي بطموحِها، فكانت خير داعمٍ لي في إعداد هذه الموسوعة. . .

إلى من بادلتْني الصبرْ والأناة وطيب المعشر في تفرغي زمناً غير قصير، لأُعِدَّ هذه الموسوعة، تحملت عني أعباء الحياة الاجتماعية ومسؤولياتها، فكانت خير شريك. . .

إلى من انشغلتُ عنها ألف يومٍ بعيداً هناك بين أوراق موسوعتي. . .

إلى زوجتي عصمت عزت قندور

أهدي لك شيئاً مِنّا

محمد خير مامسر باتسج

محتويات المقدمة وفهارس الموسوعة

	الصفحة
* شكر وتقدير	٧-١٢
* تنويه وتوضيح	١٣-١٧
* أهداف الموسوعة وغاياتها	١٩-٣٠
* مراحل اعداد الموسوعة	٣١-٣٤
* مقدمة المجلد الأول	٣٧-٤٩
* فهرس أجزاء المجلد الأول	٥١-٥٢
* فهرس فصول الجزء الأول	٥٣-٦٦
* فهرس فصول الجزء الثاني	٦٧-٨٢

شكر وتقدير
المؤسسات والهيئات الأردنية الداعمة (جزئياً)
للموسوعة التاريخية للأمة الشركسية - الأديغيه
الجمعية الخيرية الشركسية
عمان
أمانة
عمّان
الكبرى
وزارة الثقافة
Ministry of Culture

كما أتقدم بوافر الشكر والامتنان لمجموعة خيرة من الباحثين والدارسين والمختصين في الدراسات الشركسية، وكذلك إلى عدد من المعارف والأصدقاء والمسؤولين في بعض المؤسسات العلمية ذات العلاقة الذين قدموا مساعدات قيمة في جمع المعلومات والمصادر والمراجع وتسهيل إجراء لقاءات ومقابلات مع أفراد أو مجموعات في كل من:

❖ **المملكة الأردنية الهاشمية:**

- **السيد وائل أبو غريبة**، مدير دار وائل للنشر الذي وضع كل الإمكانات الفنية للدار تحت تصرفي طوال فترة طباعة موضوعات الموسوعة وإعدادها للنشر.
- **الشاب الفنان أورهان فايز بيرسق (اختصاصي الجرافيك)**، الذي تولى كافة الأعمال الفنية المتمثلة بالتصميم والإخراج وترتيب الخرائط والأشكال والصور والرسومات المستخدمة في الموسوعة.
- **الحفيد زيد نارت مامسر**، لمساعدته في الحصول على معلومات وبيانات من الانترنت وكذلك للمساعدة في الأعمال الفنية وفي الإخراج.
- **الاستاذ جميل اسحاقات**، أمين مكتبة الجمعية الخيرية الشركسية في عمان، الذي وضع موجودات وإمكانات المكتبة تحت تصرفي طوال فترة إعداد الموسوعة، وتقديمه بعض المعلومات والبيانات المتعلقة برؤساء وأعضاء مجالس إدارة الجمعية وفروعها، وكذلك تسهيل عمل نسخ (تصوير) عن الجرائد والمجلات الشركسية القديمة التي كانت تصدر في كل من الأردن، وسوريا، وتركيا، والوطن الأم.

- **السيد أكرم علي مامسر باتسج**، لقيامه بترجمة بعض المواضيع من اللغة الشركسية إلى اللغة العربية، وكذلك لتزويدي بمجموعة من المراجع والمصادر المنشورة باللغة الشركسية.
- **دانيال قرش**، لتزويدي بمجموعة من الوثائق والمراجع باللغات الروسية والتركية والشركسية وكذلك لتزويدي بمجموعة من أقراص CD عليها وقائع المؤتمر الذي عقد في مؤسسة جيمس تاون في واشنطن عام ٢٠٠٨م، بعنوان **(الشراكسة: الأمس واليوم والمستقبل)**.
- **السيدة أمينة كيراشفا**، لقيامها بترجمة بعض الموضوعات من اللغتين الشركسية والروسية إلى اللغة العربية، وكذلك تقديمها مجموعة من الوثائق الروسية ذات العلاقة بحرب الإبادة والدمار الروسية.
- **الدكتور نضال الشمالي**، لجهوده اللغوية في مراجعة مجلدات الموسوعة.
- **السيد عوني أبو غوش**، لترجمته بعض الموضوعات والمخطوطات من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية.

❖ **الجمهورية العربية السورية:**

- **الدكتور أحمد كدكوي**، رئيس الجمعية الخيرية الشركسية في دمشق، لتفضله بتنظيم برامج ولقاءات مع عدد كبير من الأدباء وكتاب الشراكسة في دمشق، ولتزويدي بمجموعة كبيرة من المراجع وبعض الوثائق المتعلقة بإنشاء الجمعية .
- **السيد فرزت دير**، الذي رافقني في لقاءاتي وزياراتي لعدد من المؤسسات والشخصيات الأكاديمية والأدبية، الشراكسة سوريا أولاً، ولتزويدي بمعلومات وبيانات موثقة عن عدد من الشخصيات الشركسية الذين كان لهم دور بارز في المجتمع السوري عامة والمجتمع الشركسي خاصة ثانياً.

- **الدكتور معتصم غوتوق،** لتسهيل الحصول على الوثائق والمعلومات والبيانات المتعلقة بسماهمة رياضيين ولاعبين وقيادات رياضية سورية من أصل شركسي في دعم الحركتين الشبابية والرياضية في القطر السوري العربي، وكذلك لتفضله بتنظيم زيارات شخصية لعدد من الشخصيات القيادية الشركسية في سوريا.
- **الأستاذ الدكتور عادل عبد السلام لاش،** لتزويدي بمعلومات قيمة عن دور الأكاديميين الشراكسة في مؤسسات التعليم العالي في سوريا، وكذلك لتزويدي ببعض الوثائق الشركسية النادرة مثل جريدة (مارج) التي صدرت في القنيطرة خلال الفترة (١٩٢٧-١٩٣١م). وكذلك لتفضله بمراجعة شاملة للمجلد الخاص بشراكسة سوريا.
- **الكاتب والباحث السيد عز الدين سطاس،** لتفضله بمراجعة عامة للمجلد الخاص بشراكسة سوريا أيضا.

❖ **جمهورية كباردينا/ بلقاريا:**

- **الأستاذ ممدوح قوموق،** الذي قدم لي مجموعة من المطبوعات والمراجع والمصادر باللغتين العربية والشركسية، وكذلك لمرافقتي في زياراتي لعدد من المراكز والمؤسسات الشركسية في نالتشك.
- **البرفسور دومن حسن مختار،** رئيس قسم اللغات في معهد البحث العلمي في نالتشك لوضع مكتبة المعهد تحت تصرفي خلال وجودي في نالتشك ولإهدائي مجموعة من المراجع والمصادر باللغتين الشركسية والروسية.
- **مدير المتحف الوطني في نالتشك،** لتقديم معلومات كاملة عن موجودات المتحف والسماح لي لالتقاط صور لمقتنيات المتحف .

- **المهندس حمشة باتسج**، للمساعدة في مراجعة الوثائق الروسية وتصنيفها وتبويبها بحسب موضوعاتها، وتواريخ صدورها.
- **الدكتور/ المهندس حجبي باتسج**، لقيامه بمساعدة المهندس حمشة في مهمة مراجعة الوثائق وتصنيفها وتبويبها.

❖ **الجمهورية التركية:**

- **السيد فتحي نجور، استاذ علم الاجتماع في جامعة صقريا في تركيا،** والرئيس السابق لجمعية (الوقف الإسلامي) في استانبول والذي كان خير عون لي في تنظيم لقاءاتي مع رئيس وأعضاء جمعية الوقف الإسلامي في استانبول وكذلك لقاءاتي مع مجموعة من مثقفي الشراكسة في استانبول خلال فترة زياراتي لاستانبول في شهر تشرين الثاني عام ٢٠٠٧.

❖ **الولايات المتحدة الأمريكية:**

- **العميد المتقاعد فؤاد جمال كشوقة**، لاطلاعي على معلومات وبيانات حديثة عن أوضاع الجالية الشركسية في الولايات المتحدة الأمريكية عامة، وفي ولاية نيوجرسي/ باترسون خاصة، وذلك خلال اللقاء الذي تم معه في عمان يوم ٢٠٠٨/٧/١٥.

❖ **جمهورية مصر العربية:**

- **مدير العلاقات العامة في مكتبة الاسكندرية**، للسماح لي للاطلاع على بعض المخطوطات والمراجع والمصادر والدراسات التاريخية ذات العلاقة بمراحل حكم سلاطين وملوك الدولتين البحرية والبرجية الشركسية عامة، وعن دور الأمراء الشراكسة في فترتي حكم العثمانيين وحكم العائلة العلوية خاصة، وكذلك تزويدي بصور عن بعض المخطوطات ذات العلاقة بتاريخ الملوك والسلاطين الشراكسة في مصر.

تنويه... وتوضيح

ابتداءً أود أن أنوه إلى أن هذه الموسوعة ليست مرادفة لدائرة معارف أو إنسايكولوبيديا، وإنما هي بمعنى الشمولية في وقائعها وأحداثها التاريخية، ومترامية الأبعاد في مراحلها الزمنية، والمتعددة في مجالاتها، والمتنوعة في مواضيعها، تناول فيها المؤلف وقائع وأحداث عن الجذور التاريخية للأمة الشركسية منذ عصر الأجداد في فجر التاريخ، كما تحدث عن أوضاع وأحداث الأمة الشركسية في الوطن الأم، وفي بلاد الشتات، كما تناول مكونات حضارة الأمة الشركسية التراكمية، وبحث في وقائع وأحداث حروبها وهجراتها، بهدف التعرف على أنواع جرائم الحرب التي أدت إلى إبادة الأمة الشركسية ودمار وطنهم بالكامل، وكذلك للتعرف على المآسي والويلات التي رافقت عمليات الطرد، والنفي، والإبعاد عن وطنهم الأم، باستخدام أساليب وطرق وحشية لا إنسانية، وصلت إلى مستوى من مستويات جرائم الحرب، ربما لم يسبق أن تعرض لمثلها شعب أو أمة في تاريخ البشرية القديم والمعاصر.

كما تقتضي الأمانة العلمية مني التنويه إلى جملة من الأمور:

أولاً – إن ما جاء في هذه الموسوعة من أحداث ووقائع تاريخية ومن آراء وأفكار، ومعلومات، وبيانات هي خلاصة ما قمنا به من تحليل ومناقشة ما جاء في أكثر من (٢٥٠٠) من المجلدات، والكاتلوجات، والمخطوطات،والموسوعات، والقواميس، والمطبوعات العلمية، من مجلات وأبحاث ودراسات ورسائل جامعية، ومحاضر، ووقائع ومحاضر معاهدات واتفاقيات، ومذكرات شخصيات سياسية ودبلوماسية وعسكرية نشرت بأكثر من عشرين لغة وعلى مدى أكثر من ٢٥٠٠سنة، ابتداءً من القرن الخامس ما قبل الميلاد وحتى

مطلع الألفية الثالثة ما بعد الميلاد، هذا بالإضافة لما جاء في أكثر من (١٥٠٠) وثيقة من وثائق الأرشيف الروسي والإنجليزي والتركي كما هو مبين في المجلد السادس من هذه الموسوعة.

ثانياً – لا شك بأن موسوعة تتكون من ستة مجلدات وتقع في خمسة الآف (٥٠٠٠) صفحة تحمل طابع الشمولية في أحداثها ووقائعها التاريخية، والتعدد في مجالاتها، والتنوع في مواضيعها قد لا تخلو من أخطاء مطبعية، أو أخطاء في أسماء الشخصيات أو المواقع أو أخطاء في التواريخ، والأحداث، والوقائع، وكذلك فإن بعض معلوماتها وبياناتها قد تكون غير دقيقة أو أنها غامضة تحتاج إلى توضيح أو تغيير.

لذلك فإن المؤلف يرحب بأي نقد بناء من السادة القراء عامة، ومن المختصين منهم خاصة، كما يرحب بأية معلومة جديدة، أو تصحيح معلومة وردت خطأ في هذه الموسوعة، وإرسالها على العناوين المبينة على الصفحة الأخيرة في كل مجلد من مجلدات الموسوعة، وسأقوم بإضافتها إلى الطبعة القادمة إنشاء الله وبأسماء أصحابها.

ثالثاً – لم أجد ناشراً يتحمل مسؤولية إصدار هذه الموسوعة لارتفاع كلفتها المالية، لذا فإن المؤلف سيساهم بحصته من حقوق التأليف من أجل تخفيض سعر المجموعة الواحدة إلى (٧٥) دينار أردني.

رابعاً – يعيش الشراكسة اليوم في أكثر من (٤٥) دولة خارج الوطن الأم، وتتحدث الغالبية منهم إحدى اللغات: الروسية، أو التركية، أو الإنجليزية، أو العربية، إضافة إلى لغة الأم، وبالتالي فإن المؤلف يطمح إلى ترجمة هذه الموسوعة إلى لغة أو أكثر من تلك اللغات، ليتمكن شراكسة الوطن الأم عامة وشراكسة المهجر خاصة قراءتها باللغة التي يتقنونها، وفي حالة رغبة أي شخص أو مؤسسة ثقافية ترجمتها لإحدى تلك اللغات، يمكن توقيع اتفاق خاص مع المؤلف للمحافظة على حقوق النشر، علماً بأن المؤلف سوف يتنازل عن حقوقه المالية، رغبة منه في تخفيض كلفة النسخة الواحدة من الموسوعة المترجمة ليصبح سعرها في متناول يد الراغبين في قراءتها.

والله الموفق

المؤلف

أهداف الموسوعة وغاياتها

حدد المؤلف قبل البدء في إعداد هذه الموسوعة مجموعة من الأهداف الرئيسية والفرعية حتى يسهل عليه اختيار الموضوعات الرئيسية والفرعية التي تمكنه من تحقيق كل هدف من هذه الأهداف:

الهدف الأول: التحقق من الوقائع والأحداث التاريخية المتعلقة بالجذور التاريخية للأمة الشركسية في الوطن منذ فجر التاريخ.

وللتحقق من هذا الهدف قمنا بدراسة وتحليل الموضوعات التالية:

١. مراحل استيطان الإنسان، وتكوين الحضارات في شمال القفقاس منذ العصر الحجري القديم.
٢. القوميات القديمة المستوطنة في شمال القفقاس منذ فجر التاريخ.
٣. مجموعات الامم والشعوب والقوميات التي استوطنت في القفقاس عامة وجاورت الأمة الشركسية في الوطن الأم منذ فجر التاريخ.
٤. شعوب وقبائل الأمة الشركسية خلال المراحل الممتدة من القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.
٥. منشأ العرق القوقازي وأصل أجداد الشراكسة.
٦. الألقاب والأسماء التي عرفت بها الأمة الشركسية في الوطن الأم (قديماً وحديثاً).
٧. الخصائص الجغرافية والبيئية للوطن الأم في شمال القفقاس.
٨. خصائص اللغة القومية الشركسية.
٩. المعتقدات الدينية لدى الأمة الشركسية في الوطن الأم.
١٠. العادات والتقاليد والأعراف القومية (أديغة – خابزة) لدى الشركسية.
١١. الصفات والخصائص القومية المميزة لشخصية الإنسان الشركسي.

وهي الموضوعات التي تناولناها في البحث والدراسة في المجلد الأول من الموسوعة.

الهدف الثاني: دراسة وبحث مكونات حضارة الأمة الشركسية التراكمية التي بناها أجداد الشراكسة منذ فجر التاريخ وحافظ عليها جيل الآباء والأبناء في الوطن الأم.

ولتحقيق هذا الهدف قمنا بدراسة وتحليل ستة عشر بعداً من الأبعاد التي تكونت منها حضارة الأمة الشركسية في الوطن الأم منذ عصر الأجداد وحتى وقتنا الحاضر، وهي:

١. البُعد الاقتصادي والزراعي والثروة الحيوانية.
٢. البُعد الصناعي والمهني والحرفي.
٣. البُعد التجاري.
٤. البُعد الديمقراطي.
٥. البُعد الاجتماعي.
٦. مفهوم الدولة والنظم السياسية.
٧. البُعد القضائي.
٨. بُعد التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية.
٩. بُعد المعارف العلمية العامة.
١٠. بُعد الهندسة المعمارية وفن العمارة.
١١. بُعد التراث الثقافي والأدبي الشركسي.
١٢. بُعد الأمثال والحكم والأقوال المأثورة.
١٣. بُعد ثقافة تربية الخيول وألعاب الفروسية.
١٤. بُعد الثقافة الرياضية.
١٥. بُعد الثقافة الغذائية.
١٦. بُعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي.

وهي الأبعاد التي تناولناها بالبحث والدراسة في المجلد الثاني من الموسوعة.

الهدف الثالث: دراسة وتحليل الوقائع والأحداث التاريخية للحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية منذ فجر التاريخ وحتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

ولتحقيق هذا الهدف تم دراسة وتحليل الموضوعات الرئيسية التالية:

١. القبائل والشعوب والأمم التي اعتدت على الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال تاريخها الممتد من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر بعد الميلاد.
٢. وقائع وأحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال الفترة الممتدة من القرن السابع ما قبل الميلاد وحتى القرن السادس ما بعد الميلاد.
٣. وقائع وأحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الفترة ما بين القرن السابع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي.
٤. وقائع وأحداث حروب الأمة الشركسية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي.
٥. وقائع وأحداث حروب الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي.
٦. وقائع وأحداث حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصرية ضد الأمة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي.
٧. شهادات حول وحشية وبربرية السلطات القيصرية الروسية في حروبها ضد الأمة الشركسية.
٨. سياسة الاستيلاء على أراضي القوقازيين عامة والأمة الشركسية خاصة.
٩. سياسة قتل الأسرى الشراكسة، وكبار السن والأطفال والنساء، وأسلوب تجويع الشراكسة وترويعهم.

١٠. سياسة خلق ظروف بيئية مناسبة لانتشار الأمراض والأوبئة، واستغلال قسوة الطبيعة والحاجة لتسويق المحاصيل الزراعية لدى الأمة الشركسية.
١١. سياسة التحريض والخداع وأسلوب الدس والإيقاع والإغراء ومحاربة انتشار الدين الإسلامي في بلاد الشراكسة.
١٢. استغلال كبار الكتّاب لنشر الأكاذيب واستخدام الجواسيس لاكتشاف الطرق والممرات البرية ورسم خرائط طوبوغرافية لبلاد الأمة الشركسية.
١٣. التكتيكات العسكرية الدفاعية للمقاتلين الشراكسة.
١٤. التكتيكات السياسية للقادة الشراكسة.
١٥. سلبيات وأخطاء الأمة الشركسية.
١٦. عظماء الأمة الشركسية في الوطن الأم.
١٧. الأدوار التآمرية والعدائية للعثمانيين الأتراك وخانات القرم للأمة الشركسية (قبل وخلال وبعد) حروبها ضد السلطات الروسية القيصرية.
١٨. الأدوار التآمرية والعدائية للإنجليز والفرنسيين خلال حرب الإبادة الروسية.
١٩. الأدوار الوحشية والأعمال البربرية للقوزاق المرتزقة في دعمها لقوات روسيا القيصرية خلال حرب الإبادة والدمار الروسية.
٢٠. الأدوار الإيجابية للبولنديين خلال حرب الدمار والإبادة الروسية.
٢١. أدوار أئمة الحركة المرُيدية وقادتها العسكريين خلال حرب الدمار والإبادة الروسية.

وهي الموضوعات التي تناولناها بالبحث والدراسة في الأجزاء الثلاثة الأولى من المجلد الثالث من الموسوعة.

الهدف الرابع: دراسة وتحليل الوقائع والأحداث التاريخية التي أدت ببعض المجموعات الشركسية للهجرة (الطوعية) إلى خارج الوطن الأم، وكذلك التعرف على الإجراءات والوسائل غير القانونية التي استخدمتها كل من السلطات الروسية

القيصرية والسلطات العثمانية التركية في النفي الكبير الذي أدى لطرد أكثر من مليونين شخص من الأمة الشركسية من وطنهم الأم في شمال قفقاسيا إلى الدولة العثمانية.

ولتحقيق هذا الهدف تم دراسة الموضوعات الرئيسية الأربعة التالية:

١. أنواع هجرات الأمة الشركسية.
٢. الوضع الديمغرافي (السكاني) للأمة الشركسية (قبل وخلال وبعد) التهجير القسري.
٣. جرائم عمليات تهجير الأمة الشركسية.
٤. مواقف الرفض ومقاومة قادة الأمة الشركسية وشعوبها من عمليات التهجير.

وهي الموضوعات التي تناولناها بالبحث والتحليل في الجزء الرابع من المجلد الثالث من الموسوعة.

الهدف الخامس: دراسة وتحليل تاريخ الشراكسة في الشتات والتعرف على أحوالهم المعيشية في (٤٥) دولة من دول المهجر التي تواجد، أو يتواجد فيها الشراكسة.

ولتحقيق هذا الهدف الرئيسي كان لابد من تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

الهدف الفرعي الأول: دراسة وتحليل أوضاع الشراكسة في الدولة التركية وفي الفترة ما بين (١٥٦٠-٢٠٠٨).

ولتحقيق هذا الهدف الفرعي قمنا بدراسة وتحليل الموضوعات الرئيسية التالية:

١. سياسة توطين الشراكسة المهجرين قسراً إلى الولايات التركية العثمانية.
٢. الشراكسة في تركيا في مرحلة ما قبل التهجير القسري (١٥٦٠-١٨٦٤).
٣. الشراكسة في تركيا في مرحلة ما بين التهجير القسري وسقوط الخلافة العثمانية (١٨٦٤-١٩٢٤).
٤. الشراكسة في تركيا في عهد الجمهورية التركية العلمانية الحديثة (١٩٢٤-٢٠٠٨).

وهي الموضوعات التي تناولناها في البحث والدراسة في الجزء الأول من المجلد الرابع من الموسوعة.

الهدف الفرعي الثاني: دراسة وتحليل أوضاع الشراكسة في مصر منذ تواجد أول فوج منهم في عهد الدولة الأيوبية وحتى عام ٢٠٠٨م.

ولتحقيق هذا الهدف الفرعي قمنا بتتبع الوقائع والأحداث التاريخية التي رافقت حكم الشراكسة لمصر وبلاد الشام منذ تواجد أول فوج منهم في مصر ابتداءً من عام ١١٧١م وفي عهد سلاطين وملوك الدولتين البحرية والبرجية الشركسيتين في الفترة (١٢٥٠-١٥١٧) كما قمنا بتتبع دور الأمراء والقيادات الشركسية في عهد حكم العثمانيين خلال الفترة (١٥١٧-١٨١١) ودورهم أيضاً خلال حكم العائلة العلوية في الفترة من (١٨١١-١٩٥٢) ثم دورهم عند قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ومساهماتهم في الحياة السياسية والأدبية والفنية في مصر حتى وقتنا الحاضر.

ولتحقيق هذا الهدف الفرعي قمنا بتناول الموضوعات التالية:

١. الجذور التاريخية للمماليك في المشرق العربي.
٢. الشراكسة في الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية الأولى في مصر وبلاد الشام (١١٧١-١٣٨٢).
٣. دولة الشراكسة البرجية في مصر وبلاد الشام (١٣٨٢-١٥١٧).
٤. الشراكسة في مصر في عهد الحكم العثماني التركي (١٥١٧-١٨١١).
٥. الشراكسة في مصر في عهد حكم الأسرة العلوية (١٨١١-١٩٥٢).
٦. الشراكسة في مصر في عهد جمهورية مصر العربية (١٩٥٢-٢٠٠٨).

وهي الموضوعات التي تناولناها بالبحث والدراسة في الجزء الثاني من المجلد الرابع من الموسوعة.

الهدف الفرعي الثالث: دراسة وتحليل أوضاع شراكسة سوريا وتحليل خصائصهم القومية، والتعرف على دورهم ومساهماتهم في بناء المجمتع السوري العربي عامة، والمجتمع الشركسي خاصة.

ولتحقيق هذا الهدف الفرعي قمنا بدراسة وتحليل الموضوعات الرئيسية التالية:

١. مراحل توطين الشراكسة المهجرين إلى سوريا قسراً في الفترة (١٨٦٠-١٩٣٠).
٢. خصائص المجتمع الشركسي في سوريا (١٨٦٠-٢٠٠٨).
٣. دور شراكسة سوريا في أحداث ووقائع العهد الملكي العربي وفترة الانتداب الفرنسي (١٩١٧-١٩٤٥).
٤. الدور العسكري والجهادي لشراكسة سوريا في عهد استقلال سوريا من عام (١٩٤٥-٢٠٠٨).
٥. الأوضاع العامة لشراكسة سوريا ودورهم السياسي والوطني في المجتمع السوري.
٦. خصائص مؤسسات المجتمع المدني الشركسي ودورها في المجتمعات السورية (١٩٢٦-٢٠٠٨).

وهي الموضوعات التي تناولناها بالبحث والدراسة في الجزء الثالث من المجلد الرابع من الموسوعة.

الهدف الفرعي الرابع: متابعة أوضاع الشراكسة في دول المشرق والمغرب العربي.

ولتحقيق هذا الهدف الفرعي قمنا باستعراض أحوال الشراكسة في كل من فلسطين، ولبنان، والعراق، واليمن، وبلاد الحجاز، والخليج العربي، وليبيا، وتونس والجزائر، والسودان.

وهي الموضوعات التي تناولناها بالبحث والدراسة في الجزء الرابع من المجلد الرابع من الموسوعة.

الهدف الفرعي الخامس: تتبع أوضاع الشراكسة في الدول الأوروبية، وأمريكا، وكندا، واستراليا.

ولتحقيق هذا الهدف الفرعي قمنا بدراسة أوضاع الشراكسة في كل من:

بولندا، وألمانيا، وهولندا، وفرنسا، وانجلترا، وبلجيكا، وسويسرا، وإسبانيا، ودول البلقان سابقاً (اليونان، يوغسلافيا، وبلغاريا)، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، واستراليا.

وهي الموضوعات التي تناولناها بالبحث والدراسة في الجزء الرابع من المجلد الرابع من الموسوعة.

الهدف السادس: دراسة وتحليل خصائص المجتمع الشركسي في الأردن والتحولات التي طرأت عليها وكذلك التعرف على دور الشراكسة في بناء الدولة الأردنية خلال الفترة (١٩٢١-٢٠٠٨).

ولتحقيق هذا الهدف قمنا بدراسة وتحليل الموضوعات الرئيسية التالية:

١. خصائص الوضع الديمغرافي (السكاني) والجغرافي للشراكسة في الأردن.
٢. الخصائص الحرفية والمهنية للشراكسة في الأردن.
٣. الخصائص التربوية والتعليمية للشراكسة في الأردن.
٤. خصائص اللغة لدى الشراكسة في الأردن.
٥. خصائص العادات لدى الشراكسة في الأردن.
٦. خصائص العمل الاجتماعي والثقافي في مؤسسات المجتمع المدني الشركسي في الأردن.
٧. الخصائص الدينية لدى الشراكسة في الأردن.
٨. دور الدولة الأردنية "قيادة، وحكومة، وشعباً" في بناء مجتمع شركسي أردني متميز.
٩. دور القيادات الشركسية في التصدي للأحداث السياسية والمؤامرات ومحاولات الانقلاب في الفترة (١٩٢١-١٩٧٠).

١٠. دور شراكسة الأردن في الحياة النيابية والسلطة التنفيذية والخدمة المدنية.
١١. دور القيادات الشركسية في بناء وتطوير القوات المسحلة، والأمن العام، والمخابرات العامة.
١٢. دور شراكسة الأردن في بناء الاقتصاد الوطني الأردني.
١٣. الدور الأدبي والثقافي والفكري والفني لشراكسة الأردن.
١٤. دور القيادات الأكاديمية من شراكسة الأردن في بناء وتطوير مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي (١٩٦٢-٢٠٠٧).
١٥. دور القيادات الرياضية من شراكسة الأردن في تأسيس وتطوير الحركة الرياضية والشبابية.
١٦. الدور العشائري للشراكسة في الأردن.
١٧. الدور الريادي للمرأة الشركسية في المجتمع الأردني عامة، وفي المجتمع الشركسي خاصة.
١٨. دور القيادات السياسية والعسكرية الشركسية في المعارضة السياسية في الأردن.

الهدف السابع: البحث في المكتبات المتخصصة عن المراجع والمصادر والوثائق التي تناولت موضوع أو أكثر من المواضيع ذات العلاقة بالأمة الشركسية في الوطن الأم وفي المجتمعات الشركسية في الشتات.

ولتحقيق هذا الهدف فقد تم البحث عن المراجع والمصادر التي نشرت عن الأمة الشركسية على مدى ٢٥٠٠عام وابتداءً من عصر (أبو التاريخ) هيرودوت الاغريقي عام ٥٠٠ق.م وحتى مطلع الألفية الثالثة ما بعد الميلاد حيث قمنا بالإجراءات التالية:

- جمع وتصنيف المصادر والمراجع المنشورة باللغة العربية حول تاريخ الأمة الشركسية قديماً وحديثاً.

- الحصول على الوثائق الصادرة عن الزعماء والقادة السياسيين للأمة الشركسية في السنوات الأخيرة من حروب الإبادة والدمار الروسية.
- جمع وتبويب المصادر والمراجع المنشورة باللغة الإنجليزية وبعض اللغات الأوروبية حول تاريخ الأمة الشركسية من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الحادي والعشرين.
- جمع أكبر عدد ممكن من المراجع والمصادر والاقتباسات المنشورة باللغة الفرنسية حول تاريخ الأمة الشركسية عامة وأصلهم خاصة.
- الحصول على وثائق الأرشيف الروسي الحكومي الرسمي التي صدرت عن السلطات الروسية القيصرية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي.
- جمع أكبر عدد ممكن من المراجع والمصادر والاقتباسات المنشورة باللغة الفرنسية حول تاريخ الأمة الشركسية عامة وأصلهم خاصة.
- التعرف على عناوين الهيئات والجمعيات الثقافية والاجتماعية والوقفية القفقاسية منها والشركسية العاملة في تركيا.
- جمع أكبر عدد ممكن من المراجع والدراسات والأبحاث والتحقيقات التي نشرت باللغة التركية أو ترجمت إلى اللغة التركية من لغات أخرى.
- التعرف على الوقائع والأحداث التاريخية الهامة للأمة الشركسية من الألف السادس ما قبل الميلاد وحتى الألف الثالث ما بعد الميلاد، وتصنيفها حسب تسلسل حدوثها تاريخياً.
- التعرف على المواقع الشركسية الرئيسية على شبكة الانترنت وتصنيفها وتبويبها بحسب المواضيع التي تتخصص فيها كل شبكة.

مراحل إعداد الموسوعة

التزاماً بالأمانة العلمية من المؤلف، كان لا بد من التحدث عن المراحل التي مر بها منذ أن بدأت الموسوعة كفكرة في عام ٢٠٠٤م، إلى أن أصبحت حقيقة، وصدرت مطلع عام ٢٠٠٩ في حوالي (٥٠٠٠) صفحة، موزعة على ست مجلدات، **حيث بدأت الفكرة بعد نقاش حاد بين المؤلف وبين بعض المتحدثين في يوم الحداد الوطني الشركسي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢١م، توصل بعده إلى قناعة تامة بأننا جميعاً (بمن فيهم المؤلف نفسه) والذين يعتبرون أنفسهم مختصون في تاريخ الأمة الشركسية وقضاياها، يجهلون تماماً الوقائع والأحداث الحقيقية عن تاريخهم، ومن هنا بدأت فكرة إعداد موسوعة تاريخية عن الأمة الشركسية بأسلوب علمي وموضوعي.**

عرضنا الفكرة على اكثر من باحث من المهتمين بالتاريخ عامة والتاريخ الشركسي خاصة... وكان ردهم بأن إعداد موسوعة يتطلب وجود فريق من المختصين في التاريخ عامة وتاريخ الشراكسة خاصة، وأنه يتعذر على شخص أو إثنين أو ثلاثة إعداد مثل هذه الموسوعة.

لم أيأس خاصة وأنني كنت بدأت بالتفكير الجدي لإحالة نفسي على التقاعد من عملي الأكاديمي عند بلوغي سن السبعين... **فكانت المرحلة الأولى، حيث بدأنا بجمع أكبر عدد ممكن من المراجع والمصادر**، من كتب ومخطوطات، ووثائق، ودراسات، واستطعنا قبل نهاية عام ٢٠٠٤م من جمع أكثر من (٢٠٠٠) مرجع ومصدر منشور باللغات العربية والإنجليزية والروسية والفرنسية والتركية والشركسية، بعد زيارة كل من المكتبات الوطنية في لندن واسطانبول ونالتشك في جمهورية (كباردينا- بلقاريا)، والاسكندرية، ودمشق، إضافة إلى المراجع والمصادر التي جمعناها من المكتبات المحلية المتخصصة في القضايا الشركسية

ومن مواقع على شبكة الانترنت وعددها حوالي (٧٠٠) موقع، كما تم جمع مئات البيانات والوثائق والمخطوطات وأشرطة التسجيل (الفيديو) وأقراص (CD و DVD)، وغيرها من المعلومات ذات العلاقة بتاريخ الأمة الشركسية من خلال اللقاءات الشخصية التي أجريتها مع العشرات من المختصين والمهتمين وكبار السن **في جمهوريات الوطن الأم، وشراكسة بعض جمهوريات روسيا الاتحادية وشراكسة تركيا، والأردن، وفلسطين، والعراق، وليبيا، وألمانيا، وهولندا، وانجلترا، وفرنسا، وأمريكا، وكندا، واستراليا.**

وفي المرحلة الثانية، التي امتدت من شهر كانون ثاني من عام ٢٠٠٥م، وحتى نهاية شهر كانون أول من نفس العام، قمنا بتصنيف وتبويب المراجع والمصادر التي ضمت كتب، وموسوعات، ومخططات، ووثائق بالإضافة إلى الأبحاث والدراسات والتقارير والمقالات والتحقيقات... إلخ، المنشورة في مجلات متخصصة، كما قمنا بالاستعانة ببعض المختصين في اللغات الروسية والفرنسية والتركية لترجمة بعض الموضوعات الهامة ذات العلاقة بالموسوعة حيث توصلنا إلى حقيقة مؤكدة بأن المراجع والمصادر التي قمنا بجمعها قد رجع مؤلفيها وكتّابها إلى أكثر من (٢٥٠٠) مرجع ومصدر (من غير المصادر والمراجع التي قام المؤلف بجمعها) وإن هذه المراجع كتبت في أكثر من عشرين لغة **(كما هو مبين في ملاحق المجلد السادس).**

وفي المرحلة الثالثة، تفرغ المؤلف تفرغاً كاملاً لكتابة موضوعات الموسوعة، وهي المرحلة التي استغرقت (٣٣) شهراً ولمدة (ألف) يوم، بمعدل ثماني ساعات يومياً خلال الفترة من شهر كانون الاول من عام ٢٠٠٥م، إلى نهاية شهر آيار من عام ٢٠٠٨، حيث تم خلالها طباعة مجلدات الموسوعة الستة طباعة أولية، كما تمت عمليات التصميم والإخراج الفني التي تضمنت عمليات إضافة الأشكال التوضيحية، والخرائط التفسيرية، والمناظر الطبيعية، والصور الشخصية

لقيادات سياسية وعسكرية وأدبية وتربوية ودينية، وثقافية وفنية من الوطن الأم ومن شراكسة الشتات في بلاد المهجر.

وفي المرحلة الرابعة والأخيرة التي امتدت لستة أشهر، ابتداءً من شهر حزيران من عام ٢٠٠٨م، حتى نهاية شهر كانون الأول منه، قام المؤلف وبعض المختصين بتدقيق شامل للمجلدات الستة للموسوعة للتأكد من ملاءمة اللغة، ودقة الصياغة، ووضوح المعنى، كما تم خلالها وضع فهرس مستقل للموضوعات الرئيسية والفرعية لكل مجلد من مجلدات الموسوعة الستة على حدة، حيث تم بحمد الله وتوفيقه من الانتهاء من طباعتها طباعة نهائية مطلع عام ٢٠٠٩.

المؤلف

صورة تذكارية للمؤلف يوم
ابتداء الكتابة في الموسوعة
عام ٢٠٠٤

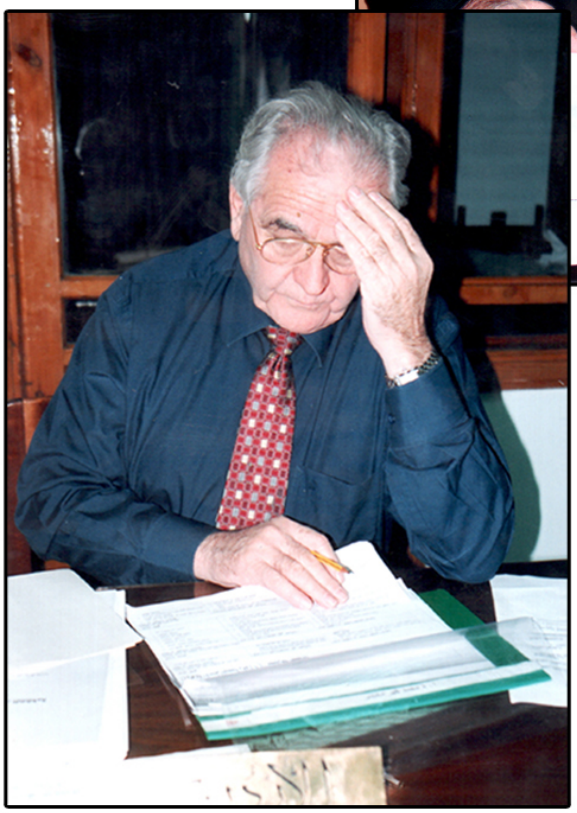

صورة تذكارية للمؤلف يوم
انهاء الكتابة في الموسوعة
مطلع عام ٢٠٠٩

مؤلف الموسوعة في سطور

احتفظت عائلة المؤلف بالوثيقة (المخطوطة) المرفق صورة عنها مكتوبة بخط يد الإمام جانخو الخزكي إمام مسجد قرية (ابي قواجا) الواقعة في منطقة نهر الترك وعلى بعد ٦٠كم من مدينة نالتشك حاليا، وهي قرية من قرى القبرطاي التي تأسست عام ١٩٦٤.

تشير بيانات الوثيقة المرفقة التي شهد على صحتها (٤) من شراكسة القرية، بأن أول أجداد باتسج مامسر هو (جوجي) من قبيلة (برخنو) التي كانت تقطن على نهر (شغف). وإبنه ياس، وإبن ياس لوستن، وإبن لوستن كوشوك، وإبن كوشوك مزة، وإبن مزة قيتوقوة، وإبن قيتوقوة يوسف، وإبن يوسف مامسر، وإبن مامسر عبدالله.

وبالبحث عن تفرعات عائلة (باتسج) منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم، وجدنا بأنها تتفرع إلى ثلاث فروع رئيسية وعلى النحو التالي:

الفرع الأول: عائلة باتسج مامسر، وهاجرت عام ١٩٠٠ ضمن مجموعة كبيرة من عائلات القبرطاي (جلاخستني) التي هجّرها سلطات روسيا القيصرية قسّرا إلى الأردن، واستوطنت غربي (خربة عمان) مدينة عمّان حاليا، وسمّي بحي المهاجرين.

إصطحب باتسج مامسر معه كل من إبنه عبدالله وبرفقته ولديه حاج – بي وعلي، كما إصطحب معه إبنه الثاني سادولة (سعد الله) وبرفقته إبنته حج – كواشة.

الفرع الثاني: عائلة باتسج بشى أبشوقة، وهاجرت إلى سورية ضمن العائلات الشركسية التي هجرتها قسّراً سلطات روسيا القيصرية عام ١٨٨٨ واستوطنت في قرية الحميدية قرب دمشق في المرحلة الأولى، ثم إنتقلت للعيش في منطقة حمص أواسط سوريا.

الفرع الثالث: عائلة باتسج بطش، وهو الفرع الذي نجا من التهجير القسّري من قبل سلطات روسيا القيصرية، وبدأت حياتها من جديد في منطقة القبردي، وتكونت هذه العائلة من أبناء بطش وهم: حمرزة، حتزة، حج مرزة، مُدار، ومحمد، وابنتين هما: ناوجن ودغة.

ويعيش اليوم أبناء وأحفاد (باتسج بطش) في كل من (مرتزيه قالة ونارت قالة)، نذكر منهم كل من: المهندس حمشة وأولاده انزور وفاطمة وزارينا وكذلك أبناء وأحفاد باتسج حمرزة نذكر منهم كل من: مشة وأولغا وحج ومار وأبنائه المهندس الدكتور حاج بي وبورسبي وقنشاوه بي وأمور بي.

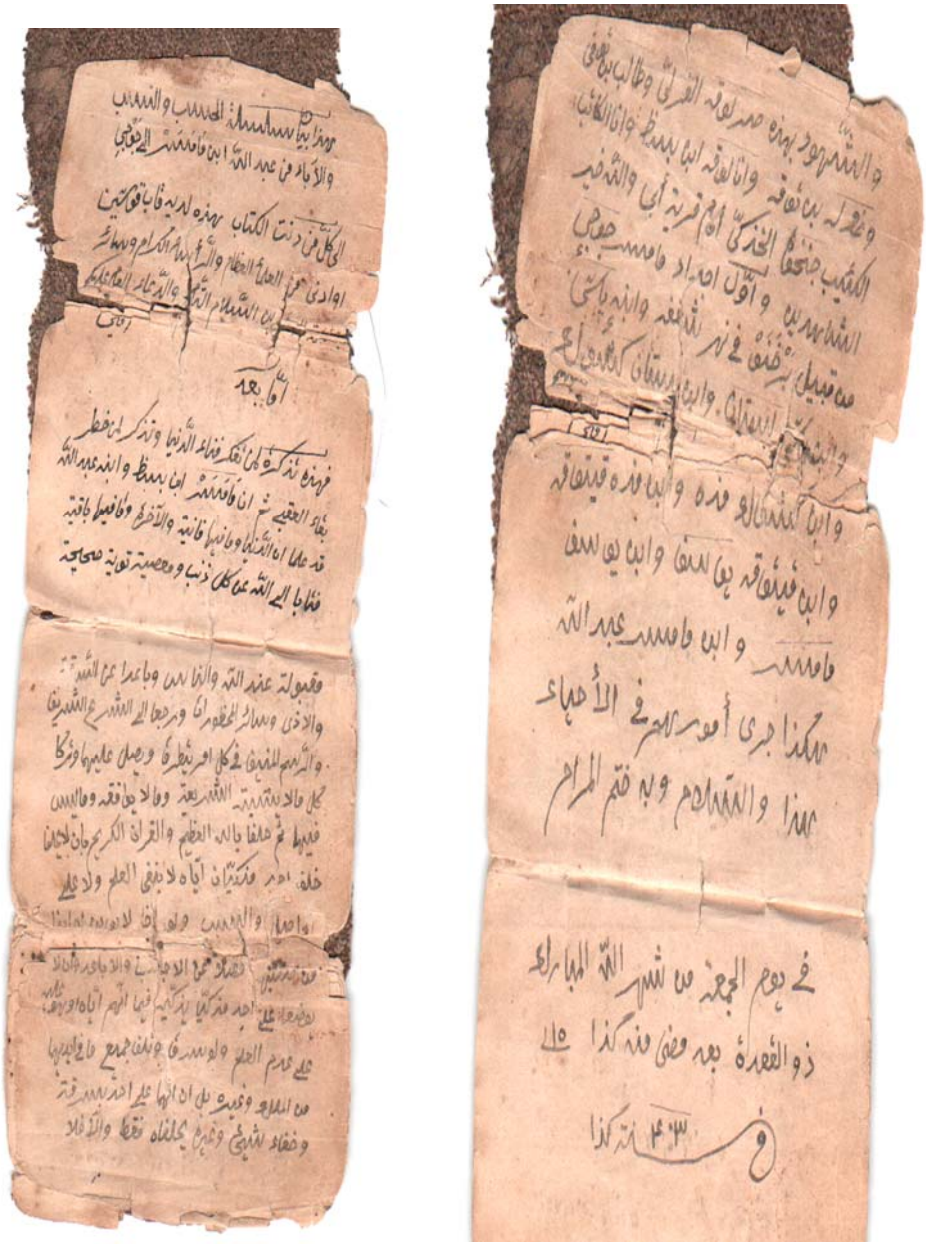

وثيقة بخط اليد تتضمن حسب ونسب عائلة **باتسج مامسر** كتبت عام ١٨٦٤م، وشهد على صحة ما جاء فيها من معلومات أربعة من الشهود الرجال من أهل قرية (أبي قواجة)

مولد المؤلف ونشأته:

ولد المؤلف عام ١٩٣٧ في عمان ووالده هو (باتسج علي) من مواليد (ابي قواجة) في منطقة الترك في بلاد القبرطاي عام ١٨٩٦ ووالدته هي امينة أحمد باترودك من مواليد قرية بئر عجم في الجولان السوري عام ١٩٠٢ وزوجته عصمت عزت قندور من مواليد الأردن / عمان ولهما ولد وإبنة هما: نارت وزوجته لارا برسيق من شراكسة الأردن، ولهما ولدان هما: زيد وحمزة، والأبنة هي تمارا وزوجها نارت نالتشك من شراكسة الأردن ولها ولد وابنة هما: كريم وسلمى.

- شقيقه الأكبر هو **(محمد شريف)** وزوجته رمزية أمين كرف من مواليد قرية بئر عجم في الجولان السورية ولهما ولد واحد وهو (ناورز) وخمس بنات وهن: فاطمة، جانسيت، جانيت، سونيا، سوزان.
- وشقيقه الثاني هو **(أدهم)** وزوجته فايزة توفيق قموق من مواليد القنيطرة في الجولان السورية ولهما ولدان هما تامبي وجانتي.
- وشقيقه الثالث هو **(أكرم)** وزوجته نهلة شعيب لي من مواليد الأردن – عمان* ولهما ثلاثة اولاد هم ينال، مُدار، ويلدار وابنة واحدة هي دانا.

قضى المؤلف السنوات الأولى من طفولته في قرية (مُودارية) على بعد خمسة كيلومترات من مدينة القنيطرة في الجولان السورية وأسمها حاليا العدنانية**.

المؤهلات العلمية للمؤلف:

درس المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية في عمان واستكمل دراساته العليا في كل من الأردن، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على الدرجات العلمية التالية:

- درجة الدكتوراه في فلسفة التربية.
- درجة الماجستير في التربية.
- دبلوم عالي في التربية.
- دبلوم عالي في رعاية الشباب.
- بكالوريوس في تربية الرياضة.

---

* (سعدية) هي الشقيقة الكبرى الوحيدة للمؤلف وتوفيت وهي طفلة صغيرة، كما توفي أصغر الأشقاء وأسمه (رفعت) وهو في مرحلة المهد.

** سبق أن رحلت عائلة المؤلف إلى الجولان السورية في عقد الثلاثينات وعاشت فيها بضع سنوات ثم عادت للأردن عام ١٩٤٤.

مجالات عمل المؤلف:

أمضى المؤلف نصف قرن من حياته العملية وفي الفترة من ١٩٥٨-٢٠٠٨، في خمس مجالات رئيسية وعلى النحو التالي:

المجال الأول: وهو المجال الاكاديمي، ويشير سجل مسيرته الذاتية بأنه ساهم في إنشاء أربع جامعات رسمية في الأردن وهي الأردنية، واليرموك، والعلوم التكنولوجيا ومؤتة في جناحيها (المدني والعسكري)، بالإضافة إلى مساهمته في إنشاء جامعتين خاصتين هما جامعة الاسراء الخاصة وجامعة عجلون الوطنية الخاصة.

وتدرج المؤلف في عمله الأكاديمي من محاضر إلى استاذ مساعد، إلى استاذ مشارك، وإلى استاذ منذ عام ١٩٩٢.

كما تدرج في المناصب الإدارية والأكاديمية من: رئيس قسم إلى مدير، وعميد، ونائب رئيس ورئيس بالوكالة ونائب رئيس مجلس أمناء، ورئيس مجلس امناء (وهو اعلى منصب أكاديمي في نظام التعليم العالي في الأردن).

المجال الثاني: وهو المجال السياسي: حيث دخل السلك السياسي في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي بتوليه حقيبة وزارة التنمية الاجتماعية في حكومتين متتاليتين، وحقيبة وزارة الشباب والرياضة في حكومة ثالثة، كما سبق أن تولى منصب وكيل وزارة الشباب في مرحلة سابقة، كما شارك في عضوية اللجنة الملكية للميثاق الوطني الأردني ضمن ستون شخصية سياسية أردنية كُلفوا من جلالة الملك حسين بن طلال وضع الميثاق الوطني الأردني لعام ١٩٩١، وكان العضو الوحيد في اللجنة من أصل شركسي، ومنح على مشاركاته السياسية أعلى ثلاثة أوسمة رسمية في الأردن.

المجال الثالث: هو مجال الرياضة والشباب في الأردن، شارك المؤلف بفعالية في تأسيس الحركة الرياضية والشبابية في الأردن منذ مطلع عقد الخمسينات من خلال مشاركته كلاعب دولي، ومدرب منتخب وطني، وحكم دولي لأكثر من رياضة ورئيس لأكثر من اتحاد رياضي، ورئيس للنادي الأهلي ورئيس اللجنة الأولمبية الأردنية (وهي أعلى سلطة في سلم إدارة الرياضة الأهلية في الأردن)، ومنحته اللجنة الأولمبية الدولية وسام وقلادة أولمبية وهو أعلى وسام أولمبي تقديرا لاسهاماته في تطوير الحركة الاولمبية الوطنية وهو الوسام الذي يمنح لشخصية رياضة سياسية من كل قارة مرة كل أربع سنوات.

كما يعتبر المؤلف مؤسس حركة الرياضة الجامعية في الأردن، ابتداء من عام ١٩٦٣ كما يعتبر من المساهمين الاوائل في تأسيس أربعة كليات للتربية

الرياضية وعلوم الرياضة في الأردن، وقسمين رياضين في كل من الأمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان.

المجال الرابع: هو مجال العمل الاجتماعي الرسمي والتطوعي الأردني:

ساهم المؤلف في إنشاء وتطوير مؤسسات المجتمع المدني الأردني عامة والعمل الاجتماعي التطوعي خاصة، على مدى أربعين عاما، وكانت أكثر مساهماته في مجال وضع الاستراتيجيات الوطنية من خلال عمله وزيرا للتنمية الاجتماعية في حكومتين متتاليتين وبالأخص الاستراتيجيات الخاصة برعاية وحماية كل من:

- **المرأة من الإساءة إليها.**
- **الأطفال من الإساءة إليهم من الاستغلال من قبل البالغين.**
- **كبار السن عامة وكبار السن الذين لا راعي لهم خاصة.**
- **الحد من انتشار المخدرات عامة وبين الشباب خاصة.**
- **اطفال الشوارع من استغلالهم من قبل الآباء (الفقراء وأسرهم) أو من قبل البالغين الغرباء الذين يجبرون الأطفال لامتهان (الشحادة في الشوارع).**

كما كان له دور فاعل في الجمعية الخيرية الشركسية في الأردن في أكثر من مرحلة ومن خلال انتخابه لعضوية مجلس إدارة الجمعية لدورتين، وكذلك من خلال مساهماته في أعمال اللجان الداخلية على مدى أكثر من أربعين عاما.

المجال الخامس هو مجال التأليف والبحث العلمي وإجراء الدراسات ذات العلاقة بتاريخ الشراكسة عامة، وشراكسة الشتات خاصة وله أكثر من دراسة علمية منشورة في مجلات جامعية علمية منها مجلة جامعة موسكو العلمية بعنوان: **خصائص المجتمع الشركسي الأردني والتطورات التي طرأت عليها في الفترة (١٨٧٨-٢٠٠٠).**

وأما مساهماته العلمية الكبيرة فتتمثل بإعداده هذه الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية التي تتكون من (٦) مجلدات عدد صفحاتها خمسة ألاف صفحة.

المجلـد الأول

الجذور التاريخية
للأمة الشركسية

مقدمة

المجلد الأول

خُصّص هذا المجلد للبحث في موضوعين رئيسيين هما:

الجذور التاريخية للأمة الشركسية والخصائص الجغرافية والبيئية والقومية للأمة الشركسية منذ فجر التاريخ.

وتضمن الموضوع الرئيسي الأول، الموضوعات الفرعية التالية:

في الموضوع الفرعي الأول تم التعرف على مراحل ظهور الإنسان في بلاد القفقاس، وكذلك مراحل تكوين الحضارات القديمة المتمثلة بحضارات:

مايكوب، وكورا–اراكس، والدولمانات، والكابانية، وهي حضارات ظهرت قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد في بلاد القفقاس الشمالي عامة، وفي بلاد الأمة الشركسية و(الأديغة) خاصة، كما تم استعراض المكتشفات الأثرية في المناطق التي كان يقطنها مختلف شعوب وقبائل الأمة الشركسية من الاديغة والابوخ والابخاز.

وفي الثاني تناولنا بالدراسة والتحليل حياة مجموعات الأمم والشعوب والقوميات التي استوطنت القفقاس، او جاورت شعوب الأمة الشركسية منذ فجر التاريخ، وتوصلنا إلى حقيقة مفادها أنّ أكثر من (٣٢) أمة، أو قومية، أو شعباً، أو دولة سبق أن استوطنت أو تواجدت فيها لفترات زمنية متفاوتة. أمكن حصرها في خمس مجموعات بحسب التسلسل الزمني لمراحل تواجدها في بلاد القفقاس، وعلى النحو التالي:

المجموعة الأولى وتكونت من: العلاميين، والكاسيين، والسومريين، والميتانيين، والميديين.

والمجموعة الثانية وتكونت من شعوب الحثيين، والكميريين، والاغريق، وقدماء مصر، والبيزنطيين.

والمجموعة الثالثة وتكونت من: الاسكيت، وقبائل الغوط، الهون، وشعب السارماتيين.

والمجموعة الرابعة هي: شعب البولوفتش، والسلاف، وخانات القرم، والقــوزاق، والروس.

وأما المجموعة الخامسة فهي دول غير قفقاسية كان لها أكثر من دور في حروب الابادة والدمار الروسية التي أدت إلى الاستيلاء على الوطن الأم وتهجير اكثر مــن ٢,٥ مليون شركسي إلى الدولة العثمانية وإلى بعض الدول العربية التي كانت تحت حكم العثمانيين.

وفي الموضوع الفرعي الثالث تم البحث عن القوميات القديمة التي استوطنت فــي بلاد القفقاس منذ فجر التاريخ، حيث قمنا بدراسة وتحليل حياة الشعوب والقوميــات القفقاسية التي استوطنت في الغرب منها وفي الشرق والوسط، وفي الجنوب.

ففي الغرب، تحدثنا عن حياة الشعوب والقبائل الشركسية التالية: شعب "ألمه – ؤت" عامة وقبائل السند، والدار دار، والتوربت، والتحات خاصة.

كما تم دراسة وتحليل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية لسبع قبائل شركسية أخرى سكنت في الجزء الغربي من شمال القفقاس وهي قبائل:

الكريكت، والأخين، والزيخ، والحانوخ، والسانوخ، والباســك، ثــم قبائــل الآنتيين التي تنتسب أصلا إلى قوم النارتيين الذين كان لهم وجود في هذه المنطقــة منذ فجر التاريخ.

كما توصلنا إلى أن الشعوب والقوميات التي كانت تسكن المناطق الشرقية والوسطى من بلاد القفقاس هي شعوب: (الشيشان) والاوار (الانــدلال) واللزكــي (الزيك) ثم اللاخ (القموق).

كما جاورهم في الجنوب القوميات الكرجيــة، (الجورجيــة) والأرمنيــة، والألبانية أي (الاذربيجانية).

وفي الموضوع الفرعي الرابع تم البحث عن حياة الشعوب والقبائل الشركسية التي سكنت في شمال القفقاس في الفترة الممتدة من القرون الوسطى وحتى القرن الرابع عشر الميلادي، حيث تحدثنا فيه عن: **قبائل الاباسغ، والزيخ "الاديغي" والكشك، والجيكيت، وسيركاسيا.**

كما تحدثنا عن تاريخ قبائل شركسية كانت مستوطنة في بلاد الشراكسة في الفترة الممتدة من القرن الرابع عشر وحتى نهاية حرب الابادة والدمار الروسية في عام ١٨٦٤، وهي القبائل التي اختلف في تحديد اعدادها وتسميتها واماكن تواجدها من مؤرخ إلى آخر.

فالمؤرخ الشركسي أيتك ناميتوق، ذكر بأن القبائل الشركسية في هذه المرحلة تكونت من (١٦) قبيلة، بالإضافة إلى ثلاث قبائل للقبرطاي، وقبيلة واحدة للأوبخ، واكثر من (٢٥) قبيلة وعائلة من الابخاز والأباظة.

كما ذكر الكاتب الشركسي أمجد جموخة، في كتابه عن "الشراكسة– The Circassians " بأن عددها (١٣) قبيلة بينما الجنرال الاستخباراتي الروسي يذكر في تقريره السري عام ١٨٣٩ بأن القبائل التي كانت تعيش في شمال القفقاس في عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر هي ثماني قبائل فقط.

وربما كانت أكثر الدراسات دقة عن عدد ومواقع سكن، وحياة القبائل الشركسية التي كانت تعيش في شمال القفقاس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هي دراسة الكاتب الشركسي "قاسم مرتوقة" وهي الدراسة التي تضمنت اسماء (١٥) قبيلة من قبائل الأمة الشركسية التي عاشت في مناطق الكوبان، كما تضمنت عدد سكان كل قبيلة واسماء فروعها، ومواقع سكنها وحدودها، ومعالمها الجغرافية، ونظمها الاجتماعية ولهجاتها. إلا أن دراسته لم تتضمن أية معلومات عن شعب القبرطاي والبسلني والابخاز والاوبخ.

وفي الموضوع الفرعي الخامس تمت دراسة منشأ العرق القوقازي الابيض، كما تم البحث في التفصيل عن أصل اجداد الشراكسة، وعن النظريات والفرضيات التي تبحث في أصل أجداد الشراكسة، حيث تم استعراض خمس نظريات وثلاث فرضيات. **فأصحاب النظرية الأولى** يرجحون أن يكون أجداد الشراكسة هم "الحثيون"، وأصحاب النظرية الثانية يؤكدون بأن أجدادهم هم "الكميريون" بينما النظرية الثالثة تذهب للاعتقاد بأن الشراكسة هم "آريون" كما يقول أصحاب النظرية الرابعة بأن الشراكسة ينتمون إلى الشعب "الكاسي القديم" وكذلك فإن النظرية الخامسة والأخيرة تبحث في احتمال أن يكون أجداد الشراكسة هم "السومريون".

وأما بالنسبة للفرضيات الثلاث فإنها تبحث في احتمال أن يكون قدماء المصريين وبني قريش هم أجداد الشراكسة أو أن أجدادهم هم جماعة "المه – ؤت" او الساومنتين أو الامازون.

وتوصلنا في نهاية البحث في النظريات والفرضيات سابقة الذكر إلى أنّ جميع الاحتمالات والترجيحات ضعيفة لأنها لا تستند إلى حقائق تاريخية أو علمية بقدر ما هي تقديرات واستنتاجات للمؤرخين، حيث **توصلت شخصيا إلى قناعة بأن أصل أجداد الشراكسة هم قوم "تارت" أو أن النارتيين هم منشأ وأصل الأمة الشركسية وأن الأمم والشعوب والقوميات الأخرى اندمجوا في الأمة الشركسية وأصبحوا جزءاً من قبائلهم.**

وأما الموضوع الفرعي السادس، فقد خصّص للبحث في الأسماء والألقاب التي عرفت بها الأمة الشركسية في الوطن الأم منذ فجر التاريخ، حيث توصلنا إلى أن المؤرخين أطلقوا على الشراكسة منذ القدم وحتى عصرنا الحاضر أربعة ألقاب رئيسية وهي:

اللقب الأول: قوم نارت، واللقب الثاني: أمة أنت، واللقب الثالث: شعب الأديغة أو الاديكة، واللقب الرابع: الشراكسة أو الجراكسة.

كما تم البحث في خمس فرضيات تبحث في مصادر أصل كلمة "أديغة" كما تم استعراض التسميات التي أطلقتها مختلف الأمم والشعوب القديمة منها والمعاصرة على الأمة الشركسية، وبالتحديد التسميات التي اطلقها كل من: الاغريق، والروس، والفرنسيين، والايطاليين والعرب، والفرس، والاتراك والانجليز.

وفي الموضوع الرئيسي الثاني للمجلد الأول والذي خُصّص للبحث في الخصائص الجغرافية، والبيئية، والقومية للأمة الشركسية فإنه تضمن أربعة موضوعات فرعية.

ففي موضوع الفرعي الأول من هذا الجزء قمنا بوصف الخصائص الجغرافية والبيئية لبلاد شمال القفقاس عامة، وبلاد الأمة الشركسية خاصة، **مستشهداً في ذلك الوصف بعشر شهادات علمية لكتاب وباحثين ورحالة ومؤرخين من الانجليز، والفرنسيين والروس والشراكسة**، كما تم التعرف على مساحة وحدود بلاد الشراكسة، وعلى الجبال وقممها وممراتها والطرق الرئيسية فيها والانهار والبحيرات والحمامات المعدنية والمصحات والمنتجعات، بالإضافة للتعرف على الثروات الزراعية، والحيوانية، وعلى المصادر الطبيعية فيها من بترول، ومعادن، وبراكين.

وفي الموضوع الفرعي الثاني في الجزء الثاني من هذا المجلد، تم البحث في خصائص اللغة القومية الشركسية منذ أن بدأت كوسيلة للتفاهم والتخاطب إلى أن نشأت الكتابة فيها، كما تمت دراسة وتحليل أسباب توقف الكتابة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي، هذا وقد قمنا باستعراض الاحرف التي استخدمت في الكتابة باللغة الشركسية منذ اعادة احيائها في القرن التاسع عشر،

حيث توصلنا إلى أن الشراكسة استخدموا الأحـــرف العربيـــة اولاً ثـــم الأحـــرف اللاتينية، وأخيراً الأحرف السلافية المشتقة من الأحـــرف الـــسيريلية الـــسلافية – Cyrillie .

كما تم استعراض النظريات التي تبحث في اصل اللغة الشركـــسية، حيـــث توصلنا إلى أنّ:

النظرية الأولى: تبحث في احتمال ان تكون اللغة الشركسية مشتقة من اللغة الحثية، والثانية تقول بأنها مشتقة من اللغة الفينيقية، والثالثة تؤكد بأنها مشتقة مـــن اللغـــة السومرية، بينما الرابعة تذهب للاعتقاد بأن اللغة الشركسية تعود في أصـــلها إلـــى اللغة الآيبرية. كما تؤكد النظرية الخامسة بأنها هي اللغة "الأشوية الابخازية". هـــذا بالإضافة إلى فرضيتين بحثتا في أصل اللغة، فالأولى منها تفترض بأنها مشتقة من اللغة العربية، بينما الثانية تعتقد بأنها مشتقة من اللغة السلافية.

وتوصلنا في نهاية بحثنا حول النظريات والفرضيات التي تبحث في أصـــل اللغة الشركسية بأنها لغة قائمة بذاتها، وأن استخدامها لأحرف اللغات القديمة من فينقية، وحثية وسومرية، وآيبرية، وآشورية لا تعني بأنها مشتقة من لغة أو أكثر من تلك اللغات، وكذلك فإن استخدام الشراكسة منذ القرن التاسع عشر المـــيلادي للأحرف العربية، والاحرف اللاتينية وأخيرا الاحرف السلافية فـــي كتابـــة اللغـــة الشركسية لا يعني إطلاقاً بأنها مشتقة من اللغات التي استخدمت أحرفها في كتابة اللغة الشركسية.

وأما الموضوع الفرعي الثالث في هذا الجـــزء مـــن المجلـــد الأول، فقـــد خُصّص للبحث في المعتقدات الدينية والفكر الديني للأمة الشركـــسية منـــذ عـــصر الأجداد وحتى العصر الحديث، حيث توصلنا إلى أن المعتقدات الدينية بدأت لـــديهم منذ العصر الحجري القديم بفكرة وجود "تواتم" ومفردها "توتم" حيث اتخـــذت كـــل عشيرة "توتماً – كتعويذة" أو أرباباً من الحيوانات أو الطيور. وفي الألف الـــسادس

قبل الميلاد بدأت تتكامل لديهم العقائد الدينية، وبدأوا في عبادة الظـواهر الطبيعيـة مثل الشمس، والبرق، والرعد، والرياح، والغابات... الخ.

وفي مراحل لاحقة ظهرت عند قدماء الشراكسة عقيدة دينية سميت بالعقيدة "الدوريدية" وهو مذهب ديني ظهر عند الشراكسة في العصر الحجـري الحـديث وتقوم على افتداء الأموات من الطبقات العليا والكهنة من الشراكسة بقرابين بشرية وحيوانية، حيث كان يتم ذبح بعض الحيوانات مثل الفرس ودفنها مع الميـت فـي قبره، كما أن بعض الروايات القديمة تقول بأنه كان يتم افتداء بعض أفراد الحاشية ودفنهم مع الميت أيضا.

وفي المراحل ما قبل اعتناق الديانة المسيحية، أصـبح الشراكـسة جميعـا وثنيين، مثلهم مثل الشعوب والأمم القديمة في العالم. وظهرت لديهم "آلهة" بالمئات، وأطلق عليها اسماء مختلفة كما كانت "الالهة" تصنف إلى صنفين "آلهة كبار" و"الهة صغار" وأساطير النارتيين مليئة بأسماء المئات من "الالهة" ذكـر منهـا المـؤرخ "باتريك" ثمانية عشر إلهاً، كما ذكر بعض الرحالة من الانجليز الفرنـسيين وصـفا كاملاً لكل "آلهة" وتضمين اسم كل واحد منها وظيفته، وأهميته في حياة الشراكسة. **وتشير الوثائق التاريخية بأن قبائل عديدة من الشراكـسة قـد اعتنقـوا الديانـة المسيحية في الفترة ما بين (٥١٧م – ٥٦٥م). في عهد الامبراطور "جوسـتنيان" البيزنطي، وعلى يد الكاهن المدعو "بونتوك"** وكان يطلق عليه الشراكسة بالقيـصر "جوستين"، وكان حليفا لأمة: الانت من الشراكسة، ولقب أيضا بالفـارس الانتـي لوقوفة مع الأمة "الانتية" ضد قبائل "الغوت او القوط" كما قام قـساوسة ورهبـان يونانيون بنشر الديانة المسيحية بين شعب القبرطاي في القرن الـسابع المـيلادي، وكانوا يسمون الخوري "شوجن" والكرادلة "قـردن" واصـبحوا يتبعـون الكنيـسة اللاتينية.

إلا أن المسيحية لم تنتشر وترسي قواعدها بين الشراكسة، لأن أحكامها وشرائعها لم تكن تتفق مع ميولهم وأخلاقهم وفطرتهم، ووصف أحد المؤرخين الذين زاروا بلاد الشركس ((الأديغة)) في القرن السادس عشر الميلادي بأن الشباب الشراكسة لم يكونوا يدخلون الكنائس طول سن الشباب، بل كانوا يقفون خارج الكنيسة أيام الأحد، وهم على ظهر الجواد.. على اعتبار أن عنفوان الشباب لا يتفق مع تعاليم الدين المسيحي التي تدعو إلى التسامح، عملا بقول المسيح عليه السلام ((إن صفعك "ضربك" على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر)).

وبالتالي فإن الديانة المسيحية لم تكن تجد صدى لدى الشراكسة لأنهم كانوا منذ الآف السنين يقضون حياتهم في كفاح ونضال دائم ضد الغزاة والطامعين حتى أصبح القتال والحرب والعنف جزءاً من حياتهم اليومية.

وفي عام (٢١) هجري الموافق ٦٤١م أمر الخليفة عمر بن الخطاب القائد "سراقة بن عمر" بالتقدم نحو باب الأبواب "دربند" وتمكن من فتحها بالسلم، وفي نفس السنة تمكن القائد "بكر بن عبدالله" الذي تولى قيادة الجيوش العربية بعد وفاة "سراقة" من فتح مدينة "بلنجر" وكان القائد ((عياص بن غنم)) قد سبق أن دخل بلاد الكرج حتى وصل مدينة تفليس عام (١٩) هجري، ولم يتمكن من الوصول إلى ارمينيا.

وفي عام (٢٢) هجري الموافق ٦٤٢م وصل فوج ثان من الجيوش العربية إلى شواطئ بحر قزوين بقيادة القائد "نعيم المقرن" وفتح مدن "جرجان، وطبرستان".

واصل الخليفة "عثمان بن عفان" حملات الفتوحات حيث تم عام (٣٢) هجري الموافق ٦٥٣ فتح باب "اللان"، كما فتحوا بلاد "أذربيجان، وجورجيا".

واستمرت الفتوحات الاسلامية في عهد الامويين، والعباسيين وأدخلوا شعوب بلدان جنوب القفقاس وبلاد الداغستان والشيشان وقسماً صغيراً من أمراء ونبلاء الشركس للديانة الاسلامية مع حلول عام ٨٠٠م، كما اعتنقت شعوب جميع

القوميات في شمال القفقاس قبل حلول عام ٢٨٧هـ الموافق ٩٠٠ ميلادي الدين الاسلامي إلا أن قسماً كبيراً من الشراكسة لم تصلهم الفتوحات الإسلامية، ولم ينتشر الدين الإسلامي كاملاً في بلاد القبرطاي حتى عام ١٧١٧م وعلى يد خانات القرم. وفي بلاد شراكسة منطقة الكوبان الغربية لم ينتشر الدين الإسلامي حتى مطلع القرن التاسع عشر بفضل "محمد امين" نائب الشيخ شامل، وبالتالي فإن اعتناق الشراكسة للدين الإسلامي الحنيف امتد من أواسط القرن السادس عشر وحتى عام ١٨٥٠م.

إلا إن الشراكسة بعد اعتناقهم الدين الإسلامي واحتلال بلادهم من قبل روسيا القيصرية في عام ١٨٦٤ وتم تهجير ما يزيد عن ٩٠% من الذين نجوا من حرب الابادة الروسية قد تعرضوا إلى ضغوطات دينية كبيرة من خلال حكم القياصرة، كما أنهم منعوا من ممارسات العبادات في عهد الحكم الشيوعي من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٨٩ واستعادوا حريتهم الدينية بعد انتهاء الحكم الشيوعي وانهيار الاتحاد السوفيتي وإنشاء دولة روسيا الاتحادية عام ١٩٨٩.

وفي الفصل الرابع من الجزء الثاني من هذا المجلد، ناقشنا الصفات والخصائص القومية المميزة لشخصية الانسان الشركسي مثل: الشجاعة والرجولة والمروءة، واللباقة في التعامل، بالإضافة إلى مناقشة الخصائص الجسمية والبدنية، والاعتزاز بالنفس، وحب العمل، والتمتع بالاخلاق الحميدة والاخلاص، والوفاء، والبر بالوالدين، والوفاء بالعهود، والمحافظة على الصداقة وعلى الجار، هذا بالإضافة إلى تحليل الصفات الشخصية التي يتميز بها الانسان الشركسي من صراحة في القول، ونزاهة في السلوك واستقامة في العمل، والطاعة واحترام كبار السن والمرأة، والتعاون مع الآخرين، وإجارة المستجير، وتكريم الضيف، والحفاظ على الشرف والكرامة. كما تم تناول بعض الصفات السلبية في شخصية الانسان الشركسي.

كما قدمنا دراسة تناقش أهم الصفات المميزة لشخصية المرأة الشركسية مثل: الاخلاص، والطاعة، والحيوية والنشاط، والوفاء والصبر، وقدرتها على كتمان أسرار الزوجية، والاعتداد والثقة بالنفس، والاعتزاز بأنوثتها، وكذلك تمتعها بالحياء والأدب الجم في علاقاتها مع الآخرين. كما تم التعرف على بعض السمات السلبية في شخصيتها، هذا بالإضافة إلى التعرف على الأدوار الرئيسية التي كان يقوم بها كل من الرجل والمرأة الشركسية في المجتمعات الشركسية.

والفصل الأخير من الجزء الثاني من هذا المجلد، خُصّص لمناقشة: العادات والتقاليد الشركسية "أديغة خابزة" حيث تمت مناقشة نشأة التقاليد عند قدماء الشراكسة، كما تم التعرف على دور الفيلسوف الشركسي "قازانوقة جباغي" في تعديل وتغيير بعض العادات التي لم تعد تتناسب مع الدين الإسلامي ومع مستجدات الحياة في القرن السابع عشر الميلادي، كما تم التعرف على العادات التي أوردتها الكاتبة الشركسية "رايا مامخيغ" من الوطن الأم، وعلى العادات التي أوردها بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا بلاد الشراكسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

واختتمنا هذا المجلد باستعراض العادات الشركسية الأصيلة في عشر مجموعات نذكر منها:

- مجموعة العادات المرتبطة باحترام المرأة الشركسية وكبار السن.
- مجموعة العادات المرتبطة بالتربية القومية الشركسية وبالزواج، وقواعد الرقص القومي الشركسي.
- مجموعة العادات المرتبطة بالضيافة، وبمراسم الجلوس على طاولة الطعام ومكان التحمادة على المائدة ودوره في توزيع الطعام على الضيوف.

- مجموعة العادات المتعلقة برفع الانخاب (الخواخوة) والعادات في بعض المناسبات الاجتماعية مثل التهاني والتبريك أو التعزية والمواساة وأسلوب التخاطب والتحدث مع الآخرين من الكبار أو المرأة.
- مجموعة العادات المتعلقة بأسلوب إلقاء السلام والتحية وعادات التعارف والمصافحة ومراسم الالتقاء مع المعارف والأقارب والغرباء.
- مجموعة العادات المرتبطة بمراسم المآتم وغيرها من العادات التي حافظ عليها الشراكسة منذ عصر الاجداد وحتى القرن العشرين الميلادي.

وكان آخر موضوع تم تناوله في هذا المجلد هي العادات المنسوخة والتي لم تعد تستخدم منذ آلاف السنين وعددها (١٢) عادة.

والله الموفق

المؤلف

فهرس أجزاء
المجلد الأول

الجذور التاريخية للأمة الشركسية في الوطن الأم

أجزاء المجلد الأول

الجزء الأول
القفقاس في فجر التاريخ ٨٥-٣٣٢

الجزء الثاني:
الخصائص الجغرافية والقومية للأمة الشركسية في الوخن الأم ٣٣٥-٦١٦

فهرس فصول
الجزء الأول
في
المجلد الأول

فهرس

فصول الجزء الأول

		الصفحة
فصول الجزء الاول	**الفصل الأول:** مراحل استيطان الإنسان، وتكوين الحضارات في شمال القفقاس منذ العصر الحجري القديم	٨٥-١٤٤
	الفصل الثاني: القوميات القديمة المستوطنة في شمال القفقاس منذ فجر التاريخ	١٤٥-١٩٢
القفقاس في فجر التاريخ	**الفصل الثالث:** مجموعات الأمم والشعوب والقوميات التي استوطنت في القفقاس عامة وجاورت الأمة الشركسية في الوطن الأم منذ فجر التاريخ	١٩٣-٢١٨
	الفصل الرابع: شعوب وقبائل الأمة الشركسية خلال المراحل الممتدة من القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي..	٢١٩-٢٧٤
	الفصل الخامس: منشأ العرق القوقازي وأصل أجداد الشراكسة	٢٧٥-٣١٠
	الفصل السادس: الألقاب والأسماء التي عرفت بها الأمة الشركسية في الوطن الأم (قديماً وحديثاً)..	٣١١-٣٣٢

فهـــرس

الموضوعات الرئيسية في

فصول الجزء الأول من

المجلد الأول

فهرس
موضوعات الفصل الأول

	الصفحة
تمهيد	٨٦
(١) مراحل نشوء الانسان في شمال القفقاس	٨٩
* مرحلة الانسان الاشولي	٨٩
* مرحلة الانسان الموستيري	٩٠
* مرحلة الانسان العاقل	٩٣
* مرحلة مجموعة الصيادين	٩٣
* مرحلة انسان الحضارة النيوليتية	٩٤
* مرحلة انسان حضارة الانيوليتية	٩٦
* التسلسل الهرمي لنشوء الانسان في شمال القفقاس	٩٧
(٢) مرحلة تكوين الحضارات القديمة في شمال القفقاس	٩٨
* الحضارة الأولى: حضارة مايكوب في العصر البرونزي المبكر	٩٨
* الحضارة الثانية: حضارة كورا اراكس	١٠٠
* الحضارة الثالثة: حضارة الكاتاكومب وتتكون من:	١٠١
* الحضارة الرابعة: حضارة القفقاس الشمالي الغربي	١٠٢
* الحضارة الدولمانية	١٠٣
* الحضارة الخامسة: الحضارة الكابانية	١٠٥
(٣) حقائق حول المكتشفات الأثرية في المناطق التي كان يسكنها اجداد الشراكسة منذ الالفية الرابعة قبل الميلاد	١٠٦
الحقيقة الأولى: وجود العديد من المقابر العائدة للعصور الحجرية	١٠٧
الحقيقة الثانية: اللقيات الاثرية ذات الأهمية في جمهورية الاديغي "الكورغونات"	١٠٧
الحقيقة الثالثة: مكتشفات منطقة الكوبان وتدل على الدور الانتقالي من صناعة الحجر المصقول إلى صناعة النحاس والبرونز والسيراميك	١١١
الحقيقة الرابعة: امتداد الاثار القفقاسية بشكل سلسلة متوالية حتى الجزر البريطانية	١١٢

الجزء الأول
الفصل الأول
مراحل استيطان الانسان وتكوين الحضارات القديمة في شمال القفقاس منذ العصر الحجري القديم

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

الجزء الاول

الفصل الأول

مراحل استيطان الانسان وتكوين الحضارات القديمة في شمال القفقاس منذ العصر الحجري القديم

الحقيقة الخامسة: ١١٢
المكتشفات الأثرية في بلاد القفقاس التي تدل على أن الشراكسة كانوا يدفنون مع الموتى مقتنياتهم الثمينة من أسلحة وأواني وأطعمة.
الحقيقة السادسة: ١١٤
المكتشفات الاثرية في منطقة نالتشك تدل بأن تاريخها يعود إلى ما قبل أكثر من (٢٠) ألف عام قبل الميلاد
الحقيقة السابعة: ١١٥
تسمية (مايكوب) بمنجم ذهب "الكوبان القديم" ويعود تاريخ مكتشفاتها إلى الالف الثالث قبل الميلاد
الحقيقة الثامنة: ١١٧
وجود طبقتين من الآثار في بلاد الابخاز
الحقيقة التاسعة: ١١٧
وجود سد كبير سمي "بسد القفقاس" العظيم أو سور الكوبان الكبير.
الحقيقة العاشرة: ١١٨
اكتشف في اقليم قرة شاي، وفي هضاب قازبك آثار قديمة يعود تاريخها لعهد شعب (مه وَت).
الحقيقة الحادية عشرة: ١٢٠
تدل المكتشفات الاثرية في بلاد (الاديغة) عن وجود بقايا كنائس قديمة
* خلاصة المكتشفات الأثرية ١٢١
* نماذج من المكتشفات الاثرية في مناطق مختلفة في الوطن الأم في شمال القفقاس ١٢٦
* مراجع ومصادر الفصل الأول من الجزء الأول في المجلد الأول ١٤١
* مراجع متخصصة في موضوعات الفصل الأول من الجزء الأول في المجلد الأول ١٤٣

فهرس
موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الاول / الفصل الثاني / مجموعات الأمم والشعوب والقوميات التي استوطنت القفقاس عامة وجاورت الأمة الشركسية في شمال القفقاس منذ فجر التاريخ	تمهيد:	١٤٦
	(١) مخطط الامم والشعوب والقوميات والدول التي استوطنت في القفقاس وجاورت اجداد الشراكسة (الاديغة)	١٤٧
	(٢) خارطة القفقاس في الفترة ما بين ٤٠٠٠إلى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد.	١٤٨
	(٣) شعوب وأمم المجموعة الأولى العلاميون، الكاسيون، الميتانبون، الميديون	١٤٩
	(٤) شعوب المجموعة الثانية الحثيون، الكميريون، الاغريق (قدماء البوتان)، الفراعنة (قدماء المصريين)، البيزنطيون (الرومانيون)	١٥٣
	(٥) شعوب وأمم المجموعة الثالثة. الاسكيت، قبائل اللان، شعب السارمات او الشارمات	١٦٥
	(٦) شعوب وأمم المجموعة الرابعة شعب الوراق، شعب البولوفتش (القبجاق)، شعب السلاف قبائل القوزاق	١٧٣
	* مصادر ومراجع الفصل الثالث من الجزء الأول في المجلد الأول	١٩١

فهرس
موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
	أولا: قوميات الكتلة الغربية القفقاسية قبائل شعب المه – وَت	١٩٤
الجزء الاول	أهم اربع قبائل شركسية ساهمت في نشأة وتطور جماعة قبائل المه – وَت.	١٩٨
	١– قبيلة السند " السنت"	١٩٨
	٢– قبيلة الداندار أو تبندار او داودار	١٩٩
	٣– قبيلة التوريت.	١٩٩
الفصل الثالث	٤– قبيلة التحات.	١٩٩
	قبائل الكتلة العربية	
	(١) قبيلة كيركت.	٢٠١
	(٢) قبيلة آخين.	٢٠١
	(٣) قبيلة جيخ أو زيخ أو زيغ.	٢٠٢
	(٤) قبيلة حانوخ.	٢٠٢
	(٥) قبيلة سانوخ.	٢٠٣
قوميات القديمة المستوطنة في قفقاسيا الشمالية منذ فجر التاريخ	(٦) قبيلة باسك أو باسك	٢٠٣
	(٧) قبيلة آنت	٢٠٣
	* الأمة التي ينتسب إليه الشعوب في شمال القفقاس عامة والشراكسة خاصة	٢٠٤
	– معنى كلمة "تارت"	٢٠٥
	– معنى كلمة "انت"	٢٠٥
	– موطن شعب الانت	٢٠٦
	– معنى كلمة اديغة	٢٠٧
	* مخطط الامم والقوميات (القفقاسية) المنشأ والأصل التي عاشت في القفقاس خلال الفترة الممتدة من الألفية الرابعة قبل الميلاد إلى الالفية الاولى بعد الميلاد.	٢٠٩

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
	* حقائق حول مدى التقدم الحضاري للقبائل القفقاسية الأصل	٢١١
الجزء الاول	١- اتقان فنون الملاحة البحرية.	٢١١
	٢- تربية وترويض الخيول وتصديرها.	٢١١
	٣- بناء مستعمرات لها في مناطق الاناضول.	٢١١
	٤- صناعة قوارب صغيرة وكبيرة واستخدامها في السيطرة على الملاحة (القرصنة).	٢١٢
الفصل الثالث	ثانيا: قوميات الكتلة الشركسية والوسطى القفقاسية	٢١٣
	١- شعب نوخجي "جاجان" او شيشان.	٢١٣
	٢- الاوار "اندلال".	٢١٤
	٣- اللزكي أو لزجي	٢١٤
القوميات القديمة المستوطنة في قفقاسيا الشمالية منذ فجر التاريخ	٤- لاخ "لاق" او غازي قوموق.	٢١٥
	ثالثا: قوميات الكتلة القفقاسية الجنوبية	٢١٥
	١- القومية الكرجية أو الجورجية.	٢١٥
	٢- القومية الأرمينية.	٢١٥
	٣- القومية الألبانية أو الاذربيجانية.	٢١٦
	٤- قوميات وشعوب قفقاسية بعد الاحتلال الروسي في العصر الحديث	٢١٦
	* خارطة القوميات والشعوب المستوطنة في القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة.	٢١٧
	* مراجع ومصادر الفصل الثالث في الجزء الأول من المجلد الأول	٢١٨

فهرس
موضوعات الفصل الرابع

الجزء الاول

الفصل الرابع

شعوب وقبائل الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال المراحل الممتدة من القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

	الصفحة
تمهيد	٢٢٠
شعوب وقبائل الشراكسة في المرحلة الأولى الممتدة من القرون الوسطى وحتى القرن الرابع عشر	٢٢١
* الأباسغ	٢٢٢
* الزيخ.	٢٢٢
* الآدمي – هات	٢٢٢
* كشك	٢٢٣
* جيكيت	٢٢٣
* سيركاسيا	٢٢٥
* مقارنة الأسماء القديمة بالأسماء في العصور الوسطى من شعوب وقبائل المرحلة الثانية الممتدة من القرن الرابع عشر وحتى نهاية حرب الابادة والدمار عام ١٨٦٤	٢٢٦
تقسيم المؤرخ الشركسي ايتك ناميتوق نقلا عن عشرات الرحالة المؤرخين الفرنسيين وعلى النحو التالي:	
* قبائل مجموعة "كياخ أو تشتاخ" في الأديغي وفي منطقة كوبان	٢٣١
١- كراون	٢٣١
٢- الهانغو أو هتيوك	٢٣١
٣- التشيبين	٢٣٢
٤- الخياك	٢٣٢
٥- زاني – جانا	٢٣٢
٦- الناتوكوي أو الناتخوي	٢٣٢
٧- الشابسوغ او الشابسوخ	٢٣٢
٨- البظدوغ	٢٣٣
٩- الحاتيكوي	٢٣٣
١٠- الكمرقوي	٢٣٣

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الاول / الفصل الرابع / شعوب وقبائل الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال المراحل الممتدة من القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي	١١- آدمي	٢٣٤
	١٢- البجركوي	٢٣٤
	١٣- الكيراي	٢٣٤
	١٤- الابزاخ	٢٣٥
	١٥- الموخوش	٢٣٥
	١٦- الآغوي	٢٣٥
	* قبائل مجموعة "القبردي" أو القبرطاي:	٢٣٦
	- مجموعة كباردي "قبردي" الكبرى وهم "جلاخستني"	٢٣٦
	- مجموعة كباردي "قبردي" الصغرى	٢٣٦
	- مجموعة البسلني وهم الذين عاشوا في منطقة تشركيسيا	٢٣٦
	* شعب الأوبخ أو وبخ	٢٣٦
	* شعب الابخاز ويتكون من	٢٣٧
	- الأبازا أو ابازين	٢٣٧
	- الابخاز	٢٣٧
	- وصف القبائل التي يتكون منها شعب الأبخاز وعددها (٣١) قبيلة	٢٣٧
	* قبائل المرحلة الثالثة: وهي المرحلة الممتدة من عام ١٨٦٤ إلى نهاية القرن التاسع عشر	٢٤٠
	* تصنيف الكاتب الشركسي أمجد جموخة	٢٤٠-٢٤١
	١) قبردي / كباردينا - Kabardians	
	٢) بسليني - Beslany	
	٣) تيمر قوي/ تيمر كوي - Temirgoi	

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

الصفحة

الجزء الاول

الفصل الرابع

شعوب وقبائل الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال المراحل الممتدة من القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

٤) بظه – دوغ/ بزادوغ – Bzhedugh ٢٤٠-٢٤١
٥) أبزاخ – Abzakh
٦) زانه أو جانه – Zhanin
٧) موخوش – Mokhosh
٨) تشكوقوه – Tcheluga
٩) نارت خواج – Nantkhuaj
١٠) حتوقوي – Hutuqwey
١١) حاكوج– Hakuch وتضم عشائر خمش– Ximisch وتشيرشيني – Cherchenay، فينيل Vepsne وآدمي– Adamey [١٤]
١٢) أباظة/ أبخازيا – Abkhazia – Abaza وهي قبيلة تعتبر أصلاً من القبائل الشركسية إلا أنها مع مرور الزمن أصبحت لها لغة تختلف عن اللغة الشركسية لانقطاع مع الشراكسة
١٣) أوبيخ – Ubbykhs

* تصنيف الجنرال الاستخباراتي الروسي وابوتنانت تورناو ٢٤١-٢٤٤
١- الكمركوي – ليزروقة
٢- المخوص
٣- الحاتيقواي
٤- البظه – دوغ
٥- القبرطاي
٦- الشابسوغ
٧- الابزاخ
٨- الأوبيخ

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

الجزء الاول

الفصل الرابع

شعوب وقبائل الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال المراحل الممتدة من القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

	الصفحة
* التصنيف الثالث لقاسم مرتوقة	٢٤٤-٢٦٠
١- آب – دزاخ – ابزاخ	٢٤٥
٢- صابيغ – شابسيغ	٢٤٧
٣- بجدعو – بجه – دغو	٢٤٩
٤- جانه	٢٥١
٥- كه جوي – كم جوي	٢٥٣
٦- مام خيغ – مامكيغ	٢٥٤
٧- نه ت خواي – ناتخواي	٢٥٥
٨- اده مي – آدمي	٢٥٧
٩- سوباي	٢٥٧
١٠- حة غاكه حر	٢٥٨
١١- مه خوه ص – مخوص	٢٥٨
١٢- يه دجه رقواي – يوجر اقواي	٢٥٩
١٣- حاكوتشو	٢٦٠
١٤- حاتي قواي – حاتقواي	٢٦٠
١٥- آدالة	٢٦٠
خارطة – مواطن القبائل الشركسية "الاديغة" قبل الاحتلال الروسي عام١٨٦٤	٢٦١
نماذج من اسماء القرى والمدن الشركسية الأصلية والأسماء الجديدة التي أطلق عليها بعد الاحتلال الروسي في الاديغي	٢٦٢-٢٦٤
الخارطة رقم (٤) مواقع القرى الشركسية في جمهورية الأديغي	٢٦٥
نماذج من الأسماء الأصلية للمدن والقرى والبلدات الشركسية في منطقة القبرطاي مقارنة مع الاسماء الروسية	٢٦٦
الخارطة رقم (٥) المدن والقرى الشركسية في جمهورية كباردينا-بلقاريا ما بعد الاحتلال الروسي	٢٧١
* مراجع ومصادر الفصل الرابع من الجزء الأول في المجلد الأول	٢٧٢

فهرس
موضوعات الفصل الخامس

		الصفحة
الجزء الاول	* منشأ العرق القوقازي وانتشاره	٢٧٦
	* علاقة أجداد الشراكسة بالأمم والشعوب القديمة التي عاشت في في بلاد القفقاس	٢٧٧
	– حقائق ووقائع حول علاقات أجداد الشراكسة بالأمم والشعوب التي عاشت في القفقاس من غير الشعوب قفقاسية الأصل	٢٧٩-٢٨٢
الفصل الخامس	* وقائع واحداث حول أصل الشراكسة	٢٨٢
	* القواعد والأسس المستخدمة في اثبات أصل الشراكسة	٢٨٣
	* النظريات والفرضيات التي تبحث في أصل الشراكسة	٢٨٤-٣٠٧
منشأ العرق القوقازي وأصل أجداد الشراكسة	النظرية الأولى: الحثيون هم أجداد الشراكسة	٢٨٤
	النظرية الثانية: الكيمريون هم أجداد الشراكسة.	٢٨٨
	النظرية الثالثة: الآريون هم أجداد الشراكسة.	٢٩١
	النظرية الرابعة: شعب كاس هم أجداد الشراكسة.	٢٩٣
	النظرية الخامسة: السومريون هم أجداد الشراكسة.	٢٩٥
	الفرضية الأولى: الشراكسة هم من سلالة بني قريش	٢٩٨
	الفرضية الثانية: يعود أصل الشراكسة إلى قدماء المصريين	٣٠٠
	الفرضية الثالثة: الميئوت والسارمات والامازون هم اجداد الشراكسة	٣٠٢
	الفرضية الرابعة: قوم (نارت) هو القوم الذي تنتسب إليه الأمة الشركسية.	٣٠٦
	* مراجع ومصادر الفصل الخامس في المجلد الأول	٣٠٨-٣١٠

فهرس
موضوعات الفصل السادس

		الصفحة
	* تمهيد	٣١٢-٣١٨
	* الالقاب التي عرفت بها الأمة الشركسية.	٣١٢
	* اللقب الأول: النارتيون أو قوم نارت	٣١٣
	* اللقب الثاني: الانتييون أو أمة الآنت.	٣١٥
الجزء الاول	* اللقب الثالث: الآديغة أو الاديكة.	٣١٨
	* فرضيات تبحث في اصل كلمة اديغة	٣١٨
	الفرضية الاولى:	٣١٩
	الفرضية الثانية:	٣١٩
	الفرضية الثالثة:	٣١٩
الفصل السادس	الفرضية الرابعة:	٣٢٠
	الفرضية الخامسة:	٣٢١
	الفرضية السادسة:	٣٢٢
	* اللقب الرابع: الشراكسة أو الجراكسة.	٣٢٢
	* التسميات التي اطلقتها مختلف الأمم والشعوب القديمة منها والمعاصرة على الأمة الشركسية.	٣٢٢-٣٣٠
الاسماء والألقاب التي عرفت بها الأمة الشركسية في الوطن الأم بعد فجر التاريخ	أولا: تسميات اطلقها الاغريق.	٣٢٣
	ثانيا: تسميات اطلقها الروس.	٣٢٣
	ثالثا: تسميات اطلقها الفرنسيون.	٣٢٥
	رابعا: تسميات أطلقها الايطاليون.	٣٢٦
	خامسا: تسميات أطلقها العرب.	٣٢٦
	سادسا: تسميات أطلقها الفرس.	٣٢٧
	سابعا: تسميات اطلقها الاتراك	٣٢٨
	ثامنا: تسميات اطلقها الانجليز	٣٢٨
	الخلاصة	٣٢٩
	* مراجع ومصادر الفصل السادس من الجزء الأول في المجلد الأول	٣٣١-٣٣٢

فهرس فصول
الجزء الثاني
في
المجلد الأول

الصفحة

فهرس
فصول الجزء الثاني

فصول الجزء الثاني

الفصل الأول: الخصائص الجغرافية والبيئية للوطن الأم في شمال القفقاس ٣٣٥-٣٦٢

الفصل الثاني: خصائص اللغة القومية الشركسية. ٣٦٣-٤٠٢

الفصل الثالث: نشأة وتطور المعتقدات الدينية لدى الأمة الشركسية في الوطن الأم ٤٠٣-٤٧٦

الخصائص الجغرافية واللغوية والدينية والاجتماعية للأمة الشركسية

الفصل الرابع: العادات والتقاليد والأعراف القومية (اديغة-خابزة) لدى الأمة الشركسية ٤٧٧-٥٧٦

الفصل الخامس: الصفات والخصائص القومية المميزة لشخصية الإنسان الشركسي ٥٧٧-٦١٦

فهـــرس

الموضوعات الرئيسية في

فصول الجزء الثاني من

المجلد الأول

فهرس
موضوعات الفصل الأول

		الصفحة
الجزء الثاني / الفصل الأول / الخصائص الجغرافية والبيئية للوطن الأم في شمال القفقاس	* تمهيد	٣٣٦
	* شهادات بعض الكتاب حول جمال طبيعة القفقاس عامة وبلاد الأمة الشركسية خاصة	٣٣٦-٣٤٢
	* شهادة الكسندر غريغولا.	٣٣٦
	* شهادة المارشال اندريه غورميكو	٣٣٧
	* شهادة الكاتبة إجنيس هيربرت	٣٣٧
	* شهادة الكاتب الانجليزي فنتزوري ماكلين	٣٣٧
	* شهادة السير / جون ماندفيل	٣٣٨
	* شهادة الرحالة الفرنسي البير جاك	٣٣٨
	* شهادة الكاتب الروسي ديفيد توتاييف	٣٣٩
	* شهادة السائح الفرنسي فرانس شيراك	٣٣٩
	* شهادة كاتب "اسطورة كاوس" اليونانية	٣٣٩
	* المؤرخ الشركسي جوناتوفة	٣٤٠
	* المساحة والحدود	٣٤٠
	* خارطة حدود القفقاس الطبيعية في العصور القديمة	٣٤٢
	* خارطة حدود تشركسيا في القرن (١٧)م	٣٤٣
	* خارطة حدود الجمهوريات الثلاثة ما بعد الاحتلال الروسي عام ١٨٦٤-١٨٦٤	٣٤٤
	* الجبال وممراتها	٣٤٥
	* قمم جبال قفقاسيا وارتفاعاتها	٣٤٦
	* الطرق الرئيسية في القفقاس	٣٤٧

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الأول

		الصفحة
الجزء الثاني / الفصل الأول / الخصائص الجغرافية والبيئية للوطن الأم في شمال القفقاس	* اسماء الممرات الجبلية القفقاسية وارتفاعها	٣٤٩
	* الانهار والبحيرات	٣٥٠
	* الحمامات المعدنية والمصحات والمنتجعات	٣٥٢
	* المصحات الشهيرة في القوقاز	٣٥٢
	* الثروات الزراعية والحيوانية.	٣٥٢-٣٥٥
	– الغابات والاحراج.	
	– انواع الأشجار والمزروعات.	
	– النباتات البرية	
	– الحيوانات البرية	
	– الحيوانات الاليفة	
	– الطيور والدواجن	
	* المصادر الطبيعية والثروات الدفينة.	٣٥٥
	– البترول	
	– المعادن	
	– البراكين	
	* مناظر طبيعية لجبال ووديان وشلالات وانهر في بلاد القبرطاي	٣٥٦
	* مراجع ومصادر الفصل الأول من الجزء الثاني في المجلد الأول	٣٦١

فهرس
موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الثاني	مراحل نشأة وتطور اللغة الشركسية	٣٦٤-٣٩١
الفصل الثاني	المرحلة الأولى: نشأة اللغة الشركسية كوسيلة للتفاهم والتخاطب	٣٦٤
	المرحلة الثانية: الكتابة الصورية	٣٦٤
	المرحلة الثالثة: نشأة الكتابة باللغة الشركسية	٣٦٧
	المرحلة الرابعة: نشأة اللغات القومية القوقازية	٣٦٨
	المرحلة الخامسة: دراسة اللغة الشركسية من قبل علماء اللغة	٣٧٣
	المرحلة السادسة: توقف الكتابة باللغة الشركسية	٣٧٧
	المرحلة السابعة: تعدد اللغات القفقاسية واللهجات لدى الأمة الشركسية	٣٧٧
	المرحلة الثامنة: مرحلة احياء الكتابة باللغة الشركسية	٣٨٢
خصائص اللغة الشركسية	الفترة الأولى: فترة احياء الكتابة باستخدام الاحرف العربية.	٣٨٢
	الفترة الثانية: فترة احياء الكتابة باستخدام الاحرف اللاتينية.	٣٨٤
	الفترة الثالثة: فترة استخدام احرف السلافية (Cyrillie) في كتابة اللغة الشركسية	٣٨٦
	الفترة الرابعة: فترة تحول اللغة الشركسية إلى لغة اكاديمية	٣٨٧
	الفترة الخامسة: فترة التفكير بتحويل اللغة الشركسية إلى لغة علمية وعالمية وتوحيد لهجاتها في لغة واحدة لفظا وكتابة	٣٨٩

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثاني

		الصفحة
الجزء الثاني	النظريات والفرضيات التي تبحث في منشأ وأصل اللغة الشركسية "أديغا بزة"	٣٩١-٤٠٠
	النظرية الأولى: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية هي لغة حثية	٣٩١
الفصل الثاني	النظرية الثانية: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية مشتقة من اللغة الفنيقية	٣٩٣
	النظرية الثالثة: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية مشتقة من اللغة السومرية	٣٩٤
	النظرية الرابعة: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية مشتقة من اللغة الايبرية	٣٩٦
خصائص اللغة الشركسية	النظرية الخامسة: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية مشتقة من اللغة الآشوية القديمة	٣٩٨
	الفرضية الاولى: ان اللغة الشركسية تعود في أصلها إلى اللغة العربية	٣٩٩
	الفرضية الثانية: ان اللغة الشركسية تعود في أصلها إلى اللغة السلافية	٣٩٩
	* مراجع ومصادر الفصل الثاني في المجلد الأول	٤٠١-٤٠٢

فهرس
موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
	* مراحل نشأة وتطور الفكر الديني لدى الأمة الشركسية	٤٠٤
الجزء الثاني	* المرحلة الاولى: مرحلة العقيدة أو النظام الالهي أي مرحلة (تحه خابزة).	٤٠٤
	* المرحلة الثانية: مرحلة الوثنية وعبادة الظواهر الطبيعية والحيوانات	٤٠٥-٤١٤
الفصل الثالث	المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق الشراكسة للديانة المسيحية	٤١٤-٤١٨
	المرحلة الرابعة: اعتناق الشعوب القوقازية عامة والشراكسة منهم خاصة للدين الاسلامي الحنيف.	٤١٨-٤٢٠
نشأة وتطور المعتقدات الدينية لدى الأمة الشركسية	(١) الجهات التي كان لها دور في نشر الإسلام في بلاد القفقاس عامة، وبلاد الشراكسة خاصة.	٤٢٠-٤٣١
	– دور الخلفاء الراشدين	٤٢٠
	– صورة أول مأذنة اسلامية في القفقاس	٤٢١
	– دور الأمويين.	٤٢١
	– دور العباسيين.	٤٢٤
	– دور ملوك الدولتين البحرية والبرجية الشركسية في مصر	٤٢٥
	– دور التجار المسلمين والسفراء العرب.	٤٢٧
	– دور ملوك المغول.	٤٢٧
	– دور خانات القرم.	٤٢٨
	– دور الجماعات الصوفية النقشبدنية .	٤٢٨
	– دور الحركة المريدية.	٤٢٨

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الثالث

		الصفحة
	(٢) فترات انتشار الدين الإسلامي في بلاد الشراكسة.	٤٣١-٤٤٨
الجزء الثاني	الفترة الأولى: من القرن السادس عشر، وابتداء من عام ١٥٥٧م إلى ما بعد عام ١٥٩٠.	٤٣١
	الفترة الثانية: من عام ١٧١٧م إلى عام ١٨٥٠.	٤٣٦
	الفترة الثالثة: وهي فترة حرب الشعارات الدينية بين الحركة "المريدية" الاسلامية والحركة "الزباروزية" المسيحية الروسية.	٤٤٠
الفصل الثالث	الفترة الرابعة: من عام ١٨٦١ – ١٨٦٤	٤٤٦
نشأة وتطور المعتقدات الدينية لدى الأمة الشركسية	(٣) مرحلة الاضطهاد الديني للأمة الشركسية في الوطن الأم	٤٤٩-٤٦١
	– الاضطهاد الديني في عهد امبراطورية القياصرة الروس ١٨٦٤م – ١٩١٧م.	٤٤٩
	– الاضطهاد الديني في عهد الحكم الشيوعي في زمن الاتحاد السوفيتي ١٩١٧م – ١٩٨٩م.	٤٥٠
	(٤) مرحلة عودة حرية ممارسة الدين الإسلامي للأمة الشركسية في الوطن الأم.	٤٦١-٤٦٨
	(٥) الملحق رقم (١)	
	* نص الوثيقة التي تضمنت نص الرسالة الموجهة من شيوخ وعلماء الأمة الشركسية في الوطن الأم في عام ١٨٦٣ إلى مفتي مكة المكرمة والديار المصرية، وبلاد الشام.	٤٦٩-٤٧٢
	* مراجع ومصادر الفصل الثالث في المجلد الأول	٤٧٣-٤٧٦

فهرس
موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الثاني / الفصل الرابع / العادات والتقاليد والاعراف القومية "اديغة – خابزة لدى الأمة الشركسية"	* نشأة العادات والتقاليد والاعراف القومية الشركسية وتطورها	٤٧٨-٤٨٣
	* فمن هو قازانوقة جباعي	٤٨٤
	* العادات من وجهة نظر دغوظ	٤٨٥
	* العادات من وجهة نظر مامكغ	٤٨٦
	* المصطلحات القومية التي تعبر عن مفهوم العادات والتقاليد الشركسية	٤٨٨
	المصطلح الأول: اديغة خابزة، أي العادات الشركسية	٤٨٨
	المصطلح الثاني: اديغة "تمس او ناموس، أي العادات التي تتعلق بالاتيكيت	٤٨٩
	المصطلح الثالث: اديغة نابه، أي العادات التي تتعلق بالوجدان والضمير والشرف الشركسي.	٤٨٩
	المصطلح الرابع: اديغة – له أو "أديغال" أي الرجل الشركسي بحق وحقيقة.	٤٩٠
	* حقائق تاريخية حول العادات والتقاليد الشركسية	٤٩٠-٤٩٢
	الحقيقة الأولى: حول العادات في عهد سلطة الأم عند الشراكسة	٤٩١
	الحقيقة الثانية: حول العادات المتعلقة بالمعتقدات الدينية القديمة	٤٩١
	الحقيقة الثالثة: حول تبدل بعض العادات بعد اعتناق الديانة المسيحية	٤٩١
	الحقيقة الرابعة: حول تغير بعض العادات والتقاليد بعد اعتناق الشراكسة للدين الاسلامي الحنيف	٤٩١
	الحقيقة الخامسة: حول تنقيح ومراجعة العادات الشركسية على يد الفيلسوف الشركسي "قازانوقة جباغي"	٤٩١
	الحقيقة السادسة: حول العادات والتقاليد الشركسية من وجهة نظر الرحالة والكتاب الاجانب.	٤٩٢
	* وصف موجز لأهم العادات والتقاليد الشركسية منذ عصر الفجر وحتى يومنا الحاضر وهي:	٤٩٩-٥٦٠
	(١) العادات والتقاليد المرتبطة باحترام المرأة.	٤٩٩

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الثاني / الفصل الرابع / العادات والتقاليد والاعراف القومية "اديغة – خابزة لدى الأمة الشركسية"	(٢) العادات والتقاليد المرتبطة باحترام كبار السن من الجنسين	٥٠٣
	(٣) العادات والتقاليد المرتبطة بالتربية القومية الشركسية.	٥٠٨
	(٤) العادات والتقاليد المتبعة في مراحل عملية الزواج عند الشراكسة وهي:	٥٠٩-٥٢٤
	– العادات المرتبطة بتعارف الشاب والفتاة "مرحلة البسة–لوخ"	٥١٠
	– العادات المرتبطة بإتمام عملية الزواج "مرحلة عقد النكاح" أو مرحلة "الكواسة".	٥١١
	– العادات والتقاليد المرتبطة بـــ "مرحلة فزشه" الفاردة أو الزفة	٥١٤
	– العادات والتقاليد المرتبطة بحفلات العرس الشركسي "مثل الفنطزيات "الجوك" في بيت العروس وفي مكان استضافة العريس	٥١٦
	– العادات والتقاليد المتعلقة بالحفل الختامي لاحتفالات العرس "مرحلة "الونيشة"	٥١٨
	– العادات المتعلقة بعودة العريس إلى بيت الزوجية " شاوا – شيش"	٥٢٠
	– العادات والتقاليد المتعلقة – بإطعام كبار السن من الرجال	٥٢١
	– العادات والتقاليد المرتبطة بمرحلة ما بعد انتهاء حفلات الأعراس	٥٢١
	– العادات التي تنظم علاقة الزوج بالزوجة	٥٢٣
	(٥) العادات والتقاليد والقواعد المرتبطة بقواعد الرقص القومي الشركسي.	٥٢٤
	(٦) العادات والتقاليد المتعلقة بالضيافة عند الشراكسة وهي:	٥٢٨-٥٣٨
	– وصف الرحالة والمؤرخين الاجانب بكرم الضيافة عند الشراكسة	٥٢٨
	– القواعد العامة بكرم الضيافة عند الشراكسة وواجبات وحقوق كل من الضيف والمضيف الشركسي	٥٣٠
	– مواصفات وخصائص المضافة الشركسية.	٥٣٦
	– أهمية المضافة ودورها الثقافي والاجتماعي والتربوي	٥٣٧

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الثاني / الفصل الرابع / العادات والتقاليد والاعراف القومية "اديغة – خابزة لدى الأمة الشركسية"	(٧) العادات والتقاليد المتعلقة بآداب المأدب والولائم	٥٣٨-٥٤٣
	– المراسم المتعلقة بتنظيم الجلوس على الموائد.	٥٣٨
	– المراسم المتعلقة "بالتحمادة" على الموائد.	٥٣٩
	– مراسم توزيع الطعام على المدعوين الجالسين على المائدة	٥٤٠
	(٨) العادات والتقاليد المتعلقة بالعلاقات والمناسبات الاجتماعية	٥٤٣
	– العادات الخاصة بإلقاء السلام والتحية.	٥٤٥
	– العادات المتعلقة بآداب التعارف.	٥٤٦
	– العادات المتعلقة بآداب المصافحة واللقاء	٥٤٦
	– العادات المتعلقة بآداب التخاطب والتحدث.	٥٤٧
	– العادات المرتبطة بمكانة واحترام الموقع أو الجهة اليمنى	٥٤٨
	(٩) العادات والمراسم المتعلقة بالمآتم "الحة – داغة"	٥٥١-٥٥٣
	– العادات والتقاليد المتعلقة بالوفاة في فجر التاريخ	
	– العادات والتقاليد المتعلقة بمراسم الوفاة في عهد الديانة المسيحية	
	– العادات والتقاليد المتعلقة بمراسم الوفاة في عهد الديانة الاسلامية	
	(١٠) العادات المتعلقة بالخواخوة "رفع الانخاب"	٥٥٣-٥٥٧
	– نشأة "الخواخوة"	٥٥٣
	– أنواع الخواخوة.	٥٥٥
	– طقوس رفع الانخاب	٥٥٧

تابـــع
فهرس موضوعات الفصل الرابع

		الصفحة
الجزء الثاني		
الفصل الرابع		
العادات والتقاليد والاعراف القومية "اديغة – خابزة لدى الأمة الشركسية"	(١١) عادات اجتماعية متفرقة	٥٥٩
	* العادات الشركسية المنسوخة والملغاة، وهي:	٥٦٠-٥٦٤
	– عادة قتل المسنين.	٥٦٠
	– عادة قيام قاتل الزوج بالزواج من إمرأة المقتول	٥٦١
	– عادة الخياطة حول صدور الفتيات منذ الصغر.	٥٦١
	– عادة تصغير النساء لاقدامهن	٥٦١
	– عادة الثأر من جميع افراد عائلة القاتل.	٥٦٢
	– عادة الخطف بالإكراه أو القوة.	٥٦٢
	– عادة الثأر من جميع أفراد العائلة	٥٦٢
	– العادات والطقوس الوثنية.	٥٦٣
	– عادة قيام الزوجة بزيارة قبر الزوج مدة اربعين يوما	٥٦٣
	– عادة "الديور" بعد تمام مراسم الدفن	٥٦٣
	– عادة انتقال الزوج إلى بيت الزوجة	٥٦٤
	– عادة توريث أهل الزوجة.	٥٦٤
	– العادات المرتبطة بالطبقية بعد انتهاء سيطرة الامراء "البشي"	٥٦٤
	* حاضر ومستقبل العادات الشركسية في الوطن الأم وفي بلاد المهجر في الشتات	٥٦٤-٥٧٢
	* العوامل الداخلية والخارجية التي تساعد في الحفاظ على العادات والتقاليد	٥٦٨
	– العامل الأول: مكان السكن والاقامة الدائمة	٥٦٨
	– العامل الثاني: العمر	٥٦٩
	– العامل الثالث: نوع وطبيعة التجمعات الشركسية	٥٦٩
	– العامل الرابع: عامل الزمن من حيث قرب وبعد تاريخ الهجرة من الوطن الأم	٥٦٩
	– العامل الخامس: درجة تقبل الانظمة السياسية للشراكة في بلاد المهجر	٥٧٠
	مراجع ومصادر الفصل الرابع من الجزء الثاني من المجلد الأول	٥٧٣-٥٧٥

فهرس
موضوعات الفصل الخامس

الجزء الثاني

الفصل الخامس

الصفات والخصائص القومية المميزة لشخصية الانسان الشركسي

	الصفحة
(١) الصفات القومية المميزة لشخصية الرجل الشركسي (أديغة – لـــه) وهي:	٥٧٨-٥٩٣
الصفة الاولى: الشجاعة والرجولة والمروءة	٥٧٨
الصفة الثانية: اللباقة في التعامل مع الكبار والجنس الآخر	٥٨٢
الصفة الثالثة: المميزات الجسمية التي يتميز بها الرجل الشركسي	٥٨٢
الصفة الرابعة: الاعتزاز بالنفس	٥٨٥
الصفة الخامسة: حب العمل والنشاط الدائم	٥٨٦
الصفة السادسة: الاخلاق الحميدة والادب الجم للرجل الشركسي	٥٨٦
الصفة السابعة: الاخلاص والوفاء والانتماء	٥٨٧
الصفة الثامنة: البر بالوالدين	٥٨٧
الصفة التاسعة: الحفاظ على العهد	٥٨٧
الصفة العاشرة: متانة الصداقة ومبدأ التآخي	٥٨٨
الصفة الحادية عشرة: الحفاظ على حرية الجيرة وحق الجوار	٥٨٨
الصفة الثانية عشرة: الصراحة في القول	٥٨٩
الصفة الثالثة عشرة: النزاهة والاستقامة	٥٨٩
الصفة الرابعة عشرة: الطاعة واحترام الكبار والنساء	٥٨٩
الصفة الخامسة عشرة: حب التعاون والتطوع لمساعدة الاخرين	٥٩٠
الصفة السادسة عشرة: اجارة المستجير او المستنجد	٥٩١
الصفة السابعة عشرة: الكرم والنبل	٥٩١
الصفة الثامنة عشرة: المحافظة على الشرف والكرامة	٥٩٣
(٢) الصفات السلبية في شخصية الرجل الشركسي	٥٩٣-٦٠٠
* مقالة بعنوان رجولة في اعماق الانسان الشركسي للكاتب الشركسي الأردني "محمد خير عيسى" حول الصفات السلبية التي يتصف بها الانسان الشركسي منذ القدم	٥٩٣

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الخامس

		الصفحة
الجزء الثاني	* خلاصة الصفات السلبية للرجل الشركسي وهي:	٥٩٨
	الصفة الاولى: انغلاق الانسان الشركسي إثر تمسكه بآرائه	٥٩٨
	الصفة الثانية: حدة الطباع، والسمة العصبية للانسان الشركسي	٥٩٨
	الصفة الثالثة: الخجل والحياء الزائد	٥٩٩
	الصفة الرابعة: الفروسية والميل للانفراد	٥٩٩
	الصفة الخامسة: الجدية الزائدة في التعامل مع الآخرين	٦٠٠
الفصل الخامس	* صفات سلبية ثانوية أخرى	٦٠٠
	(٣) الادوار الرئيسية للرجل في المجتمع الشركسي وهي:	٦٠٠-٦٠٣
	الدور الاول: تكوين الاسرة والحفاظ على شرف العائلة	٦٠٠
	الدور الثاني: بناء الاقتصاد الوطني للأمة الشركسية	٦٠٠
	الدور الثالث: الدفاع عن الأرض والعرض وحماية الوطن من الغزاة	٦٠١
	الدور الرابع: المشاركة في الاجتماعات الشعبية والمجالس القومية	٦٠١
	الدور الخامس: حضور مجالس المضافات الشركسية	٦٠١
الصفات والخصائص القومية المميزة لشخصية الانسان الشركسي	الدور السادس: المساهمة في الحفاظ على التراث القومي والثقافة القومية الشركسية والعمل على نقلها من جيل إلى آخر	٦٠٢
	الدور السابع: الحفاظ على العادات والتقاليد والاعراف الشركسية ونقلها من جيل إلى آخر	٦٠٢
	الدور الثامن: المساهمة في الحفاظ على الادب القومي الشركسي والعمل على تطويره	٦٠٢
	الدور التاسع: تدريب الابناء على مهارات المهن وتعليمه الحرف اليدوية المناسبة لسنه	٦٠٣
	(٤) الصفات القومية المميزة لشخصية المرأة الشركسية	٦٠٤-٦٠٨
	* الصفات التي تميزت بها المرأة الشركسية حسب شهادات المؤرخين، وعلماء الاجتماع، والرحالة الاجانب وبعض المختصين من علماء الشراكسة وهي:	٦٠٨

تابـــــع
فهرس موضوعات الفصل الخامس

		الصفحة
الجزء الثاني / الفصل الخامس / الصفات والخصائص القومية المميزة لشخصية الإنسان الشركسي	" الاخلاص، والطاعة، والحيوية والنشاط، والوفاء والصبر، والكتمان، والمحافظة على أسرار الزوجية، والاعتداد والثقة بالنفس والاعتزاز بأنوثتها وجمالها، والحياء والأدب الجم	٦٠٨-٦٠٩
	(٥) الصفات السلبية التي تتصف بها المرأة الشركسية وهي:	٦٠٩-٦١٢
	* المغالاة والاخلاص والتفاني الزائد لزوجها واولادها واسرتها	٦٠٩
	* ذوبان شخصيتها وانصهارها كليا في شخصية الزوج وأهله	٦٠٩
	* محدودية علاقات المرأة الشركسية خارج بيتها وأهلها	٦١٠
	* محدودية المشاركة في اتخاذ القرارات القومية والوطنية	٦١٠
	(٦) ادوار المرأة في المجتمع الشركسي وهي:	٦١٠
	الدور الأول: التفرغ لشؤون بيتها تفرغا كاملا	٦١٠
	الدور الثاني: صناعة الاغذية من اللحوم ومشتقاتها والالبان وحفظها	٦١١
	الدور الثالث: المشاركة في الحفاظ على الفلكلور والتراث القومي الشركسي	٦١١
	الدور الرابع: ويتمثل في دور المرأة الشركسية في الحروب والازمات وهي:	٦١٢
	(١) حمل السلاح والمشاركة مع المقاتلين في السنوات الاخيرة من حرب الابادة والدمار الشامل	٦١٢
	٢) حماية بيتها واطفالها والدفاع عنهم ضد الغزاة والمعتدين	٦١٢
	٣) اخفاء الخيول والمواشي في مناطق آمنة قبل تعرض القرى الشركسية لغزوة أو هجمه من الاعداء	٦١٢
	٤) تأمين احتياجات بيتها واسرتها في فترات انشغال الرجال في القتال	٦١٢
	(٧) قصة المصارعة الشركسية لاشينكاي	٦١٣-٦١٤
	(٨) مراجع ومصادر الفصل الثالث في الجزء الثاني من المجلد الأول	٦١٥-٦١٦

فصول الجزء الأول
في
المجلد الأول

الفصل الأول

مراحل استيطان الإنسان وتكوين الحضارات في شمال القفقاس منذ العصر الحجري القديم

تمهيد

بالرجوع إلى كتاب موريس كورتيه [١] ومجموعة المؤرخين السوفييت[٢] نجد بأن الاستيطان البشري في (شمال القفقاس) بدأ منذ العصر الحجري القديم وعلى النحو التالي:

أولاً: العصور الحجرية القديمة (الباليوليت)، ويمتد من (٢,٥ مليون منذ ق.م إلى ١٠ آلاف قبل الميلاد) وهو بذلك يشمل معظم عمر الإنسان وأشباهه على الأرض في أربعة عصور وهي:

* العصر الحجري القديم العتيق (الباليوليت العتيق) ويمتد حتى ١,٣ مليون سنة ق. م.
* العصر الحجري القديم الأدنى (الباليوليت الأدنى) ويمتد من ١,٣ مليون حتى ٨٠ ألف سنة ق. م.
* العصر الحجري الأوسط (الباليوليت الأوسط) ويمتد من ٨٠ الف وحتى ٤٥-٣٥ ألف سنة ق.م.
* العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليت الأعلى) ويمتد من ٣٥ الف وحتى ١٠ آلاف سنة ق.م.

ثانياً: العصر الحجري الوسيط (الميزوليت)، ويمتد من ١٠ آلاف سنة حتى ٨ آلاف سنة ق. م.

ثالثاً: العصر الحجري الحديث ، ويمتد من ٨ آلاف سنة حتى ٥,٥ آلاف سنة ق.م وتتزامن بداية العصر الحجري الحديث مع نهاية دور الليئيستوسين وبداية الهولوسين.

رابعاً: العصر الحجري النحاسي: بدأ هذا العصر بمعرفة النحاس واستخدامه باردا لتوفر عروقه، وصنع منه بعض الأدوات بالتطريق قبل أن يتعلم الإنسان

صهره وسكبه في قوالب، وأن النحاس حسب خواصه لم يتمكن من تلبيه احتياجاته فيما يتعلق بالقساوه واستمر هذا العصر من (٥٠٠٠ ق.م – ٣١٠٠ق.م)

خامساً: العصر البرونزي: يبدأ هذا العصر بمعرفة خليطة البرونز، وهي أشد قساوة من النحاس، وقد بدأ يصنع أدواته وأسلحته ومناجل الحصاد منها، وفي هذا العصر صار يعبر عن الأشياء بصورها ورسومها، وبدأ الأمر في المعابد لضبط حساباته، (أعداد الماشية وأنواعها وما يوجد في مخازنها من الحبوب والثمار) وهكذا بدأت العصور التاريخية، وهي النقلة الهامة الثانية بعد الزراعة (وتأنيس) الحيوان، فصرنا نعرف أخباره من مدوناته التي كتبها على الرقع الطينية، وصار يخبرنا عن أسماء الأقوام التي عاشت قبل هذا التاريخ ويستنتجها الباحثون بكثير من التحفظ والحذر استناداً الى التواصل الحضاري للطبقات الأثرية أو من الصفات التشريحية للهياكل العظمية وقياسات الجمجمة القديمة .. الخ

وفي هذا العصر ظهرت أسماء الملوك وافعالهم وعن فكرهم (غالباً كان فكراً دينياً) وقد استمر هذا العصر من ٣١٠٠ سنة ق.م وحتى ١٢٠٠ سنة ق. م.

سادساً: عصر الحديد، وابتدأ عام ١٢٠٠ ق.م في بلاد الرافدين، وقبل ذلك شمالاً في آسيا الصغرى (وشمال القفقاس) وقد سبق استخدام هذا المعدن الصلب استئناس الحصان الذي عرف منذ منتصف الألف الثالث في سهوب شمال القفقاس غرباً بين (نهر الدون وحتى جبال الكارابات) وجنوباً حتى سهل حوض الكوبان. [٣]

سابعاً: العصور التاريخية * وتنقسم إلى ثلاثة عصور وهي:

١- العصور التاريخية القديمة: منذ اكتشاف الكتابة (٣١٠٠) ق.م وحتى سقوط روما بيد القبائل الجرمانية عام (٤٧٦) ميلادية.

٢- العصور التاريخية الوسطى: وتمتد من (٤٧٦) ق.م وحتى سقوط القسطنطينية بيد الاتراك بقيادة محمد الفاتح عام (١٤٥٣) ميلادية.

٣- العصور التاريخية الحديثة: وتمتد من (١٤٥٣) إلى وقتنا الحاضر.

ويؤكد المؤرخ (جيمس بل) بأن شعوب شمال القفقاس قد شاركت في أولى الحضارات البشرية بعد خروجها من العصور الحجرية القديمة إلى فجر التاريخ، حيث نجد بأن هذه الشعوب قد بدأت تزرع الأرض، وتؤنس الماشية، وتصنع الخزف، وتطرق النحاس، وتذيبه وتصبه في القوالب الشمعية، ثم بدأ يبني المدن وتشكيل دويلات المدن وتكوين حضارة سُميت بالحضارة (المدنية) نسبة إلى المدن الأولى التي تشكلت أو (الديمقراطيات الحربية). كما نجده يرسم أخبارها الأولى بأولى الصور الكتابية والتي تتدرج نحو اللغة (المقطعية) حسب (الحروف المقطعية) أو ما سميت باللغة (الجمعية اللصقية) كما نرى شعوبها في موطنها الأصلي في القفقاس الشمالي يصنع البرونز، وإلى الجنوب منها في الأناضول يذيب فلز الحديد، كما نراها إلى الشمال في مواطن قوم (نارت) يروضون الحصان، وهم باختصار من بناة حضارة (النيوليت) في العصور المعدنية في (فجر التاريخ) وتمتد جذورها بعيداً إلى عصور تاريخ ظهور الإنسان الحجري القديم في موطنها

* يمكن لهذه التقسيمات أن تتقدم أو تتأخر من منطقة حضارية إلى منطقة أخرى قد تسبق جهة ما في استخدام الفخار أو معدن النحاس أو البرونز أو الحديد، وقد تتأخر بعض المناطق في اجتياز مرحلة حضارية أو تجتازها بسرعة، وهذا التقسيم لتسهيل الدراسة ولإيضاح تعاقب العصور، وهو ليس برنامجاً موضوعاً، إنما جاء نتيجة البحث والتنقيب والمكتشفات الأثرية في المواقع التي سرعان ما تتعدل بظهور مكتشفات أخرى جديدة تعطي حقائق لم تكن معروفة سابقاً.

بالقفقاس الشمالي. وليس عبثاً والحال هذه أن يسمى (العرق الأبيض) بالعرق القوفازي. (٤)

كما يؤكد علماء وصف الشعوب والأقوام القديمة (الإنتوغرافيين)، وعلماء طبائع الأقوام القديمة (الباليونتولوجيين) وكذلك علماء الآثار (الأركيولوجيين) بالإضافة إلى علماء (الأنثرولبوجيين)، بأن شمال القفقاس هو (متحف) الأقوام القديمة، وأن التقدم الحضاري لهذه الأقوام لم يأت من الخارج، وأن الآثار التي اكتشفت ليست مستوردة وإنما هي من صنع اجداد الشراكسة والاقوام التي استوطنت في شمال القفقاس.

(١) مراحل نشوء الانسان في شمال القفقاس

تؤكد الدراسات الانثروبولوجية بأن الاستيطان البشري مر في ست مراحل وهي:

* **مرحلة الإنسان (الآشولي)** : ظهر هذا الانسان في العصر الحجري القديم الأدنى حتى ٨٠ ألف سنة قبل الميلاد، حيث دلت الآثار في مدرجات الأنهار في شمال القفقاس بأن أول استيطان بشري كان بشكل كثيف في الفترة الآشولية.

وجاء الإنسان الآشولي قبل انسان النياندرتال وهو إنسان يشبه القردة من فصيلة (الكرومانيون) الذي عاش في العصر الحجري القديم.

كما ظهر في هذا العصر مجموعة من الصيادين وقاطفي الثمار (الآشوليين) وهم أجداد (الأبخاز والآستين وسكان الكوبان) وسكنوا على مساحات مختلفة من القفقاس الشمالي وعلى ارتفاعات متعددة وتأقلموا بالمناطق الجبلية المكسوة بالغابات في القفقاس الشمالي الغربي، وكانوا يصيدون الحيوانات البرية الضخمة مثل (دب الكهوف) وفي مناطق الهضاب الأقل غابات اصطادوا الحيوانات الضخمة من آكلات العشب (الحصان والغزال البري) وهذا التخصص في الصيد يقودنا إلى الاستنتاج أن الصيد كان صيداً (جماعياً) وأن هؤلاء (الآشوليين) كانوا

مستقرين نسبياً في مساكنهم، واستوطنوا (المغاور والكهوف) واضطروا أثناء ذوبان الجليد أن يهجروا الأماكن المرتفعة إلى الأماكن الأكثر انخفاضاً والتي بدت أكثر كثافة في السكان.

مرحلة الإنسان (الموستيري) : وظهر هذا الإنسان وهو من فصيلة الكرومانيين أيضا، في العصر الحجري القديم الأوسط من ٨٠ ألف سنة وحتى ٣٥ ألف ق.م وعاش على كامل مساحة القفقاس الشمالي، ويعتبر عصره من عصور التقدم والازدهار البشري ويتميز بظاهرة خروج الإنسان من الكهوف وتجهيز أماكن عيش لهم بشكل (بيوت أو مساكن) من الخشب والعظام وجلود الحيوانات والحجارة.

اعتمد الانسان (الموستيري) على الصيد وقطف الثمار لتأمين حياته واستخدم العصي الخشبية وقرون الغزلان والسهام كأدوات صيد، كما ظهر في هذا العصر بوادر الصيد الانفرادي وكانت أهم الحيوانات التي يصطادها هي (المعزة والحصان والغزال والغنم ودب الكهوف) ونستدل عليها من الآثار المكتشفة في مغارة (إيليسكايا) المكونة من عظام (٢٤٠٠) حمار وحش . كما وجد في مغارة (كوادور) بقايا أكثر من ٨٠ نوع من الفقاريات الضخمة (قوارض- وطيور وأسماك). كما وجد في حفريات (الكهوف) بقايا وقطع من هياكل عظمية (لأناس) عاشوا فترة ما بعد الانسان الآشولي وفك مكسور وأسنان، وفي الطبقة الموستيرية العليا وجد (سن للإنسان العاقل)، ونستدل منه بأن الإنسان (الموستيري) قد بدأ بالاستقرار ضمن تجمعات بشرية وظهور علاقات اجتماعية ضمن المستوطنة الواحدة. ومن الجدير ذكره بأن آثار الآشولي القديم قد وجد في (شبه جزيرة تامان واغناكيتوف) وتتكون من الأدوات الحجرية التي كانت تصنع من حجر (الأنديزيت) في القفقاس الأوسط ومن حجر (الكريمن) في القفقاس الغربي، وكانت تعد هذه الأدوات على شكل كتل حجرية غير منتظمة تمثل أعمالاً يدوية غير متقنة.

وكذلك فإن البقايا الأثرية التي تعود إلى هذا العصر تظهر بكثافة أكثر فـــي الجزء الشمالي الغربي وعلى طول حوض (الكوبان) وبشكل أقل في الوسط والجزء الشرقي منه، وفيما يلي نماذج من الصناعات الحجرية الأشولية. * كما هو مبـــين في الكتل الحجرية غير المنتظمة الشكل المبينة في الصورة التالية:

* اختلف علماء الانثروبولوجي حول الاستيطان البشري في القفقاس، فالرأي الأول وهو رأي الأغلبية من المؤرخين والباحثين الذين يؤكدون بأن الاستيطان كان في القفقاس. والرأي الثاني وهو (رأي الأقلية) الذي يقول بأن هذا الاستيطان البشري لم يكن في القفقاس وانما دخل القفقاس من الجنوب وصعد شمالاً إلى أوروبا.

نماذج أدوات حجرية آشولية نقلا عن كتاب الشركس في فجر التاريخ لمؤلفه برزج سمكوغ

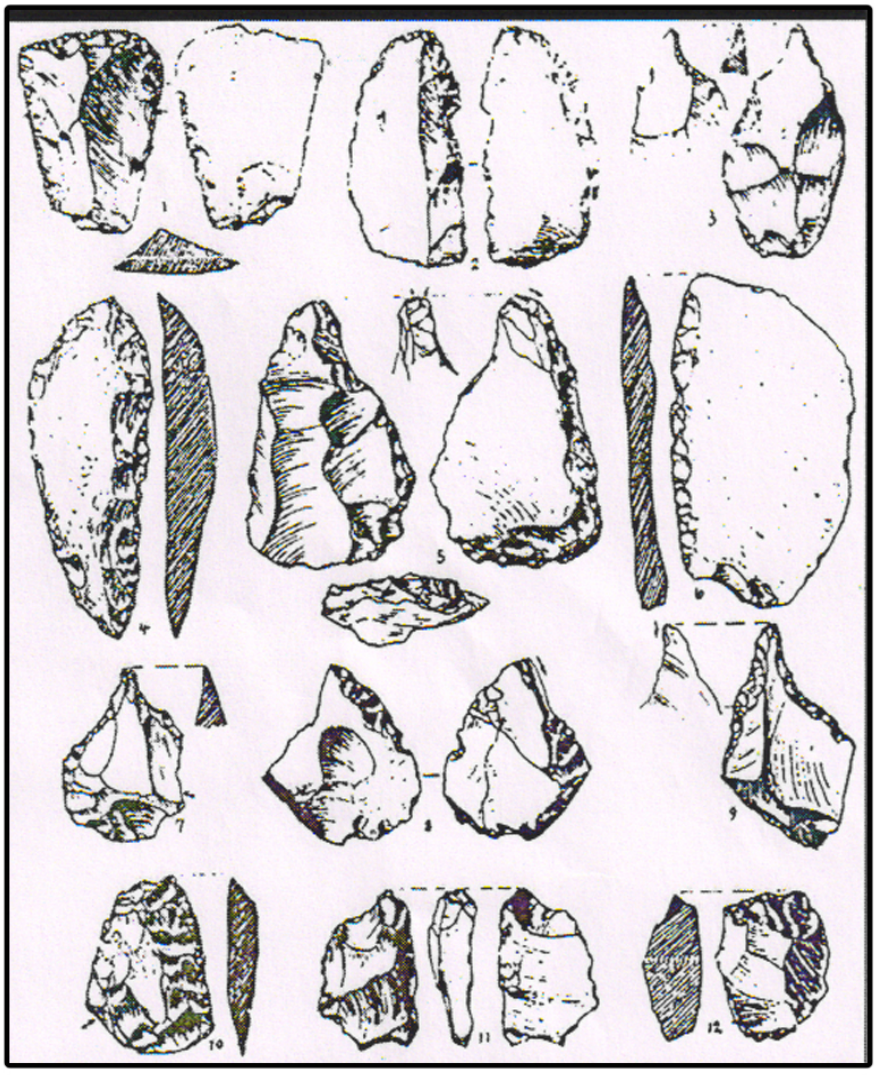

مرحلة الإنسان العاقل *: ظهر هذا الإنسان في العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر من (٣٥) الف حتى (١٠) آلاف سنة ق.م في المناطق ما بين (صوتشي و روستوف) حيث وجد أكثر من (٥٠) موقعاً منها ما هو على ارتفاع متوسط في (الداغستان) أو المناطق الجبلية القليلة الارتفاع (صوتشي) أو مناطق ما قبل الجبال في الهضاب مثل (غوبسك – ستناي رسلان) أو المناطق السهلية، حيث وجدت بعض الآثار الحجرية منها العصى الحجرية.

وتميز هذا العصر بوصول شكل الإنسان (فيزيولوجياً) إلى صورته الحالية (الإنسان العاقل الحالي Homo Sapiens) .

مرحلة مجموعة الصيادين (الفنانين المهرة) * ظهرت هذه المجموعة في العصر الحجري الوسيط (الميزوليت من ١٠ آلاف سنة إلى ٨ آلاف سنة ق.م) وعثر على آثار هذا العصر في (٦) مواقع وهي (تشوخ ميكيفي – كوزمانو – شاوليفي– ساوسرقة– المغارة النحاسية) ويلاحظ في هذا العصر تغيّر في حياة الناس وحضارتهم، وصار الصيد عملاً فردياً بتوفر أدواته (المتطورة نسبياً مثل القوس والسهم) ولعب صيد السمك وقطف الثمار دوراً أكبر في حياة الإنسان، وتطورت الصناعة الحجرية بإدخال أساليب (الحك والحت) المخروطي والاسطواني المروس، كما ظهرت بعض الخطوط على جدران المغاور وعلى العظام حيث صنعت

* يقول كارلتون في كتابه قصة الإنسان (قبل ثلاثين ألف سنة) اختفى انسان نياندرتال وحل محله الانسان العاقل أجداد الأوروبيين وسكان الشرق الحاليين وإن أول نوع قام بهذا التوسع والانتشار كان جيلا من القفقاسيين منحدراً من العرق الأبيض القفقاسي.

* يقول سري الجوهري في كتابه (الانسان وسلالاته) وفرنسيس باور في كتابه (حضارات العصر الحجري القديم) بأن أنواع من أشباه الإنسان ظهر وسمى أقدمها (أوسترالو بيتيكيس) ثم ظهر الانسان المنتصب القامة (Homo erectus) ثم ظهر الإنسان العاقل الذي انحدر منه إنساننا اليوم في عصر الباليوليت الأعلى منذ ٣٥ ألف سنة ق.م (Homo Sapiens) .

الأطواق من (العظام المثقوبة) وعثر في منطقة الداغستان على مجموعة رسومات على الصخر لمجموعة من الحيوانات باستخدام الألوان وخاصة (المعزة وحُمر الوحش) بالاضافة لعدد كبير من التشكيلات الشعاعية الشمسية.

ومن المعتقد بأن تاريخ أجداد الشراكسة يعود إلى إنسان هذه المرحلة وهو اعتقاد توصلنا إليه من تحليل اللقيات الأثرية التي وجدت في بلاد شمال القفقاس كما سيتم دراسته بالتفصيل في هذا الفصل.

* **مرحلة إنسان الحضارة النيوليتية:** ظهر هذا الإنسان في العصر الحجري الحديث (النيوليت) في الفترة ما بين (٨) آلاف سنة وحتى ٦ آلاف سنة ق.م، ونستدل عليه من المكتشفات الأثرية في مناطق القفقاس الشرقي والأوسط على تطور التقنيات في التعامل مع الحجر، مثل استخدام (الحلج والثقب والتنعيم) واستطاع إنسان هذا العصر تحضير وتصنيع الأواني الفخارية التي هي من أهم سمات الحضارة النيوليتية، كما استخدم الطين (نصف المشوي) عند تجهيز جدران المنازل والمواقد كما استخدمت الأواني ذات الجدران السميكة. وكانت صناعة هذه الأواني الطينية ذات شكل موحد، حيث وجدت عدة أشكال للأواني ذات القعر المسطح وبعضها لها (يدان).

وأثار علماء الأنثروبولوجي، وعلماء الآثار بأن هذا العصر قد تميز بعدة مزايا تدل على بدايات نشأة الحضارات، وأهم ما تميز به هذا العصر هو:

١- تطور فن العمارة والدخول في عصر البناء الحجري.

٢- تدجين الحيوانات والمستأنسة مثل (الخرفان والماغز، والثيران.. الخ) وبدء مرحلة تربية الماشية.

٣- الانتقال إلى الزراعة والأهتمام بالأرض، وقد أصبحت مناطق شمال القفقاس من أقدم المناطق في العالم في إنتاج الخبز . *

٤- نجم عن التطور الهائل في الزراعة وتربية الماشية والتي تعتبر بداية ثورة (النيوليت الأولى) تغيرات حقيقة في شكل الأدوات واستخدامها مثل (الفؤوس الحجرية- وتجهيز بيوت للسكن وللعمل- وأدوات العمل الخشبية- والأسلحة- والمجارش الحجرية.. الخ) واصبحت الحاجة لهذه الأدوات حاجة دائمة ويومية.

٥- ظهور التفكير الديني، حيث عثر في موقع (آغوبيك) كسرة من الفخار ذات الصناعة القوية والمتقنة لتمثال (سيده) وفي جبال الداغستان وجدت رسومات شعاعية بألوان حمراء وتحتها جسم (نسائي) على شكل (صدر امرأة ويدين) مرفوعتين إلى أعلى، والرمز يدل على بداية (الألوهية للأم)، كما وجد رسم (آلهة العطاء) وهي محاطة بالثيران وحيوانات مفترسة وتحتها رسوم أصغر منها (لأناس وثيران وغزلان وكلاب وحيوانات مفترسة وأفاعي) وهي الرسوم التي تتشابه مع رسوم عصر النيوليتية التي وجدت في آسيا الصغرى الأمامية. كما تبرهن على الانتشار الواسع لحضارة (ألوهية وعبادة الأم) في القفقاس الشمالي.

ويقول (سمكوغ) بأن الجنس القوقازي الأبيض Rasse Caucasien نشأ في العصر الحجري الحديث وأن السلالات القوقازية اللاحقة انتشرت في هذه المنطقة وهي: سلالة اكتوردية الشمالية والأليبية الوسطى، والجنوبية (البحر الأبيض المتوسط) (٤)

* برهن ن. ي فافيلوف أن أقدم المناطق التي أنتجت الخبز هي القفقاس الشمالي وآسيا الصغرى .

مرحلة حضارة الإنسان (الإنيوليتي): ظهور هذا الإنسان في العصر الحجري النحاسي (الفترة ما بين (٦) آلاف سنة إلى (٤) سنة ق.م) وتطور الإنسان في هذا العصر وأصبح أكثر تحضراً وأكثر تمدناً في أسلوب حياته ومعيشته، ومن أبرز ملامح التحضر في هذا العصر هي:

١- تطور صناعة الأدوات الحجرية وتحولها إلى حرفة وانتشار صناعة الطحانات الحجرية الكبيرة.

٢- استخدام (الأفران الخاصة) في (شوي) الأواني الفخارية أو الطينية متعددة الأشكال.

٣- تطور صناعة النحاس بعد أن تطورت صناعة الأفران الحرارية لصهر النحاس، وإن كانت الحفريات الأثرية لم تدل على وجود مصنوعات معدنية بين المكتشفات الأثرية باستثناء (الخاتم النحاسي) الذي وجد في مقبرة في منطقة نالتشك (عاصمة الشراكسة من قبائل القبردي حالياً).

٤- استمرار عبادة الأم، ويتضح ذلك من تمييز مدافن النساء بأعداد وأنواع (الحلي) التي تعبر عن المكانه الخاصة للمرأة في مجتمعات هذا العصر. حيث وجد في المقبرة (النالتشيكية) خاتم نحاسي للمرأة، ودبوس حجري وبعض الحلي والأطواق.

٥- تطور الزراعة وتربية الماشية، حيث أصبح الاعتماد على المنتوجات الزراعية في تأمين غذائه، كما اعتمد على (٦٠%) من حاجاته للحوم من الحيوانات الأليفة و (٤٠%) فقط من لحوم الصيد كما أنه بدأ يستخدم ألبان الحيوانات كمصدر للغذاء، وجلودها وفرائها كمصدر للملابس كما استخدمت ولأول مرة في التاريخ (الإبر العظمية في الخياطة).

٦- تطور النظام الاجتماعي مع نهاية هذا العصر من نظام (سلطة الأم) إلى نظام (سلطة الأب).

التسلسل الهرمي
لنشوء الانسان في شمال القفقاس
الانسان الاشـــولي: وظهر في العصر الحجري القديم الادنـــى قبل (٨٠) الف سنة قبل الميلاد.
1
الانسان الموستيري: من فصيلة الانسان الكرومانيين وظهـــر فـــي العصر الحجري القديم الاوسط وفي الفترة ما بين (٨٠-٣٥) الـــف سنة قبل الميلاد.
2
الانسان العاقل: وهو الانسان الذي وصل فـــي شـــكله التـــشريحي والفسيولوجي الى صورته الحالية للانسان وظهـــر فـــي العـــصر الحجري القديم الاعلى المتأخر وفي الفترة ما بين (٣٥-١٠) الاف سنة قبل الميلاد.
3
انسان مجموعة الصيادين: الذين اطلق عليهم الفنانيين المهرة وظهر في العصر الحجري الوسيط في الفترة ما بين (١٠-٨) سنة قبـــل الميلاد .
4
الانسان المتحضر: وظهر في العصر الحجري الحديث في الفترة ما بين (٨-٦) الاف سنة قبل الميلاد وهو الانسان الذي ساهم في نشأة الحضارات القديمة في شمال القفقاس ، وهو الذي طـــور الزراعـــة وتربية الحيوانات وتدجينها كما طور فن العمـــارة وبنـــاء البيـــوت السكنية وظهر لديه الفكر الديني كما يدل على بداية عبـــادة الالهـــة وهي مرحلة عبادة الام الكبرى والتي كانت تسمى (الهة العطاء).
5
الانسان الانيوليتي: وهو الانسان الذي طور الـــصناعات الحجريـــة والفخارية والطينية وكذلك الانسان الذي بدأ الاعتماد على المنتوجات الزراعية والحيوانية في تأمين غذائه وملبسه كمـــا اســـتخدم الابـــر العظمية في الخياطة لأول مرة في التاريخ.
6

(٢) مرحلة تكوين الحضارات القديمة في شمال القفقاس

يعتقد علماء (الأنثوغرافيين) المختصين بوصف الأقوام القديمة وعلماء (الأنثروبولوجيين) المختصين بدراسة الإنسان (فيزلوجيا وحضاريا) بأن القوميات القديمة عامة والشركسية منها بشكل خاص قد تشكلت في هذه المرحلة، وأن حضارات قفقاسيا الشمالية بدأت تتشكل ما بين (٤٠٠٠- ٢٠٠٠) ق.م وبالأخص الحضارات التالية:

الحضارة الأولى: حضارة مايكوب في العصر البرونزي المبكر:

أطلق هذا الاسم نسبة الى مدينة (مايكوب) الواقعة على نهر (بلايا) أحد روافد نهر (الكوبان) حيث عثر على (كورغان مايكوب) الشهير، وهي عبارة عن تلة ترابية ارتفاعها (١١) متراً تحتها بناء قبري وهذا (الكورغان) لا يمثل حضارة مايكوب فقط وإنما تمثل حضارة الجزء الشمالي الغربي والأوسط من القفقاس الشمالي والتي تعتبر موطن لكل من القبائل الشركسية الثلاثة (الأديغة، والأبوخ والأبخاز).

ازدهرت هذه الحضارة في عصر البرونز المبكر (٤٠٠٠-٢٠٠٠)ق.م وهي تشمل كل المنطقة الواقعة إلى الشرق من سواحل البحر الأسود وبحر آزوف بما فيها الكولخيد وجزء النصف الغربي لما وراء القفقاس إلى خط يجتاز جبال (بيتاغورسك) وحتى مجرى نهر (الترك) في القفقاس الأوسط.

ويقول مكتشف (كورغان) مايكواب بأنه يؤرخ المرحلة المبكرة من الحضارة (المايكوابية) وامتدت هذه الحضارة من شبه جزيرة تامان وحتى (الشيشان أنقوش) لذا فإنها تعتبر حضارة تمثل منطقة الشمال الغربي للقفقاس الشمالي في عصر البرونز كما يؤكد (تورتشيانينوف) بأن مقبرة مايكواب يعود تاريخها إلى الألف الثالثة ق.م. [٦]

كما كانت هذه الحضارة منتشرة في مناطق نالتشك في مناطق القبردي الشركسية، وهي تبدو مدافن مبنية بحجارة ضخمة مستطيلة الشكل مشغولة ومنحوتة بشكل متقن والمعتقد بأنها هي تمثل عصر التحول إلى أسلوب الدفن (الدولميني)، وكما عثر على كميات كبيرة من الحلي الذهبية والفضية ومصنوعات حجرية وعظمية وأوان فخارية كما وجدت آثار المساكن والمواقد فيها. (٧)

وتميزت حضارة مايكوب بما يلي:

١- تطور في صناعة التعدين باستخدام مختلف أنواع المعادن منها الفضة والذهب والقصدير والنحاس والبرونز.

٢- وضع في عهد هذه الحضارة أول خارطة جغرافية في العالم مكتوب عليها بأسلوب الكتابة الصورية المقطعية القفقاسية وهي الخارطة التي رسمت على (الإناء الفضي الأول) وتم حفر شكل جبال مؤلفة من ثلاث سلاسل جبلية متتالية بارتفاعات مختلفة، ويظهر على جسم الإناء موقع (نهرين) ويظهر عليهما اتجاه سير الماء ويصب النهران في بحيرة أو في بحر تظهر الأمواج على سطحها * كما يظهر على سطح الإناء وعلى جسمه صور (حيوانات ونباتات بشكل متسلسل) والكتابة كانت (باللغة الآشووية) وهو الاسم الذي يطلقه (الأبخاز) على أنفسهم حتى اليوم . علماً أن هذه الكتابة المقطعية بقيت مفهومه وبنفس الدرجة لدى كل اللغات في مجموعة (أديغة، أوبخ، أبخاز) وقد قرأ النص المكتوب على الانائين على النحو التالي: (٨)

* يؤكد علماء الآثار بأن رسم الجبال يمثل جبال القفقاس، والنهرين يمثلان نهري (الدجلة والفرات) في العراق مما يدل على وجود علاقة بين الحضارة المايكوبية والحضارة السومرية في العراق.

الإناء الأول: ١) الخارطة ٢) بلد الموقع (الآشووي) ٣) اسم صانعة (غيـاتش بن حيا)

الإناء الثاني: ١) ملك (سادز الأسد) من عائلة أتشبه ٢) توجد هنا روح الملك الملعون سارق الروح. [٩]

٣- ظهور الكتابة الآشولية (الآشووية) وهي لغة اسـتخدمها قـدماء الأيغـة، والأوبيخ، والأبخاز) وهي اللغة التي كانت مـستخدمة فـي الفتـرة مـن (١٣٠٠-٢٠٠٠) ق.م.

الحضارة الثانية: هي حضارة (كورا أراكس):

تكونت هذه الحضارة في النصف الشرقي للقفقاس الـشمالي فـي عـصر البرونز المبكر (٤٠٠٠-٢٠٠٠) ق.م وأكدت المعطيات الأثرية أن هذه الحـضارة بدأت منذ عصر البرونز المبكر أيضا (٤٠٠٠) ق.م. وانتشرت بدءاً من المنـاطق الجبلية وما قبل الجبلي في الشيشان وكامل الداغـستان وشـواطئ بحـر قـزوين وحوضي نهري (كورا وأراكس) وفي الاناضول الشرقي. وتميزت هذه الحـضارة في فن العمارة وبناء المساكن حيث تم بناء البيوت بشكل صفوف فوق بعضها على المنحدرات الجبلية وكان البيت مقسوماً إلى قسمين، وشكله دائري بقطـر (٥-٦)م، وفيه (جرار) فخارية وحفر مطمورة في الأرض للتخزين كما اسـتخدمت قوالـب الآجر في البناء وطليت بالطين من الداخل والخارج.

كما اشتهرت بصناعات معدنية متطورة جداً حيث كان انسان هذه الحضارة على دراية بخصائص الخلائط المعدنية، واستعملوها بمهارة فائقة وخاصة البرونز وصنعوا منها (الفؤوس والشفرات والسكاكين وحلي وأواني). كما أتقنـوا صـناعة الفخار بشيها في أفران عالية الحرارة مع زخرفتها بالألوان.

كما تميزت هذه الحضارة بأسلوب زراعة المصاطب (التراس) وهو نوع خاص من الزراعة في الجبال، وقد زرعت الأرض بأنواع من القمح (القاسي والطري) كما استخدموا (نظام تهجين) في المزروعات كما اشتهرت قرية (غيلارسك) في الداغستان بزراعة نباتات النسيج، كما ظهرت البيادر (الدراسة باستخدام الحيوان) وقد أدى ذلك إلى زيادة الإنتاج وظهور مستودعات الحبوب على شكل حفر عميقة في الأرض وكان الطحن يتم على (مهارس) حجرية. أما في مجال تربية الحيوانات فكانت تربية الماشية التي تعتمد على الانتقال بها في فصل الصيف إلى المراعي الجبلية العالية بعيداً عن مناطق السكن الأساسية، وقد كان هذا سبباً في ظهور المساكن (الصيفية) كما استعملت الثيران والعربات في عمليات الجر والنقل.

وبالنسبة للمعتقدات الدينية فقد كان بناة هذه الحضارة يقدسون (الام) من خلال عبادة (آلهة العطاء والخصب) كما عبدوا (الشمس) وتم انتقال رئاسة الأسرة من (المرأة إلى الرجل) وتؤكد المكتشفات الأثرية في منطقة الداغستان بأنه تم استخدام المدفن الجماعي خارج القرى، كما خصصت مدافن منفصلة لرؤساء القبائل والعائلات الغنية والحاكمة، كما وجد تماثيل نسائية لآلهة الخصب والعطاء في (كورغان) مدينة دربند الدغستانية.

الحضارة الثالثة: هي حضارة (الكاتاكومب) وظهرت في عصر البرونز الأوسط (١٠٠٠-٢٥٠٠) [١١]

وتنقسم هذه الحضارة إلى حضارتين، هما حضارة القفقاس الشمالي الغربي، وحضارة الدولمن، وفيما يلي تحليل موجز لكل من هاتين الحضارتين:

*** حضارة القفقاس الشمالي الغربي:**

انتشرت هذه الحضارة على معظم مناطق القفقاس الشمالي الغربي حتى بداية الجبال الداغستانية شرقاً ومن الجنوب إلى منطقة ما وراء القفقاس ووصلت شمالاً إلى منطقة السهوب، حيث كانت هناك منطقة واسعة اختلطت فيها قبائل القفقاس الشمالي مع سكان السهوب حضارياً وديموغرافيا. والمكتشفات الأثرية في هذه الفترة متنوعة منها (الكورغانات) في السهول والمناطق ما قبل الجبلية (ومدافن ضخمة) تحتوي على قبور بشكل صناديق حجرية، وقد استخدم الحجر بشكل واسع في بناء القبور، كما وجد فيها الأواني السيراميكية المتقنة وفؤوس حربية معكوفة صنعت من حجر أخضر سميت (بالفؤوس القبردينية)، وأزرار ضخمة مشغولة من صخور أشد قساوة من سابقتها، وأوان طينية بشكل دائري.. إلخ.

وامتدت حدود هذه الحضارة إلى (حوض الكوبان حتى ستافروبول ومناطق كباردينيا بلقاريا وأوسيتيا الشمالية والشيشان)، أي كل القفقاس الشمالي جغرافياً ما عدا منطقة الداغستان.

اعتمد سكان هذه الحضارة على تربية الماشية خاصة (التيوس) الصغيرة منها والضخمة من الماعز والضأن، بالإضافة إلى تربية الخيول التي كانت تستخدم للترحال والتنقل.

وفي مجال الزراعة فقد كان القمح والشعير من المزروعات الأساسية خلال هذه الحضارة، كما أن صناعة التعدين كانت متقدمة خاصة الصناعات النحاسية. وكانت (السلطة الأبوية) هي السائدة في مجتمعات هذه الحضارة، كما أن التمايز الطبقي كان أخف من حضارة الكوبان.

*** الحضارة الدولمينية:** [١٢]

انبثقت هذه الحضارة عن حضارة قفقاسيا الشمالية والتي تميزت بـــالأمور التالية:

١- تم استخدام الحصان في ظـــل هـــذه الحـــضارة وبالتحديـــد خـــلال عـــام (٢٥٠٠ق.م) للتنقل.

٢- انتشر اعتقاد عند الناس في هذه الحضارة بوجود الحياة الثانية في (الآخرة) فقد وجد في إحدى المقابر جميع أنواع الأواني التي كان يستخدمها الانسان في الأكل وكذلك أنواع من أدوات العمل.

٣- الايمان بوجود علاقات حميمة مع الحضارات القفقاســـية الأخـــرى مثـــل حضارات (الكاتاكومب) وحضارة (كورا أراكس).

٤- ظهور الطبقية في هذه الحضارة، حيث ظهرت طبقة من الارســـتقراطيين واصطدمت مع القبائل التي كان يرأسها الارستقراطيون مع قبائل أخـــرى، كما أدت تلك الصدامات إلى أسر بعض السكان وتحـــويلهم إلـــى عبيـــد.. ونستدل على ذلك من تخصيص حجرات كبيرة في المدافن لرؤساء القبائل وأخرى صغيرة دفن فيها العبيد الذين قتلوا مع أسيادهم.

٥- العثور على قبور مؤلفة من قطع حجرية ضخمة محفورة كلياً من الصخر حيث تم اكتشاف اكثر من (٢٢٠٠) قبراً من هذا النواع ويلاحظ انتشار هذا النمط من القبور على جزء محدود من ساحل البحر الأســـود بـــين شـــبه جزيرة تامان وحتى الشاطئ الآديغي – الأبخازي.

٦- بالنسبة للصناعة التعدينية فقد عثر على بقايا (مشغل لصب المعادن) وكان من انتاجه، الفؤوس والخناجر والحليات والأزرار ذات الـــشكل الـــدائري والأطواق. وانتشر أسلوب جديد في طلاء سطح الآنية بطـــين ســـائل تـــم زخرفتها بشكل (كشاكش وأكاليل مثلثية الشكل).

٧- السلطة السائدة في هذه الحضارة كانت سلطة الأسرة الابوية.

٨- وجود المدافن الجماعية في هذه الحضارة فقد بلغ في أحد القبور (٥٠) جثة والاعتقادات الدينية ظلت كما هي في السابق. ويظهر التداخل الكبير بين هذه الحضارة المحلية وحضارة القفقاس الشمالي الغربي حيث تطورت هذه الحضارة بالنسبة للنصف الثاني من الألف الثانية (١٠٠٠-١٥٠٠) إلى حضارة سميت بالحضارة (الكاياكنتية الخورتشيفية) والتطور الحاصل كان في مجال الدفن فقط فأصبح دفناً إفرادياً أو زوجياً وفي صناديق حجرية.

٩- وفي مجال تربية الماشية ظهر نوع جديد وهو تربية (قطعان الخيول) واستخدامها للركوب وجر العربات. وبقيت الصناعة المعدنية على تطورها مقابل تراجع أصحاب الصناعة الفخارية، وتكونت الأسرة الصغيرة مع بقاء الارتباط العشائري قويا.

١٠- انتشرت في هذه الفترة الرسوم على الصخور والرسم بالألوان والحفر على الصخر، وشكلت الرموز الشمسية مكانة كبيرة ودخل رمز الشمس في رسومات الحيوانات تضمنت مناظر لحيوانات منزلية وبرية ورسومات الخيول والفرسان وتماثيل نسائية موضوعة فوق القبور ودخلت أساليب النحت الصخري في المقابر وأقدمها ما عثر عليه في منطقة (نالتشك) عاصمة جمهورية القبرطاي حالياً.

١١- ساد في هذه الفترة نظام الفروق الطبقية. ويلاحظ بأن الدولمينات كانت مجهزة بفتحات دائرية لإدخال الميت فيها واحتوت كل واحدة منها على عدد يتراوح بين (١-٣) من الجثث، وضعوا (بشكل مطوي) مع وضع الغرة الحمراء بشكل كثيف على الجثث وكانت هذه المقابر لزعماء القبائل، كما ظهرت مدفونات جماعية في وضعية الجلوس تعود لفترة ازدهار الحضارة الدولمينية في النصف الأول من الألف الثاني ق.م، وظهر البناء الدولميني

عند قبائل شمال القفقاس على شاطئ البحر الأسود وهي قبائل (الأديغة والأبخاز).

الحضارة الرابعة: حضارة القفقاس الشمالي:

وظهرت هذه الحضارة في العصر البرونزي المتأخر (٨٠٠-١٠٠٠) سنة ق. م وتميزت بالزراعة وتربية الماشية وهما أساس الحياة الاقتصادية للسكان في هذه الحضارة حيث ظهرت الزراعة المنتظمة مثل زراعة (القمح الطري والقمح القاسي إلخ..) وكان الحصاد يتم بمناجل برونزية حديدية.

كما تطورت صناعة التعدين في هذا العصر، فالأدوات البرونزية عكست مهارة عالية ومعرفة عميقة لعملية الطرق والسكب وكافة العمليات الأخرى، وصنعت قوالب الصب للانتاج (بالجملة) والصب المعقد على مراحل، واعتبرت هذه المعرفة العميقة بتكنولوجيا معادن (البرونز والنحاس) واحدة من أهم الإشارات على الاكتشاف المبكر للحديد؛ إضافة إلى الخبث الحديدي المنتشر بكثافة في طبقات الألف الثاني وحتى الألف الأول، وقد وجد البرونز المخلوط بالحديد في مدافن نهاية الألف الأول في كل من (أوسيتيا والشيشان وأنقوش) والذي اعتبر دليلاً إضافياً على المعرفة المبكرة للحديد.

الحضارة الخامسة: الحضارة الكابانية:

وهي إحدى الحضارات التي ظهرت في العصر البرونزي المتأخر أيضاً، وسميت كذلك استناداً إلى مدافن (كابان) المكتشفة في (أوسيتيا) حيث عكست حياة الاستقرار في المواقع المرتفعة المحصنة بشكل طبيعي، وتم بناء المساكن في هذه الحضارة من (الحجر والخشب المغطى بالطين) وهي مقسومة إلى قسمين الأول للسكن والثاني للعمل، كما وجدت فيها بقايا شغل (بالعظام والحجر والفخار والمعدن) والدفن كان يتم في (صندوق حجري) ووضع الميت بشكل مطوي على الجانب الأيمن أو الأيسر مع وضع اليدين قرب الصدر وأمام الوجه، كما دفنت

الأواني الفخارية والبرونزية والمواد الغذائية مع الميت، كما كان يدفن أحياناً مع الميت (حصانة) بلوازمه كاملاً، وأدوات حربية مختلفة، كما وجد في القبور النسائية أواني فخارية وإبر خياطة وأدوات نسائية وحلي وأسلحة مما يدل بأن أصحاب هذه الحضارة كانوا يعتقدون بوجود حياة ثانية بعد الموت.

(٣) حقائق حول المكتشفات الأثرية في المناطق التي كان يسكنها أجداد الشراكسة في الوطن منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد.

بالرجوع إلى مؤلفات للمؤرخين (مورجان وارنست) حول المكتشفات الأثرية التاريخية التي وجدت في بلاد القفقاس عامة ومناطق أجداد الشراكسة في شمال القفقاس خاصة، وكذلك بدراسة المحتويات الأثرية في المتحف الأثري الموجود في تفليس (عاصمة جمهورية جورجيا) حالياً والمتحف الأثري في نالتشك (المكتشفة في حوض نهر الكوبان وبالتحديد في منطقة مايكوب) في الفترة ١٨٩٧-١٩٠٩ وكذلك بعد الاطلاع على نص الرسالة التي ارسلت إلى المؤلف الروائي الشهير (الكساندر دوماس) من شخص يدعى (ديستوشف مارلينسكي) حول سد القفقاس العظيم.

وكذلك بمراجعة نتائج الحفريات التي جرت في منطقة (نالتشك) ونتائج التنقيبات التي جرت في حوض نهر الترك ونهر آرغون عام ١٩٣٦ توصلنا إلى حقيقة وهي ان بلاد الشراكسة في الوطن الأم في شمال القفقاس **عبارة عن متحف للآثار القديمة المصنوعة من الذهب والفضة والبرونز والحديد والخشب، بالإضافة إلى الادوات المصنوعة بإتقان من الحجر المصقول والتسمية التي أطلقها (انفيموف)** [*] **على الكوبان في كتابه (ذهب الكوبان القديم) وكذلك التسمية التي**

[*] ن. ق انفيموت، مؤلف كتاب (ذهب الكوبان القديم) المنشور في كراسنودار عام ١٩٨٧ منشور في مجلة نارت، الصادرة عن الجمعية الشركسية – عمان الاعداد ٦٢-٦٣ ، ١٩٩٨.

أطلقها (سمكوغ) على القفقاس (متحف الاقوام) هي تسميات وتعبيرات صادقة نستدل عليها من الحقائق التي توصلنا إليها في بحثنا وأهمها هي:

الحقيقة الأولى:

اكتشف المؤرخ (مورجان) في القفقاس العديد من المقابر العائدة للعصور الحجرية القديمة حيث وجد فيها الكثير من الأدوات البيتية وادوات الزينة، وخاصة في حوضي نهر كوبان ونهر الترك.

كما أكد (مورجان) بأنه اكتشف في القفقاس العديد من المقابر العائدة للادوار الحجرية، وانه وجد فيها كثيراً من الادوات البيتية وأدوات الزينة في حوضي نهر (كوبان) ونهر (ترك) كما اكتشف آثاراً معدنية غنية تثبت أن هذه المنطقة كانت مهداً لبداية استعمال المعادن ويعود تاريخها لألفي عام قبل ميلاد المسيح، وأن صناعة البرونز والحديد قد انتقلت من هناك إلى اوروبا.

كما يذكر (مورجان) أنه أجرى تحقيقات ودراسات على المومياات الحثية المحفوظة في مصر وتبين أن اصحابها من أصل قفقاسي، وأن مظاهر الحثيين وملابسهم تشبه كثيراً ما لدى القفقاسيين إلى يومنا هذا. (١٣)

الحقيقة الثانية:

بالرغم من الجهود الروسية الهادفة إلى فرض التعتيم على الحضارات القفقاسية القديمة إلا أن العلماء والباحثين من جمهورية "آديغي" قاموا بأعمال التنقيب، وعثروا على لقيات أثرية، في غاية الاهمية، وأهمها الآثار المكتشفة هي مقبرة كبيرة "تحت أرضية" يعود تاريخ بنائها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. **وقدر العلماء أن خمسة عشر ألف عامل، عملوا على مدار عدة عقود لإتمام بناء هذا القبر**. ووصف عالم الاثار الروسي فارماكويسكي هذا (الكورغان) بأنه على

ارتفاع التل الترابي فوق حجرة الدفن (١١) متراً وتحته سور حجري، وفي منتصفه حفرة المقبرة، متجهة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي بعمق لا يتجاوز ١,٤٢م تحت التراب والقبر مستطيل الشكل بزوايا مستديرة، وجدرانه مقعرة مكسوة بالخشب وتغطي القبر طبقتان من الأخشاب المتعاكسة بينهما تراب بسماكة (١٠سم) والقبر مقسم بداخله إلى قسمين متساويين (جنوبي وشمالي) والشمالي مقسوم بدوره إلى قسمين ايضا ففي الغرفة الجنوبية وضع الميت مضطجعاً في منتصفها بشكل ملتو على جانبه الأيمن، ورأسه إلى الجنوب ووجهه إلى الشرق ويداه مرفوعتان بمستوى رأسه والهيكل العظمي مصبوغ بدهان أحمر غامق.

وفي الجزأين الشماليين دفنت امرأتان لهما نفس الوضعية السابقة، والهيكل العظمي للرجل مغطى بالحلي الذهبية عددها (٦٨ شكل أسد و ٣٨ خاتماً ذهبياً وعشرة ورود ذات خمس وريقات) بالإضافة إلى أشكال الخرز بحجوم مختلفة مصنوعة من الفيروز والذهب وتحت الجمجمة شريطتان ذهبيتان وخمس خواتم ذهبية وأربع حلقات أذن ناعمة وأربع عصي مصنوعة من أنابيب ذهبية وفضية مجوفة (وفي أسفل كل عصا أشكال ثيران ذهبية على العصي) وفي الجزء الأعلى من كل عصاة يوجد شريط خيطت عليه أشكال أسود وثيران من صفائح ذهبية، ووجدت مجموعة من الأزرار والحلق تجسد مناظر جبلية ووحوش وأربع قطع فضية بأشكال ضخمة للثيران من الذهب والفضة ووعاء حجري بغطاء من الذهب وفؤوس من البرونز وسكاكين ونهايات سهمية من حجر الكريمن (الصوان) كما وجد عند الحائط الشرقي في الغرفة الرئيسية (آنيتان ذهبيتان و ١٤ آنية فضية). [٧]

وفي الاعوام ١٨٩٨-١٩٠٩ واصل علماء الاثار عملهم في (مايكوب) وحولها فوجدوا مدافن للقدماء حيث وجدوا انها تحتوي على ما كان يملكه الميت من أشياء عزيزة عليه، حتى الطعام والشراب، ووجد في بعضها الهياكل العظمية لرجل وامرأة، وفي اخرى بقايا عربات فهم منها أنها كانت تقاد بستة أزواج من الخيل، كما وجدت بينها مصنوعات فضية وذهبية ونحاسية وتماثيل حجرية.

ومن بين الآثار التي وجدت في (مايكوب) ايضا قطعتان ذهبيتان جلبت الاهتمام والتدقيق ودارت حولها ابحاث كثيرة، كما وجد بينها حجر مسنن وقطع تزينية للاحزمة وقاما (خنجر مستقيم) اشبه بورقة شجرة الدفنة، استرعت الانتباه الزائد لأن القطع التزينية للأحزمة والخنجر المسنن (والقاما) لا تزال مستعملة عند الجراكسة إلى اليوم الحاضر.

ومن أهم مكتشفات منطقة (كوبان) أيضاً كما جاء في كتاب تاريخ العالم – المجلد الثاني هي:

- صورة عن اللوحة الذهبية الرمزية المكتشفة في مايكوب، مع مزهريتين من الفضة عليها رسوم بديعة تعود إلى أكثر من (٢٥٠٠) ق. م.
- صورة لهيكل عربة مصنوعة من الأغصان المتشابكة المطلية بالطين عثر عليها في مقبرة (اولسكي) بالقفقاس.
- مجسمات لمجموعات معدنية بديعة وجدت في مايكوب يرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠سنة ق. م وفيها ثلاثة ثيران ذهبية وفضية تخترقها قضبان والمعتقد أنها كانت تستعمل لأغراض دينية، وفيها إكليلان من الذهب مطعمان بخيوط ذهبية جميلة وفيها نماذج معدنية لصناعات نفيسة ودقيقة سميت بالفن الاسكودي والصحيح بأنه الفن القفقاسي الحقيقي، لأن الاسكود كانوا بدواً رحلاً متوحشين لا يعقل أن يكون لهم فنون بهذا المستوى. [١٤]

- مقابر عديدة مليئة بالهياكل العظمية للنساء والخيل والبقر والغنم وبقايا العربات تقاد بستة ازواج من الجياد كما وجد فيها الكثير من الأشياء العائدة للميت كالأسلحة والأدوات والأواني، وآثار من الأطعمة والأشربة في أوان فخارية وحجرية وعدد من الحلي والتماثيل الفضية والحجرية.
- إن أهم المناطق الحثية في عظمتها كانت في حوض نهر (قيزيل ايرماق) في تركيا وفي شمال سورية، فسلاح القاما (السيف المستقيم القصير) الذي اكتشف في الكوبان مثلا، هي تماماً تشبه مثيلاتها مما اكتشف من القاما الذهبية في آثار (الاجاهيوك) في تركيا. وكذلك ما اكتشف في بلاد سومر جنوب العراق – ونجد في وقتنا الحاضر أن الجراكسة والقفقاسيين جميعا يتمنطقون بمثيلاتها وفي الوضعية التي كانت لدى الحثيين الأقدمين. وقد دققها علماء الآثار زمناً وتناقشوا مدلولاتها طويلا، فوجدوا بأن القاما التي تشبه (ورق الدفلى) المصنوع من الحجر المسنن والحزام الجلدي، تشبهان القاما والحزام المستخدم في اللباس الجركسي القومي حتى يومنا الحاضر[١٥].
- العثور على اسلحة حربية عديدة مثل (السيف والعصي والسهام والدروع) ولم يصادف وجود مثل هذه الأدوات الحربية في المدافن القديمة للشعوب الأخرى في العالم.

يتضح مما ذكر بوضوح أن قدماء الجراكسة كانوا يعتقدون بخلود الروح وبعث الموتى لذلك كانوا يدفنون معه جميع لوازمه وما يحتاج إليه من الدنيا والآخرة – كما هو الحال عند قدماء المصريين وبعض الشعوب الأخرى، وانهم كانوا يقدمون الأضاحي قرابين للميت لكي يخلصوا روحه من العذاب.

وكانت المدافن تبنى بشكل مربع أو مستطيل مدخله من عند الـرأس وقـد وجدت نقوش تزينية وصلبان ، ولكنها ليست إلا نقوشاً لأنها رسمت قبـل المـيلاد بمئات السنين.

ويعتقد علماء الآثار بأن عمر الآثار المكتشفة في مايكوب بحوالي [٢٥٠٠] سنة قبل الميلاد، ولكن اللوحة الذهبية التي عثر عليها وفيها رسم السلسلة الجبليـة والنهران اللذان يصبان في البحر في مصبين مختلفين كما تحتوي على رسوم بعض الحيوانات، والتي تقرر أنها تمثل سلسلة القفقاس ونهري الفرات والدجلة، تدل على ان هذه الخارطة تعود إلى عهد أقدم من ذلك، لأن دراسـات علمـاء الجيولوجيـا، أظهرت أن التقاء مصبي نهر دجلة والفرات حدث بعد عام ٢٥٠٠ ق.م [١٦]

الحقيقة الثالثة

تم الكشف في منطقة الكوبان (جنوب غرب بلدة فلادي قفقاس) على آثـار هامة جداً، تدل أنها كانت مركزاً لصناعة البرونز، كما عثر على تزيينات برونزية، وفؤوسٍ حجرية مصقولة وعلاقة [جنكل] جذب اهتماماً كبيراً لخصوصية صناعته.

وان اختلاط الآثار الحجرية بالمعدنية في هذه المنطقة يكشف عـن الـدور الانتقالي من الحجر المصقول إلى النحاسي، فالبرونزي هذا وعثـر علـى مـدافن تحتوي على هياكل عظمية لأشخاص عديدين كما شوهد في بعضها آثـار لحـرق الموتى.

كما عثر في منطقة المياه الساخنة (بيتاغورسك) على أدوات من السيراميك وآثار تعود للدور النحاسي والبرونزي كما عثر فيها على مدافن الدور الكلاسـيكي (دفن الميت بعد طي اطرافه) كما اكتشفت فيها مدافن جماعيـة (دفـن اشـخاص عديدين في قبر واحد) كما وجدوا آثاراً تدل على تغسيل الموتى قبل الدفن وعثـروا أيضا في هذه المناطق على رسوم للنسر والحصان والكلب والثور والانسان منقوشة على الصخر [١٧].

وتشير الدراسات الأثرية بأن المعادن المستخرجة من الأرض في منطقة الكوبان كانت تفي بالحاجة المحلية، وكانت الواردات الأجنبية قد توقفت، فأخذت المناجم المحلية تنتج للأسواق المحلية، وفيما يختص بصناعة النحاس وأدواتها فيرجع ظهورها إلى سنة (٣٠٠٠) ق. م في الكوبان حسب مكتشفات عام ١٨٩٧ ويعتبر الألف الثاني قبل المسيح عصر غزارة في انتاج الادوات النحاسية في منطقة الكوبان. (٢٠)

الحقيقة الرابعة

يقول الدكتور البروفسور جورجي في مؤلفه [سومر] عند تعرضه لذكر القفقاس: "أن الآثار القفقاسية تمتد بشكل سلسلة متوالية حتى الجزر البريطانية سلسلة غنية متجانسة ومتطورة وطويلة الأمد".

ويضيف إلى ذلك قوله، من المهم أن نتذكر ان الحضارة القفقاسية غير بعيدة عن الحضارة السومرية، فالآثار التي وجدت في مايكوب وغيرها من الأمكنة عثر فيها على آثار ذات قيمة تاريخية عظيمة.

فالآثار القفقاسية، وخاصة القسم الشمالي منها، تتكامل وتتجانس مع الآثار العراقية والمصرية والأناضولية منذ العهد [٣٠٠٠-٣٥٠٠] سنة قبل الميلاد وتترابط معها بروابط قوية.(١٨)

الحقيقة الخامسة

وقد جاء في كتاب (تاريخ القوقاز) تأليف (جوناتوقة) "تبين من المدافن القديمة في القوقاز أنهم كانوا يدفنون مع الموتى مقتنياتهم الثمنية واسلحتهم وغذاء لهم، وقد وجدت آثار الأطعمة في آوان فخارية داخل القبور، كما أنهم كانوا يقيمون الولائم لهم بعد موتهم بجانب قبورهم حسب مراسيم خاصة، ويفهم من ذلك انهم كانوا يعتقدون بخلود الروح.

وظهر أن اسلحتهم كانت قديما هي القامـــا والـــسيف والتـــرس والقـــوس والقلنسوة والسهام الحديدية المدببة والدرع المنسوج من زرد الحديد، حتى الخيـــل كان لها سرابيل من الزرد.

كما كانوا يستعملون اقراطاً من الحديد، ومن ثم الفضة والذهب يزينون بها آذانهم وشعورهم الطويلة المعقودة من الخلف ويضعون الخاتم في ايديهم وأرجلهـــم ويتمنطقون بأحزمة جلدية مختلفة العرض محلاة بقطع مـــن الحديـــد ثـــم الفـــضة والذهب.

ومن الثابت أن أجداد الجراكسة اخترعوا إبرة الخياطة بمختلـــف الأحجـــام باستخدام العظم والبرونز فالحديد، وكذلك الأمشاط بمختلف الأحجام.

ومن المشاهد في آثارهم القديمة أنهم رسموا النسر والعقاب والتيل [الوعـــل او الايل] والحصان والخنزير البري والأسد والثور البري غير أن الانـــسان كـــان يرسم دائما بدون رأس، ويعتقد المؤرخ مورغان ان عدم رسم الرأس ربما يرجـــع إلى اعتقاد ديني قديم ولا يعود للاسلام حسب ما ذهب إليه بعض المؤرخين*.

ومما يجدر ذكره هنا أن الحثيين كانوا يغتسلون ويتطهرون من الجنابة كما يفعل المسلمون، وان من يدخل المعبد وهو غير طاهر، وخاصة الكـــاهن يجـــازى حتى الموت، كما أنهم كانوا يعدون براز الكلب والخنزير نجساً وكما كـــان يجـــب تطهير الاناء الذي شرب أو اكل او لعق فيه الكلب او الخنزير.

* الاستنتاج الذي توصل إليه مورجان في كتابه (الصفحة ١٦٥) بأن وجود رسوم او مجسمات او تماثيل للانسان الشركسي بدون رأس يعود لاسباب دينية حيث أن الاسلام يحرم رسم الانسان بشكل عام هو استنتاج خاطئ لأن الاثار المكتشفة يعود تاريخها إلى ما قبل ميلاد المسيح علما أن أول شعب اعتنق الاسلام في القفقاس كان الداغستان عام (٢٢) هجرية الموافق ٦٤٢م.

وقد وجدت في شمال القفقاس عظام بشرية وعظام الخراف والخيل والثيران وبقايا قطع من أطباق الخزف على قبور الموتى، ولعل هذا يدل على أنهم كانوا يضحون بالانسان والحيوان افتداء لأرواح الموتى [١٩].

الحقيقة السادسة:

تدل الآثار المكتشفة في القسم الشرقي الأوسط من قفقاسيا الشمالية عامة وفي منطقة نالتشك وهي (عاصمة قبائل القبرطاي من شراكسة الوطن الأم حاليا) فإن هذه المنطقة قديمة جداً قد يعود تاريخها إلى ما قبل اكثر من (٢٠) الف عام قبل الميلاد.

وفيما يلي أهم المكتشفات في هذه المنطقة من بلاد القبرطاي:

- عثر في [بيتغورسك] التي يسميها الجركس [بسي فابه = المياه الحارة] على جمجمة يرجح أنها من فصيلة النياندرتال، كما سبق أن أشرنا إليه.
- عثر في ربوة منخفضة بمنطقة نالتشك على [١٣٠] هيكلا عظميا ملوثا بالأوكر، وهو نوع من التراب الفخاري، وكانت أهم محتويات القبور هي من (اسنان حيوانات وحشية وأنيابها كالخنازير البرية، ومن تمثال حجري لامرأة مع أساور حجرية وخاتم نحاسي وعقد من العقيق).
- عثر في مكان مجاور على أوان ذات قعر رديء التدوير، وأحجار من الصوان المسنن المستعملة في صنع السهام، ولم يكن هناك أي اثر لعظام الحيوانات الأليفة.
- عثر أيضا على آثار مهمة تعود للدور الحجري، واخرى تعود للدور النحاسي والبرونزي.
- كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت عام ١٨٣٦م في أحواض نهري [تيرك وآرغون] على آثار تدل على انها كانت مناطق سكن في الدور النحاسي والبرونزي وهذه الآثار تشبه إلى حد كبير ما وجد في منطقة القبرطاي.

- كما وجدت في المقابر على خلاخل (سوار بدون جرس) وحلق للاذان مصنوع من الذهب والفضة وأسورة وخواتم، وفي عهد متأخر ظهرت لديهم المشدات (كورسية) والأحزمة المعدنية [٢٠].

الحقيقة السابعة

يقول (أنفيموف) في كتابه [٢٣] (ذهب الكوبان القديم) في الألف الثالث قبل الميلاد وإلى الجنوب من نهر الكوبان ظهرت حضارة مايكوب وازدهرت فيما بعد وامتدت إلى الشرق حتى الداغستان وإلى الغرب حتى شبه جزيرة تامان وأجزاء من شواطئ البحر الأسود حتى ما يعرف اليوم باسم (تسئه مز) ووصلت مايكوب الذروة في استعمال المعادن في المرحلة الاخيرة من حضارتها. وكان من بين المكتشفات الاثرية في مقابر اثريائهم وأغنيائهم كثير من الأدوات الذهبية والفضية. ووصف (انفيموف) محتويات مقبرة (الكورغان) التي تم اكتشافها عام ١٨٩٧ على النحو التالي:

ففي احدى المقابر الضخمة التي تعود إلى احد قادة القبائل الجبابرة، وأصبحت مشهورة في علم الآثار لما احتوته من كنوز ذهبية وفضية ثمينة يعود تاريخها إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

ومما تم اكتشافه في نفس السنة في منطقة مايكوب هي:

١- وعاء من الفضة عليه نقوش تمثل منظراً طبيعيا يشمل أسداً وطيرا وبعض النباتات.

٢- مجسم لعجل مصنوع من الذهب.

٣- مجسمات ذهبية لحيوانات.

٤- ابريق مصنوع من الذهب.

٥- عقود من الذهب والفضة والعقيق الأحمر والفيروز.

٦- تاج من الذهب.

كما تم اكتشاف مقتنيات اثرية أخرى في الكوبان منها:

١- لوحات رسم لها قيمة علمية وفنية كبيرة.

٢- سيوف قصيرة (قامات) ذات أغمدة ذهبية.

٣- فؤوس حربية مزخرفة مصنوعة من الذهب.

٤- مرآة من الفضة عليها نقوش جميلة.

٥- بروش ذهبي على شكل نمر وحيوانات.

٦- زبدية (جاط) عليها صور لطيور وحيوانات.

ومن بين المكتشفات الأثرية التي ذكرها (أنفيموف) خاصة تلك التي وجدت في المناطق التي كان يسكنها (السنديون) وقبائل (المئيوت) من اجداد الشراكسة في المناطق المنخفضة من حوض نهر (الكوبان) وشبه جزيرة (تامان) بمحاذاة شواطئ البحر الأسود وحتى موقع مدينة (أنابا) موقع مدينة قديمة عرفت باسم (الاخوة السبعة Seven Brothers) تقع على سبعة تلال على الضفة اليسرى من نهر الكوبان، وهي تضم اليوم مقابر نبلاء السنديين الذين عاشوا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

وهؤلاء السنديون هم احدى قبائل الميئوت وقد ازدهرت المدينة عندهم في القرن الخامس قبل الميلاد فكانت من أكبر مراكزهم محمية (بجدران عملاقة وأبراج) وكانت هذه المدينة مركزاً اقتصادياً وسياسياً هاماً.

وفي عامي ١٨٧٥-١٨٧٦ تم الكشف عن (سبع مقابر كبيرة) يعود تاريخها إلى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد تضم نبلاء السنديين وجد فيها مجسمات لخيول وسروج وأسلحة وحلي مصنوعة من الذهب وقرون تستعمل كأواني للشرب بالإضافة إلى اواني فضية وبرونزية وزبادي خشبية مرصعة بالذهب.

ونذكر فيما يلي بعض المكتشفات الهامة في تلك المقابر السبعة:

١- خاتم ذهب.
٢- طوق ذهب.
٣- إسوارة ذهب.
٤- عقد من الذهب.
٥- خاتم ذهب منقوش
٦- قرن من الفضة
٧- رؤوس من الذهب لثيران وخرفان وأشخاص.
٨- قرن ذهب ينتهي برأس كلب.
٩- قرن ذهب ينتهي برأس كبش.
١٠- مجسمات لأيل مصنوعة من الذهب.
١١- نقوش لحيوان الدراغون مصنوعة من الذهب.
١٢- نقوش لحيوان وطيور.

الحقيقة الثامنة

مكتشفات منطقة ابخازيا على ساحل البحر الأسود وبالتحديد في قرية (كسراستويا) الكائنة في وادي [آشي] طبقتين من الآثار لدورين تاريخيين مختلفين هما:

الطبقة السفلى: ويعود للدور الحجري واصحابها هم أقوام [الدولمه. ن] وهم الاناس الذين كانوا يدفنون موتاهم تحت الحجارة الضخمة ثم يطمرونها بكومة من التراب، يشبه المدافن المنتشرة في شمال أوروبا والتي يسمونها مدافن [الدولمه. ن] كما يسميها البعض [مذابح الدرويدي] لأنها تدل على أن ضحايا بشرية وحيوانية كانت تدفن مع الميت الغالي، وهذه العقيدة الدينية تسمى بالعقيدة [الدرويدية].

الطبقة العليا: وتعود للدور الحجري بأزمان طويلة، وفي كلتا الطبقتين وجدت أشياء مصنوعة من النحاس والبرونز، وهي تشبه إلى حد كبير ما عثر عليها من (الكوبان).

الحقيقة التاسعة [٢١]

يقول الروائي الشهير (الكسندر دوماس) في المجلد الثالث الذي كتبه عام ١٨٣٣ بأن شخصاً اسمه (ديستوشف) مارلينسكي ارسل إليه رسالة ورد فيها

معلومات عن (سد القفقاس العظيم ويسميه بعض المؤرخين بسور الكوبان الكبير) ولخص (دوماس) فحوى الرسالة على النحو التالي:

"إن ما يدعو إلى الاستغراب الشديد أن هذا السد يحوي صفات مما ذكرها [دنون] عن اهرامات مصر، وهو عدم وجود أي قوس فيه، ومع أني تعقبت جميع السراديب، حتى التي تصل إلى منابع المياه، أو التي تشكل مجاري المياه إلى قلاع السد، فإنني لم اصادف فيها على أي أثر لانحناء كأقواس الأقبية".

"ومع أن أبواب بلدة (دربند) المتممة لهذا السور ذات أقواس، فمن المعروف أنها جددت ورممت في زمن (كيخسرو) ملك ايران وسميت (باب الأبواب).

وهذا دليل على أن هذا السد القفقاسي قديم في بنائه كالأهرامات، لأنه انشئ في وقت لم يصل فيه الفن المعماري لبناء الأقواس والأقبية. انتهى الاقتباس (٢١) وكتب (الكسندر دوماس) مذكرات عن سياحاته في القفقاس والتي تعرض فيها لوصف ذلك السد بقوله إن "عرض السد يساعد على مرور العربات فوقه، وطوله يمتد من بحر الخزر إلى البحر الأسود لمسافة تزيد عن ستمائة كيلومترا، وأنه بُني قبل سور الصين العظيم ومعاصر للاهرامات المصرية وأنه بني في الفترة ما بين (٤٥٠-٤٥٤) قبل الميلاد*.

الحقيقة العاشرة:

اكتشف في اقليم (قره شاي) وفي هضاب (قازبك) بناء كبير ينسبه بعض المنقبين إلى شعب [مه ؤت]، وبناء آخر وراء الكوبان يسمى [سينتا] ويظهر أن هذا الاسم يدل على من كان يسكن هذا الموقع.

*ذكر بعض المؤرخين بأن السومرين أنشأوا سور سمي (سور الاله عموروا) في مناطق البادية والصحراء ولم أجد أية معلومات وتفاصيل حول هذا السور.

وتذكر الروايات القديمة أنه كان يوجد على ضفاف نهر المالقا مدينة قديمة تدعى [مالقاله]، كما كان يوجد بين نهري (شكم وباقسان) بقايا قلاع وحصون ما زالت خنادقها واسوارها ظاهرة للعيان، ونظراً لقدم عهدها لا يستطيعون تعيين زمن بنائها والذين بنوها.

وعلى الضفة اليمنى من نهر [بودقوموق] جبل مرتفع رباعي مستطيل الشكل، والجهة التي تطل على النهر المذكور ذات انحدار شديد يميل بشكل عمودي تقريبا، وبالقرب من الجهة المقابلة جبل ثان أقل ارتفاعاً من الأول يصل بينهما جسر صخري طبيعي كبير، والأول يحيط بقمته المنبسطة من جميع الجهات جدار صخري طبيعي يبدو للناظرين من بعيد كأنه سور حجري اصطناعي، وفي الجهة المطلة على النهر ست درجات عظيمة منحوتة في الصخر تؤدي إلى فتحة في الجبل حيث يبدأ سلم صخري منحوت من الجبل يقود إلى أعلاه، وقد وجد في مواقع مختلفة فيها التماثيل الحجرية والآثار الغنية الأخرى، كما عثر على أكواب وملاعق فضية قديمة وعلى بعض الصلبان الحديدية التي تشبه صلبان الكنائس الروسية.

كما جاء في تلك الروايات عن وجود مدينة اسمها [بوغوسانت] ومعناها [مجتمع الجمع الغفير من الآنت] ويسمى الروس هذا الموقع [برغوستان].

وأما موقع [نارت سان] فهو عبارة عن عين من الماء الجاري، وهذا الاسم محرف ومختصر من اسم [نارت بسين] بمعنى [نبع النارت] والنارت هم قدماء الجراكسة حسب أساطيرهم، ويقول البعض إن هذا الاسم هو [آنت بسينا] بمعنى [عين الآنت ونبعهم] والأنت هم اجداد الشراكسة حسب بعض المؤرخين [٢١].

الحقيقة الحادية عشرة

يوجد في بلاد الآديغة بقايا بعض (الكنائس القديمة) التي بنيت على الطراز الإغريقي والتي تشبه صلبانها صلبان الكنائس الإغريقية، وتوجد واحدة في المجرى العلوي لنهر الكوبان، واثنتان بين نهري الكوبان والتبردي، وهي مبنية بالحجر والآجر، والأولى من هاتين تسمى [شونه] أنها مختصرة من [شوونه] أي بيت الفرسان فقد عثر فيها على المعالف والمزاود والمناهل من الأجران الحجرية.

والثانية تسمى [خاسه ميفه] أي صخرة الاجتماع أو اجتماع مجلس القضاء، ويوجد فيها بدلا من [مرآة القضاء] صخرة منقوشة عليها حدوة جواد ورجل كلب، وفيها فوهة تتسع لمرور شخص عاري، وفي القصص الشعبية أن هذا المكان كان يستعمل لإمرار (المتهمين) منها فالبريء مهما كان ضخماً وسمينا يمر منها بسهولة، أما المذنب، مهما كان نحيلاً، يعلق بها ولا يستطيع المرور.

ويوجد بين نهري الكوبان وسلنجوق بعض الأبنية من مادة الآجر فوق التلال وتسمى [آديوخ] بلهجة القبرطاي و [آديف] بلهجة الابزاخ ومعناه [الساعد الأبيض]، وحسب الروايات فإن هذه الأبنية كانت تستخدم مساكن للرهبان والقسيسين.

وتوجد ايضاً أبنية حجرية عند نهر [كفار] وعلى ضفاف نهر سلنجوق تسمى [آليات خه ياوونه] بمعنى مساكن الإغريق.

وعند المجرى العلوي لنهر الترك حيث يلتقي به نهر [مالقا] عدد من القلاع والمآذن ويسميها القبرطاي [جولات] ويظهر أنها اختصار لكلمة [جورتيلا آنت] بمعنى معبد الآنت، وفي القصص أنها بنيت من قبل الجركس، وكانوا يلجأون إليها بغية التعبد والتوبة، ولتقديم الضحايا، ولتجديد الصداقة بين شخصين سبق أن اختصما، فإذا اختصم شخصان لسبب ما ثم تصالحا يذهبان إلى (جولات) ومع كل منهما قوس وسهم ويمسك كل منهما أحد طرفي السهم ويعاهد رفيقه على أن لا

يخونه ولا يؤذيه ولا ينازعه، ثم يكسران السهم معا، وكانوا يسمون هذه العادة [الذهاب إلى جولات].

(٤) الخلاصة

نستنتج مما تقدم بأن الآثار المكتشفة في القفقاس الشمالي عامة وفي اقليم الشراكسة في كل من مناطق مايكوب، والكوبان، ونالتشتك، وبيتفورسك (المياه الحارة) وشبه جزيرة تامان التي كان يسكنها قبائل أجداد الشراكسة.. نستنتج بأن المكتشفات الأثرية في هذه المناطق من الوطن الأم للشراكسة يتميز بعدة مزايا أهمها:

أولا: جسدت المكتشفات الأثرية عن حياة أجداد الشراكسة في أكثر من عصر ولفترة زمنية امتدت لأكثر من أربعة ألاف سنة تقريباً وابتداء من العصر الحجري الوسيط والحديث ومروراً بالعصر الحجري النحاسي والبرونزي المتأخر والمبكر وعصر الحديد وانتهاء بالعصور الوسطى في عصر ما بعد الميلاد.

ثانيا: استخدم في صنع جميع انواع المكتشفات الأثرية أكثر من (١٥) مادة ابتداء بالحجر على اختلاف أنواعه بالإضافة إلى استخدام: الفخار، الطين، السيراميك، الخشب على اختلاف أنواعه، العظم، البرونز، النحاس، الفضة، القصدير، خليط من المعادن، الورق، الجلد، القرون، التراب الملون.

ثالثا: تنوعت المكتشفات الأثرية وتعددت وشملت مختلف مستلزمات ومتطلبات حياة أجداد الشراكسة في كل عصر من العصور التي ظهرت فيها الحضارات القفقاسية الخمسة (حضارة مايكوب، والكوبان، وكورا – أراكس – والكاب كومب، والقفقاس الشمالي والكابانية)، ومن أهم هذه المكتشفات هي:

١- نماذج ومجسمات لمختلف أنواع الأسلحة منها (القاما الشركسية مع الحزام والسيف، والسهام، والتروس، والقلنسوة، (غطاء الرأس) ودروع ومغارف، وفؤوس حربية، ولوازم الخيل، واستخدم في صنع هذه النماذج الحجر الصوان، والبرونز، والحديد والجلد في (صنع الاحذية)، وهي مكتشفات لم يسبق أن وجد مثيلها في اي مكتشفات في أي مكان من العالم.

٢- نماذج ومجسمات لأدوات وأواني ومستلزمات أخرى كانت تستخدم في الطهي والطعام من أهمها: القدرة (شوان) وزبدية واطباق وأواني طعام، وفناجين، ومعالق، ومغارف وسكاكين وملاقط، وأباريق ماء، واستخدم في صنعها الحجر في بعضها والمعادن من فضة وبرونز والخشب أيضا في بعضها الآخر.

٣- نماذج وتماثيل ومجسمات ورسومات لحيوانات (وطيور) مثل الأسود والنمور والعجل، والخنازير والغزلان وحيوان الرايتون الاسطوري الذي يشبه الحصان بأجنحة والنسر والكلب والوعل، والايل والخنزير البري والثيران وحيوان الدارغون استخدم في صنع بعضها الحجر (المرمر) والنحاس والفضة والبرونز، وخليط من المعادن.

٤- نماذج ومجسمات من أدوات الزينة للنساء، حيث كانت المكتشفات الأثرية من أدوات الزينة النسائية في مختلف مناطق الحفريات في شمال القفقاس عامة وفي مناطق استيطان اجداد الشراكسة خاصة اكثر المكتشفات الأثرية القديمة جمالاً في أشكالها، واتقاناً في زخرفتها، وتعدداً في أنواعها وتنوعاً في المواد المستخدمة في صنعها ومن أهمها هي:

- أسوار من الذهب والحجر بأشكال مختلفة مثل شكل الحية.
- عقد من الذهب وبأحجام وأشكال مختلفة.
- عقد مصنوع من الفضة والذهب والعقيق الأحمر والفيروز.

- تاج مصنوع من الذهب.
- طوق مصنوع من الذهب.
- خواتم مصنوعة من الذهب.
- خرز بأحجام مختلفة مصنوعة من الفيروز والذهب.
- حلقات أذن مصنوعة من الذهب.
- أزرار وبروش نسائي مصنوع من الفضة.
- أحزمة نسائية مصنوعة من الجلد والفضة والذهب.
- خلاخل (اساور للرجلين) بدون جرس مصنوعة من الفضة.
- مشدات كورسية وحديدية وظهرت في زمن لاحق مشدات مصنوعة من الجلد (كورسيه) وأخرى للصدر.

٥- نماذج ومجسمات وتماثيل للرجال والنساء وبعض الحيوانات ومن أهمها:
تماثيل للانسان بدون رأس، تماثيل نصفية لسيدة وتمثال الآلهة الكبرى الأم.
نصب تذكاري للملك الحثي (انستاش) عليه تمثال أو مجسم لآلهة البرق.

٦- مواقع أثرية مختلفة للقبور، ومن أهم القبور المكتشفة هي: قبر (كورغان) مايكوب وهو من اكبر المقابر التي وجدت في شمال القفقاس وربما كان من اكبرها في العالم بعد مقابر الفراعنة في مصر.
وهي المقبرة التي يعود تاريخها للالف الثالث قبل الميلاد ويقدر علماء الاثار بأن حفرها احتاج لجهود (١٥) ألف عامل واستمر العمل فيها لعدة قرون.

- المدافن الجماعية التي تتسع لأكثر من (٥٠) جثة في القبر الواحد.
- المقابر المحفورة داخل الصخور حيث وجد فيها حوالي (٢٢٠٠) قبر صخري وسميت بمقابر الدولمن.

- مقابر السبعة لنبلاء الشعب (السِندي) وهم اجـداد الشركـسة وجـد فيهـا مجسمات لخيول وسروج وأسلحة وحلي مصنوعة مـن الـذهب وقـرون تستعمل كأواني للشرب وغيرها من المكتشفات التي وصل عددها لأكثر من (٢٠ قطعة أثرية).

٧- اللوحة الاثرية التي اكتشفت في مايكوب يعود تاريخها إلى (٢٥٠٠) ق.م وهي عبارة عن اناء رسم (نقش) عليها أول خارطة في العالم تضمنت منظر ثـلاث سلاسل من الجبال ونهرين اثنين يصبان في بحر في مـصبين مختلفـين كمـا تضمنت بعض الرسوم لحيوانات مختلفة.

٨- بقايا سد القفقاس العظيم، الذي بني في الالف الأول ما قبل الميلاد، طوله حوالي ٦٠٠ كيلومتر وعرضه يسمح بمرور عربة من فوقه.. وبنـي دون اسـتخدام اقواس ويوجد بعض بقايا هذا السور العظيم في بلدة (دربند) والمـسمى (بـاب الأبواب) وإن هذا السد قديم قدم الاهرامات المصرية كما أنه تم بناؤه قبل بنـاء سور الصين العظيم.

٩- مكتشفات أثرية تدل على مدى تقدم أجداد الشراكسة بفن العمارة.. ومـن هـذه المكتشفات.

- بقايات بيوت مبنية بالحجر والخشب المغطى بالطين، وكذلك بقايا لمساكن وبيوت دائرية الشكل مبنية على شكل صفوف فوق بعض المنحدرات الجبلية.
- بقايا مدينة (الاخوة السبعة) والتي تقع على تلال الضفة اليسرى من نهر الكوبان وتضم مقابر نبلاء شعب (السِندي) وهو إحدى قبائل جماعة (الميئوت)، وكذلك بقايا الجدران العملاقة والأبراج التي وجدت في إحدى هذه المدن السبعة.
- بقايا مدينة قديمة تدعى (مالقاله) أو (بالح) وكذلك بقايا قلاع وحصون بين نهري (شكم وباقسان) ما زالت خنادقها وأسوارها ظاهرة للعيان.

١٠- بقايا الكنائس القديمة التي بنيت في عصر البيزنطيين في الفترة التي اعتنقت فيها الشعوب (القفقاسية) الديانة المسيحية في عهد الامبراطور (جوستان) ومن أهمها.

- موقع (شوونه) ومعناها بيت الفرسان مبنية من الحجر والآجر.
- تماثيل (خاسه ميقه) ومعناها صخرة مجلس الفضاء ويوجد في داخلها (حدوة جواد ومجسم لرجل وكلب) كما يوجد فيها (فتحة) تتسع لمرور رجل عادي وهي الفتحة التي كان يمرر منها المتهمون بارتكاب الجرائم.
- بقايا مساكن الرهبان والقسيسين والمبنية فوق التلال تسمى (اديوخ) بلهجة القبرطاي (اديف) بلهجة الابزاغ.
- بقايا مساكن الخوارنة الاغريق وتسمى (اليات حه ياوونه)
- بقايا القلاع والمآذن ويسميها القبرطاي (جولات) وموجودة في المجرى العلوي لنهر الترك وكلمة جولات اختصار لكلمة (جورتيلا آنت) ومعناها معبد الأنت وكانت اماكن للتعبد والتوبة ولتحديد الصداقة بين شخصين اختصما.
- الجسر الصخري الطبيعي الكبير الذي يصل بين جبلين على ضفة نهر (بود وقومق)، وكذلك الدرجات الست المنحوتة في الصخر والمؤدية إلى فتحة في الجبل يقود إلى العديد من التماثيل الحجرية وعلى أواني طعام وصلبان تشبه صلبان الكنائس الروسية.

نماذج من المكتشفات الأثرية في منطقة مايكوب في جمهورية الأديغي وسميت (بذهب الكوبان)

ربما كان من أشهر المكتشفات الأثرية في منطقة مايكوب هي الآنية المصنوعة من الذهب والفضة، وتمثل شكل حيوان (الرايتون) الاسطوري، والذي يشبه الحصان ذو أجنحة، عليها رسومات تمثل الصراع بين الالهة. والجبابرة، وهي بارتفاع ٣٧,٧سم ويعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد واكتشفت في قرية (ولابه) عام ١٩٨٢، في منطقة مايكوب، وموجودة في متحف الفن الشرقي في موسكو كما هو مبين في القطعة الأثرية المبينة في الصفحة التالية.

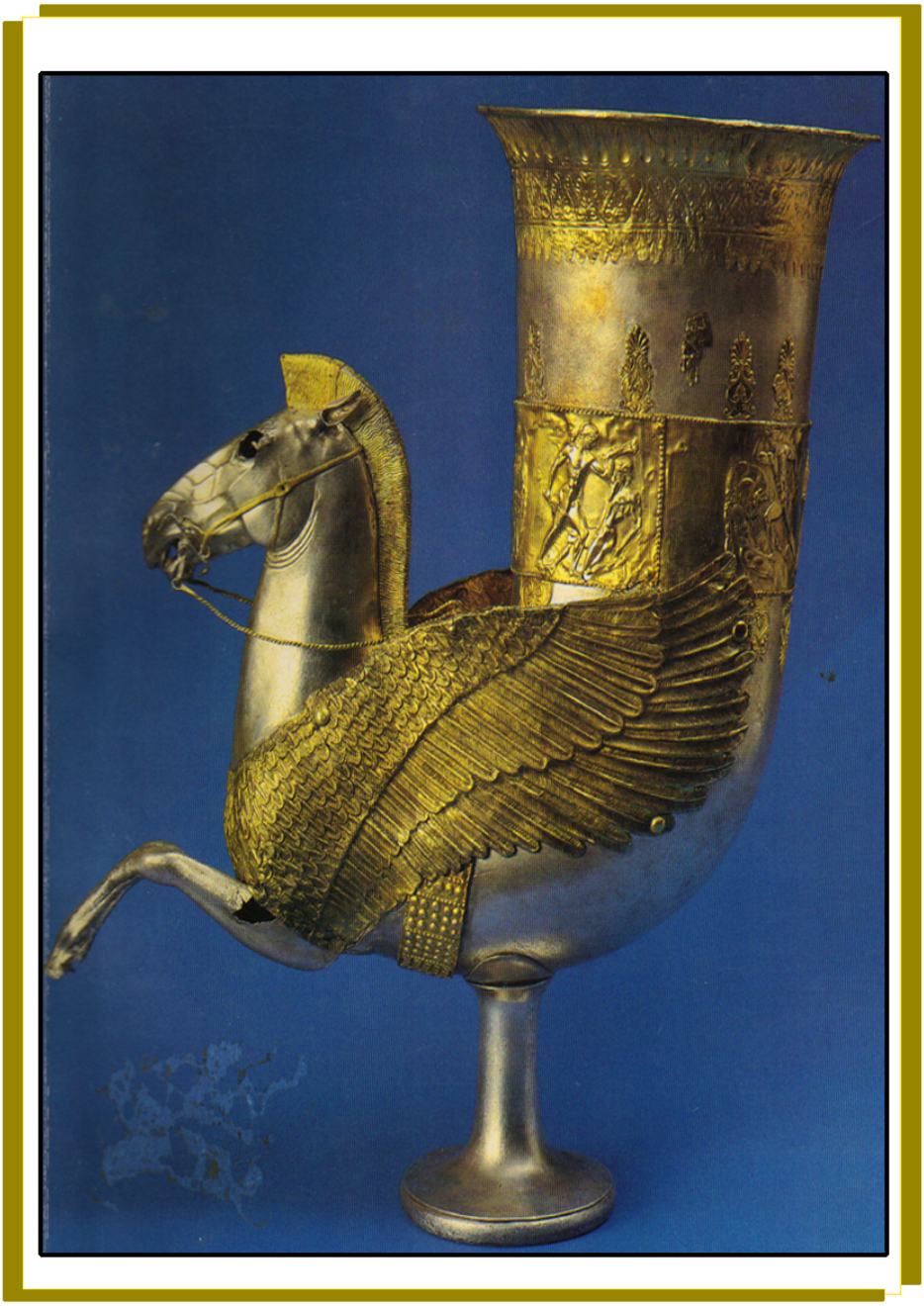

(١) مجسم لرأس غزال مصنوع من الذهب له قرون من الفضة بحجم ١٢,٢× ١٢,٥ سم يعود تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وموجود حالياً في متحف الفن الشرقي بموسكو.

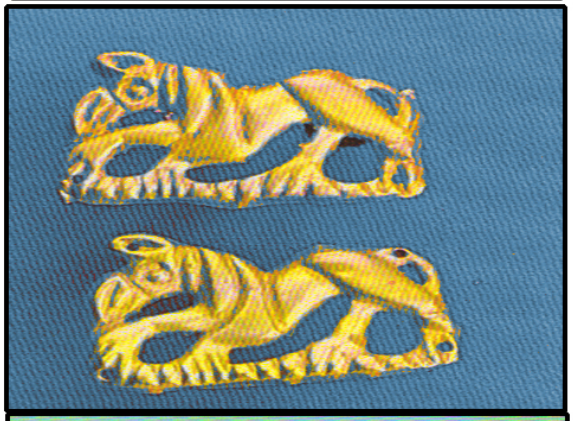

(٢) مجسمات الأسود، يعود تاريخها للقرن الرابع قبل الميلاد مصنوعة من الذهب الخالص وموجودة في متحف الفن الشرقي بموسكو.

(٣) مجسم عجل مصنوع من الذهب

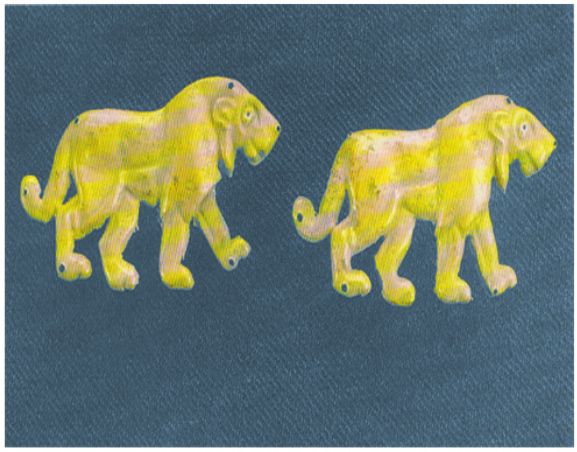

(٤) مجسمان لحيوان الأسد

(٥) عقود من الذهب والفضة والعقيق الأحمر والفيروز

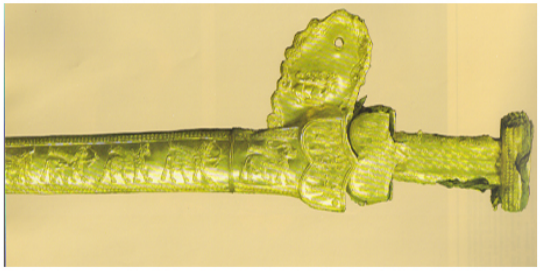

(٦) خنجر (قاما شركسية)

(٧) بروش ذهبي

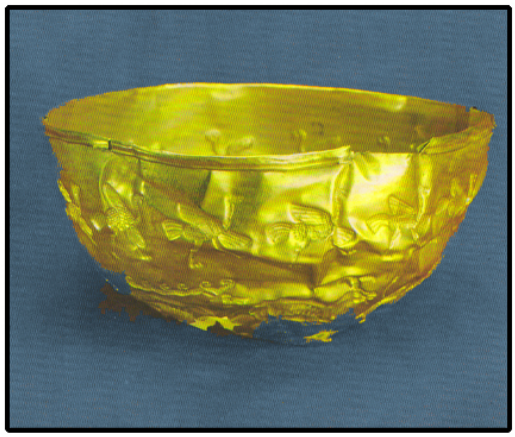

(٨) زبدية مزينة بصور
حيوانات

(٩) مجسم ذهبي لحيوان
غريب الشكل

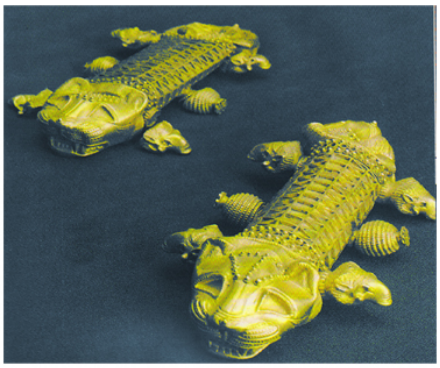

(١٠) بروش ذهبي على
شكل تمساح

(١١) فأس حربي مصنوع من
الذهب

(١٢) طوق مصنوع من الذهب
والاحجار الكريمة

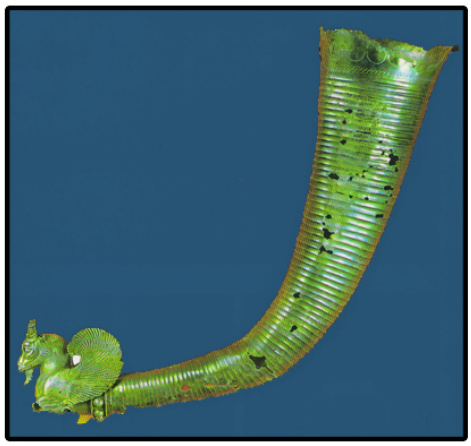

(١٣) قرن مصنوع من الفضة

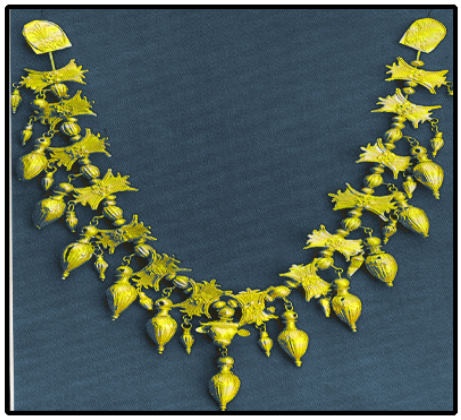

(١٤) عقد من الذهب

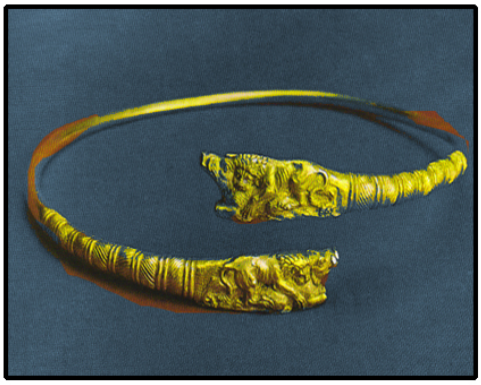

(١٥) أسوارة ذهب (بروش)

(١٦) نقوش حيوانات وطيور

(١٧) نقوش لحيوان الدراغون

(١٨) تاج من الذهب

نماذج
من المكتشفات الأثرية في مناطق القبرطاي عامة وفي نالتشك خاصة ومحفوظة في متحف نالتشك الوطني *
كما هو مبين في اللوحات التي تحتوي على عشرات المكتشفات الأثرية تعود إلى العصور الحجرية والمعدنية المختلفة من (حديد وذهب وفضة وبرونز)

* قام بتصويرها المؤلف شخصيا عام (٢٠٠٦)

اللوحـــة رقـــم (١)

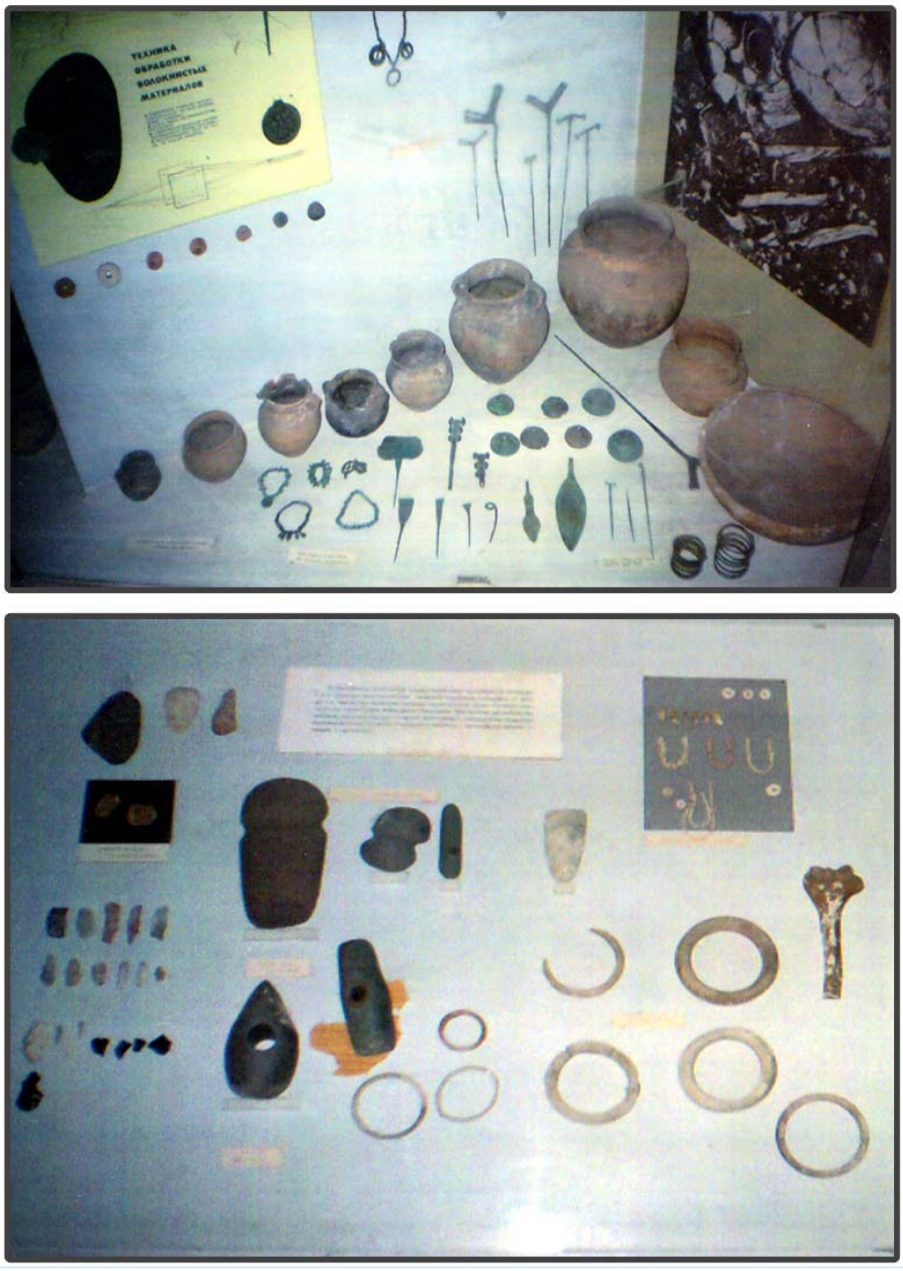

اللوحـــة رقـــم (٢)

اللوحـــة رقـــم (٣)

اللوحـــة رقـــم (٤)

اللوحـــة رقـــم (٥)

اللوحـــة رقـــم (٦)

مصادر ومراجع
الفصل الأول من الجزء الأول
في المجلد الأول

أولا: المصادر الرئيسية

١) كورتيه موريس، تاريخ الحضارات ص١٨١.
٢) ب. ب بتروفسكي مع (مجموعة من المؤرخين السوفيت) تاريخ شعوب القفقاس (باللغة الروسية) ص: ٢٥-٤٥.
٣) جيمس بيلارت، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، ترجمة محمد طالب وإعداد الدكتور سلطان خميس، ص: ٥١.
٤) سمكوغ برذج، أمين، الشركس في فجر التاريخ – شعوب شمال القفقاس الأصلية في عصور ما قبل الميلاد، دمشق ١٩٩٥. ص: ٢١-٢٢ – ٢٤٤.
٥) بتروفسكي، مصدر سابق، ص: ٣٠.
٦) غ. ف تور تشيانينوف، المكتشفات الأثرية في منطقة مايكوب ١٨٩٨.
٧) هـــ. فارماكويسكي، وصف موقع آثار الكورغانات في (مايكوب) نشر باللغة الروسية عام ١٨٧٩.
٨) سمكوغ، برذج أمين، مصدر سابق ٢٢٠.
٩) المصدر نفسه ٢٢٠.
١٠) المصدر نفسه ٢٢٣.
١١) المصدر نفسه ٢٣٠.
١٢) المصدر نفسه ٢٢٧.

١٣) مورجان، المجلد الأول، ص٢٠٨.
١٤) تاريخ العالم – المجلد الثاني، ص: ١٩٨، ٢١٨، ٢١٩.
١٥) أنفيموف. ن، ف ذهب الكوبان القديم، ترجمة روزي بولاد جنب، مجلة الأخاء، العدد (٦٢) ص: ٢٦-٢٨.
١٦) أبه زاو، مصدر سابق، ص: ٨١-٨٢.
١٧) المصدر نفسه ص: ٨٢.
١٨) البروفسور جورجي – كتاب سومر – الآثار القفقاسية ص: ٢٠١.
١٩) جوناتوق، مت يوسف عزت باشا، تاريخ القوقاز ص: ٨٥.
٢٠) آبه – زاو، مصدر سابق، ص: ٨٧-٩٠.
٢١) دوماس، الكسندر: مذكرات سياحية في بلاد القفقاس، المجلد الثالث، ص:١١٤.
٢٢) نوغمو (نغموقة) شورا باكمرزا، تاريخ الاديكة القديم – النسخة الاصلية باللغة الروسية، وترجمها إلى الالمانية الاستاذ ادولف برجه – رئيس البعثة البيئية للاثار القديمة وعضو الجمعية الاسيوية في باريس ونشر في (لايترك) عام ١٨٦٦ ونقلها للعربية الدكتور شوكت المفتي عام ١٩٥٣ ص: ١٨-٢٠.
٢٣) انفيموف، ن، ف، ذهب الكوبان القديمة كراستودار عام ١٩٨٧، نقلها إلى العربية روزي بولاد ومنشورة في مجلة (نارت) الصادرة عن الجمعية الخيرية الشركسية في عمان العددين (٦٢-٦٣) سنة ١٩٩٨.

ثانيا: مراجع متخصصة في موضوعات الفصل الأول

١- وول ديورانت، قصة الحضارة – المجلد الأول، والمجلد الثاني ترجمة.
٢- اسماعيل برقوق، قفقاسيا في التاريخ الأستانة ١٩٥٨ (باللغة التركية اللاتينية).
٣- غوسار وصفي – الآثار التاريخية القديمة في القفقاس – مجلة بني قفقاسيا. أيلول ١٩٦٢ (مترجم).
٤- دو موفنيووت – المكتشفات الأثرية في جنوب القفقاس، المجلد الأول ١٨٣٣-١٩٣٤ (باللغة الروسية).
٥- أبه زاو، محمود صادق- موسوعة تاريخ القفقاس والجركس – دمشق ١٩٩٦ (باللغة العربية).
٦- السيرجون أ. هامرتن – تاريخ العالم، عدة مجلدات – ترجمة إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم المصرية.
٧- الهاشمي، طه باشا، تاريخ الحضارة في الأزمنة الغابرة – بلا تاريخ.
٨- م. مورجان (عالم فرنسي) – تاريخ ومنشأ أمم القفقاس.
٩- م. مورجان (عالم فرنسي) – دراسات أثرية تاريخية في القوقاز.
١٠- شانتر أرنست ، (عالم فرنسي)، مباحث بشرية في القوقاز.
١١- باسماتوف، اسكندر، (مؤرخ روسي)، دراسات أصول المكتشفات الأثرية في القفقاس عامة وفي موقع تريبولي خاصة.
١٢- هيرودوت، (ابو التاريخ) مؤرخ يوناني، تاريخ شعوب القفقاس القرن الخامس، ق. م.
١٣- ج. سترابون، عالم جغرافي إغريقي – بلاد القفقاس في القرن الأول قبل الميلاد.

١٤- الجوهري، يسرى- الإنسان وسلالاته، القاهرة.
١٥- ياور، فرنسيس، حضارات في العصر الحجري القديم، ترجمة د. سلطان محيسن – بيروت.
١٦- سليم، أمجد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت
١٧- بيلارت، جيمس، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، تعريب محمد طلب، القاهرة.

الفصل الثاني

مجموعات الأمم والشعوب والقوميات التي استوطنت القفقاس عامة وجاورت الأمة الشركسية في شمال القفقاس منذ فجر التاريخ

تمهيد

بالرجوع لما كتبه المؤرخون اليونانيون، والرومان والبيزنطيون القدامى، وكذلك بالرجوع إلى المكتشفات الأثرية في القفقاس عامة وفي القسم الشمالي منه خاصة، وجدنا بأن أربع مجموعات من الامم والشعوب والقوميات (القديمة) ومجموعة واحدة من الدول المعاصرة قد استوطنت أو احتلت أو جاورت اجداد الشراكسة "الاديغة" منذ الالف الرابعة قبل الميلاد، وحتى الألف الثاني بعد الميلاد وأن منطقة القفقاس كانت منطقة جاذبة ومرغوب فيها من قبل الدول والشعوب القديمة وأن أكثر من (٣٢) دولة وشعباً استوطنوا أو جاوروا اجداد الشراكسة في الوطن الأم كما هو مبين في الخارطة رقم (١) وهي أقدم خارطة وجدت حتى الآن لتحديد أماكن ومواقع سكن أو تواجد الشعوب (القديمة) القفقاسية الأصل والشعوب الوافدة إليها في الفترة ما بين (٤٠٠٠ إلى ٦٠٠٠) سنة قبل الميلاد.

المخطط رقم (١)

مجموعات الأمم والشعوب والقوميات القديمة، والدول المعاصرة التي استوطنت او جاورت أجداد الشراكسة "الاديغة"
منذ الألف الرابع قبل الميلاد وحتى الألف الثاني ما بعد الميلاد

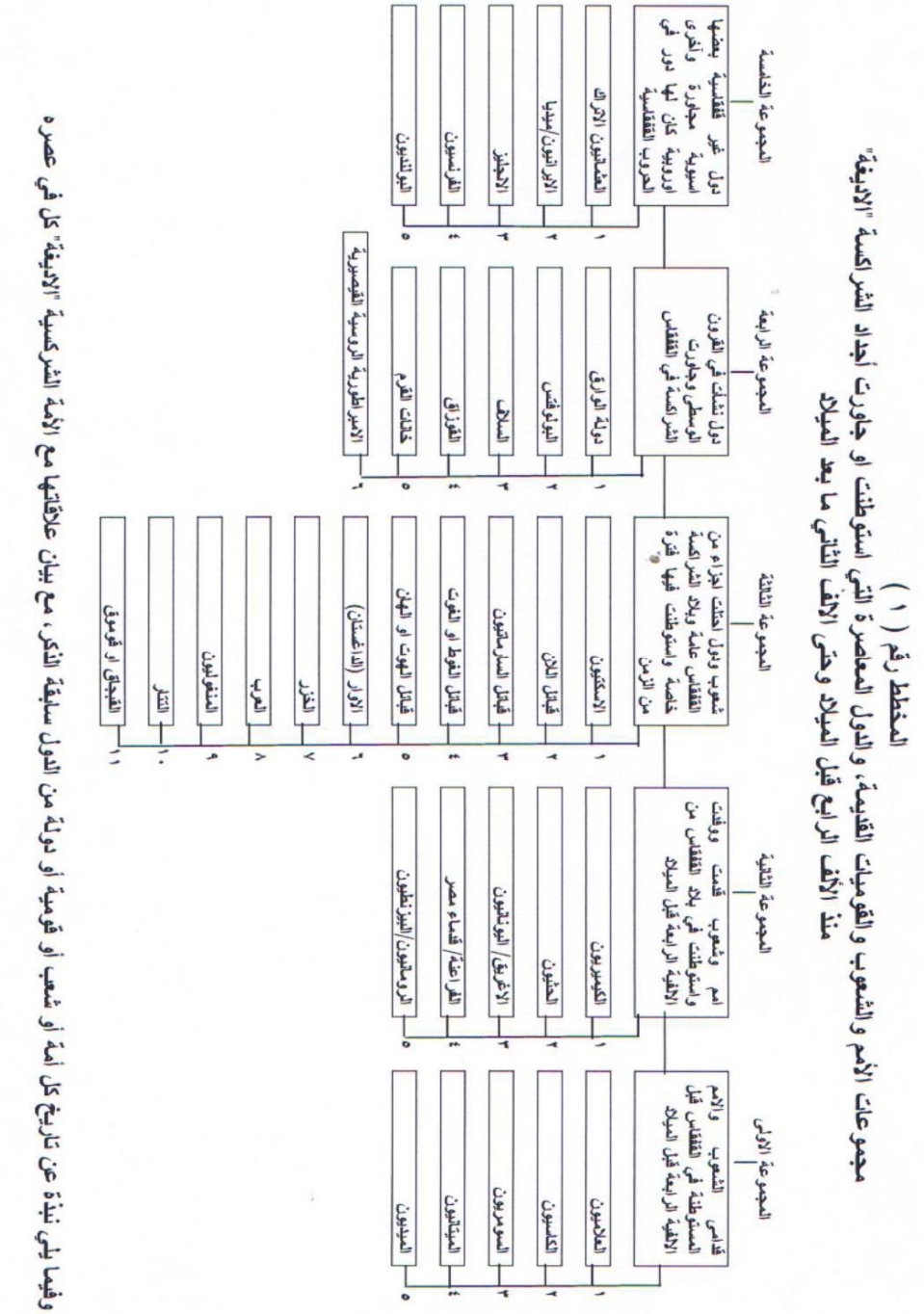

وفيما يلي نبذة عن تاريخ كل أمة أو شعب أو قومية أو دولة من الدول سابقة الذكر، مع بيان علاقاتها مع الأمة الشركسية "الاديغة" كل في عصره

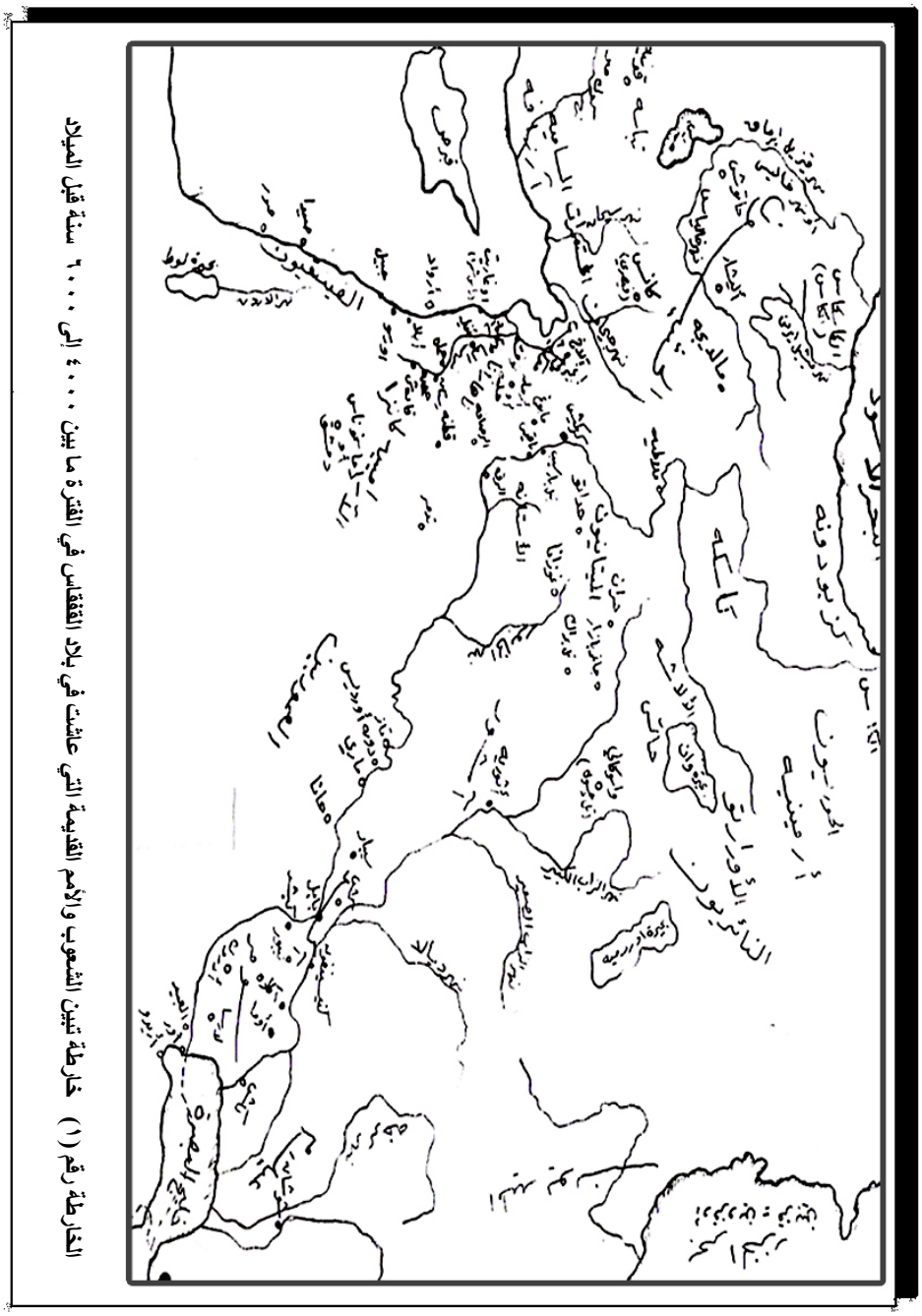

الخارطة رقم (١) خارطة تبين الشعوب والأمم القديمة التي عاشت في بلاد القفقاس في الفترة ما بين ٤٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد

شعوب وأمم المجموعة الأولى

الشعب الأول: العيلاميون:

يقول مورجان [1] بأن العيلاميين هم من أقدم الشعوب التي استوطنت في القسم الشمالي منذ الألف الثامن ق.م، وكانت أهم المدن التي بنوها سوزا أو (سوسة أو شوشة) وتختلف القراءات بين (الزاء والسين والشين) والحقيقة أنها قراءات في اللهجات القفقاسية لها معنى واحد وهو (راعي الخيل)، وكذلك مدينة (ماداكتور) على شاطئ نهر كرخة، و(مدينة خايدالو، وأنزان) وهما اسمان سومريان واسمها العيلامي (سوسنقة) وتعني أبناء الرعاة، ويلاحظ هذا الاسم يتردد كثيراً في أساطير (قوم نارت) وهو البطل الأسطوري الشركسي واسمه (سوسروقة) وتعني (ابني الراعي) أيضاً، وكذلك أسماء ملوكهم (شوشينقة) وتعني (ابن الراعي الكبير).

وتدلنا آثارهم التي كشف التنقيب عنها إلى مدى تقدمهم في الصناعة المعدنية وأسبقيتهم بصهر النحاس وصبه في قوالب، كما ظهرت لديهم الأختام مما يدل على وجود مبكر للملكية الفردية. كما كان كبير الآلهة لديهم يدعى (شوشيناق) أيضاً، ويليه ستة من الآلهة، بالإضافة إلى جمع كبير من الآلهة الثانوية، كما نجد عندهم الاعتقاد بالدار الآخرة، لأنهم دفنوا الموتى في وضعية القرفصاء أو الانثناء باتجاه الشرق (الشمس) ونثر التراب فوق أجساد الموتى وهي الوضعية المعهودة التي نراها في جميع مواطن انتشار واستيطان الشعوب القفقاسية عند التحول إلى عبادة السماء والشمس، كما كانوا يدفن حاجات المتوفى معه.

تواجد العيلاميون على سفوح الهضبة الإيرانية وجبال زاغروس المطلة على جنوب وادي الرافدين موطن السومريين، وتحدها دجلة غرباً وجزء من مقاطعة فارس والطريق بين بابل وهمذان شمالاً، ومن الجنوب الخليج العربي حتى مدينة بوشهر، ويعتقد أنهم أول من هاجروا إلى منطقة القفقاس.

ويقول (ناميتوق) [٢] "لقد كان للعيلاميين لغتهم الخاصة وانتقلوا إلى إيجاد كتابة خاصة بهم مع استخدام الكتابة المسمارية لجيرانهم السومريين"، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم (تحاتمتي) (تحات + م + تي) ومعناها بلغة الآديغية (تحات: اسم الإله وله علاقة باسم الحاثيين) (الميم مثل حرف اللام بالعربية) (تي: لنا وضمير الملكية) وبالتالي فيعني الاسم (أتباع الإله).

وقد تمكن (سرجون الأكادي) من دخول عاصمتهم والقضاء على استقلالهم لفترة من الزمن، وفي نهاية عصر اليقظة السومرية تمكنوا من التقدم وبسط نفوذهم على سومر، وهكذا استمر وجودهم الحضاري والسياسي حتى القرنين السادس والخامس ق.م.

وفيما يتعلق بأصل العيلاميين فإن الأواني الفخارية تكشف تشابهاً واضحاً في صنعها وطرازها بالأواني التي عثر عليها في منطقة ما وراء بحر الخزر، وأن ثمة علاقات كانت قائمة بين سكان ما وراء بحر الخزر والعيلاميين والسومريون، ومن الجائز أن هؤلاء قدموا من الشمال، كما ونقرأ العديد من الإشارات الحذرة من المؤرخين حول أصل القفقاس الشمالي الغربي لهم؟ ويقول (أوتران) بأن منشأهم كان مجهولاً حتى عثر العلماء على رقيم حجري مكتوب بثلاث لغات وهي الفارسية والعيلامية والآشورية وقد اختلف العلماء في ماهية العمود الثاني منها هل هي اللغة العيلامية أم اللغة الميدية وفي عام ١٨٧٠ حصر العالم الألماني (مورتمادن) لغة العمود الثاني باللغة العيلامية، وقد أثبت علماء آثار البعثة الفرنسية أن هذه اللغة لغة قفقاسية، ثم بين الأستاذ (نيقولامار)، بأن لغة العمود الثاني لغة قفقاسية شمالية غربية لهجة أبازة [٣].

الشعب الثاني: الكاسيون:

وقد أطلق عليهم أيضاً أسم (الكاسيون أو الكاسكيون) ويقول (وول) في كتابه (قصة الحضارة) [٤] بأنهم كانوا قوماً خليطاً من الساميين ومن قبائل غير سامية جاءت من الغرب، ولعلهم من الحثيين والميتانيين وسكان الشمال الجبلي الآتين من القفقاس وأخذ هؤلاء لغتهم المشتركة من سومر كما أخذوا عنهم فنونهم.

وتشير كل الدلائل بأن كلمة (كاس) قد اندمجت في وجود وبنية القفقاس والتصقت في كيانها منذ القدم وفي جميع أدوار التاريخ، مما يجعلنا نعتقد أن سكانه الأصليين كانوا يحملون هذا الاسم، مما يدل على أن سكان القفقاس الأصليين إلى اليوم وهم الجركس، هم من نسل ذلك الشعب القديم. كما يوجد (حتى يومنا هذا) أسماء عائلات أو أشخاص تحمل أسم (كاسيك، الكاسك، الكاسوغ، كاس) وكلها تتضمن كلمة (كاس).

نستنتج مما تقدم من أدلة بأن العلاقة بين الكاسيين والشراكسة في القفقاس علاقة وثيقة، وأنهم من سكانه الأصليين بدون أدنى شك، وأن ما ذهب إليه المؤرخون بأن تسمية (القفقاس، أو الكافكاس) جاءت من اسم شعب (كاس)، وكذلك يمكن الربط بين اسم (كاسيون) الذي أطلقه علماء الأجناس على (الإنسان) الذي عاش في أوروبا قبل الآريين وبين اسم (العرق القفقاسي) الذي أطلق على الجنس الأبيض كله. [٥]

الشعب الثالث: السومريون:

يؤكد المؤرخون بأن السومريين أصلاً من بلاد القفقاس وأنهم كانوا يسكنوها في الفترة ما قبل (٣٥٠٠) ق.م وأنهم نزحوا فيما بعد إلى جنوب العراق واستوطنوا في وادي الرافدين وأنهم أيضاً شعب من (غير الساميين) ولا علاقة تربطهم بالقبائل الرحل السامية التي كانت تعيش في بادية العرب، كما يؤكد المؤرخون بأنهم جبليون ينتمون إلى عرق (الجنس الأبيض)، كما يرجح المؤرخون بأنهم عاشوا في

بلاد القفقاس في الألفية الثالثة قبل الميلاد. ودليلهم على هذا الترجيح هي الأدلة والشواهد التالية:

١- وجود آثار في منطقة (مايكوب) الشركسية تدل على أن السومريين عاشوا في تلك المنطقة في الألفية الثالثة قبل الميلاد.

٢- وجود تشابه كبير بين اللغتين الشركسية (الأديغية) واللغة السومرية، وأن الحفريات في بلاد (الإبخاز) تدل على وجود آثار لكتابة أبجدية تشبه أبجدية اللغة السومرية.

٣- تدل الآثار المكتشفة بأن السومريين يمثلون العرق الأبيض وأنهم بنوا حضارة ذات ثقافة عظيمة ولديهم صناعات عديدة، وأنهم ابتكروا (نصول مناشير) من الحجر وغيرها من الآلات القاطعة مصنوعة من الحجر (الصوان) ومن شظايا (الزجاج) المستوردة من القفقاس[١٠]، كما أنهم استوردوا النحاس من القفقاس والفضة من طوروس التي كانت تسمى (جبال الفضة) كما وجدت آثار تدل على قيام السومريين ما قبل عام (٣٥٠٠) بصناعات دقيقة باستخدام الذهب والأحجار الكريمة، ومنها خنجر مستقيم يشبه (القاما) الشركسية قبضتها مزخرفة بالذهب والأحجار الكريمة بشكل متقن جداً، وهي نفس شكل (القاما) التي اكتشفت ضمن آثار مقبرة (مايكوب) في منطقة الأديغية الشركسية في الشمال القفقاسي. [١١]

٤- أطلق قديماً اسم (السيمري) على الشعوب القفقاسية ولا شك بأنه مستوحى من الاسم (سومري).

٥- أسس السومريون حضارة في بلاد القفقاس، وأن اللوحة الذهبية الرمزية التي وجدت في مقابر (مايكوب) وهي اللوحة التي تحمل رسماً لنهرين ينبعان من سلسلة جبال واحدة، ويصبان في موقعين متقاربين على البحر.

كما احتوت على رسومات لبعض الحيوانات مثل (الأسود، والأبقار، والخيل) وتم تفسير محتويات هذه اللوحة على النحو التالي:

١- النهران يمثلان نهري دجلة والفرات في العراق وكانا يصبان في البحر في مصبين مختلفين قبل عام (٣٥٠٠) ق.م.

٢- السلسلة الجبلية وترمز إلى سلسلة جبال القفقاس، إذ من المعلوم أن منابع نهري دجلة والفرات تصل إلى منطقة (آبسو)، وهي مناطق الابخاز القفقاسية.

٣- يدل هذا الرسم دلالة قاطعة على العلاقة المتميزة التي نشأت بين الحضارة السومرية والحضارة القفقاسية عامة والشركسية خاصة في الألفية الرابعة قبل الميلاد.*

شعوب وأمم المجموعة الثانية

الشعب الأول الحثيون (Hittits)

وهم من الشعوب القديمة التي استوطنت في بلاد قفقاسيا الشمالية وسماهم اليونانيون (خاتيوس) والآشوريون (حاتي) والأتراك (هيتيت) والعرب (حثيون أو حتيون).

وهم قوم كانوا متواجدين في الأصل في منطقة حوض نهر (ستاريا) في شمال الأناضول، ثم نزحوا إلى بلاد القفقاس واختلطوا مع شعوبها وقومياتها المختلفة.

* لم تتوفر لدينا معلومات موثقة حول تاريخ الميتانيين، والميديا، وما يتوفر لدينا هي الخارطة القديمة (رقم-١) التي تبين بأن هذين الشعبين كانا من الشعوب التي عاشت في بلاد القفقاس في الفترة ما قبل ٦٠٠٠-٤٠٠٠ سنة ق. م.

توصل المؤرخ الفرنسي (مورجان) بعد تدقيق القبور والآثار الحثية إلى الحكم بوجود تشابه كبير بين (سيماء الوجوه) لديهم وبين وجوه القفقاسيين الحاليين، ويؤكد ذلك بقوله: "من الواضح للعيان المشابهة الموجودة بين مظاهر الحثيين ومظاهر الجراكسة حالياً، فمثلاً يغطي الحثيون رؤوسهم بقبعات من (جلد الخراف) ويلبسون سروالاً طويلاً يصل إلى أسفل الركبة ومشدودة بحزام وقد علق بها من الأمام ما يشبه الخنجر (القاما) كما ويتسترون أيضاً برداء طويل (شاكوه) ويعلق على الكتف بعقدة واحدة من جانب واحد وهو مفتوح على طوله، أما أحذيتهم وجزماتهم فلها بوز معكوف إلى الأعلى". (٦)

والحثيون يحملون الرمح ويركبون الخيل، ويتركون في قمة الرأس خصلة (قبضة) من الشعر الطويل ويحلقون ما عداها، مثلهم مثل القوقازيين الشراكسة.

وهذه الأوصاف ما هي إلا أوصاف اللباس القومي الشركسي الذي يحتفظون بها إلى يومنا الحاضر. إضافة إلى التشابه في الأمور التالية:

١- تشابه كبير بين اللغة الشركسية واللغة الحثية.

٢- تطابق كبير بين أسماء الآلهة التي كان يعبدها الحثيون وبين آلهة الشراكسة في العهد الآنتي، وأن التطابق في اللفظ والمعنى، مثل إله (تحه شؤب) وهو اسم إله (حثي) ومعناه بالشركسية (إله الردئ).

٣- اسم (تسو – ف) أو (تسوخ) ومعناه بالشركسية (انسان) وهو يشبه اسم أحد القبائل الشابسوغ الشركسية والتي كانت تسمى (قانسوغ).

٤- (ليك) اسم لقبيلة حثية وهو الاسم القومي للشعب الداغستاني حالياً.

٥- وجود تشابه بين أسماء ملوك الحثيين وبين معناها باللغة الشركسية، وكذلك تشابهها مع أسماء عشائر شركسية مثل (شاسي) وهو اسم لبعض العشائر الشركسية الموجودة حتى الآن (وحاتي) اسم بلدة شركسية ومعناها موطن الحات.

نستنتج من دراسة العلاقة بين الحثيين والأمة الشركسية بأن كلاً منهما أثّر وتأثر من حضارة بعضهما البعض، خاصة في فترة ازدهار الحضارتين في العصور ما قبل الميلاد، وأنها ساهمت في تطوير الحضارتين في أكثر من مجال، وبالأخص في المجالات التالية:

١- **نظام الحكم عند الحثيين**، فهو نظام حكم الأشراف والإقطاعات وكذلك نظام تقسيم البلاد إلى إقطاعيات صغيرة يرأس كل واحد منها أمير يتبع الملك الكبير مثل الملك (كادش Kadesh أو الملك كيلبو Kilbou) وهو النظام الذي كان يطبقه منذ العصور القديمة.

٢- **النظم العسكرية** حيث تفوق الحثيون في فن التعبئة والتكتيك الحربي وابتكروا طريقة التشكيلات (رباعية الأضلاع) في ميدان القتال. وهي الطريقة المستخدمة لدى الجيوش عند الشراكسة منذ القدم.

٣- **الأسلحة المستخدمة في المعارك** وخاصة المزاريق والسيوف والعربات [٧].

الملابس والأزياء حيث تؤكد المكتشفات الأثرية بأن الحثيين قلدوا الشراكسة في ملابسهم وأزيائهم القومية من لباس الرأس (القلبك) إلى (الباشلق). والأحذية، بالإضافة للحزام الجلدي المعلّق عليه (القاما – الخنجر) والشارات والعلامات المميزة لكل عائلة، وتسمى عند الشراكسة (دامغة) وكانوا يختمون بها الأسلحة، وسروج الخيل، والخيل أيضاً، وهذه العلامات كانت مقتبسة من اللغة الهيروغليفية الحاتية [٨].

ويقول العلامة (لينورمات Lenormant) بأن العصر الذهبي للحثيين في القفقاس كان في القرن الخامس عشر ق. م وأن أعظم ملوكهم كان (أإيتس A`etes) والذي جاء ذكره في أسطورة (أرجونان Argonautes) واستمر حكمهم في قفقاسيا إلى آخر القرن التاسع قبل الميلاد. [٩]

ورد في تارخ (مور) الجزء الثاني بأنه وجد نقش على قطعة من نتيجة تقويم بدار كتب [نينوا] عاصمة آشور جاء فيها [في العشرين من خسوف القمر استولى وارهاتي ملك الحثيين على المملكة وعلى تخت الملك] وسنة عشرين هذه تصادف عام [٣٧٥٠] حسب تقدير حسبه الفلكيون في زماننا اليوم.

الشعب الثاني هو شعب الكيمريين

يجد الباحث عن تاريخ شعب (الكيمريين) بأن اليونانيين والرومان كانوا يطلقون عليهم (قديماً) أسماء مختلفة مثل (كيمري، غومري، سيمري) وان أقدم مؤلف أشار إلى الكيمريين هو (هوميروس Homere) الذي وصف بلادهم وكأنها منطقة خيالية، مغطاة بغيوم أبدية، فهو يقول: (وأخيراً عندما تغيب الشمس وعندما تنقشع ظلمات الليل، فنحن نلمس نهاية البحر العميق. وهناك تقوم مساكن الكيمريين المغطاة دائماً بغيوم كثيفة وبظلام أسود دامس، والإله يرتفع نحو أعلى قمة من القبة السماوية المليئة بالنجوم، وسواء كان ذلك بسبب أن عربته تنزل من السموات وتجري نحو الأرض، فإن ليلاً سرمدياً يحيد بستائره الجنائزية سكان تلك المنطقة التعساء...) [١٢].

ويقول (دينس بيريجيت Denis Periegete) بأن الكيمريين عاشوا في منطقة قريبة من السرمات والسيند والكيركف)، إلا أنهم كانوا يسكنون في شمال وغرب البسفور، وأسسوا إمبراطورية قوية على ساحل البسفور الكيمري، في البرزخ المسماة (البرزخ الكيمري) الواقع على شاطئ بحر قزوين الذي كان يسمى (بحر بالوس Palous). والكيمريون من الشعوب التي استوطنت في القفقاس في الألف الرابع والثالث قبل الميلاد، وأسسوا حضارة ومدينة مزدهرة، وانشأوا المستعمرات التجارية على شواطئ البحر الأسود.

كما ورد في الأثر القديم في (التوراة) أن العرق الأبيض هو من نسل (يافث ابن نوح) واختلف العلماء الكتابيون (اليافثيون) في كثيراً من تفصيلات كيفية نشوء وانتشار هذا النسل، ولكن الذي لا خلاف فيه هو أن: يافث بن نوح وعقبه ابنه (غومر) بأن الكيمريين من نسل (غومر) وأنهم أخذوا عنه الاسم (غومر) وهو أحد الأسماء الذي عرف به الكيمريون.

ويختلف المؤرخون حول المركز الرئيسي لهذا الشعب في القفقاس فهل هو في شرق مضيق [كرتش] أم في غربيه في القرم، وبعضهم يدعي أنه كان في موقع [كرتش] على الضفة الشرقية لهذا المضيق، وذهب بعض المؤرخين للقول بأن العاصمة الكيمرية كانت في الموقع الذي يسمى حالياً [تيموروق] على الساحل الجنوبي لشبه جزيرة [كيمر كوي] وأن هذا الشعب كان يشغل كل من الجهتين (القفقاس) وشبه جزيرة القرم. وكذلك فإنه توجد إلى الآن قبيلة جركسية من (الآديكة) في كل من قفقاسيا وتركيا تسمى [كيمر كوي] ويلفظها الآبزاخ منهم [جمكوي] كما يوجد موقع [كيمر كوي]، في الساحل الجنوبي لبحر آزاق، وكذلك يوجد في الداغستان قرية [كيمري] وهي مسقط رأس الشيخ شامل الداغستاني المشهور.

ومن الأدلة التي تؤكد دور الكيمريين في بناء حضارة قفقاسيا الشمالية، وانتماءهم العرقي للشعوب القفقاسية القديمة هو قيامهم بتشكيل اتحادٍ فيدراليٍ شمال البحر الأسود وعاصمتهم كانت تسمى (كرتش) وتقع في المكان الذي يسمى حالياً (تيمروق) ومن القبائل الشركسية التي انضمت لهذا الاتحاد هي قبائل الداندار، والسيند، والميؤت.. إلخ).

وفي حوالي عام (٧٢٠ق.م) قامت جيوش (السكتيين) بتدمير مقاطعة الكيمريين وشردوا شعبهم وطردوهم من السواحل الشمالية للبحر الأسود ونزحوا إلى آسيا الصغرى واستقروا في شبه الجزيرة التي كان يوجد فيها مدينة يونانية تدعى (سينوب Sinope) [١٤] كما أن قسماً كبيراً منهم نزحوا إلى غرب أوروبا واستوطنوا في كل من فرنسا وانجلترا واسبانيا. [١٥] إلا أنهم انقرضوا (في القرن السادس ق. م) بعد اجتياح مناطقهم التي نزحوا إليها من قبل جيوش مملكة (الميديا) ولم يعد لهم أثر كدولة وإن كانت لهم وجود كقبائل متفرقة في تركيا وبعض البلدان الأوروبية مثل فرنسا.

الشعب الثالث وهم الإغريق (اليونانيون):

يؤكد المؤرخون اليونانيون بأن الإغريق كان لهم أكثر من دولة أو إمارة منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد، والذي يهمنا في دراستنا الحالية هي الدولة التي كان لها علاقات مع القفقاسيين وهي دولة (آخين) كما هو وارد في كتاب (قصة الحضارة)، وفي الألفية الثانية وابتداء من (١٤٠٠ ق.م) بنى اليونانيون حضارة مزدهرة وبدأوا بالانتشار في البحار المجاورة، فأنشأوا مستعمرات تجارية على شواطئ إيطاليا وفرنسا واسبانيا وسواحل البحر الأسود الجنوبية وفي قفقاسيا الشمالية، وبدأت العلاقة الحقيقية بين شعوب القفقاس واليونانيين في ظل الحضارة (الآخية) منذ عام (١٤٠٠ق. م).

ويؤكد علماء التاريخ بأن العلاقة بين الحضارة اليونانية في عهد الآخيين، والحضارة القوقازية كانت علاقة متينة، وأنه كان لليونانيين تأثير كبير على الأمة الشركسية من خلال استيطانهم في بلادهم ردحاً من الزمن.

وخير دليل على هذه العلاقة الشواهد والأدلة التالية:

١- أطلق اليونانيون أكثر من اسم على الشراكسة مثل (كركت، كركس، سرست).

٢- وجود قبيلة تحمل اسم (آخي) بين القبائل الشركسية القديمة التي كانت تسكن ساحل البحر الأسود.

٣- قدسية الاسم (آخين) لدى قدماء الشراكسة، كما أطلق على أحد آلهتهم اسم (آخين) وظلوا يقسمون باسم (آخين) إلى ما بعد الهجرة خارج الوطن الأم.

٤- أسطورة بروموتة اليونانية، ما هي إلا تعبير عن ذكريات اليونانيين في بلاد القفقاس والحنين إليها، وأن سجن (بروموتة) أقيم على قمة من قمم جبال القفقاس. لأكبر دليل على هذه العلاقة.

٥- أسطورة (كاوس) اليونانية، والتي تحكي قصة الملاك الذي أخذ قبضة من جواهر الجنة ونثرها في أرض القفقاس.

٦- وجد بأن اسم (أتيكة) يطلق على منطقة (أثينا) اليونانية، والمرجح بأنها مشتقة من كلمة (أديكة) وهو الاسم القومي للشراكسة حتى اليوم.

٧- التشابه الكبير بين الأساطير الشركسية مثل أسطورة (سوسروقة) وأحداثها مع أسطورة البطل (آخيل) اليونانية، وكذلك قصة العملاق المارد (ينينج – Yninij) عند الشراكسة والتي تتحدث عن المارد ذي العين الواحدة، وهي نفس القصة الواردة في أساطير (الأوديسا) اليونانية.

بالإضافة إلى ما تقدم، فإن الباحثين والدارسين للعادات اليونانية أثبتوا في دراسة لهم قدمت في المؤتمر العالمي للفلكلورات الشعبية التي أقيمت في باريس عام (١٩٣٧) جاء فيها بأن التقاليد المتبقية في (جزيرة كورساريكا) تشابه كثيراً التقاليد الشركسية [١٧].

والمؤرخ اليوناني (هيرودت) يؤكد بأن بعض تقاليد الاسبارطيين اليونانيين تشبه تقاليد الشراكسة، خاصة ما يتعلق منها باحترام الصغار للكبار.

لا شك بأن العلاقات اليونانية الشركسية توطدت كثيراً بعد قيام اليونانيين بإنشاء مستعمرات تجارية في مواقع مختلفة على سواحل البحر الأسود من جميع جهاتها منذ القرن الثامن قبل الميلاد وهي المستعمرات التي سميت بدولة (البسفور اليونانية) والتي تكونت من عشرات المدن والموانئ على ساحل البحر الأسود.

وكان من أهم مراكزها ميناء (فاناغوريا) وموقعها بجوار بلدة (آنابا) الحالية وكذلك ميناء (أولمبيا) على مصب نهر (يوغ)، وغيرها من المراكز التجارية والموانئ العديدة وازدهرت التجارة في عهد هذه الدولة، ووصلت البواخر الراسية في ميناء (آنابا) وحدها حوالي (٣٠٠) باخرة في السنة، وأن مجموع البواخر التي رست في موانئ مستعمرات دولة البسفور اليونانية وصل إلى (٩٠٠) باخرة في السنة الواحدة [١٨].

واستمر حكمهم حتى مطلع القرن الرابع الميلادي، حيث قامت قبائل (الهون) البربرية بالقضاء على مستعمراتهم واحتلال المناطق التي كانوا متواجدين فيها على ساحل البحر الأسود وفي داخل قفقاسيا الشمالية.

الشعب الرابع: قدماء المصريين (الفراعنة):

ذكر المؤرخ الاغريقي هيردوت في كتابه الذي ألفه بعد تجواله في بلاد القفقاس في القرن الخامس قبل الميلاد، ذكر بأن أقواماً ذوي بشرة (سوداء) وجدوا في بلاد القفقاس عامة القبائل الشركسية خاصة، وبالبحث والتدقيق توصل إلى قناعة بأن أصل هؤلاء الناس هم من بقايا (الحامية العسكرية المصرية) التي تركها (رمسيس الثاني) فرعون مصر بعد رحيله عن بلاد القفقاس في القرن التاسع قبل الميلاد، حيث كان قد وصل في حروبه إلى مناطق القفقاس الجنوبية، ومن ثم واصل تقدمه إلى المناطق التي كانت تسكن فيها القبائل الشركسية، وتقول الرواية بأن قدماء المصريين عاشوا بين تلك القبائل وأن العلاقات توطدت بينهم إلى درجة أنهم كانوا يحترمون الفرعون (رمسيس الثاني) إلى درجة التقديس وأطلقوا عليه

اسم (ساء – وس – ريس) وهو اسم (إله) كانت تعبده القبائل الشركسية في تلك الفترة.

كما وجد بين المكتشفات الأثرية في حوض نهر (ربون) نقود لقدماء المصريين وفوانيس مصرية الصنع، وكذلك فإن المؤرخ (ديكسبونير) يؤكد في كتابه حول العلاقة المصرية القوقازية [١٩] على وجود تواصل حضاري بين الشراكسة وقدماء المصريين وأشار بأن (رمسيس الثاني) بنى خزاناً لحفظ غنائمه الحربية فيه وأطلق عليه اسم (خزان كوبان) تيمناً بحوض نهر (الكوبان) في بلاد الشركس.

وكذلك فإن المورخ الشركسي (بتشاخالوقة) يؤكد على متانة وقوة العلاقة التي كانت موجودة بين قدماء المصريين (الفراعنة) وبين الشراكسة في الألفية الأولى ما قبل الميلاد، وأنه استدل على هذه العلاقة من المقارنة بين أسماء العشرات من أسماء الآلهة المصرية القديمة وبين أسماء قبائل ومواقع شركسية في القفقاس، وهي على النحو التالي [٢٠]

١) كودش = قودشو اسم (إله) ورد إلى مصر من الحثيين، ولهذا الإله تمثالان في متحفي [توره ن] و [لوور] الأول يمثل رجلاً قائماً يدوس أسداً والثاني يمثل رجلاً بيده أوراق البابيروس وفي اليد الأخرى أفعى، وهذان التمثالان أوحيا إلى المؤرخين بأن [قودشو] هو (إله) الحرب عند الحات. وتفيد كلمة (قود) باللغة الشركسية بمعنى (العهد) أو القرار أو الحكم مثل كلمة Code الفرنسية وتتضمن معنى الاتفاق بعد التشاور، وحرف [ش] باللغة الشركسية تلحق بآخر الكلمة للدلالة على المكان مثلاً (حائه ش) غرفة الضيوف، (ورزه ش) عنبر التبن، وعليه (قوده ش) تدل على أنه المكان الذي وقع فيه الميثاق والمعاهدة.

وكذلك فإن هذا الاسم يذكرنا بشجرة [قودشو] المقدسة عند قدماء الشراكسة، وهي شجرة [قودشو] التي كان الجركس يقسمون اليمين في أسفلها ويتعاهدون أن لا يخونوا بعضهم تحت أي ظرف بعد أداء القسم تحتها.

٢) اكتشف في مصر على معبد قديم وعثر فيه على هيكل (شوتخو) وهيكل [قاده ش] وفهم أن (شوتخو) من آلهة آسيا الصغرى وخاصة عند الحاتين، كما أنه معبود قبيلة [آوار] التي تعيش في مصر.

وفي المعاهدة المعقودة في (قادة ش) بجوار (حمص) بين رمسيس الثاني وملك الحثيين يفهم بأن (توسل) الملك الحثي للإله [شوتخو]، ومعناها بالجركسية [لتسعدوا] أي يتمنى لهم السعادة والخير والبركة، وأن (التوسل) لهذا الإله ونقشه على جدران الأبنية يدل على الدعاء بالخير وتمني السعادة، ولعله اسم (لإله) الخير والسعادة عند الشراكسة.

٣) يقسم المصريون القدماء (الروح) إلى قسمين الأول يسمى [خو] والثاني [يزة] وباللغة الشركسية (خو) معناها الذكر (وبزة) معناها الأنثى.

٤) وجد في متحف القاهرة لوحة حجرية بطول (١٤) سم ولدى التدقيق تبين أن سطحه مقسوم إلى قسمين متناظرين مرسوم عليهما تمثالان باسم (ساشميت وهوروس) وأمام كل واحد منهما كاهنان، ومكتوب في أسفلها (بالهيروغليفية) كلمة (ياطوريطؤ) ومعنى هذه الكلمة في اللغة الجركسية بكل وضوح [اثنان اثنان] أو [زوجاً زوجاً] فإن كلمة (طؤ) معناها اثنان ومن وصف هذه اللوحة الحجرية يتبين لنا إن كلمة (ياطؤرطؤ) لا تدل إلا على هذا المعنى بالذات.[٢٢]

٥) وجد من بين أسماء حكام قدماء المصريين اسم (ناخو) وهو اسم دارج في المجتمعات الشركسية القديمة والحديثة ومعناها (العين الواسعة).

٦) (شاشان – قة) وهو مؤسس أحد الأسر الفرعونية عام (٩٤٧) ق. م (والشاشان) هو اسم لقومية من القوميات القفقاسية المعروفة باسم (الشيشان) وعاصمتها حالياً جروزني و (قُه) معناه ابن.

والمؤرخ الشركسي (جونا توقه) ذكر في كتابه (تاريخ الشراكسة) بأن رجلاً اسمه (اينال) خرج من (بابل) وذهب إلى (مصر) ومنه للقفقاس واستوطن في بلاد الشراكسة، ومع مرور الوقت وصل العديد من ذريته إلى مرتبة أمراء ونبلاء في بلاد الشركس منهم (أمير أمراء الشراكسة اينال) الكبير الذي وحد بلاد الشراكسة. والجدير ذكره هو ورود أسماء أجداد ينال في الأغاني الشركسية وأناشيدهم الحماسية بوصفهم (بالفرسان الشجعان) وكذلك بوصفهم (القادة المصريون الشجعان) ويؤكد (نوغموقة) بأن هذا الواقع التاريخي لا يعني بأن أجداد الشراكسة هم قدماء المصريين، لأن تاريخ وجود الشراكسة في منطقة القفقاس يعود إلى آلاف السنين قبل قدوم (اينال) إلى بلاد الشراكسة. (٢٣)

وأخيراً، لقد ورد في كتاب تاريخ العالم، والمجلد الأول بأن الفراعنة أطلقوا على بلاد القفقاس اسم (البلاد الجبلية) وكانت لهم معها اتصالات وعلاقات متينة، كما وصفوا تلك البلاد الجبلية بشدة خصوبتها، وعذوبة بحيراتها العديدة، وجمال قمم جبالها الشاهقة، وهذا الوصف لا شك بأنه ينطبق على بلاد القفقاس، وكذلك فإن القصص والأساطير لدى قدماء المصريين تتحدث عن أسماء ومواقع وأماكن قفقاسية مما يدل بأن العلاقات والاتصالات بينهما كانت متأصلة وقوية. (٢٤)

البيزنطيون:

كان الشراكسة تحت حكم البيزنطيين في زمن الامبراطور (جوستنيان Justinian) وادخلهم الديانة المسيحية، فانتشرت فيما بينهم وازدهرت على يد الأساقفة والرهبان البيزنطيين واظهر الشراكسة كل احترام وتقدير له، وكانوا يعتبرونه فارسا من فرسانهم العظام ويقدسون اسمه، كما أنهم اشتركوا في حروبه

العديدة وخاصة ضد شعب الغوت. وفي الألعاب الاولمبية التي كانت تجري في اليونان، كان يشترك أشهر فرسانهم ولاعبيهم، وكذلك حملوا السلاح وخدموا في الجيش الامبراطوري البيزنطي.

إن بلاد (الكرج) كانت الأولى في قبول الديانة المسيحية، فانتشرت بعد ذلك على يدهم عبر بلاد الاستين وفي سائر مناطق القوقاز. وأول بطريك قدم من بلاد اليونان إلى بلاد الشراكسة كان يسمى (شخنيك Shahnik). وقد رحب السكان بقدومه واستقبلوه بكل حفاوة واكرام بصفته حامي الايمان.

أما انتشار الكاثوليكية في القوقاز فلم يكن ممكنا إلا بعد احتلال اسطنبول من قبل الصليبيين وتأسس عقب ذلك دولة لاتينية فيها، كما أنها لم تنتشر إلا لدى قبيلة الاوبيخ، وأما أميرهم (فرزات Farzaht)، كان من أهم الشخصيات التي ساعدت على نشر هذه الديانة في القوقاز. وتقديرا لخدماته وحماسه الديني تلقى الأمير المذكور كتاباً من البابا يوحنا الثاني الذي شكره فيه لمساعيه الحميدة وحماسه الديني، وكان ذلك في سنة ١٣٣٣م.

ومن أهم الشخصيات المسيحية بالنسبة للشراكسة خاصة والقوقازيين عامة كان القديس (جورج) ونظراً لما كان يتحلى به من صفات الفروسية، ومظاهر الشجاعة، كان هذا القديس ذا تأثير عظيم على القوقازيين، كما أنه كان يتجسد لهم في شخصه جميع فضائل الفروسية والبطولة. وما زال يعتبر القديس (جورج) رغم الإسلام، كشفيع لجميع القوقازيين، ويدعى باللغة الجركسية (آوشه كيركه Awash Girge) ومعناه (اليسوع الاغريقي) وما زال يذكر اسمه في الأغاني الحماسية والحربية القديمة. وقد كان من عادة ذلك القديس أن يبارك سيوف الأبطال التي كان يصنعها لهم (إله النار) الوثني (لبش Lapsh) الملقب بالعزيز، وهو نظير الاله (هفستوس Haphaistos) عند قدماء الاغريق.

وكان عهد الامبراطورية البيزنطية في بلاد الشراكسة عهد سلام وازدهار، وفرصة للأخذ بأسباب الرقي والتمدن. إلا أن جميع آثارهم المدنية اندثرت بعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية، فبعد زوال تلك الامبراطورية تعاقبت عليهم عصور مظلمة وأصبحوا عرضة للأخطار المستديمة، بحيث لم يجدوا الوقت اللازم لتعاطي الصنائع والفنون، بل اضطروا إلى الحرب من أجل البقاء ضد العديد من الامم والشعوب التي اعتدت على الأمة الشركسية. *

شعوب وأمم المجموعة الثالثة

الشعب الأول الأسكيت (٢٢)

اختلف علماء التاريخ عن الموطن الأصلي لشعب (الآسكيت) فمنهم من يقول إنهم من الشعوب الآرية الإيرانية، ومنهم من يقول بأنهم أجداد قبائل (الروس) سكان روسيا البيضاء، كما أن المؤرخين العرب يعتقدون بأن (الأسكيت) كان لهم أكثر من اسم مثل (السكيت، الأسكوذ، السلت). ويلفظه اليونانيون والشراكسة (بالسيت) وهم قوم من الأقزام إلاّ أنهم جبابرة، متوحشون، يركبون الخيل وهي عارية ونساؤهم (العذارى) يركبن الخيل، ويرمين الحراب وهن على ظهر الخيل ويحاربن الأعداء ولا يسمح لهن بالزواج إلاّ إذا قتلت كل واحدة منهن (ثلاثة) من الأعداء، وكان من عادات قوم الأسكيت (كي) صدر الأنثى الأيمن وهي في سن الرضاعة لإيقاف نمو الثدي حتى تتمكن من استخدام يدها اليمنى في حمل الحربة أو السيف بسهولة.

* للاطلاع على مزيد من المعلومات عن علاقة الأمة الشركسية بالبيزنطيين يمكن الرجوع إلى كتاب شوكت المفتي (اباطرة وابطال) في القفقاس الجزء الأول ص: ٣٧-٤٠.

وفي القرن السابع قبل الميلاد دخل (الأسكيت) إلى منطقة القفقاس من شمالها، وانقضوا على الأمم المتحضرة التي كانت تقطن جنوب القفقاس، واعترفوا بسيادة الأسكوذيين (الأسكيت) عليهم. والدارس لتاريخهم كما جاء في كتاب قصة الحضارة يجد بأنهم قوم احترفوا القتال، ولا يعترفون باكتمال رجولة الرجل إلاّ بعد قتله عدواً له، وكانوا يقطعون رؤوس الأعداء بعد قتلهم وحفظها كتذكار للنصر، كما كانوا يصنعون من جلود الرؤوس البشرية (لفة) وغطاء رأس يلبسها المحاربون للتدليل على بطولتهم. كما كانوا يسلخون أيدي (الأعداء) ويصنعون منها كنانات للسهام. وفي عهد الملكة (تومريس) تغلبوا على الإيرانيين وقطعوا رأس الشاه، إلاّ أنه لا توجد وثائق تاريخية بأنهم حكموا شعوب القفقاس (الشراكسة) بالرغم من مجاورتهم لهذه القبائل فترة من الزمن، وكانوا يدينون بديانة (وحشية) من تعاليمها ذبح النساء و(المخطيات) وخدم الزعيم المتوفى وتركهم على قبره ليقوموا على خدمته في الحياة المقبلة (حسب معتقداتهم).

وفي القرن السابع ق.م اجتاحت جيوش السكيت الاتحاد الكيميري وطردهم من مناطق تواجدهم على ساحل البحر الاسود الشمالية، واستولوا عليها وأسسوا دولة فيها. كما طردوا من بلاد القفقاس في القرن الأول بعد الميلاد جيوش دولة البسفور اليونانية من الغرب ودولة آشور من الشرق، وانتشروا في انحاء شتى من العالم.

الشعب الثاني هو اللان أو الأستين (قوشحة)

استوطنت قبائل (اللان) في فترة تعود إلى عدة قرون ما قبل الميلاد حوض نهر الفولقا شمال القفقاس، ونزح قسم منهم إلى الجنوب واستوطنوا حول ممر (داربال) في أواسط جبال القفقاس وكوّنوا شعب الآستين، ويذكر بعض المؤرخين الرومان بأن قبائل (اللان) هم من أحفاد (الأسكيت) وأن من أقدم عشائر (اللان) هم عشيرة (ديغور) وهي في الأصل من عشائر القوشحة (الآستين). بينما يرى المؤرخ

(دي هوسون) بأنه من الأرجح أن يكون (اللان) هم (الزيك) وبالتالي فمن المحتمل أن يكونوا من قدماء الشراكسة الذين عاشوا في حوض نهر الفولقا في فترة ما قبل الميلاد.

الشعب الثالث شعب الشارمات أو السارمات أو الساورونات[٢٣]

هم قوم ينتسبون إلى العائلة الآرية الآسوية الإيرانية من أصل الميديين الذين شكلوا دولة (ميديا) أولاً، ثم إمبراطورية (إيران الآسيوية) ثانياً، ويسكنون المنطقة الممتدة من جبال أورال وبحر الخزر شرقاً، وحتى نهر (الويستول) وجبال (الكاربات) في أوروبا، في القرن الثالث قبل الميلاد.

وكانوا يقسمون إلى قسمين: سارمات آسيا وسارمات أوروبا

ويسمي (هيرودوت) هذين القسمين إلى (سارامانه يي) و(سورمانه يي) ويعتبرهم بأنهم من أصول شركسية وأن إضافة حرف (ي) آخر الاسم هو للدلالة على النسب أو التبعية.

و(السارمات) قوم كانت لهم حضارة دينية دلت على الآثار السارماتية التي تم اكتشافها في حوض نهر (القوبان) ومصب نهر (الرون) تعود للقرون من الثالث قبل الميلاد وحتى الأول بعد الميلاد.

وتشير الوثائق التاريخية بأن شعب (السارمات) سبق أن نزح في الفترة ما بين القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد إلى الشرق إلاّ أنهم عادوا إلى بلاد القفقاس.

ويذهب بعض المؤرخين الغربيين إلى القول بأن (شعب سارمات) هو نفسه قوم (ألمه ؤت)، كما أن المنقولات من (الأساطير) الشركسية التي نقلها المؤرخ (راين راكس) لأول مرة تحت عنوان (قصة الأمازون) وهي قصة تشبه كثيراً قصة (هيرودوت) التي رواها حول أسطورة (النساء المحاربات) الواردة في الأغاني الشركسية القديمة وقصصهم، ويؤكد كل من (هيرودوت وهيبوقراط) أن الأمازون هم من شعب السارمات.

وفيما يلي ملخص لقصة الأمازون حسب ما أورده (الدكتور شوكت المفتي في كتابه أباطرة وأبطال). [٢٤]

حيث يقول بأن الإغريق حارب (الأمازون) وهم قوم من النساء المحاربات يسميهنّ الاغريق [آندرشتون] بمعنى قاتلات الرجال، ويسميهن الأسكيت [آيور باتا]، فقد انتصروا عليهن وشتتوا شمل الأمازون؛ فأما اللواتي أسروهن، وبقين على قيد الحياة فقد أخذوهن معهم في ثلاث سفن كبيرة، وحينما صاروا في عرض البحر نجحت (الأمازونيات) في قتل الاغريق المتواجدين على السفينة عن آخرهم، ولكن لجهلهن بقيادة السفن اضطررن إلى تركها تسير حسبما تسوقها الرياح حتى قذفت بهن إلى ساحل بحر (الماؤت) وهو بحر (الازوت) ورست في شاطئ [كرمنس] قريباً من بلاد [الأسكيت]. فنزلن إلى البر وتغلغلن إلى الداخل واستولين على أول قطيع من الخيل صادفنها وركبنها، وبدأن يشنن الغارات على العشائر المجاورة ويعملن فيهم القتل والسلب والنهب، فثار غضب (الأسكيت) الذين لم يعرفوا حقيقة أمرهن في بادئ الأمر، وظنوا أنهن جماعة من الشبان الغزاة جاؤوا للإغارة عليهم كما كانوا يجهلون لغتهم والأمة التي ينتسبن إليها لذلك تجهزوا لمحاربتهن، ونشبت معركة بين الطرفين قتل فيها الكثير. ولما عرفوا أنهم يقاتلون النساء، قرروا أن لا يقتلوا منهن أحداً ولو على سبيل الدفاع عن النفس، ثم انتخبوا من خيرة شبانهم عدداً يماثل عددهن وأوصوهم بأن يضربوا خيامهم بالقرب من معسكرهن ولا يمسوهن بسوء، وأن يقتربوا منهن ويلاطفوهن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ وكانوا يبغون من ذلك أن ينالوا أولاداً من نسلهن.

وفعل شبان (الأسكيت) ما أوصاهم به شيوخهم ولما علمن (الأمازونيات) أن هؤلاء الشبان لا يريدون بهن شراً، توقفن عن المهاجمة، ورحن يقتربن من معسكرهن، واستطاع الشبان استئناسهن واستمالتهن. وتم الاتفاق معهن على الزواج بهن، وتوحد معسكر (الأسكيت والأمازون) واندمجوا معاً.

وروى هيرودت [٢٤] بأن شباب الاسكيت لم يتمكنوا من تعلم لغة الامازون، ولكن الامازون تعلمن لغة الاسكيت، ولما أصبحن قادرات على التعبير عما يجول بخاطرهن خاطبنهم بما يأتي:

"لنا آباء وأقارب ونملك الكثير من الأموال. لذلك يجب علينا أن نعيش بعد الآن على طراز آخر، والأحسن أن نبقى على صلة بقومنا الاسكيت، ونحن لا نريد نساء غيركن". فأجابتهم الأمازون بما يلي:

"سوف لا يمكننا العيش في جوار نساء بلادكم، لأن نمط عيشهن يختلف عما ألفناه، نحن نشد الأقواس ونرمي الرماح ونركب الخيل ونشن الغارات، ولم نتعلم مهنة النساء العاديات اللواتي يشتغلن بالأمور المنزلية، وإذا أردتم بقاءنا نساء لكم وجب عليكم أن تذهبوا إلى آبائكم وتأتوا بما يصيبكم من أموال، وإذا فعلتم ذلك بقينا نساءكم وعشنا معكم أبد الدهر".

فاقتنع الشبان بكلامهن، وذهبوا إلى آبائهم وأقاربهم، ورجعوا إلى الأمازون حاملين ما حصلوا عليه من حصص وأموال. وحينئذ قالت الأمازونيات:-

"بعد ما فصلناكم عن آبائكم وأقاربكم، وألحقنا بهم الخسائر بالأموال والأنفس، ليس بوسعنا العيش والإقامة في جوارهم، لأننا نخشى عاقبة الأمر، لذلك يجب علينا الهجرة معاً لنسكن فيما وراء نهر الدون".

فوافق شباب الاسكيت على رأيهن ورحلوا من موطنهم وقطعوا النهر المذكور. ثم ساروا نحو الشرق ثلاثة أيام بلياليها، فوصلوا إلى البلاد التي يقطنونها اليوم.

ولهذا السبب نجد نساء (الصرمات) على عاداتهن القديمة، يركبن الخيل ويخرجن للصيد تارة وحدهن وتارة مع أزواجهن، والكثيرات منهن يرافقن أزواجهن في الحروب وملابسهن لا تختلف عن ملابس أزواجهن بشيء.

وفي رواية أخرى نقلاً عن (سكيمونس) من أهل خيوس ملخصها الفقرة التالية:

"في قديم الزمان كان يسكن في شمال القوقاز قوم (الميئوت) الذين سموا تلك البحيرة باسمهم، وأن (الصرمات) كانوا ينتسبون إليهم. وفي دور من أدوار حياتهم انفصلت فرقة من (الميئوت) ودخلت آسيا الصغرى واستوطنت سواحل قبادوكيا قريباً من نهر ترمودون، فاغتاظ بعض جيرانهم لما قاموا به من أعمال النهب والسلب، وحملوا على هؤلاء المستوطنين حملة شعواء، حتى قتلوا الرجال منهم عن آخرهم. أما النساء منهم فقد دافعن عن أنفسهن بسلاحهن مدة طويلة وظللن مثابرات على الحرب، إلا أن الاغريق تغلبوا عليهن وشتتوا شملهن، حتى اضطر قسم منهن إلى ترك البلاد وقطع البحار، والالتجاء إلى بلاد الإسكيت الواقعة في الغرب من نهر التنائيس بدلاً من الرجوع إلى بلادهن.

ومن هناك رحلن مع أزواجهن الجدد إلى شرق النهر المذكور، حيث أقمن مع ازواجهن وشكلن قوم الميئوت".

ينقل لنا رواية ثالثة بأنه كان "يوجد قوم من الاسكيت يقطنون حول بحيرة الميئوت ويختلفون كل الاختلاف عن بقية الأقوام المجاورة لهم، ويدعون (صرمات)، ونساؤهم يركبن الخيل ويحملن الأقواس ويشتركن بالحروب مع الرجال ما دمن عذارى، ولا يسمح لهن بالزواج ما لم تقتل كل واحدة منهن ثلاثة أشخاص من الأعداء.

أما بعد الزواج فلا يطلب إليهن القيام بالأعمال الحربية إلا عند الضرورة القصوى. وهذه النساء اعتدن من قديم الزمان أن يحرقن اثداء بناتهن الصغيرات بآلة مخصوصة من القصدير، ليصبحن عادمات الثدي الأيمن ويسهل على أيديهن اليمنى استعمال السيف ووسائل الأدوات الحربية".

وأما الرواية الرابعة فهي على لسان "ايفوروس" بأن الميئوت والصرمات أمة واحدة وأن الأمازون بعد معركة الترمودون اختلطن بهؤلاء الصرمات، ولذلك سمي الصرمات بـــ (المحكومين من النساء) وقد عاشوا فيما بعد في سهول بلاد القباردي وسهول القوما ونهر المارميداليس أو الترك، الذي كان يفصلهم عن قوم (اللك Leg) الذين ليسوا إلا (الزيك Lezgi) أو الداغستانيين.

والواقع أنه ليس في رواية هيرودوت كما سردها هو ما يمكن اعتباره خرافياً، أو غير قابل للتصديق، إلا أن إمكان بقاء الامازون مدة طويلة كشعب بلا رجال يبدو مستحيلاً، والتاريخ لا يخلو من أحوال مماثلة، فمثلاً نجد في شعب (الكاريب) الرجال يتكلمون لغة نسائهم، لأنه اتفق أن حارب هؤلاء القوم شعب آخر كان يقطن الجزر وتغلبوا عليهم وقتلوا جميع رجالهم واتخذوا نساءهم زوجات لهم. وكذلك نجد الحالة نفسها لدى بعض الأقوام الآسيوية التي تقطن في الجهات الشمالية منها. هذا وما زالت آثار البطولة النسائية باقية عند بعض الشعوب القوقازية.

وراين اكس هو أول من عثر على الرواية التي رويت في الأمازون عن الشركس، والتي ظلت شعوب القوقاز تتناقلها منذ العصور القديمة من جيل إلى جيل حتى الآن. وقد رويت الرواية المذكورة على لسان شيوخ الشركس، وليس من المستبعد أن يكون قد طرأ عليها بعض التغيير والتحريف على توالي العصور والاحقاب. ولهذه الرواية علاقة وثيقة بهجرتهم الأولى من مواطنهم القديمة إذ قالوا:-

حينما كان آباؤنا الاولون يقطنون ضفاف البحر الأسود كانوا يضطرون دائماً إلى محاربة قوم (ايمتش)، وهؤلاء كانوا من النساء، يقطن جميع الاقطار الجبلية التي يسكنها شعب السوان والجركس ويحتللن الأراضي المنبسطة المجاورة.

أما هولاء النسوة فكن لا يقبلن الخضوع لأمر الرجال ولا مخالطتهم، بل كن يخرجن للحرب ويستصحبن كل امرأة تريد الاشتراك بغزواتهن. وظلت الحروب مستمرة بيننا، تارة كن يتغلبن علينا وتارة نتغلب عليهن، إلا أنه حينما كنا مرة نستعد لخوض معركة حاسمة وإذ بأميرة الايمتش الحكيمة التي كان ينسب إليها العظمة والنبوة، تخرج فجأة من خيمتها وتطلب مقابلة أمير الجركس وقائدهم المدعو (تولمه) الذي كان ايضاً ذا مواهب عقلية عظيمة.

فنصب الجند خيمة بيضاء بين معسكر الفريقين المتعاديين وتقابل فيها الزعيمان وتفاوضا في الأمر، وبعد بضع ساعات خرجت زعيمة النساء المحاربات، وقالت مخاطبة جيشها النسائي بأن الأمر قد قضي وأن حجة (تولمة) كانت أقوى من حجتها، ولذلك وافقت على الزواج به، وانه بهذه الخطة سوف تزول العداوة، ويحل محلها الحب والسلام، ثم أمرا الجيشين بأن يحذوا حذو قائديهما، وهكذا كان!..

وما أن مضت مدة يسيرة حتى زال البغض والعداوة، وحلت محلهما المحبة، وتزوج جنود جيش الجركس بالنساء المحاربات، وانتشر الجميع في البلاد في أنحاء بلاد الشراكسة.

ومن بعد (راين اكس) المذكور عثر (الكونت بوتوكي) على اسطورة النساء المحاربات التاريخية ذاتها لدى المغنين من الجركس، مع فارق بسيط في حوادثها وتفاصيلها.

وأما كلمة (ترمودون) فيحتمل جداً أن تكون من لغة الأمازون، إذ هؤلاء كن يتكلمن لغة (الصرمات) الذين ينتسب الآستين إليهم في زماننا، لأن من المعروف أن المقطع الأخير من هذه الكلمة أي كلمة (دون) يفيد في لغة (الصرمات) والآستين بمعنى (الماء أو النهر) (دون) موجودة وتلحق أواخر اسماء الانهر القفقاسية مثل: أره دون، أورس دون، دوغور دون[٢٤].

تلك هي شعوب وأمم المجموعة الثالثة التي استوطنت أي جاورت أجداد الشراكسة.

وأما بالنسبة لباقي شعوب وأمم هذه المجموعة مثل: القوط، والهون، والاوار، والخزر، والعرب والمنغوليين والتتار. فسندرس علاقاتهم مع الأمة الشركسية عند التعرض لأحداث ووقائع الحروب والغزوات التي فرضت على الأمة الشركسية في القرون الوسطى.

شعوب وأمم المجموعة الرابعة

تتضمن هذه المجموعة شعوب ودول نشأت مع نهاية القرون الوسطى وابتداءً من نهاية القرن التاسع الميلادي وهي:

١. شعب الوارق.
٢. شعب البولوفتسي – القبجاق.
٣. شعب السلاف.
٤. قبائل القوزاق.

(١) شعب (الوارق) والدولة الروسية The Varegs

في الوقت الذي بدأ فيه المونغول بالظهور في أرجاء روسيا الواسعة، جاء النورمانديون من بلاد اسكانديناويا في سنة ٨٤٤ ب. م. ودخلوا بلاد روسيا كرد فعل لحركات المغول الذين كانوا يمهدون للاستيلاء على روسيا.

وشعب (الوارق Varegs) الذي غزا أوروبا الشرقية هم الفرع الشرقي لشعب النورمان أو (الوايكنج Vikings) الذين كانوا معروفين بنشاطهم الدائم وحركاتهم التي لا تعرف الهدوء ولا الراحة. كما كانوا يقومون برحلات بحرية بسفنهم الخشبية ويدخلون بها مصب الانهر الكبيرة ويتوغلون في البلاد المجاورة لتلك الانهر، وهكذا استولى النورمانديون على أكثر البلاد الواقعة في شمال وغرب

اوروبا وجنوبها مثل آيسلاندا والدانمارك وهولاندا وانكلترا (في زمن الملك الفريد) وغرب فرنسا (حيث توجد لليوم منطقة نورماندي) ثم اسبانيا حتى شمال افريقيا. ووصلوا من جهة الغرب بسفنهم إلى السواحل الامريكية عن طريق (آيسلاندا) وغرينلاند قبل وصول (كولمبوس) بخمسة عقود.

كما اتجهوا شرقاً وقاموا باكتساح روسيا في منتصف القرن التاسع بقيادة زعيمهم المدعو (رودريك Rudrik) لم تسلم بلاد القوقاز من عدوانهم واستيلائهم عليها*.

وعلى مر الزمن أخذت قوة الوارق تنمو باضطراد، فاستولوا في مدة وجيزة على جميع بلاد روسيا والقوقاز معا. وأما أمراؤهم النورمانديون فقد تكاثروا مع مرور الزمن وازدادوا قوة وعددا فاقتسموا فيما بينهم اراضي روسيا الشاسعة، ونشأت في مدة قصيرة إمارات عديدة، إلا أن أمير (كييف Kiev) الأكبر بقي محتفظا بزعامة هذه الدولة الاقطاعية الكبيرة ومع تزايد أعداد الأمراء ازدادت خلافاتهم فأخذ الأمراء الجشعون بالاتجاه نحو الجنوب بغية الحصول على أراضي جديدة لم تكن بعد في حوزتهم بدعم الحكومة المركزية بهدف الخلاص منهم وابعادهم عن مركز الدولة بأية وسيلة كانت. وهكذا رحل قسم كبير منهم إلى المناطق الجنوبية من روسيا وأسسوا في مدة وجيزة إمارة (روسيا الجديدة) على ضفاف نهر الفولقا. إلا أن الأمراء النورمانديين لم يكتفوا بما كسبوه، بل استمروا في زحفهم نحو الجنوب إلى أن وصلوا إلى البحر الأسود جنوب القوقاز، حيث اقترن أمير (نوفغورود) بملكة الكرج المعروفة (تمارا Thamar) وهذا الزواج كان له أهمية سياسية ساعد على اتحاد الدولتين.

* كلمة (روس) معناها (الجدافين) باللغة السويدية حيث كان شعب الوارق يسيرون السفن بالمجاذيف اليدوية.

وقد جاء في تاريخ المملكة الروسية لمؤلفه كرامزين، ذكر تلك المبارزة التي حصلت بين الأمير الروسي (مستسلاف) والبطل (رورديا Rodedia) أو (ريدادا) بطل الجركس أو (الكسوغ) حيث جاء في الرواية الشعبية بأن ايدار أمير الكسوغ قام بالاتفاق مع صديقه البطل (رورديا) على رأس جيش كبير واتجه إلى بلاد (تمتارقان) بقصد غزوها، وقابلهم الروس بجيوشهم، ولكن البطل (رورديا) اقترح قبل البدء بالمعركة، تجنبا لاراقة الدماء، حسم الخلاف بين الفريقين بمبارزة شخصين، فطلب من الأعداء أن ينتخبوا من عندهم رجلا يبارزه، إذا رأى في نفسه الكفاءة، إلا أن الأمير (مستسلاف). بدلا من أن يفتش على مبارز بين جنوده تقدم بنفسه إلى الميدان وقبل التحدي، وللأسف انتهت المعركة بمقتل (رورديا)، فرجع الشراكسة خائبين إلى بلادهم بعد مقتل بطلهم (رورديا).

إلا أن شعب الكسوغ لم ينسوا هذه الحادثة وبعد بضع سنوات جمعوا جيشاً كبيراً من أهالي الكوبان وبضعة آلاف من قوم (الياس) أو (الاباظا)، وذهبوا إلى تمتارقان بقصد الثأر لبطلهم (رورديا) وتدمير تلك الإمارة الروسية كليا إذا أمكن. وقد دامت الحملة بضعة أيام ولكنها كانت مكللة بالنجاح، فتغلب الشراكسة على الروس ودمروا تلك الإمارة تدميراً تاما.

ومن الواضح أن الرواية الشعبية عن هذه الواقعة تطابق تماما ما جاء في تاريخ المملكة الروسية عن الحادث نفسه. وأما الأمير الروسي الذي كان يحكم تلك الامارة دون شك هو الأمير (مستسلاف)، وعليه فإن التاريخ روى هذه المبارزة بصورة لا تختلف بشيء عن الرواية الشعبية.*

* يقول (فردانسكي Verdansky) بعد البحث والاستقصاء أن إمارة تمتارقان التي كانت مؤسسة على جزيرة (تامان) بالقرب من البحر الأسود، كانت في الأصل قاعدة عسكرية للروس ومركزاً تجارياً للشرق والقوقاس، انظر كتاب:
Verdansky, Ancient Russia, page 261; The Origin of Russia, page 189.

وأما القوقاز التي كان مصيرها لا يختلف عن مصير روسيا في شيء، فقد استولى عليها النورمان أو (الوارق) وأسسوا الطبقة الحاكمة للجركس فأصبحوا أسيادا إقطاعيين للبلاد التي احتلوها، ولذلك صارت تدعى الطبقة الحاكمة حتى الأزمنة الاخيرة (ورق Warg) (مع تحريف بسيط في اللفظ)، مع العلم أن هذه الكلمة ليست شركسية، بل دخيلة، وما هي إلا نفس كلمة (وارق Vareg) التي هي اسم تلك القبيلة الغازية من بلاد (اسكندیناویا) وأتت بهذا الاسم إلى القوقاز، كما أتت لروسيا باسم (روس Rus) نسبة إلى زعيمهم (روريك Rurik). وهكذا أصبح الاسم القبلي للغزاة الشماليين (وارق) عنوانا للطبقة الحاكمة ودخل القوقاز، كما دخل اسم (روس) بلاد روسيا كلها وأصبح اسماً لجميع الشعب الروسي واسماً لبلادهم روسيا *.

وأما كلمة (وارق) فقد أخذت مع مرور الزمن معنى (أصيل ونبيل) وأصبحت في الأجيال التالية لقباً وراثيا خاصا بالعائلات المتنفذة، مع العلم أن طبقة (الوارق) كما يتضح، لا تمتاز في الأصل بشيء عن بقية الطبقات الاجتماعية الأخرى، إلا بحق الفتح أو القوة التي مكنتها من بسط سيطرتها ونفوذها على البلاد التي فتحوها.

وعلى ما يظهر أن هذه الطبقة الحاكمة (وارق) ظلت تحكم البلاد من منتصف القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر بعد الميلاد أي إلى حين قيام القائد المنغولي (جنكيز خان) باحتلال روسيا فقلب الأوضاع رأساً على عقب **.

* إن كلمة (وارق) موجودة أيضا في لغة الكرج، ولكنهم يلفظونها بلا تحريف ويقولون (وارق Wareg) وتفيد المعنى نفسه.

** لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب شوكت المفتي (اباطرة وأبطال) الجزء الأول ص: ٤٩-٦٢.

وفي عام ٩٠٥ خلف الملك والده روريك ونقل العاصمة إلى كييف، وفي عام ٩٠٧م غزا الأمير (أولغ) بأسطول بحري من البحر الأسود بلدة القسطنطينية، وفي العام ٩١٣م جرت الغزوة الروسية لبلاد القفقاس وهي أول مرة يصل فيها الروس إلى بلاد القفقاس وتعرفوا عليها وما فيها من خيرات.

وفي مراحل لاحقة تشكلت في روسيا إمارتان قويتان؛ الأولى إمارة [سوزدال] في حوض نهور الفولقا، والثانية إمارة (كييف) في حوض نهر الدنيبر.

وفي القرن الحادي عشر كانت قبائل نصف همجية تسيطر على بلاد روسيا الجنوبية، وأهم هذه القبائل هي: [الكومان – البلغار – الخزر – البلوفتسي – البيتشينغ]. أما ما بقي من روسيا الأوروبية فكان مقسماً إلى أربع وستين إمارة أهمها إمارات [كييف – فلهينا – نوفجورود – سوزداليا – سمولنسك – ريازان – جرنيكوف – بريا سلافل] وكانت معظم هذه الإمارات تعترف بسيادة كييف عليها، وأميرها يعتبر أمير الأمراء.*

وفي عام ١٠٥٤م أقام الأمير يارسلاف أمير كييف الأكبر بتوزيع هذه الولايات بترتيب أهميتها بين أبنائه حسب أعمارهم، فأعطى أكبرهما إمارة كييف، ثم وضع نظاماً وراثياً إذا مات أمير ينتقل الباقون من الأمراء كل منهم إلى الولاية التي تلي ولايته في الأهمية.

وانقسمت طائفة من هذه الإمارات في القرن الثالث عشر إلى عدد من الإقطاعيات وزعها الأمراء على ابنائهم، ثم أصبحت هذه الاقطاعيات وراثية على مر الزمن، فكانت أساساً للنظام الإقطاعي المعدل الذي تعاون فيما بعد مع المغول على إبقاء روسيا على حالتها التي كانت عليها في العصور الوسطى، بينما كانت

* لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتاب قفقاسيا في التاريخ لمؤلفه اسماعيل برقوق ص: ٢٠٩.

جاراتها أقطار أوروبا الأخرى قد خرجت من جهالة هذه العصور المظلمة وأخذت بأسباب التقدم بينما روسيا لم تكن لها في هذه الفترة سوى صناعات يدوية .

وكانت سلطة كل أمير وراثية، ولكنها كانت تحددها جمعية شعبية تسمى [فيشي] ومجلس من أعيان البلاد يسمى بويار سكايا (دوما) وتركت معظم الشؤون الإدارية والقانونية في أيدي رجال الدين؛ وكانت معرفة القراءة والكتابة تقتصر على هؤلاء الكهنة وعلى عدد قليل من الأعيان وكبار التجار والمرابين، وقد استعان هؤلاء بالنصوص والنماذج البيزنطية فأنشأوا آدابها وقوانينها وفنونها، وبفضل جهودهم هذه وحّدت الحقوق أو القوانين الروسية [روسكايا برافدا] التي وضعت أول مرة في أيام الأمير يارسلاف، وصيغت صياغة قانونية حوالي عام (١١٦٠)م وجعلت للكنيسة الروسية الولاية التامة على شؤون الدين ورجاله وأمور الزواج والوصايا والأخلاق وكان لها سلطان مطلق على الأرقاء وغيرهم من الموظفين الذين يعملون في أملاكها الواسعة، وارتفعت بفضل جهودها منزلة العبيد في روسيا من الوجهة القانونية إلى حد ما، ولكن تجارة الرقيق ظلت قائمة حتى بلغت ذروتها في القرن الثاني عشر، وشهد هذا القرن نفسه سقوط مملكة كييف، وعمت الفوضى بين القبائل والأمراء، ونشبت ما بين الأعوام [١٠٥٤-١٢٢٤] ميلادية ثلاثة وثمانون حرباً أهلية في روسيا وشنت دول روسيا ستة عشر حرباً على شعوب غير روسية وتنازع ٢٩٣ أميراً على عرش أربع وستين إمارة. *

وفي عام ١١١٣م حدثت ثورة أهلية في (كييف) بسبب الفقر واستغلال المرابين وهاجمت الجماهير الغاضبة بيوت رجال الأعمال واحتلت دواوين الحكومة واستدعت (البلدية) أمير ولاية [بريا سلافل] وسلمته إمارة (كييف) فهدأت الثورة وأصلح الأمور ومنذ عام ١٠٩٦م كان جيرانها يغيرون على أطرافها وينهبون

*انظر كتاب قصة الحضارة، مصدر سابق، ص١٥٦.

الأديرة ويسترقون الفلاحين، وكانت القبائل الأجنبية تسيطر على المجاري الدنيا لأنهار الدنيستر والدنيير والدون.

وفي عام ١١٦٩م هاجم جيش [أندره بجيولويسكي] اللتواني بلدة (كييف) ونهبها وخربها كاملاً واسترق أهلها لمدة ثلاثة قرون.

وفي عام ١١٤٧م تأسست بلدة (موسكو) وتوسع عمرانها، وفي عام ١١٥٦م كان (ايفان كاليتا) أمير إمارة سوزدال يستخدمها كمركز أمامي على الحدود وعلى الطريق الذي يصل مدائن فلاديمير وسوزدال ببلدة كييف، ولقد حارب ملك سوزداليا ملك لتوانيا بجيولوبسكي خلال أعوام [١١٥٧-١١٧٤]م ولكنه اغتيل وهو يحارب بلدة نوفجوردو الواقعة في الشمال الغربي من روسيا على ضفتي نهر فلخوف قرب مخرج النهر من بحيرة إيلمر.

وفي عام ١١٩٦م سيطر التجار الأقوياء على الجمعية التي كانت تحكم الإمارة عن طريق أميرها المنتخب وأصبحت جمهورية، وكان يحق لهم عزل أميرهم أو سجنه إن انحرف وفي الفترة [١٢٣٤-١٢٦٣]م أراد البابا جريجوري التاسع أن يخرج روسيا من المذهب اليوناني إلى المذهب اللاتيني، ودعا إلى حرب صليبية ضد نوفجورود، وظهر جيش سويدي فهزمه الأمير الكسندر نوفوسكي بالقرب من مدينة لينينغراد الحالية عام [١٢٤٠]م ثم هزم فرسان الألمان عام [١٢٤٢] م ودخل المغول إلى روسيا بقوات كبيرة جاؤوا من تركستان واخترقوا جبال القفقاس وأبادوا جيشاً من الكرج، ونهبوا بلاد القرم، واستنجد القومان، الذين ظلوا عدة قرون يحاربون كييف، بالروس وحالفوهم ودارت معركة على شاطئ نهر كالكا بالقرب من بحر آزاق انتصر فيها المغول وأسروا عدداً من قادة الروس والقومان وأماتوهم اختناقاً *.

* كتاب قصة الحضارة، مصدر سابق ص١٥٧.

ثم ارتد المغول إلى بلادهم وأنشغلوا بفتح الصين، ولكنهم عادوا عام ١٢٣٧م بقيادة [باتو] ابن اخ جنكيز خان، وكان عددهم نصف مليون من الفرسان، جاؤوا من شمال بحر الخزر واعملوا السيف في البلغار الضاريين على ضفتي نهر الفولقا، وخربوا عاصمتهم [بولغار] ثم دك المغول جميع مدن ريازان، واجتاحوا سوزداليا وحرقوا موسكو وفلديمير وسزدال وروستوف عام [١٢٣٨]م ثم زحفوا على نوفجورد فخربوا في طريقهم [كييف] ثم توغلوا قليلاً في أوروبا ثم عادوا أدراجهم لروسيا مرة ثانية وأقاموا على احد شعب دلتا نهر الفولقا وقرب مصبه بلدة [ساراي] واتخذها عاصمة لدولة الجيش الذهبي التي حكمها حوالي [٢٤٠] سنة إلى أن قام ايفان الثالث والملقب بايفان الكبير بضم جميع الإمارات الروسية الشرقية وجعلها تابعة لموسكو.

وفي عام ١٥٥٦ قام (ايفان) الرابع الملقب بايفان الرهيب بالقضاء على خانية امسترخان ولقب بقيصر روسيا.

وكان من ابرز اباطرة الروس منذ تأسيس الدولة الروسية على يد (رودريك) وحتى القرن السادس عشر هم:

* الملك ادلع الذي خلف رودريك في عام ٩٠٥ ونقل العاصمة إلى كبيت.
* الأمير يارسلان أمير كييف الأكبر الذي حكم في عام ١٠٥٤م وقسم الولايات بين ابنائه.
* امير ولاية سلافل بدأ حكمه في عام ١٠٩٦.
* إيفان كاليتا أمير إمارة سوزدال وبدأ حكمه عام ١١٥٦.
* الأمير الكسندر توتوسكي وبدأ حكمه عام ١١٩٦.
* الأمير ايفان الثالث الملقب بالأمير الكبير واستطاع أن يوحد جميع إمارات روسيا وجعلها تابعة لإمارة موسكو.

* القيصر ايفان الرابع واسمه (غروزني) والملقب بايفان الرهيب وابتدأ حكم روسيا من منتصف القرن السادس عشر ١٥٥٢، وعقد أول اتفاق مع أمراء القيربان عام ١٥٥٧ وتزوج الأميرة الشركسية (مارينا) وبنت الأمير تيمورقة في عام ١٥٦٠.

٢- شعب البولوفتسي – القبجاق

ان (البولوفتسي Polovtsi) و (البجنك Petchenegs) و (الكومان Kumans) كانوا في الأصل ينسبون لعرق واحد، ولعبوا في القرون الوسطى دورا هاماً في تاريخ روسيا القديم، إذ أنهم صالوا وجالوا في جنوب روسيا الواسعة قرونا عديدة، وحسب ما رواه المؤرخ (أبو الغازي بهادور خان)، كانوا كلهم من أصل تتري، وبلادهم كانت تمتد بين نهري الدون والغولفا، وكانت تسمى (دشت قبجاق). وهي البلاد الواقعة في الجنوب والجبال العظيمة (القوقاز) التي يسكنها السركيس (الجركس) والالان (الاستين)، وكلا الشعبين من المسيحيين الذين كانوا يشتبكون على الدوام في حروب مع جيرانهم التتر.

أما الكتاب البيزنطيون فقد أكدوا أن (البجنك) كانوا يقطنون على ضفاف نهر الغولقا ونهر (ياييق)، إلا أن الخزر والاوار طردوهم من مواطنهم، واضطروا إلى الفرار نحو الغرب، وتشتتوا بعد أن قطعوا نهر الدون واندمجوا مع الشعب الهنغاري، ثم استقروا على سواحل البحر الأسود الشمالية الغربية، ابتداء من نهر الدون وحتى نهر الدانوب وجارهم في الشرق أقرباؤهم شعب الكومان.

وقد ذكر الأمبراطور البيزنطي قسطنطين أن (البجنك) كانوا يدعون (كانغارKangar) (سنة ٩٨١ب.م) ، ولكنهم لما حملوا السلاح ضد الخزر، غلبوا على أمرهم، واضطروا إلى مغادرة بلادهم والسكنى في بلاد (الهنغاريين)، إلا أنه بعد اجتياح بلادهم (دشت قبجاق) من قبل (نوش خان) وهو أحد أحفاد الفاتح (جنكيز خان)، اضمحلت قوة البجنك والكومان، فطرد قسماً منهم إلى هنغاريا،

وتوجه القسم الآخر نحو بحر قزوين، وما تبقى منهم ظلوا تحت حكم أحفاد جنكيز خان، فاندمج هذان الشعبان أي (البجنك والكومان) فنشأ منهما شعب (النوغاي) الذي سمي بهذا الاسم بالنسبة إلى أميرهم (نوغا).

إلا أن هناك مسألة تاريخية تحتاج إلى البحث والحل، وهي أن الأكثرية المطلقة لأمراء البولوفتس وزعماءهم الذين ورد ذكر أسمائهم في التواريخ الروسية يحملون أسماء شركسية، وهي أسماء أشخاص، أو أسماء أسر يقطنون في القبارطا والبعض الآخر في مقاطعة الكوبان، لذلك يحتمل جداً أن يكون (الكومان والبجنك) قد حُكموا من قبل أمراء الشركس كانوا ومنقادين لهم.

ومن الجدير بالذكر أن تلك الأسماء تخص الأمراء والزعماء فقط، ولم يذكر في تلك التواريخ أن كان باسماً لاحد من العوام أو الأناس العاديين، وفضلاً عن ذلك قيل أن بنات أمراء الكومان والبولوفتس كن يتمتعن بجمال غير عادي، حتى أن العديد من ملوك وأمراء أوروبا، بما فيهم ملك هنغاريا (اصطفان)، تزوجوا بعدد منهن، وهذا مما يتفق مع أوصاف نساء الشركس، اذ لو كانت هذه النسوة من التتر لما رغب الأوروبيون في الزواج منهن.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار، أن الشركس في تلك الازمان كانوا يشكلون من حيث العدد والنفوس أمة لا يستهان بها وكانوا يقطنون القوقاز والقرم معا علماً بأن أحداً من المؤرخين لم يتطرق إلى تاريخهم في هذه المناطق.

إلا أن من المؤكد تاريخياً أن قسماً منهم كان يقيم منذ عام ١٣١٧ في شمال القرم وفي الموقع المسمى (تاغانروغ Taganrog) وكانوا معروفين حينذاك باسم (قاباري) أي قبارطاي، ويستدل على ذلك من الخارطة العائدة لمكتبة (قيتا) التي

تظهر اسمهم في الجهة الشرقية من مواقع بلاد الكومان. وفضلا عن ذلك فقد احتفظت إحدى روايات الشركس بذكرى تحكمهم بشعب النوغاي فيما مضى.*

وأما بالنسبة لروسيا فبعد موت (سوباتوسلاف) الذي هو حفيد (روريك) – رودريك مؤسس الدولة الروسية، أخذ أولاده يتنافسون ويتناحرون على الإرث والسلطة، (ياروبولك Yaroplk) وهو أكبرهم سنا، فقد تخلص من أخيه الأصغر (اولج Oleg) وأجبر أخاه الآخر (فلاديمير)، وهو أمير (نوفغورد) على الفرار والالتجاء إلى بلاد اسكندیناویا حيث استقبله صديقه (اولاف) أمير النرويج وساعده على الرجوع إلى روسيا على رأس جيش من (الوارق)، وبذلك تمكن من استرداد (نوفغورد) وبعد مقتل أخيه الاكبر (ياروبولك) المذكور دخل فلاديمير أيضا مدينة كييف منتصراً عام ٩٨٠م.

وكذلك فإن (سوياتوبولك Svyatopolk) الابن الأكبر لفلاديمير، أمير كييف الكبير، فعل ما فعله عمه ووالده ببعضهم حيث لم يكن يطمئن من اخوته وخاصة (ياروسلاف Yaroslav) الذي كان يغار منه أشد الغيرة فأزاحه عن طريقه واحتل كييف عام ١٠٣٦م، ثم تخلص أيضا من أخيه الأصغر (مستسلاف Mistislav).

ولكن البولوفتس رجعوا بعد خمس وستين سنة من هذه الواقعة بقيادة أميرهم (شوكول Sogol) وخاضوا في اليوم الثاني من أبريل عام ١٠٦١م معركة حاسمة ضد الروس وكسبوها فاندحر الروس اندحاراً تاماً.

لقد حافظ البولوفتس على الهدوء، حتى عام ١١٢٥م، حيث رجعوا إلى عادتهم القديمة، وأخذوا يغيرون على بلاد روسيا. وفي عام ١١٨٤م اقترح (سوياتوسلاف) أمير كييف الإغارة على بلاد البولوفتس، وقاموا بموافقة جميع أمراء الروس بغارة مفاجئة عليهم بالرغم من أن جيش البولوفتس كان كبيرا، وضم

*انظر كتاب كلابروث: Reise in den Kaukasus, J. Klaproth, vol. I.

ما لا يقل عن ٤١٧ أميراً، بما فيهم (كوبجاق)، و (اوزالوق) و (ياراق) وغيرهم من الأمراء الاقوياء من إمارة البولوفتس واستطاع الجيش الروسي بقيادة الأمير الروسي سويانوسلاف الحاق الهزيمة بجيش (البولوفتس) وأخذ الروس ما لا يقل عن (٧٠٠) اسير منهم عدد كبير من الأمراء.

وفي عام (١٣٢٣) استطاع (توشي خان) احد احفاد جنكيز خان من الانتصار على جيوش (البولوفتس) في معركة (كالكا – Kalka) ولم يبق من جيشهم سوى (العشر) على قيد الحياة.

حيث قتل أهالي مدينة (كييف) وحدها في هذه المعارك ما لا يقل عن ستين ألف محارب. وبعد هذا النصر الهائل تمكن (المونغول) من التغلغل في أرجاء روسيا الواسعة، حتى أنهم وصلوا إلى (نوفغورود) الكبرى. وبعد سنة ١٢٢٩ أصبح (قسم من البولوفتس) مطروداً وقسماً تحت حكم الروس، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة واندثروا نهائياً [*].

٣- شعب السلاف The Slave

يعتقد أن الموطن الأصلي لشعب السلاف هي مستنقعات (بريبت Pripet) الواقعة بين روسيا وبولونيا. وأما الرأي القائل بأن السلاف كانوا قد أتوا من حوض نهر الدانوب، قول لم تثبت صحته.

واعتبر السلاف من الأمم الضعيفة، ولم يكن يتجاسرون على الخروج من المستنقعات، حيث عاشوا فيها مختبئين، ولم ينزلوا إلى ميادين الصراع خوفاً من الأمم الفاتحة مثل المونغول والأوار والهون وغيرهم، ولم يظهروا .

[*] للاطلاع على مزيد من المعلومات عن نسب البولوفتس يمكن الرجوع إلى كتاب شوكت المغني – ابطال واباطرة – الجزء الأول ص: ٤٩-٦٤.

وتاريخياً يعتبر السلاف من (الهندو جرمن) ومن فصيلة [له تتو – سلاو] وقد عاش السلاف واللتوانيون معاً حتى حروب ايران؛ وفي الدور البرونزي انقسموا إلى ثلاثة شعوب:

١- السلاف الغربيين ٢- السلاف الجنوبيين ٣- السلاف الشماليين.

وكان الجرمان يسمونهم [واند] ومعناها أناسي الربيع أو المراعي.

وعلى أغلب التقديرات كان السلاف يستوطنون حوض نهر الدنييبر، وإن انقسامهم إلى غربيين وجنوبيين وشماليين إنما جرى في القرن الرابع الميلادي حينما أصبحت بقاع شمال البحر الأسود وبحر الخزر مجال هجرات الشعوب الطورانية، وكانت الموجات المهاجرة تسوق أمامها إلى الغرب الكتلات البشرية التي تصادفها، وكان بعض عناصر هذه الكتل تنساق نحو الشمال إلى الأقاليم الباردة فتحافظ على نفسها من الفناء، أو التجوال بغير هدى في بقاع أوروبا، ولقد تعرض السلاف لهذا الضغط بشدة من قبل الهون أولاً، فالسلاف الشماليون قطنوا المنطقة اعتباراً من جنوب خليج (فنلندة) حتى (كييف) من حوض نهر الدنيبر، وكان نهر الدنيبر بمثابة الهيكل العظمي لهذه المنطقة، وكان هؤلاء يعيشون حياة قبلية شبه بدوية، ويتكونون من اثنتي عشرة قبيلة رئيسية؛ وكان الرجل السلافي همجياً ظالماً ومخرباً، ولكنهم بعد أن اعتنقوا الديانة المسيحية تغيرت احوالهم وطباعهم واشتهروا بعادة اكرام الضيف (إلى حد ما).

ونشأ عند بعضهم نوع من التعاونيات الزراعية يسمونها [مير] ويشتركون بزراعة بقعة من الأرض ويقتسمون الناتج من المحاصيل الزراعية.

أما السلاف الجنوبيون والغربيون فكان موطنهم بلغاريا وبوهيميا الحالية وكانوا على اتصال وتماس باليونان وبيزنطة، ولقد شكلوا من قبل دولاً لأنفسهم في مناطق خارج روسيا.

وأما سلاف الشمال فقد دخلوا في التاريخ كدولة في القرن التاسع فقط، والذين أوصلوهم لهذه الدرجة هم الروس من قبائل [الوارق] القادمين من السويد، وحسب ادعاء الروس فإن الوارق أصلاً من السلاف، وأنهم هم الذين أرسلوا في طلبهم يستنجدونهم، ولكن الأقرب للحقيقة أن الوارق من النورماند الشرقيين، وأنهم تمركزوا أولاً في الأقسام الشمالية من روسيا وطمحوا في بسط نفوذهم في الجنوب والانحدار.

وهكذا ظلت الشعوب السلافية تخضع لحكم من دولة إلى أخرى وهم دون رابطة أو وحدة سياسية، وما أن تخلص السلاف من حكم (الاوار) حتى جاءهم شعب آخر ودولة جديدة وهي دولة (الخزر) التي أسسها زعماء وقادة من اليهود، مع العلم أن الشعب (الخزري) نفسه كان من العنصر التركي والتتري، وفي القرن السادس ب. م. قام الخزر بتشكيل امبراطورية عظيمة تشمل القسم الأوروبي من روسيا، واضطرت الشعوب السلافية الرضوخ والاستسلام لها وظلت الشعوب السلافية تحت سيطرة (الخزر) إلى أن جاء من بلاد اسكانديناويا قوم (الوارق) وخلصوهم من سيطرة (الخزر) ودخلوا تحت حكم (الوارق) الذين احتلوا في مدة وجيزة بلاد روسيا وقفقاسيا ابتداء من منتصف القرن التاسع ب. م. أي في سنة ٨٤٠م وأسسوا الدولة الروسية كما سبق ذكره.

وهكذا أصبح السلافيون جزءاً من النظام والحكم الروسي النورمندي في زمن أميرهم (سوتيوسلاف) كما أصبح أمراؤهم ملوكاً وقياصرة للروس بعد ان انقطعت سلالة (الوارق) النورماندية على إثر قيام (ايفان) الرهيب آخر قياصرة

روسيا من خلاله (الوارق) بقتل ابنه بيده في لحظة غضب حيث تولى الحكم في روسيا من بعدهم ال (رومانوف) *

٤- قبائل القوزاق The Kosaks

إن أصل القوزاق غير معروف تماما، ومنشأهم ما زال يحيط به الغموض، ويشكل ظهوره لأول مرة في عهد الأمير (ايوان واسيليه ويج Ivan Vasilievich) وهم ينقسمون إلى قسمين، القسم الأول: يدعى (اوردينسكي Ordinski)، نسبة إلى (اوردا Orda) (المقر العام لأمراء التتر عند الفولقا)، والثاني قوزاق (آزوف Azov) بالنسبة إلى بحر آزوف إلا أنه كان هناك أيضا قسم ثالث من القوزاق الذين كانوا في خدمة بعض حكام التتر في روسيا.

أما اسم قوزاق (كازاخ) فقد أطلق لأول مرة في التاريخ على (الجركس المئوت) من قبل الأمبراطور قسطنطين في عام ٩٨٤ ب. م. حينما سمى البلاد الواقعة في ما وراء الكوبان (كازاخيا Kasakhia)، إذ قال الأمبراطور: "في الشرق من بحر الميئوت Pallus Maeotis أو (بحر آزوف) تصب أنهار عديدة في هذا البحر، مثل تانانيس (الدون) الذي يجري من (سارقل) وغيره، ومنفذ هذا البحر يسمى (بورليق Burlik) ويوصل إلى البحر الأسود، وهنا يوجد أيضا البوسفور الكيميري الذي يبلغ اتساعه ١٨ ميلا حيث توجد أيضاً بلدة تمتارقا.

وضمن هذه الأميال الثماني عشر توجد جزيرة مسطحة تسمى (آتك Atech)، وتبعد عن نهر (أو كروخ Ukrukh) أو (الكوبان) ثمانية عشر ميلا، والنهر المذكور يفصل تمتارقا عن بلاد الزيك أو (الجركس) التي تمتد نحو ٣٠٠ ميل إلى الشرق حتى نهر (نيكوبسيس)، وتوجد خلف (زيكيا) بلاد (باباغيا

* لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتاب موسوعة تاريخ القفقاس والشركس لمؤلفه آبه – زاو ص: ٢٦٣.

Papagia)، وفي ما وراء باباغيا بلاد (كازاخيا) وهم من الجركس واقرباء الزيك وجيرانهم، ولذلك يدعون من قبل جيرانهم الاستين في لغتهم القومية (كشك Kasseg)، وهذا محرف عن (كازاخ). وقد ذكرهم المؤلف العربي (ابن الوردي [*] Ibn al Warid)، وكان يعرفهم باسم (كشك)، وقد عجز هذا المؤلف عن وصف جمال نسائهم اللواتي يعتبرن من أجمل نساء آسيا، وكذلك (المسعودي [*] Masoudi)، الذي كتب قبل ابن الوردي بمئتي سنة، اذ قال: كثير من التجار المسلمين يأتون في كل سنة إلى مدينة (طرابزون) الواقعة على بحر القسطنطينية من بلاد الروم (الاناضول) وارمينيا وبلاد الكشك.

نستنتج مما تقدم بأن اسم (قوزاق أو كازاخ) كان يطلق في البداية على الجركس كما أنهم كانوا يدعون أيضاً من قبل الروس (جركس) فيما مضى ومن أقدم قبائل القوزاق هم قوزاق روسيا الصغرى، وظهروا بعد سنة ١٣٤٦. ومن المعلوم أن في تلك الأوقات كان قد هاجرت أعداد كبيرة من الروس إلى الجهات الجنوبية من روسيا ليجدوا لانفسهم ملجأ عند نهر (الدينبر) حيث اختلطوا (بالجركس والتتر)، وهذا هو السبب أيضا في كون القوزاق يختلفون شكلاً ومنظراً عن بقية الروس، بحيث أصبحوا أشبه بالجركس كما تم اختلاطهم مع الشيشان، الأمر الذي أدى إلى ظهور قوزاق (غربنسكي Grebensky) القاطنين بالقرب من نهر (الترك) والذين يصعب تفريقهم شكلا عن الشيشان، وهؤلاء بالرغم من اختلاطهم العميق وتزوجهم بنساء من الشيشان فقد حافظوا على اللغة الروسية والديانة المسيحية.

[*] Opus Goegr. Ibn el-Wardi, Ludge 1799, page 144.
[*] Notice et extrait des Manuscrits du Roi, Vol. I, page 18 in (Reise in den Kaukasus by J. Klaproth, Band I, seite 147).

لقد قال المؤلف (فون اركرت Von Erkert) في كتابه عن القوقاز ما يلي:

وفي زمن الأمراء الروس الأولين (من أصل نورماندي Varangians) الذين حكموا في كييف في القرن التاسع ب. م. كان قسم من القبارطاى مثل القوزاق في الأزمنة الأخيرة، يشكلون قوة الحدود للمملكة الروسية لحفظها من تعديات الأقوام الرحل التي كانت تسرح وتمرح في سهول روسيا الجنوبية. ولذلك يعتقد أن القبارطاى دخلوا من هناك إلى بلاد القرم وإلى مواطنهم الحالية الواقعة في شرق وجنوب الكوبان).

وقبل استيلاء الفاتح (جنكيز خان) على روسيا، كان القبارطاي يسكنون السهول الواقعة على ضفاف نهر الدينبر وشبه جزيرة القرم ويدعون (ذوي الطواقي السود Black Caps)، إلا أن بعد اجتياح شمال القوقاز من قبل (تيمورلنك) في نهاية القرن الرابع عشر ب.م. ، سيق قسم من القبارطاي من منطقة (بشتاو) أي بياتيغورسك Piatigorsk إلى منطقة (كورسك) حيث استخدموا كقوة حدود، ولحفظ التوازن تجاه (دروزين الروس Druzhins) الذين أتوا إلى منطقة (كورسك) لنفس الغرض. وهناك تعارف القبارطاى مع الروس للمرة الأولى، ثم اتحدوا معهم لمقاومة حكم التتر، فذهبوا معا إلى ضفاف نهر الدينبر، حيث أسسوا بمساعدة من (باسقاق التتر Baskak) (محصل الضرائب) مدينة (جركاسي Tcherkossy)، وبالطريقة ذاتها أسسوا أيضاً قاعدة القوزاق (الزابوروجي Zaporgian)، الأمر الذي سهّل فيما بعد تأسيس قاعدة قوزاق (نوفوجركاسك Novo-Tcherkask) على ضفاف نهر الدون. وبالرغم من أن هؤلاء القوم اندمجوا مع مرور الزمن بالأكثرية الروسية فشكلوا أمة (القوزاق)، فإنهم لم ينسوا ماضيهم، وأن أجدادهم كانوا يدعون بذوي (الطواقي السود Black Caps) وسكنوا ضفاف نهر الدينبر وكانوا يسرحون ويمرحون على ظهور الخيل في السهول الواسعة ويخدمون في (قوة الحدود Stepp-Cordon) التي أسسها أمراء روسيا الأولون. وهذا اللقاء الأول بين الروس

والقوزاق كان سبب تعارفهم، الأمر الذي سهّل فيما بعد تأسيس قاعدة القوزاق على نهر (الترك Terk).*

واستخدمت السلطات الروسية القيصيرية قبائل القوزاق استخداماً كبير في حربهم ضد الأمة الشركية لأكثر من (١٥٠) سنة .

تلك هي خلاصة علاقات شعوب وأمم المجموعة الرابعة التي استوطنت أو جاورت بلاد الشراكسة في شمال القفقاس.

وأما بالنسبة لباقي امم وشعوب المجموعة الرابعة مثل الاوار والخزر والعرب وكذلك شعوب ودول المجموعة الخامسة مثل العثمانيين الاتراك وخانات القرم والانكليز والفرنسيين والشعب البولندي فسيتم دراسة علاقتهم بالأمة الشركية عند مناقشة وقائع وأحداث حروب الدمار والابادة التي تعرضت لها الأمة الشركسية في القرون السابع والثامن والتاسع عشر الميلادية في الجزء الرابع من المجلد الثالث.

* Der Daukasus, R. von Echert, page 105, Leipzig 1888.

مصادر ومراجع
الفصل الثاني من الجزء الأول في المجلد الأول

١) م. مورجان – رئيس البعثة الفرنسية للتنقيب في شمال القفقاس ص: ١٤٥.
٢) نا ميتوق تاريخ الشركس في فجر التاريخ – دمشق ص: ١٤٥-١٤٦.
٣) اوتران Les Langue de L'asieancienne ص: ٢٨٦.
٤) وول دبورانت، قصة الحضارة، الجزء السادس، المجلد الأول ص: ١٩٤.
٥) أبه زاو، محمد جمال صادق، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، مصدر سابق ص:٧٠-٧١.
٦) م. مورجان مصدر سابق. ص: ١٥٠.
٧) المصدر نفسه، ص: ١٥.
٨) جونا توقة، يوسف عزت، تاريخ القوقاز، استنبول ١٩١٢ ترجمة عبد الحميد غالب بيك خوستوقة – القاهرة ١٩٤٥ ص: ٩٦ – ١٠٠.
٩) جونا توقة، المصدر نفسه، ص: ٩٣-٩٤.
١٠) م. الهاشمي، التاريخ والحضارة في الأزمنة الغابرة ص: ٥٤٥.
١١) ناميتوق، مصدر سابق، ص٥٢.
١٢) المصدر نفسه، ص: ٥٥.
١٣) آريستي بركونزي (Aristee Proconnese) حروب السكيت في القرن الثامن قبل الميلاد ص: ٥٣.
١٤) أبه زاو – مصدر سابق ص: ٧٨-٧٩.
١٥) برقوق، اسماعيل – مصدر سابق ص: ٨٠-٩٠.
١٦) قصة الحضارة، مصدر سابق ص: ١٣-١٤.
١٧) تي – لي، المؤتمر العالمي للفلكلورات، مصدر سابق ص: ١٣-١٤.

١٨) آبه زاو – مصدر سابق ص: ٢٧٢.
١٩) ويكسبونير – العلاقات المصرية القوقازية. ص: ٢٩٥.
٢٠) آبه زاو – مصدر سابق، ص: ١٩٨.
٢١) جونا توقه مصدر سابق ص: ٧٧.
٢٢) ابه زاو – مصدر سابق ص: ٢٠٨.
٢٣) المصدر نفسه، ص: ٣٠٦.
٢٤) شوكت المفتي، مصدر سابق ص: ٧–١٠.
٢٥) تاريخ العالم – المجلد الأول ص: ٤٠–٤١.

الفصل الثالث

القوميات القديمة المستوطنة في قفقاسيا الشمالية منذ فجر التاريخ

يشير ((اسماعيل برقوق)) [1] بأن المؤرخين اليونانيين القدماء الذين عاشوا في دولة (البسفور اليونانية) منذ القرن التاسع قبل الميلاد قدموا لنا معلومات ووثائق هامة عن تاريخ الشعوب القفقاسية التي عاشت ما بين البحرين الأسود وقزوين منذ الألفية الرابعة ما قبل الميلاد وحتى القرن الثالث ما بعد الميلاد.

وبدراسة وتحليل تلك المعلومات والوثائق التاريخية نستنتج بأن القوميات والقبائل التي كانت تسكن في منطقة شمال القفقاس هي القوميات والقبائل المبينة في المخطط رقم (٢) وهي على النحو التالي:

أولاً: قوميات الكتلة الغربية القفقاسية

يؤكد المؤرخون بأن قوميات الكتلة الغربية كانت تتكون من (٨) مجموعات من القبائل كما هو مبين في المخطط (١) الانت (٢) ألمه وَت، (٣) كركت، (٤) آخين، (٥) زيخ (أو جيخ أو زيك) (٦) حانوخ، (٧) سانوخ، (٨) باسك أو (آباسك) أو (باسخيغ).

وفيما يلي دراسة موجزة لتاريخ القبائل والقوميات المكونة للكتلة الغربية.

(١) القبائل والعشائر المكونة (المئيوت) أو (المه – وَت)

Meot-Maita-Maiotains

يؤكد المؤرخون بأن شعوب (ألمه وَت) انحدرت من سلالة ((الكاسيين)) الذين ظهروا في بلاد القفقاس في فترة ما قبل (٦٠٠٠) آلاف سنة قبل الميلاد، كما أنهم كانوا يشكلون الاتحاد (الكميري) الذي تشكل في فترة ما بين الألفية الثالثة والرابعة قبل الميلاد وامتد حكمهم حتى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وامتد موطنهم ما بين البحرين الأسود وقزوين في بلاد القفقاس والتي كانت تسمى (بالإمبراطورية الكميرية) وامتد حكم شعب (ألمه – وَت) من منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وبالتحديد من عام (٥٤٠) ق. م وحتى القرن الثالث

الميلادي، ومن غير المعروف لماذا أطلق عليهم مؤرخو اليونان القدامى اسم جامعة (ألمه – ؤت) وأن تسميتهم بذلك ربما كانت تعود لتعدد قبائلها أولاً، وإلى حضارتها المتميزة ثانياً، واتحادها مع دولة البسفور اليونانية ثالثا.[٢]

ويؤكد (هيردوت) [٣] الإغريقي بأن شعب (ألمه – ؤت) هم أصل القبائل الشركسية في القفقاس، وأن الوثائق اليونانية تشير بأن قوم (ألمه –ؤت) كان مكوناً من (٢٥) عشيرة، أو قبيلة.

ويعتبر المؤرخون اليونانيون والرومان البيزنطيون القدامى التالية أسماؤهم أفضل من كتبوا عن شعب (المه – ؤت) وهم:

بلونارت، وهيرودت واندارون، وستيفان البيزنطي، وهيرمولارس وبطليموس، وبلين).

وكذلك فإن أفضل من نقل عن المؤرخين السابق ذكرهم عن نشأة وتطور شعوب مجموعة (ألمه – ؤت) هم المؤرخون التالية أسماؤهم:

* **البرفسور الشركسي ايتك ناميتوق في كتابه (اصل الشراكسة)** المنشور في باريس باللغة الفرنسية عام ١٩٣٨ وترجمه إلى العربية الدكتور فؤاد نوغوج عام ١٩٩١.
* **المؤرخ الشركسي اسماعيل برقوق في كتابه (قفقاسيا في التاريخ)** المنشور في الاستانه باللغة التركية عا م١٩٥٨.
* **المؤرخ الشركسي برزج أمين سمكوغ في كتابه (الشركس في فجر التاريخ** – شعوب شمال القفقاس الأصلية حتى عصور الميلاد والمنشور باللغة العربية في دمشق عام ١٩٩٥.

وبالرجوع إلى ما كتبه ناميتوق [٤] وبرقوق [٥] نقلا عن المصادر اليونانية والرومانية والبيزنطية القديمة * نجد بأنهما يقسمان مجموعة (المه – وَت) إلى (٢٥) قبيلة ويتفقان في ذلك مع اختلافهما في بعض اسماء القبائل وعددها (٥) قبائل كما هو مبين في الجدول المرفق:

جدول بأسماء قبائل "المه – وَت"

(١) السند أو سنت Sinde	(١٤) فسينوفاجس Phthinophages
(٢) داندار أو تيندار Dandares	(١٥) بسيس Pasesses
(٣) التوريت Torbetes	(١٦) سيزي Seize
(٤) التحات Thates	(١٧) خانيد Khanides
(٥) اسبور جيناس Aspurigancs	(١٨) خوانتس Khuantise
(٦) دوسك Doskhes	(١٩) ترانخونس Tranukhenes
(٧) كونابين Konapsenes	(٢٠) آبريناتاي Abrinatai
(٨) آنت أو آند	(٢١) آساي– ازاي Azaei
(٩) سيرني Serni	(٢٢) بساكات – زاكاتZakates
(١٠) فيكور Phicores	(٢٣) سيت أو تاسين Syet
(١١) أويي دياكنس أو بسكاي Pscae	(٢٤) نوخجه أو ماتيان Nukhjeh
(١٢) تيرامب Tyrambes	(٢٥) غه لاري Ghahlary
(١٣) هالي أو فالي – Vali - Hali	

*ربما كان هذان المؤرخان (ايتك وبرقوق) من أكثر المؤرخين اطلاعاً على ما كتبه المؤرخون القدامى باللغة الفرنسية، وبالتالي فإن ما كتبه هذان المؤرخان الشركسيان ربما كان أدق مما كتبه الآخرون حول قوم (المه وَت) لرجوعهما لأكثر من (٥٠٠) مرجعاً ومصدراً لقدماء المؤرخين لتاريخ شعوب القفقاس في العصور ما قبل الميلاد.

والاسماء المختلف عليها هي :

الرقم	عن اسماعيل برتوق	الرقم	عن اتيك نامتوق
٨	الانت او الاند	٤	الاغريان
١٨	خوانتس	٥	الاريخ
٢٣	سيت	٧	الأديغة ياكين
٢٤	نوخجة امايتان	٨	السيتاكن
٢٥	غه لاري	١١	ايسيس

نستنتج من الجدول السابق بأن المؤرخين (برقوق ونامیتوق) اتفقا على عدد قبائل (ألمه – ؤت) وهو (٢٥) قبيلة إلا أن (اسماعيل) اورد اسم قبيلة (الأنت) او (الاند) ضمن قبائل (ألمه – ؤت) بينما اعتبرها (اتيك) قبائل مستقلة تماماً عن (المه – ؤت) وانهم عاشوا في فترة سابقة لفترة ظهور مجموعة (ألمه – ؤت) ويتفق معه في ذلك (برزج) الذي يعتبر (الانت) من سلالة قوم (نارت) الذين عاشوا في مرحلة (الاسرة الأموية) وعبادة آلهة (الام الكبرى) والتي سميت في مراحل لاحقة بآلهة (الخصب والعطاء) [٦].

وفيما يلي تحليل موجز لنشأة وتطور كل قبيلة من قبائل (ألمه – ؤت) حسب ما أوردها كل من (برقوق وأتيك) وعلى النحو التالي:

أولا: لم تكن جميع قبائل (ألمه – ؤت) داخلة في نطاق نفوذ (دولة البسفور اليونانية) وأن اهم القبائل التي كانت ضمن نفوذها هي (١) السيند (٢) الداندارا (٣) التوربت (٤) التحات (٥) اسبورجيناس (٦) دوسك (٧) كونابسين.

وان عشائر أخرى من مجموعة (المه ؤت) لم تكن ضمن نفوذ (دولة البسفور) اليونانية وأهمها:

(١) سيرني (٢) فتيكور (٣) أوبي دياكنس (بسكاي) (٤) تيرامب (٥) هالي (٦) فيسنوفاجس (٧) بسيس.

أما القبائل العشرة الأخرى فإنها كانت تعيش خارج حدود القفقاس، واختلف المؤرخون على تبعيتهم لجماعة (آلمه- ؤت) كما حددها المؤرخون اليونانيون والرومان والبيزنطيون بالقبائل التالية: (١) سيزي (٢) خانين (٣) خوانتس (٤) تروخنس (٥) ايريناتاي (٦) أساي (٧) زكات (٨) سيت اوتامين (٩) نوخجه ماتيان (١٠) غه لاري.

وفيما يلي وصف لأهم اربع قبائل كان لها دور كبير في نشأة وتطور جماعة (آلمه – ؤت)

القبيلة الأولى: وهي قبيلة سيند أو (سنت): وهي من قبائل الاتحاد الكميري أولاً ومن أحد القبائل التسعة لـــ (ألمه – ؤت) المشاركة في اتحاد الكميرين ثانيا. وفي الغالب بأن هذه القبيلة كانت ضمن نفوذ دولة البوسفور اليونانية في المراحل الأخيرة من حكمها ويبدأ حدود هذه القبيلة من ساحل البحر الأسود من منطقة نهر (بشات) في الجنوب ويمتد إلى الشرق من حوض (القوبان) ومنطقة القباردا وعاصمتها (ستريكا) كما كانت تتمتع بمدينة مزدهرة، ويتحدث المؤرخون اليونانيون بأن شعب (السند) كانوا يشتركون في ألعاب الألمبياد الاغريقية القديمة وأنهم على الأغلب كانوا يحرزون الدرجات الأولى، وهذا يدل على مدى اندماجهم باليونانيين وتأثرهم بهم، مع المحافظة على طابعهم القومي الشركسي.

ونجد اسم (السند) داخلاً في أساطير قوم (نارت) كما يوجد موقع أثري (خربة) في منطقة القبرطاي تحمل اسم (سانت) وقد تكون محرفة عن كلمة (سنت) وهو الأسم الذي كان يعرف به شعب (سند) قديماً.

القبيلة الثانية: هي قبيلة الداندار أو (تيندار أو داودار): وكان شعباً مستقلاً في الحكم وعاصمته بلدة (فتسه) ومعناها (البلدة السوداء) باللغة الشركسية وامتد وجود قسم من (الداندار) إلى الشاطئ الشرقي لمضيق كرتش [تامان]، أما الأكثرية منهم فكانت تعيش مقابل الساحل الشرقي لشبه جزيرة (القرم)، وإن الأسماء التي لا تزال مستخدمة حتى اليوم، تدل على انتشار هذه القبيلة الكبيرة على الساحل الشمالي والغربي وامتدادهم للبحر الأسود حتى (داكيا وتراقيا) ومنطقة بحر إيجه، وأطلق عليهم اليونانيون لقب (الداندار ذو الوطن الفسيح).[٧]

القبيلة الثالثة: وهي قبيلة (التوربت) وكانت فرعاً أو عشيرة من عشائر (المه – ؤت) إلا انها انفصلت عنهم ليؤلفوا قبيلة مستقلة وسكنوا حسب رأي المؤرخ (بلين) في شمال (اكيركت)، وجنوب (السند) ويعتبرهم المؤرخون من القبائل التي انحدر عنها الشراكسة [٨]

القبيلة الرابعة: هي قبيلة (التحات) وكانت من أهم القبائل التي شكلت جماعة (ألمه–ؤت) وكان اللقب الرسمي لملك المؤت هو (ملك آلمة – ؤت وجماعة السند والتحات).

وأما باقي القبائل لم يكن لها دور بارز في تاريخ جماعة (ألمه – ؤت) وأن المؤرخين اختلفوا على حقيقة انتسابهم إلى تلك المجموعة، خاصة وأن اكثر من (١٠) قبائل منهم كانت تعيش خارج حدود قفقاسيا عامة وقفقاسيا الشمالية خاصة.

يلاحظ من تحليل ما كتب عن نشأة وتطور تاريخ قبائل جماعة (ألمة – ؤت) وجود غموض كما يلاحظ غياب الكثير من المعلومات الاساسية عنها حتى يمكن الحكم على دورهم الحضاري وعلى انتماءاتهم الاثنية (العرقية) وعلاقاتهم مع الشعوب والأمم الأخرى المستوطنة والمجاورة لهم.

ومن هذه الملاحظات هي:

(١) لم يذكر المؤرخون (جميعاً) فيما كان يوجد لجماعة (المه – ؤت) (لغة مشتركة واحدة) أم عدة لغات، وان وجدت فما هي تلك اللغة أو اللغات، باستثناء ما ذكره (المؤلف المجهول لكتاب جولة حول البحر الأسود) الصادر حوالي عام (٤٠٠م) بقوله: إن بعض قبائل (المه – ؤت) تتكلم اللغتين القوضية والتاورية.[٩]

(٢) تجاهل كل من كتب عن تاريخ جماعة (المه – ؤت) البحث في جوانب نوع الحكم والنظم الاقتصادية والاجتماعية والدينية لقبائل هذه الجماعة، كما أنهم لم يذكروا لنا عن مدى مساهمتهم في الحضارات التي كانت سائدة في القفقاس في نفس المرحلة الزمنية التي وجدت فيها قبائل هذه الجماعة.

(٣) لم يحدد لنا المؤرخون عن بداية ونهاية حكم جماعة (المه – ؤت) كما لم يحددوا لنا انتماءاتهم الاثينة إلا ما ندر كما انهم اختلفوا في انتماء بعض القبائل فالبعض منهم اعاد انتماء بعض قبائل (المه – ؤت) إلى السريانيين والبعض الآخر اعادهم إلى الكيمريين... الخ.

ولاستكمال دراسة وتحليل القبائل السبعة الأخرى التي كانت تشكل الكتلة الغربية لبلاد القفقاس قمنا بمراجعة ما كتبه المؤرخون اليونانيون والبيزنطيون القدماء الذين أوردهم كتاب فرنسيين منهم:

هيزيخيوس Hesychius ، سيلاكس Seylax ، ارتيميدور Artemidore وسترابون Stabon ، وبلين Pline وميلا Mela ، أمينين مارسيلان Amnien Marcellan ، وديني Denny ، بطليموس وهيلانيكوس Hellanicus، وبروكوب Procope ، واسماعيل برقوق.

وكذلك فإن أفضل من كتب باللغة العربية عن القوميات الشركسية السبعة التي كانت تجاور مجموعة قبائل (آلمه – ؤت) في الجزء القفقاسي الغربي هو (اسماعيل برقوق) [١٠] .

وفيما يلي ملخص لكل قومية من القوميات السبعة (الشركسية) الأخرى كما أورده (ناميتوقه):

القبيلة الأولى: وهي قبيلة كيركت Kerkete وفي بعض المراحل كانت تسمى (جرجت او سرست) وكانت تسكن عند مصب نهر (بشات) على ساحل البحر الأسود، كما توجد في كولخيديا (الدغستان) عشيرة اسمها قبيلة (الكركت) تتصل بصلة الرحم والقرابة (بالماؤت) بواسطة قبائل (السند والآخين والتورت)، وكان الكركتيون ملاحين مهرة، وقد هاجر قسم كبير منهم إلى بيزنطه وتعيش عشيرة شركسية في بلاد طرابلس الغرب حتى اليوم تحمل اسم (كركت).

القبيلة الثانية: قبيلة (آخين) ويطلق عليهم ايضا (Akhains – آخاينس): حيث كان (الآخيون) يعيشون جنوب قبائل (الكركت) على امتداد الساحل القفقاسي على البحر الأسود نحو (طؤابسه) الحالية. وقد ورد اسم قبيلة [آكين] بين عشائر قبيلة (قوش) التي هاجرت إلى "مصر" حسب اقوال وذلك (هيرودوت واسترابون) بأن قبيلة (آخه) كانت ضمن قدماء الجراكسة، ثم أن قبيلة [آشه] دخلت إلى اليونان من آسيا الصغرى ثم هاجرت إلى مصر.

ويؤكد بعض المؤرخين القدماء بأن (الاخائيين) لم يكونوا إلا البيوتيين الاركومينيين (Byothiens d' Orchomene)، الذين جاؤوا إلى القفقاس بعد الاستيلاء على طروادة (Troie)، بقيادة يالمين (Yalmene) بأن الرياح قد أوصلتهم إلى القفقاس بعد خوضهم معركة ضد الطرواديين (Troyens). كما أن البعض الآخر ينسبون أرجيا (Argienne) اليونانية إلى (الاخائيين) القاطنين في بلاد الشركس، كما ذكر اوستاش (Eustathe) في تعليقاته على كتاب دينس بيريجيت Dennys le Periegete ، بأن الملك آبيتاد (Apetiade) الذي قاد (الاخائيين) اثناء قدومهم إلى القفقاس لم يكن إلا (اغاممنون) نفسه، وفي هذه الحالة فإن الاخايوي (Akhaioi) يسمون في بعض القصائد الشعرية (آيناخوي) رمزاً

لنهر ايناخ (Inakh) في اليونان، وكان القدماء يصفون (الاخائيين) بأنهم كانوا قراصنة رهيبين وشجعانا جدا وعنيفين ايضا [١١].

القبيلة الثالثة: وهي قبيلة (جيخ) ويطلق عليهم زيخ او زيغ Zygue-zitihe اوزيك وحسبما كتب مؤرخو اليونان فإن (الزيك) كانوا يعيشون جنوب (الآخين). وفي القرن الأول قبل الميلاد تقريباً رحلت من منطقة الكوبان إلى موقعها الحالي على ساحل البحر الأسود (طؤابسه) والمعروف الان باسم (سوتشي).

وهذه القبيلة معروفة عند جميع الجراكسة باسم (أوبوخ) ويجتهد البعض أن كلمة (زيخ) محرفة عن (تسوخ) أي الإنسان باللغة الجركسية، وكان اليونانيون يسمون بلاد الجراكسة فيما سموها [تسوخيا – أوجيخيا]، ومؤرخو الكرج أسموهم [جيخ] وأطلقوا اسم (جيكت) على بلادهم، ويؤكد (سترابون) بأن (الزيخ Ziukes) هذه القبيلة كانت ضمن قبائل المجموعة التي كانت تشكل (المه – ؤت) [١٢] .

القبيلة الرابعة: وهي قبيلة (حانوخ Heniokhs) كانت مستوطنة جنوب قبيلة (الجيخ) وامتدت بلادهم إلى الداخل على السلسلة الجبلية حتى مضيق (داريال) وحتى البحر الأسود وكانت لهم بعض المستعمرات في الأناضول كما كانوا يشكلون احد الشعوب الهامة في بلاد الشركس في العصور القديمة كما كانوا شعباً من المحاربين الاقوياء ومهرة في ترويض الخيول يعيد بعض المؤرخين اصلهم إلى الاسبارطين اليونانيين. وكلمة (حانوخ) دارجة الاستعمال عند الجراكسة حتى الآن، ومعناها الحرفي (الكلب ذو العيون الواسعة) ويلقبون بها الأولاد والبنات إلى يومنا الحاضر.

القبيلة الخامسة: قبيلة (سانوخ) أو (سانيغ Sanigs) وكانت تسكن جنوب (الحانوخ)، وكان هذا الاسم يذكر في المنقولات التاريخية حتى القرن الثاني عشر للميلاد، وإلى يومنا هذا توجد مواقع وعائلات باسم [سانيك – ساني – سانوخ] ولا

تزال (قبيلة القبارطاي) تستعمل [مشروب السانوخ] وهو المشروب الذي يصنع من العسل المخمر.

وبعض مؤرخي اليونان يكتب هذا الاسم بمعنى [زانيخ] مما يدل على أنها من أوائل عشيرة (ازانه) الجركسية الموجودة حتى اليوم موزعة بين (الآبزاخ) وبين (الأبخاز) وتلفظ احياناً (جانا).

القبيلة السادسة: وهي قبيلة (باسك أو أباساك) (Abaskes) ومن المحتمل أن اسم [آبخاز/ اباظة] المستعمل حتى اليوم مشتق من هذا الاسم ومن الاحتمال الكبير بأن قوم (الباسك) الذين يعيشون في الجبال بين (فرنسا وأسبانيا) هم من قدماء هذه القبيلة.

والآبخاز (الباسك) يعيشون إلى اليوم في موطنهم الأصلي على ساحل البحر الأسود القفقاسي ويشغلون حوض نهر (اينغور) حتى منطقة كولخيديا، ولدى تدقيق المناطق التي أشغلها الجراكسة قبل وبعد الميلاد يتبين لنا أن القسم الشمالي منهم يشكلون قبائل (الماؤت) المنتشرة شمالا وغرباً، أما القسم الجنوبي منهم وهم (السانوخ) فقد انتشروا إلى الجنوب حتى الأناضول.

القبيلة السابعة: قبيلة الآنت أو (الاند) لقد ورد في الخريطة التي رسمها [لاب] اعتماداً على خريطة (كل من بطليموس ولين) اسم [أنتيخة] في المنطقة الكائنة عند اتصال فرع نهر (لا) بنهر (الكوبان) كما أن مؤلف [دربند نامه] يسمى سكان المناطق الممتدة من نهر ترك إلى سواحل البحر الأسود غرباً، في (منطقة الآديكة) يسميها [جولي آنت].

ويؤكد المؤرخ الفرنسي (برقوب بول)[١١] في كتابه (السلالة الآنتية) المنشور عام ١٩١١ في باريس، يؤكد بأن (الآنت) كانوا أمة قائمة بذاتها وأنها من السلالة القفقاسية ذات العرق الأبيض، كما يؤكد (جوناتوقة) في كتابه (تاريخ القوقاز) المنشور عام ١٩١٢[١٢] بأن اسم (أديجة) مشتقة من جمع اسم (آنت) وهي

(آنتيخه) أو (آتخه) و (آنتخه) هو ما كان يلفظها شيوخ القبرطاي قديما كما ورد في الأشعار القومية الشركسية وأمثالهم اسم (آنت) كثيرا مثلا [الآنت الذي لا يعرف الكلل ولا الملل] وكذلك [انتي بشه يقوه] ومعناها [ابن اميرانتي] و [آنتيغ شاوه] ومعناه [شاب آنتي و [آنتيغ شو] ومعناها [فارس آنتي] وغيرها.

وفي القرن الأول للميلاد وجد (بولص دياكونس) خلال تجواله في المناطق الشمالية لبلاد القفقاس قبيلة اسمها (آنت) تسكن على ضفاف نهر (الدنيير).

*** الأمة التي ينتسب لها الشعوب شمال القفقاس عامة والشراكسة خاصة.**

وفي كل الاحوال فإن معظم المؤرخين القدامى يتفقون بأن الأمة التي ينتسب إليها الشركس وشعوب شمال القفقاس الأصلية انتساباً مباشراً وبشكل لا ريب فيه هو ما ورد في كل أساطيرهم التي لا حصر لها وتتجاوز عدة آلاف هي أمة (النارت) التي استوطنت وانتشرت في القفقاس الشمالي، وحتى نهر الدون ومصبه في شمال البحر الأسود.

وازداد هذا الاستيطان على ما يبدو في العصور القديمة حول مجاري الأنهار وسهولها التي تجري فيها نهري (الكوبان والترك) وفي جنوب السلسلة الجبلية التي تجرى فيها أنهار: كورا وأراكس وريوني وأدجاري وكورخ.

وقوم (نارت) هو القوم الذي تنسب إليه الشعوب في شمال القفقاس منذ العصور الحجرية ولا نعلم إلى أي مدى يمكن أن تعود في القدم ولكن تحليلها (المقطعي) يمكن أن يدلنا على مرحلتها الحضارية التي يمكن أن تعود لأواخر عصر (الميزوليت أو النيوليت) ولبدايات مرحلة عبادة الأم وكانت تلفظ (نات) بدون حرف الراء، لأن الراء ما هو التعريف (ن + ت) وتعني عطاء الأم أي أنهم اعتبروا أنفسهم عطاء تلك الأم الإله الكبرى. على اعتبار أن (ن) معناها (الأم)، (ت) معناها باللغة الشركسية (أعطي) و (ن + ت) تعني (عطاء الأم) .. أي أنهم

كانوا يعبدون الأم (الآلة الكبرى).. وبالتالي اطلق عليهم (نات) بمعنى القوم الذي وهبوا أنفسهم للآلهة الكبرى وهي (الأم).

وكذلك فإن كلمة (نات) تدخل في بعض الألقاب والتعابير الشعبية مثل (نارت – شاوه) بمعنى فارس (آنتي)، وكذلك في أسماء كثير من اقاليم ومواقع في القوقاز، فمثلا نجدها في اسم اقليم (نات – قواج Nat-Quaj) ومعناه بلد النارت (وهو في الجزء الغربي من مقاطعة الكوبان) (نات سان Nartsana) وهو اسم نبع للمياه المعدنية المعروفة في مقاطعة القبارطاي، وكذلك فإن وجود (الآنت) قديما كأمة ذات كيان حقيقية لا تقبل الجدل. ومما يزيدنا رسوخا في هذا الاعتقاد هو ورود كلمة (نات) في كثير من أسماء الأسر والعائلات المعروفة والموجودة لليوم، مثل عائلة (ناتوقة) أي ابن النارت، و (نارتيظ) اي النارت القديم.

وأما البطل القومي للأمة الشركسية (نارت سوسيروقة Nart Sosiroka) ومعناه قوم نارت أو (سوسيروقة الآنتي). وقد جرت العادة أيضا أن يلقب الأبطال الأشاوس بلقب (نارت) تقديراً لأعمالهم الشجاعة. وأخيراً تسمى الذرة الصفراء أيضا (ناتيف Natif) ومعناه (ذرة النارتيين).

وفي فترة لاحقة تم استبدال اسم (نارت) أو (نات) الى اسم (آنت) وتحمل نفس معنى كلمة (نارت) بلهجة القبرطاي حيث أن حرف (ن) يعني بالقبرطاي (أم) وحرف (ت) يعني (أعطى) وبالتالي فإن (نت) معناها (الأم المعطاءة).

واليونانيون كانوا يطلقون على الشراكسة اسم (آنت) كما أن المؤرخ (بول) كان يطلق أسم (آنت) على القوم الذي كان يسكن نهر يصب في شمال البحر الأسود وهو نهر (دون الآنت).

ومؤلف (دربند تانه) سمى القوم الذي يسكن حوض نهر (الترك) على سواحل بحر الأسود (بجولي انت).

وورد في الأساطير الشركسية بأن (أنت) استخدم كاسم (لإله الزراعة) بمعنى (إله للانتين) وكذلك فإن تسمية (أنت) تلازمت وترافقت مع دخول (أمة انت) لعمل الزراعة وتربية المواشي *

وربما كان من أقدم المؤرخين الذين كتبوا حول قوم (أنت) هو: المؤرخ (سترابو Strabo) في القرن الأول قبل الميلاد حيث كتب حول منشأ الانت وتاريخهم وسمى نهر الكوبان على اسمهم (آنتي كيتس Antikitis) والمؤرخ (بروكوب Procopius) قال في سنة ٦٥ب.م "أن أمة الانت (تلفظ بالجركسية: نات) وكانت محاطة في مواطنهم عند البحر الأسود بأقوام سلافية تختلف عنهم عرقاً. فالأنت كانت أمة قائمة بذاتها".

وقال أيضا "ان سواحل البحر الأسود كانت مأهولة ومكتظة بقبائل الانت، والسلافيون يحيطون بهم من جهتي الغرب والشمال، فاستنتج من ذلك أن الأنت لم يكونوا سلافيين، بل جيرانهم ويمتون عرقا إلى سلالة أخرى غير السلافية.

وأما المؤرخ (بلينيوس Plinius) يقول في الجزء الرابع من الفصل (٣٥) من كتابه المسمى (التاريخ الطبيعي) بأن قوم (الانتي Anti) كان من جملة الاقوام التي ذكرها والذين كانوا يقطنون بين بحر آزوف وبحر الخزر. وأما (بطليموس Ptolemaus) فكان يعلم أيضا بوجود أمة (الانتي) في تلك البقاع الواقعة بين البحرين المذكورين، بينما كتاب الاغريق كانوا يؤكدون بأن اماكن سكنى (الانتيين) كانت في القرم وضواحيها، مع العلم أن تلك الاماكن المذكورة كانت مشغولة من قبل السارمات ايضا. وإذا امكن قبول الرأي القائل بأن شعب (الانتي) الذي ذكره (بلينيوس) وشعب (الانت) الذي ذكره مؤرخون آخرون كلاهما شعب واحد، ومن

* لمزيد من المعلومات حول أمة (الانت) يمكن الرجوع إلى كتاب اباطرة وابطال في تاريخ القوقاز – الجزء الاول ص: ٤٠-٤٧.

المؤكد بأن شعب (الانت) لم يكن أصلاً من عرق (السلافي) كما يدعي مؤرخي الروس.

وفي العصور التي تحولت فيها السلطة من (حكم الأم) إلى حكم (الاب) تحول معها اسم (نارت وأنت) إلى اسم (اديغية Adyxah) أو (أديغيت) حب اللهجات القوقازيين التي اختلفت وتمايزت بين لهجات وكان الجزء الشرقي والجزء الغربي من القفقاس والتي اختلفت فيما بعد واصبح لكل قومية منها لغة خاصة بها، وبالتالي فإن الشراكسة (الاديغة) من سكان الجزء الغربي وهم (الشراكسة، والأوبخ والابخاز) الذين أطلق عليهم قبائل (الاديغة).

أما سكان الجزء الشرقي من شمال القفقاس وهم قبائل (غلفاني الداغستاني) قفقاسية الأصل وأطلق عليها اسم (داغستان) حيث نجد بعد حذف الأحرف الزائدة وهي (آ) التي هي أداة نداء أو (ست) وتعني البلد، والباقي من الاسمين هو مقطع (ديغ) والمعروف أن حرف (د) وكذلك الحرف (ت) أو (أت) تدل على (الأب) في هذه اللغات وهكذا فإن هذه التسمية تتوافق مع المرحلة الحضارية التي تبدلت فيها الأسرة من نمط النظام الأمومي إلى النظام الأبوي و(الأسرة الأبوية) والتي سيطرت فيها الذكورة.

وبالتالي فإن ترجمة كلمة (اديغية) في مقطيعيها (ادَ– يغة) تصبح (أدَ) بمعنى الأب و (ييه) بمعنى (ملكه او الخاص به).

ويصبح المعنى الحرفي لترجمة (أديغية) بمعنى القوم الذي يملكه أو يختص به (الاب) او قوم (الاب).

وبنفس المعنى فإن اضافة (ست) ومعناها باللغة الداغساني (بلد) يصبح معنى كلمة (داغيستان) (بلد أو موطن الاب).

نستنتج مما تقدم أن قوم (نارت) وكذلك أمة (أنت) وأخيراً شعب (الاديغية) هي الأمة التي نشأت عنها شعوب وقبائل الشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية في الوطن في شمال القفقاس خاصة.

وخلاصة القول فإن أصل ومنشأ أجداد الشراكسة (الاديغة) هم قوم (نارت) ومن بعدهم أمة (آنت).

وهي الأمة التي عاشت في شمال القفقاس في عصور ما قبل الألفية الرابعة ما قبل الميلاد أما القوميات والامم والشعوب التي عاشت فيها منذ الألفية الرابعة وحتى الألفية الأولى بعد الميلاد فإن المؤرخين يقسمونها إلى ثلاث كتل/ قومية وهي كما هو مبين في المخطط المرفق.

مخطط رقم (٢)

الأمم والقوميات (القفقاسية) المنشأ والأصل التي عاشت في القفقاس
خلال الفترة الممتدة من الألفية الرابعة قبل الميلاد إلى الألفية الأولى بعد الميلاد

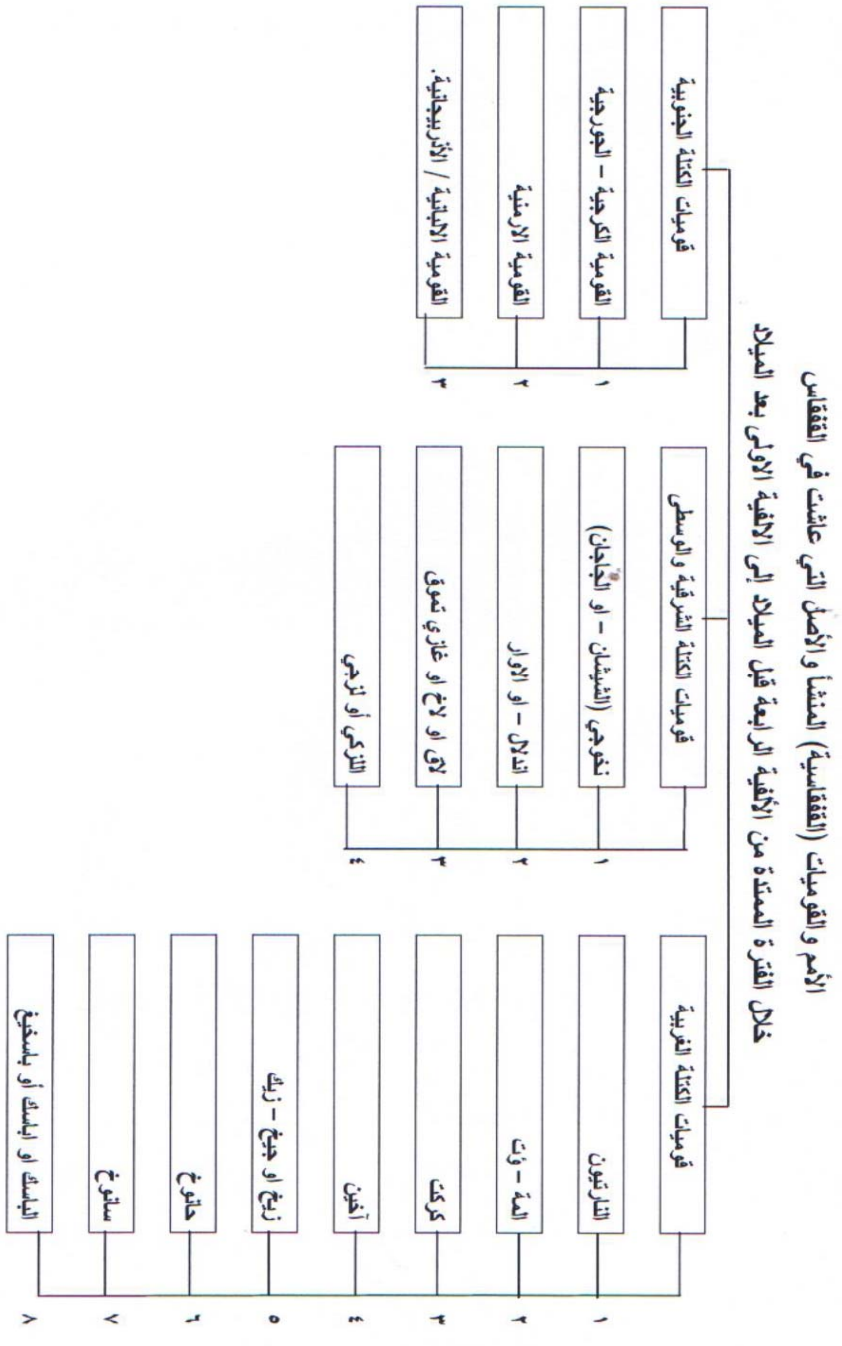

كما ذكر (بروكوبيس) [١٣] في كتابه (الحرب القوطية) بأن أمة (الآنت) كانت تسكن في مملكة متسعة الأطراف ويجاورهم في الغرب شعوب (الاسلاو) الذين كانوا يقطنون بالقرب من نهر الدانوب، وأكد المؤرخ (سترابون) في كتابه الذي نشره عام (٤٢ق.م) بأن نهر كوبان الحالي كان اسمه آنتي كيتيس) نسبة إلى أمة (الآنت).

ويقول (نغموقة) في كتابه (تاريخ الأديغة) [١٤] بأن أمة (الآنت) كانت تسكن حول (نارت سان) فترة من الزمن وأن (الآنتيين) هم آباء الكيمريون وأجداد الشراكسة.

تلك هي بعض المعلومات عن الشعوب الرئيسية التي كانت تعيش قديما في بلاد الشركس في العهدين (اليوناني – الروماني) وهي على الأقل الشعوب التي وصلت إلينا عنها معلومات مختلفة بحكم إقامتها على الشاطئ الذي كان يسمح لهم بالاتصال الدائم مع العالم الخارجي من خلال (بحر ايجه) والبحر الأبيض المتوسط.

ويقول (ناميتوق) بأن الدراسة الاتنوغرافية (وصف الأقوام) لبلاد الشركس القديمة لا يمكن أن تقتصر على هذا العدد فقط من القبائل، وأن البحث في طبيعة وتاريخ القبائل التي كانت تعيش داخل البلاد القفقاسية له نفس القيمة والأهمية التاريخية التي تتمتع بهما القبائل التي كانت تقيم على السواحل. وأن حقيقة كون المعلومات المتوافرة عن (قبائل الداخل) أقل عدداً وأقل دقة من المعلومات عن قبائل الساحل.

ويشير (ناميتوق) بأن الاغريق كانوا كلما صادفوا صعوبات في تحديد الانتماء القومي أو العرفي للشعوب التي كانت تعيش في الداخل والبعيدة عنهم، كانوا يتجاوزونها دون أن يحاولوا البحث عن حقيقتها.

وفي كل الاحوال فإن المعلومات والبيانات التي نقلها إلينا المؤرخون المشار إليهم سالفاً عن تاريخ حياة الشعوب والقبائل (الثمانية) سابقة الذكر تحتاج إلى تدقيق لوجود تعارض أو تناقض في اقوال بعض المؤرخين إلا أن هذا لا يعني ان تلك المعلومات والبيانات خاطئة أو أنها غير دقيقة وإنما العكس صحيح فإن المعلومات الأساسية التي نقلت إلينا كانت دقيقة وهامة أما بالنسبة للاختلاف في أسماء بعض القبائل وأماكن سكنهم وكذلك الاختلاف في بعض التواريخ لا يغير من قيمة ما وصل لنا عن هذه الاقوام.

حقائق حول مدى التقدم الحضاري للقبائل القفقاسية

بالرغم من عدم تطرق المؤرخين عن مستوى معيشة القبائل (المشار إليها سابقا) وعن حضارتهم، فإن المعلومات التي وردت عن معظمهما يجعلنا نتفق بأنها كانت قبائل على مستوى عالٍ من المعيشة وكان لدى بعضها تقدم حضاري والدليل على ذلك ما يلي:

١) **اتقان فنون الملاحة البحرية**، حيث يؤكد المؤرخون اليونانيون بأن شعب الكركيت كان شعبا متقدما في الحضارة المدنية وأنهم كانوا على اتصال مع الأمم والدول في الخارج، وفي هذا المجال فإن نيقولا الدمشقي (Nicolas de Damas) ينقل لنا هذه العادة العجيبة: إذا اقترف أحد (الكركيت) جريمة ما، فإنه كان يحرم من ممارسة طقوس العبادة المقدسة، وإذا برهن على عدم مهارته أثناء قيادته لسفينة أو زورق، كان كل المشتغلين بالبحر يقتربون كل بدوره (ويبصقون على وجهه الواحد بعد الآخر) وربما يجدر بنا أن نذكر هنا ان بعض الباحثين أشاروا إلى أن الشراكسة احتفظوا إلى زمان قريب نسبياً بذكريات عن الأهمية الكبيرة التي كانت (للكركيت) في مجال الملاحة البحرية[١٧].

٢) اشتهرت بعض القبائل مثل قبيلة (حانوخ) بتربية وترويض الخيول وكانوا يصدّرون الخيول المدرّبة إلى دول مجاورة.

٣) وصلت بعض القبائل مثل قبيلة (حانوخ) من التطور والتقدم الحضاري إلى مستوى عالٍ، حيث بنوا مستعمرات في الاناضول وتوسعوا في تجارتهم مع الدول المجاورة.

٤) كما أن بعض المجموعات من هذه القبيلة كانت تمارس القرصنة البحرية مع جيرانهم (الاخيين) وادخلوا الرعب في قلوب الشعوب والقبائل اليونانية والرومانية وذكر احد المؤرخين بأنهم كانوا يستخدمون قوارب صغيرة (٢٥-٣٠) راكباً كان يسميها اليونانيون (كاماروي Kamaroi)، وكانوا يتجولون فيها في البحر الأسود في كل الاتجاهات، ويعتبرونها ملجأ لهم، وأحياناً كانوا يصلون إلى الشواطئ التراسية (غرب البحر الأسود). وأن أبيات الشعر التي نظمها الشاعر اليوناني أوفيد (Ovide) شاهدة على الرعب الذي كانوا يسببونه على تلك السواحل:

اقتبس منها (ناميتوق) الابيات التالية:

* كما ينطلق النباح الوحشي من شواطئ سكيلا (Scylla) الشيطانية،
فإن سفن الحنيوخ تسبب الذعر للبحارة،
* ولا يستطيع أحد أن يقارنهم مع الاخيين (Acheens) الرهيبين،
وهاوية شاريبده (Charybde)، تقذف ثلاث مرات،
* الأمواج التي ابتلعتها على ثلاث دفعات،
إن هولاء الغزاة يقضون حياتهم دون شك،
* في التجول على الضفة اليمنى للبحر،
ولكن الضفة الأخرى التي اسكن عليها ليست في أمان أكثر من الأولى.

وهذه القرصنة إن كان في ظاهرها عمل (غير قانوني) إلا أنه يدل على مدى قوة وشجاعة وجرأة التصدي لقوافل البواخر الكبيرة التي يمتلكها امبراطورية مثل امبراطورية البسفور اليونانية.

ثانيا: قوميات الكتلة الشرقية والوسطى القفقاسية وتتكون من الشعوب التالية:

(١) نوخجي = (جاجان) (٢) الاوار اندلال، (٣) اللزكي لاق = (لاخ)، (٤) لزكي (أو جيخ أو زيك).

واكد المؤرخون والرحالة من مختلف الجنسيات بأن المنطقة الشرقية والوسطى من بلاد القفقاس كانت مأهولة من قبل قوميات رئيسة تتكون من القبائل الاربع سابقة الذكر وهي على النحو التالي:

القبيلة الأولى – نوخجي = شيشان او جاجان: يجمع المؤرخون على ان الجاجان هم الشيشان من قبائل جامعة ألمه ؤت، فقد ورد أن قبيلتا [نوخجه ماتيان – و – غه ررري] التي كانت تعيش في شرق بحر آزاق من الماؤت، والذين درسوا أوضاع قبيلة (الجاجان) وجدوا عندهم أسماء [نوخجي – غالغاي – توسق] والحقيقة أن (الجاجان) قبائل عدة وهم يسمون أنفسهم (نوخجي) بلغتهم القومية وفرع ثانٍ وهم قبيلة [إينكوش] تسمي نفسها [غالغاي] وفرع ثالث يسمى نفسه [توش] ومن أكبر فروعهم الأينكوش (الأنجوش).

ومنطقة (الشيشان) الحالية تحد شمالاً وغرباً بمجرى نهر (الترك) ووادي (قاجقالين) ومنطقة قبيلة القبرطاي، وجنوبا بجبل (آندي) وسلسلة القوقاز، وشرقا يفصلها عن الداغستان نهر [آق طاش] وأن نهر [سونجا] أحد روافد نهر (الترك) يقسم منطقة (الجاجان) إلى قسمين هما: ١- بلاد الججن الصغرى أو الجنوبية ٢- بلاد الججن الكبرى أو الشمالية، وعاصمتها حالياً (جروزني).

القبيلة الثانية – الآوار = (الأندلال): يبدأ موطن قبيلة (الأوار) في الداغستان حالياً شمالاً من [سيريورد] حتى [زاكاتالي] في الجنوب على امتداد (١٦٠) كيلوا متراً، وعرضها عند بلدة [هونزاق] حوالي (٧٥) متراً، وهذه المنطقة تقسم بلاد الداغستان إلى قسمين.

وكلمة [آوار] هي كلمة تركية ومعناها (البدو الرحل)، وهذا الاسم أطلقه عليهم (القوموق) وهم من الأصل الداغستاني لأنهم كانوا يقومون بغارات تشبه غارات الآوار الطورانيين، ثم أخذه الروس عنهم وعمموا استعماله بقصد التفرقة بين القبائل القفقاسية، وبمرور الزمن عم استعماله وصار اسماً لهم.

ويقول بعض مؤرخي الروس أن (الآوار) كانوا فيما مضى قد انتشروا من موطنهم الاصلي إلى الشمال، وأنهم كانوا يعيشون آنذاك (بدواً رحلاً) في سهل القوموق، ولكن هجرات العناصر الطورانية القوية، أجبرتهم على الالتجاء إلى الجبال.

ويؤكد بعض المؤرخين بأن مقطع (لال) في لغة الآوار هو أداة نسبة فالاسم [آند – لال] يعني (الأنديون – الآنتيون) أي أنهم يمتون بصلة للأنتيين وأنهم من أصول شركسية، وأنهم كانوا يقطنون منطقة الكوبان، فالاندلال هم الأنتيون الذين التجأوا إلى المناطق الجبلية وهم من قبائل (كاس) الأصلية.

القبيلة الثالثة – قبائل اللزكي: اتفق غالبية المؤرخين بأن (اللزكي) هم من القوميات القفقاسية القديمة الأصل، وذكر القائد الروماني (بومبي) في مذكراته بأن قبيلة باسم (ليجي) كانت تعيش في بلاد الداغستان، وأنهم من أقدم سكان القفقاس، كما ذكر المؤرخ (فريدريك موللر) في تصنيفه للشعوب القفقاسية بأن (لزجي) تتكون من (١٢) عشيرة وهي: لزجي وقويين وآغول وروتول وتاباساران وآرجين وغازي قوموق ودارغي وقوماجي وديدو وآوار وآندي.

وقبيلة (لزكي) ما هي إلا من قبائل (الكاس) حيث كانت توجد قبيلة تحمل اسم [لز – زيل Zil, Liz] بين الكاسيين، هذا وإن وجود قرابة بين (اللزكي) و (أندلال) معترف به من الطرفين، وهذا يدل على أن (اللزكي) رغم اختلاط عناصر تركية بهم فقد احتفظوا بلغتهم وطابعهم القفقاسي كما كان عند الآوار – الاندلال.

القبيلة الرابعة – هي قبيلة لاخ أو لاق أو غازي قوموق وتعيش هذه القبيلة في القسم الجنوبي والشرقي من الداغستان قريبا من بحر الخزر وجبالها قليلة أفقر منطقة من حيث الطبيعة الجغرافية، ولكنهم كانوا أكثر القبائل عملاً في الصناعات، ويعتقد المؤرخون من الأرمن والكرج أن (اللاخ) من الجامعة الكيميرية. وعلى ذلك فهؤلاء أيضاً قد نزحوا إلى هذه المنطقة مع الأندلال، والتقارب القومي بين اللاخ والأندلال يثبت هذا القول.

وقبيلة (اللاخ) سميت بعد الإسلام باسم [غازي قوموق] وهم غير قبيلة (قوموق) التركية الأصل التي تعيش في الداغستان مختلطة مع (اللاخ)، كما أن هؤلاء هم (غير القالموق) الذين هم من أصل مغولي.

ثالثا: قوميات الكتلة القفقاسية الجنوبية

تتكون القوميات التي كانت تعيش في المناطق الجنوبية لبلاد القفقاس من (ثلاث) قوميات رئيسية وهي:

- القومية الكرجية: وهم في الأصل ينتمون للجنس الآري وهم أجداد الجورجيين الحاليين.
- القومية الأرمنية: وينتسبون في الأصل إلى الجنس الآري، وينحدرون من نسل (هاكبخ ين توعامور).

- القومية الألبانية: وهم من أصول آرية وأطلق عليهم اليونانيون (بالألبانيين) نسبة لطبيعة بلادهم الجبلية الصخرية وكان يحد بلادهم من الشمال بلاد الداغستان، ومن الجنوب بلاد الأرمن، وشرقاً بحر الخزر وغرباً الحوض الأوسط لنهر (تر) وهم يعرفون اليون (بالأذربيجانيين).

رابعا: قوميات وشعوب بلاد القفقاس بعد الاحتلال الروسي وفي العصر الحديث

يجد الدارس للتاريخ الحديث للقوميات والشعوب المستوطنة في منطقة القفقاس عامة وفي بلاد الأمة الشركسية خاصة بأن (٢٨) قومية وشعباً تسكن هذه المنطقة حاليا، كما هو مبين في الخارطة المرفقة بعد أن كان عددها منذ مطلع القرون الوسطى حوالي (١٠) قوميات.

الخارطة رقم (٢)
تبين القوميات والشعوب المستوطنة في منطقة القفقاس عامة وفي بلاد الأمة الشركسية خاصة في العصر الحديث

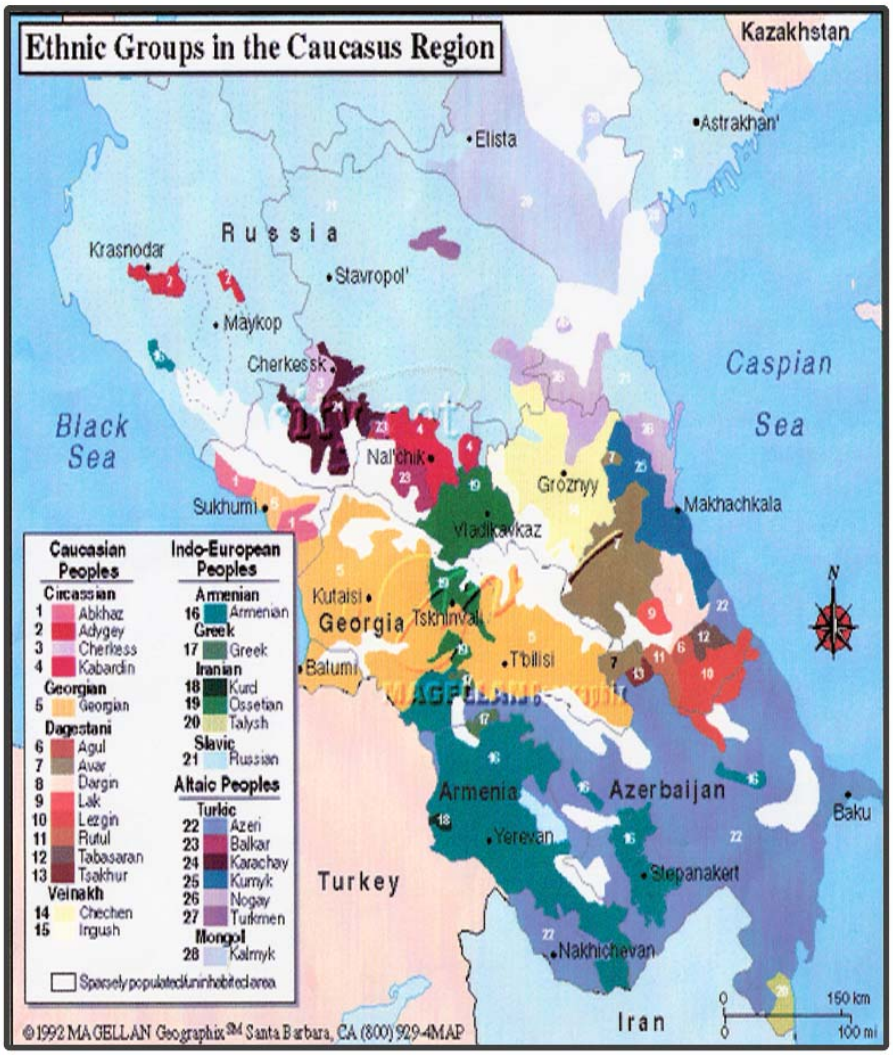

مصادر ومراجع
الفصل الثالث من الجزء الأول في المجلد الأول

١- برقوق، اسماعيل، مصدر سابق ١٦٧.
٢- ناميتوق آتيك، مصدر سابق ص٣٢.
٣- هيرودوت، مصدر سابق.
٤- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق ص: ٣٣-٤١.
٥- برقوق، اسماعيل ، مصدر سابق ص:١٦٧-٢٠٠.
٦- سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ٢١٩-٢٢٠.
٧- المصدر نفسه، ص٢٩٥.
٨- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق ص: ٣٥.
٩- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق ص: ٣٥.
١٠- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق ص: ٤١.
١١- آبه- زاو، موسوعة تاريخ القفقاس ص: ٢٩٥.
١٢- آبه - زاو ، مصدر سابق ص: ٢٩٥.
١٣- برقوب بول، السلالة الأنتية، نشر في باريس عام ١٩١١.
١٤- جونانوق، مت يوسف عزت، تاريخ القوقاز، مصدر سابق، ص٨٣.
١٥- م. يروكوبيس – الحرب القوطية، تاريخ بلا ص: ٤٢.
١٦- نغموقة، باكمرزا شورا - تاريخ الاديغة، مصدر سابق ص١٨-١٩.
١٧- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق، ص: ٤٦.
١٨- المصدر نفسه ص: ٤٢.
١٩- المصدر نفسه ص٤٥.

الفصل الرابع

شعوب وقبائل الأمة الشركسية في الوطن الأم

خلال المراحل الممتدة من القرون الوسطى وحتى نهاية

القرن التاسع عشر الميلادي

تمهيد

الدارس لتاريخ حياة الأمة الشركسية منذ القرون الوسطى وحتى العصر الحديث يجد بأن قبائل هذه الأمة عرفت بأكثر من اسم، وأن تلك الاسماء تبدلت وتغيرت تغييراً جزئياً احياناً، وكلياً أحياناً أخرى وأن هذه التغيرات حدثت في ثلاث مراحل أساسية وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة الممتدة من القرون الوسطى وحتى القرن الرابع عشر الميلادي وتكونت الأمة الشركسية خلالها من سبع قبائل وهي الزيخ، والاباسك والآدمي، وكشك، وجيكيت، وسيركاسيا.

وفي المرحلة الثانية التي امتدت من القرن الرابع عشر وحتى نهاية حرب الابادة في عام ١٨٦٤، وهي المرحلة التي أصبحت فيها الأمة الشركسية تتكون من ثلاثة شعوب هي: الأديغية والابخاز (الابازة) والاوبيخ.

حيث أصبح شعب الاديغة مكوناً من مجموعتين هما:

مجموعة القبردي، وتضم ثلاث قبائل وهي قبردى الكبرى والقبردى الصغرى، وقبردى مزدوج، كما واصبح يطلق عليها قبائل (جلاخستني، وبسلني وقبردي مزدوك المسيحيين).

- مجموعة الكياخ أو التشتاخ وتضم (١٦) قبيلة شركسية كما هو موضح في الدراسة اللاحقة.

واما بالنسبة للابخاز فكانوا ينقسمون إلى قسمين رئيسيين هما:

* قسم الابخاز ويتكون من سبعة فروع أو قبائل.
* قسم الابازة أو الابازيين ويتكون من (٣١) فرعاً أو قبيلة.

وكذلك فإن الدراسة اثبتت بأن القسم الثالث من شعوب الأمة الشركسية هو شعب الأوبيخ، أو بخ أو بيوخ كما يطلقونه على أنفسهم وكانوا يسكنون على شواطئ البحر الأسود.

وأما المرحلة الثالثة فهي المرحلة الممتدة ما بعد انتهاء حرب الابادة في عام ١٨٦٤ وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وفي هذه المرحلة تعددت القبائل واختلف المؤرخون وبعض الباحثين المختصين في دراسة شعوب شمال القفقاس حول عدد القبائل وأسمائها وحول اماكن تواجدهم.

وسنقوم (لاحقا) بعرض آراء ثلاثة من المؤرخين والكتاب والباحثين وهم:

أمجد جموخة مؤلف كتاب The Circassians وصنف الأمة الشركسية في هذه المرحلة إلى (١٣) قبيلة .

- الجنرال الاستخباراتي الروسي يوتنانت تورناو والذي قسّم قبائل الأمة الشركسية في عام ١٨٣٩ إلى (٨) قبائل.
- الباحث الشركسي قاسم برتوقوة وصنف الأم الشركسية التي كانت تعيش منطقة الاديغة والمناطق المحيطة بها على ساحل البحر الأسود إلى (١٥) قبيلة.
- **قبائل المرحلة الأولى وهي المرحلة الممتدة من القرون الوسطى وحتى القرن الرابع عشر الميلادي.**

إن الدارس لأوضاع الشعوب والقبائل الشركسية المستوطنة في قفقاسيا الشمالية في (الوطن الأم) لا بد له من الرجوع إلى ما كتبه المؤرخون الفرنسيون والرومان والبيزنطيون أولاً، وكذلك الرجوع لما كتب عن هذه المرحلة نقلاً عن الرحالة والمؤرخين الاجانب أمثال: يروكوب، وكوتستانتين، جان دوكاريان والجغرافي الجورجي فاخوشت، والرحالة انتريانو، وريان وغيرهم، بالإضافة لما كتبه قدامى المؤرخون العرب وعلى رأسهم المؤرخ الجغرافي المشهور (المسعودي) والجيهاني، والبكري والعزيزي.

هذا بالإضافة للاطلاع على ما كتبه المؤرخين الشراكسة نقلاً عن المؤرخين الاجانب المذكورين اعلاه وبالأخص المؤرخ (آتيك ناميتوق) في كتابه أصل الشراكسة المنشور في باريس عام ١٩٣٨ باللغة الفرنسية .[١]

وفيما يلي بعض الحقائق التي توصلت إليها من دراسة وتحليل ما كتبه المؤرخون (السابق ذكرهم)... وهي:

استمر استخدام بعض أسماء القبائل (الشركسية التي كانت تستخدم في مرحلة ما قبل الميلاد وحتى مرحلة العصور الوسطى وما بعدها).. ومنها الأسماء التالية

* **الأباسغ Abasqhes** وكانوا يعيشون في بداية العصور الوسطى على أرض (اللاز) كما كان موطنهم في تلك الفترة أوسع بكثير مما كان عليه في المراحل السابقة الذي لم يكن يخصص لهم إلا جزءاً من الساحل على شمال الأبسيل (Apsiles) بينما باقي الساحل كان يسكنه شعب اللاز.

* **الزيخ – Zikhes** وتحدث عنهم الأمبراطور البيزنطي (كونستانتين بروفروجنت Constantin Prophrogenet)، في كتابه (إدارة الامبراطورية) والذي أملاه على احد أبنائه في عام (٩٤١م) تحدث فيه قائلاً وكان شعب (كاساخ) يعيش وسط جزيرة كبيرة تسمى (آتيخ) (Atekh) بالقرب من كاساخ [٢].

* **قبائل آدمي – هات** وفي عام ٩٤٩م أضاف المؤرخ العربي (المسعودي) معلومات جديدة على المعلومات التي ذكرها المؤرخ البيزنطي حول قبائل (ادم – هات) كما قال: بأنه فيما وراء (الالان) بين القفقاس وبحر الروم (أي البحر الأسود)، يعيش الكشك (Kesheks) (أو كاساك Kasak) الذين هم بالتأكيد نفس القوم الذي أشار (كونستانتين Constantin Porphyrogenete) إليهم باسم (كاساخ) (Kasakhe) ، وهم الذين تذكرهم الوثائق الروسية باسم كوسوغ (Kassoghes) ويسميهم الأوسيت (الأستين) كسغ (Kossoghes) وما زال (الأستين)

يدعون الشركس حتى الآن باسم (كسغ) وخاصة للقبرداي. وكذلك فإن المنغوليين (Mingreliens) كانوا يطلقون على الشركس اسم (كاشاك Kachak) وأضاف المسعودي بقوله: كانوا يملكون الحصون على ساحل البحر ويتصل عن طريق البحر بطرابزون ومن الجانب الآخر كان مجاوراً (للالان) وهكذا فإن (الكشك) الذين يشير إليهم (المسعودي) كانوا يسيطرون على كل الأرض الشركسية (آديغة)، أي على كل شمال غرب القفقاس. وأنشأوا القلاع القوية على شاطئ البحر والتي كانت تحميهم من غارات (الالان).

*** الكشك**

وفي مقطع آخر من كتاب ذلك الجغرافي العربي (المسعودي) نجد معلومات تفيد بأن (الكشك) كانوا يفدون بأعداد كبيرة إلى المعارض والأسواق التي كانت تقام في (طرابزون)، ووصفهم **بأنهم شعب ذو اخلاق حميدة ويدين بالديانة الوثنية. ولا يوجد أي شعب آخر من الشعوب التي تقطن في هذه الأرجاء أو في الأقاليم الأخرى، عنده من الكمال الجسماني والأخلاقي، واللون الصافي، والرجال الوسيمين والنساء الجميلات مثل هذا الشعب اطلاقاً ولا يوجد في أي مكان آخر في العالم مثل هؤلاء الناس في رشاقة أجسامهم وتناسق أعضاء جسمهم** [٣].

*** الحيكيت:**

أطلق (الجورجيون) اواخر القرن السادس الميلادي، وبالتحديد ابتداء من (٥٧٥م) اسم (جيكيت Jikth) وهم أجداد (الأبخاز) والجغرافي (فاخوست)[١١] كان يميز بين (الجيك – Djik) وبين الإبخاز (الأديغ) القاطنين في الشمال قائلاً: الأبخاز والجيك يلبسون ويتسلحون مثل الشركس (Teherkes) تماماً.

ومهما يكن، فإنه لم يكن اسم جيك (Djik) يطلق إلا على جزء صغير من سكان الساحل: وهو الجزء الذي كان يعيش في جنوب الأوبيخ (Oubykh) وفي شمال الابخاز (Abkhazes) وكان العلماء يبحثون عن أصل بعض الكلمات مثل (جيغيت). (Djighit. Djighitovka) ويؤكد هذا المؤرخ أن الزيخ (Zikhes) أو الاديغة (Adyghe) كانوا يقطنون في الأراضي التي تمتد على الساحل ابتداء من نهر (تاناون Tanaon) أي (الدون) حتى (البسفور – Bosphore)، وخليج القديس حنا (Saint-Jean) وخليج بحر زاباشه (Zabache) أو بحر كانا (Cana) الذي كان قديما يسمى "بالوس ميئوئيس" وهو ما يسمى اليوم (بحر آزوف). ثم تمتد أراضيهم بعد ذلك على طول البحر نحو الجنوب، حتى خليج بويس (Buis) في اتجاه الفاز (Phase)، ويتصل هنا بالأفوغازيا (Avogasia) التي هي جزء من كولخيديا (Colchida) وكل هذه الضفة التي تسير بمحاذاة (بحر آزوف) يقرب طولها من (٥٠٠) ميل. وهي تتسع لأكثر من مسيرة خمسة أيام نحو الشرق وإلى داخل الأراضي العائدة لهم.

كما كان يسكن (الزيخ) في كل هذه البلاد دون أن يكون عندهم أي مدن محصنة أو محاطة بالأسوار، وأكبر مدينة لهم وأكثرها سكانا ومركزا للتجمع البشري عندهم كانت مبنية داخل واد صغير يقع في قلب بلادهم واسمه (كراموق او كراموس) (Caramus) وتسمى الآن (تيمروق).

يؤكد المؤرخون البيزنطيون والعرب بأن عدداً من قبائل الامة الشركسية لم يعد لهم ذكر بعد العصور الوسطى مثل قبائل (المئوت والسيند) كما أن جزءاً كبيراً من بلادهم، وكذلك فإن المناطق التي كان يسكن فيها شعوب (الكركيت) الشركسية تحولت إلى منطقة يسكنها قبائل (آخايفتيوس–Achaia vetus) وإن قبائل (زيخيا)[٤] وهي التي سماها (المسعودي) قبائل (الكشك او كازاك أو كاساك)[٥].

وأما المناطق التي كان يسكنها (الأخائيين) فأصبحت تسكنها قبائل (الزيخ) بينما المناطق التي كان يسكنها قبائل (الحنيوح) أصبحت مأهولة بقبائل (السانيغ) وفي وقت لاحق صارت موطناً (للاباسغ).

و**خلاصة القول إنه لم يعد أي ذكر لقبائل المئوت، والسيند والاخائيين والسانيخ** التي كانت تسكن الشمال الغربي للقفقاس في المراحل السابقة للعصور الوسطى. كما أن اسم (كريكت) أصبح يعرف باسم (سركاس) عند الايطاليين، وباسم تشيركيس أو تشيركاس عند الروس والتتار [٥].

كما يؤكد المؤرخون بأن تناقص أعداد القبائل الشركسية التي كانت موجودة ومعروفة منذ عصور ما قبل الميلاد في أوائل القرون الأولى لميلاد المسيح، لا يعني اختفاء هذه القبائل، أو انها قد زالت عن الوجود، بل إن الواقع هو حدوث تغييرات في التسميات فأصبح لها تسميات جديدة وأن بعضها اندمجت مع قبائل أخرى أو انها رحلت من المناطق التي كانت تسكن فيها.

وجد كلمة شركس (سيركاسي Circassi) مدونا لأول مرة في كتاب (جان دوكاربان Jeandu de Carpin)، الذي أوفده البابا إنيوسنت الرابع (Le pape innocent IV) في عام (١٢٤٥م) إلى بلاد القفقاس واصبح اسم شركس يظهر في الكتب والرسائل منذ ذلك التاريخ كما ورد على الخريطة الصينية التي رسمها كينغ شي تاتيان (Kingshi Ta Tien) في عام (١٣٣١م) اسم بلاد يدعوها (سا– ر.– كويز Sa- rh-ko-sz) أي سيركاسيا (Circassie) [٦].

مقارنة الاسماء القديمة بالاسماء في العصور الوسطى

نجد من مقارنة أسماء القبائل التي كانت موجودة ومعروفة في عصور ما قبل الميلاد وحتى القرون الأولى ما بعد الميلاد مع اسمائها في القرون الوسطى وحتى القرن السابع عشر الميلادي بأنها أصبحت على النحو التالي:

قبائل عصور ما قبل الميلاد وحتى القرون الأولى للميلاد	قبائل العصور الوسطى وحتى القرن السابع عشر الميلادي
* النارتيون	* الزيخ – أجداد الشركسة
* الانت	* الاباسغ – أجداد الايخاز
* المه وَت	* آدمي – هات
* كركت	* الكشك – كاساك – كوسوغ – كسغ وهي (قبيلة شركسية)
* آخين	* جيكيت – الجيك – وهي (قبيلة شركسية).
* زيخ – زيك	* سيركاسيا – سيركاس – وهم الاديغة من الأمة الشركسية
* حانوخ	
* سانوخ	
* الباسك	

ويلاحظ من هذه المقارنة ظهور خمس حقائق وهي:

الأولى: اختفت أسماء نارت، والآنت والمه – وَت – وكركت وآخن وحانوخ، وسانوخ، وأستمر استخدام اسماء الزيخ (الزيك) والأباسغ (باسك).

الثانية: ظهور اسماء جديدة لم تكن معروفة في العصور القديمة وهي:

أدمي هات، الكشك وكاساك وكسوغ (اوكسغ) وجيكيت أو (الجيك) وسيركاسيا أو سيركاسي.

الثالثة: أصبح الشراكسة يطلقون على أنفسهم اسم (أديغة– Adiga).

الرابعة: كان أول من استخدم اسم (سركاسي – Ciucassi) هو جان دوكاربان عام ١٢٤٥م. كما ان أول خارطة ظهر عليها اسم (سيركاسيا) هي الخارطة التي وضعها الجغرافي الصيني كنغ شي كاتيان في عام ١٣٣١ .

قبائل المرحلة الثانية وهي المرحلة التي تمتد من القرن الرابع عشر وحتى قرن نهاية حرب الدمار والإبادة للأمة الشركسية في عام ١٨٦٤

للتحقق من تاريخ وأسماء الأمة الشركسية في الفترة المبينة أعلاه قمنا بدراسة وتحليل ما كتبه كل من :

- القنصل الفرنسي في القرم وهو (غلاقاني Xaverio Glavani) عام (١٧٢٤م) وكذلك ما كتبه قنصل فرنسي آخر في القرم أيضاً وهو (م. دي بسونيل – M. De Peyssonel) .
- الباحث (كولد ينشتيد Guldenstaed) الذي زار القفقاس على رأس بعثة علمية في عام ١٧٦٨.
- ح. رانيغ والذي زار القفقاس عام ١٧٩٠.
- المؤرخ (بالاس Pallas) الذي كتب عن بلاد الشركس عام ١٧٩٣.
- الرحالة الفرنسي (كلابروت – Klaproth) الذي زار بلاد الشركس عامي ١٨٠٨-١٨٠٧م.
- بالإضافة إلى ما كتبه كل من برونيفسكي Broncwski ولوليه. Lulie ودوبويس– Dobois وأيضا بيل Bell J.s الذي زار بلاد الشركس عامي ١٨٣٧-١٨٣٩.

بدراسة وتحليل ما كتبه هؤلاء المؤرخون والرحالة توصلنا إلـــى مجموعـــة مـــن الوقائع والحقائق التاريخية:

الحقيقة الأولى

قام قنصل فرنسا في القرم غلافاني (Xaverio Glavani) في عام ١٧٢٤ بتقسيم بلاد الشركس إلى أربع عشرة منطقة (كانتون). وعلى الرغم من أن الوصف الذي قام به لم يكن كاملاً ولا دقيقاً، إلا أنه كان أول مؤلف أوروبي يصنف الفروع المختلفة للشعب الشركسي، كما أنه يكتب أسماء المناطق بشكل لا يمكن العثور عليه في كتابات أخرى. فمثلاً كتب (بيزيدو Bizedou) بدلا من (بظدغوBjedoukh) مما يجعله يستنتج أن الحرف الأخير(خkh) ما هو إلا علامة للجمع. كما أنه يسجل اسم قيميرغيا(Gemirgia) بدلا من (قمرغوي) كما يكتبه المؤلفون الروس، وكذلك يقول (بيسني أو بيسيني Besney ou Bessini) بدلاً من (بيسلني Besleney)، وهكذا فإنه أورد، على سبيل المثال، اسم (كراباي Karabay) المرتبط حسب رأيه ب (غيمير غيا Gemirgia) بينما زعم (كلابروت Klaproth) أنه يعود إلى فرع البظدغو (Bjedoukhe) (٥).

الحقيقة الثانية

قام قنصل فرنسي آخر في القرم وهو (م. دوبيسونيل M.de Peyssonnel) عام ١٧٢٥ بتنظيم جدول بأسماء القبائل الشركسية. وكان يحوي ثلاثين اسما بعضها صعب التمييز، مثل: توالاني، جيغورتيز بيتشون، آوك، بالشي، برتيباي (Tolani, Djeguritz, Bitchoune, Aoug, Balchi, Bertebai) وبالمقابل فإنه يحوي الفروع الهامة التي كان يجهلها زميله السابق (كلافاني Glavani) مثل: (حاجوكاي Hadjoukai) و (حاتيكواي Hatiboi) و (يجركواي Egherkoai) و (ابزاش Abezaches) و (آبازاخ Abazakh) كما أنه يسجل أسماء القبائل الصغيرة التي نسيها كل المؤلفين الآخرين مثل (السييدي Seidi) وهم فرع من الأبازة. كما أنه

يدون بعض الاسماء بطريقة صحيحة أكثر من غيره مثل: (كيمر – كوى Keui–Kemir) الذي هو أقرب إلى الاسم الحقيقي الصحيح. بينما اكتفى الروس بكتابته بشكل (تيمركواي Temirgoi) مقلدين بذلك التتر الذين سبقوهم إلى تحريف ذلك الاسم.

الحقيقة الثالثة

يعتبر (كولد ينشيد) أفضل من كتب منذ عام (١٧٦٨م) عن بلاد الشركس والأبخاز حيث قدم كثيراً من المعلومات القيمة التي أصبحت مرجعاً لمن أتى بعده من الباحثين خاصة بالنسبة لقبائل الابخاز وقسمها لثلاثة أقسام وهي:

قسم الجنوب الغربي: ومنها أبخازيا القديمة وتضم (شيربيت، تشاجي، سادز، وآيبيكا Chirpit, Tschadcshi, Sads et Aipga) وهو القسم التي يسمها الشركس كوشهاسيب Kuschasip ومعناه (ما وراء الجبل).

قسم الشمال الغربي: وتضم (توبي، اولوخ، شايسيخ، اوشابسو، آشة، وروكوش Tubi, Uleuch, Schapsich, ou schapso, Ache et Rokush) .

قسم الشمال الشرقي: أو (كيسيك) وتضم كل من القبائل (قزلبك، تام، شكراي، باروكاي، أوباخ، باشلباي وسابار).

أما بالنسبة لبلاد الشركس الأصلية فإنه يقسمها إلى ثمانية أقسام: (قباردا الكبرى، بيسلين، تيميركوي – مانيشاخ، آبازيخ، بشيدوع، حاتوكاي، بشانه (Gran de-Kabardia, Beslen-Temirgoi-Manischach-Abazech-Bscheduch-Hatukei-Bschane) .

الحقيقة الرابعة:

قام (بالاس) الذي زار بلاد الشركس عام ١٧٩٣ بتقسيم بلاد الابخاز إلى قسمين رئيسين هما:

أ- ابازا الصغرى ومنها يشتق فروع وهي: شانتيمر، كليتش، كيشا، لو، بيبيرت ودوداروك (Schantemir, Klitsch, Kescha, Lou, Bibert et Dudaruk).

ب- ابازا الكبرى أو ابازة الشمال الغربي ومنها ستة فروع أيضا هي: بيشلباي، باراكاي، توبي واوبوخ، شايسيخ، ناتوخاش أو ناتشو، كايتش (Beschilbai, Barakai Tubi et Ubuk, Schapsich, Natuchasch ou Natchu, Kaitch).

وأما بالنسبة للشركس الأصليين، فمثلهم مثل المؤرخين الآخرين الذين ظلوا يخطئون مدة طويلة بتصنيف الشابسوغ والناتخوي (Chapsoug et Natkhoi) بين الابازة (Abazes)، مع أن هؤلاء يتكلمون لغة الاديغة (Adyghe) ولا يعتبرون أنفسهم إطلاقاً ابازة، كما أن بالاس (Pallas) كتب اسم (جانا بشكل ساني) (Jane = Sane)، وذلك ما لا نجده عند أي مؤلف حديث آخر، ولكنه مطابق تماماً للاسم القديم ساني أو سانيغ (سانيغوي) (Sanigoi Sani ou Sanig).[١٠]

الحقيقة الخامسة

قدم لنا المؤرخ الشركسي آيتك ناميتوق في كتابه أصل الشراكسة[١١] تلخيصا لما كتبه الرحالة والمؤرخون الفرنسيون عامة، وبالتحديد نقلا عما كتبه كل من كلايرد، وبرونيفسكي، ولوليه، وديوبيسن وبيل، وكذلك عن أهم الرحالة والباحثين الذين زاروا بلاد الشركس (الاديغة) في النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالتحديد ما بين اعوام (١٨٠٧-١٨٣٩)م عن القبائل الشركسية (الاديغة) وأقسامها وأسمائها وأماكن استيطانها ونلخصها على النحو التالي:

أولا: يقسم الأمة (الشركسية) إلى ثلاثة شعوب وهي:

* شعب الشركس، الذين يسمون انفسهم (أديغي Adyghe).
* شعب الأوبيخ، الذين يطلقون على أنفسهم اسم (أديغي Adyghe). ولكن لهجتهم تختلف عن لهجة الأديغة بشكل بيّن.
* شعب الأبخاز – أبازة (Abkhaso-Abaze). ولهم لغة تختلف عن لغة الأديغة أيضا.

وفيما يلي وصف ملخص لكل شعب من هذه الشعوب الثلاثة:

*** الشعب الشركسي (الاديغي) وينقسمون إلى مجموعتين هما:**

مجموعة القباردية (او القبردي) ومجموعة الكباخ او تشتاخ واعتمد في هذا التقسيم على المنطقة الجغرافية التي تتواجد فيها كل مجموعة، وكذلك على اللهجة المستخدمة لدى كل من قبائل المجموعتين.

وضمت مجموعة الكباخ (التشتاخ) القبائل والفروع التالية:

١- كرون (Grouun) الذين يقيمون في شبه الجزيرة التي تمتد بين خليجي اسك (Eisk) وبيسوك (Beisug) وهذه القبيلة الشركسية لم تعد تسكن في المكان نفسه، إذ اضطرت بالفعل بعد احتلال تلك المنطقة من قبل الروس إلى الهجرة نحو الجنوب وإلى الاختلاط بالقبائل الشركسية الآخرى).

٢- الهاتقو او الهتيوك (Hatko ou Hetouk) وكانوا يعيشون في جزيرة تامان (Taman)، وانسحبوا إلى الضفة اليسرى لنهر الكوبان بعد احتلال الروس للقرم. وفي عام ١٧٩١م عندما استولى الروس على نهر آنابه (Anapa) هلك الكثير منهم في القتال وانقرضوا تقريباً أو اندمجوا بالقبائل المجاورة لهم. ويطلق عليهم أيضاً الاسم التتري (آدالي Adaly) أي سكان الجزيرة، وقد ذكرهم دوبيسونيل (De peyssonnel) باسم آدا (Ada) والبعض يرجع الاسم الوطني للشركس (آديغ) إلى هذه الكلمة التترية (آدا ومعناها جزيرة).

٣- التشبين (Tchebein) وقد اندمجوا مع الناتكوى (Natkoi) فيما بعد.

٤- الخياك (Khegak) وكانوا يسكنون قرب مدينة آنابة (Anapa) وبقايا هذه القبيلة التي حصدها الطاعون الذي اتت به الجيوش الروسية عام ١٨١٢م، قد تفرقت خلال القرن التاسع عشر، وكثير منهم اختلطوا بالناتكوى ويقول بعض الباحثين أن اسمهم مشتق من كلمة (khi) ومعناه البحر باللغة الشركسية.

٥- زاني / جاني (JANE) وكانوا يقطنون قديما على الضفة اليمنى لنهر الكوبان، ولكن البظدغو (Bjedoukh) دفعوهم نحو جزيرة دتلياسف (Detliasf) (قره- كوبان Kara, Kouban).

وفي عام ١٧٧٨م عند اقتراب الروس، رحل (الزاني) إلى الضفة اليسرى لنهر الكوبان وعاشوا حتى عام ١٨٦٤م على ضفاف انهار بتشيتس وخوخاي (Pchets et Khokhai) بالقرب من آنابا (Anapa) وعلى ضفاف نهر اداغوم (Adagum) وكان يرأسهم الامراء سانيكو (Saneko) وزاني أو ساني (Zane ou Sane) وميداووكو (Medawoko).

٦- الناتوكوي او الناتخوى، ناتخواج (Natkoi ou Natkhoi, Natkhoaj) وكانوا يسكنون بالقرب من السلسلة الأخيرة للجبال السوداء الواقعة على شواطىء البحر الأسود بدءاً من شبه جزيرة تامان حتى بلاد الاوبيخ (Oubykh) في الجنوب وبين عشرة وديان، وفي الثابت أن هذه القبيلة تتشكل من الابازة.

٧- الشابسوغ أو الشابسوخ (Chapsoughou Chapsoukh) وكان موطنهم إلى الشرق وعلى أنهار اوبن (Ubin)، وبسيكابي (Psikabe)، وشيبس (Chips)، وافييس (Afips) وأيل، وكذلك على السفح الجنوبي لسلسلة جبال القفقاس، حيث كانوا يسكنون في وادي بسيزوي (Psizuy)، وذهب بعض الباحثين منهم إلى اعتبار أصل هذه القبيلة واحداً من أصل القبرداي (كلابروث Klaproth)، وآخرون صنفوهم بين قبائل الابازة (Abazes) (مثل غول دينشتيدت وبالاس

وغيرهما (Guldenstaedi Pallas etc)، وفئة ثالثة اعتبرتها خليطة آديغي– آبازي (Adyghe-Abaze) (مثل برونيفسكي Bronevski). ولكن مهما يكن فإن لهجة هذه القبيلة لا تختلف أبدا عن لهجة (بظدوغ وكيميرغوي) (Bjedoukh-Kemirgoi) (بظدغو، تشامركوي أو تشامكوي) وباقي القبائل الشركسية من مجموعة تشاخ (أو كياخ).

٨- البظدوغ (Bjedoukh) وكانوا يسكنون شرقي (الشابسوغ) على ضفاف انهار بسيش (Psich) وبسيخومات (Psikhomat) أو مارت (Mart) وبيتشاش (Ptchach) وبسيقوبس (Psecups) [٢٤] وتشبي (Tchebi) واونابات (Unabat)، وسوب (Sup). وكانوا ينقسمون إلى فرعين (كركناي (Kerkeney) و(خمشاي– Khamichey) الذين سميا باسم اخين بطلين اعطيا اسميهما لقسمي القبيلة وهما الاميران (كركن – Kerken) و(خاميش –Khamich). وكان قسم من البظدوغ يقطن الضفة اليمنى (أي الشمالية) لنهر الكوبان قبل وصول القوزاق ولكنهم هجروها حينذاك، والآن يقيمون فقط على الضفة اليسرى منه، وهم يشكلون مع الكمرغوي الكتلة الاساسية للشركس – الجياخ (تشاخ) (Circassiens-Kiakhs) الذين بقوا في القفقاس. لقد كان (البظدوغ) مشهورين ببراعتهم في التعدين، وإن استثمار مناجم الفضة بالقرب من لابابه Labape الواقعة في بلادهم، كان يعطيهم شهرة كبيرة.

٩- الحاتيكوي Hatikoi (حاتيقواي) وكانوا يقيمون بين نهري (صحاكواش وبسيب) (Shagoache, Psip) وقديما كانوا يصلون إلى الغرب حتى أحواض انهار افيبس، اوبين، غيل، ايل (Afips, Ubin, Ghil Eyel).

إن الحاتكو Hatko الذين كانوا يسكنون في جزيرة تامان ليسوا فرعا من هذه القبيلة كما يبدو، كما نعلم أيضاً أن جزءاً من الحاتقواي قد انفصل عن مجموع

القبيلة ليذهب وينضم إلى الشابسوغ والناتكوي، بينما كان قسم ثان من الباقين يندمج مع الكمرغوي.

١٠- الكمرقوي Kemirgoi وكانوا يقطنون شرقي البظدوغ والحاتقواي بين نهر الكوبان وأنهار لابا (Laba) وصحاكواش (Shagoache) وعلى ضفاف انهر (بسيناسوغ، غياغا، فارز، ول، دزاغو، وتشوكراج – Psinasug, Ghoaga) (Ul, Farz, Dzago et, Tchokradj . وكانوا يتصلون بالموخوش (Mokhoch) على ضفة نهر (آريم Arim) بالقرب من البلدة القديمة (جيراكي Dkiraki جراقي).

١١- الآدمي Ademi ويسكنون على ضفاف نهر بسيغا (Psega) وبالقرب من بسيش (Psich) .

١٢- اليجركوي Egherkhoi أو (يجرقواي) يسكنون حول جراقي وراتازي (Djiraki et Ratazi) .

١٣- الكيراي Kirai ويسكنون بالقرب من قبيلة (الأدمي).

١٤- الابزاخ (Abazakh, Abzakh) ، وكانوا يسكنون حوض نهر صحاكوش (Shagoache) وروافده، كورجيبس (ومعناه النهر الجورجي) بشيحا، بخاتز، تفيزيس (Kurdjips, Pkhatz, Tfizeps) وكذلك حوض نهر لابا وروافده بشيزوي، شيغوبسين، حاغور وفارز، (Psizuy, Chegupsin, Hagur, et Farz) وأيضا حوض بسيش (Psich) وروافده: نارت، بتشاص (Mart, Ptcharch) ومنهم من كان يسكن ايضاً حوض بسيكوبس (Psecups) وكذلك حوضي ونابات سوب (Unabat Sup) وهذا الأخير هو الذي يشكل الحد الفاصل بين الابزاخ والشابسوغ ويعتقد بشكل عام أن الابزاخ خليط من (الاديغي والابازة) وبشكل أكثر من (الاديغي والاوبيخ) حتى أن اسمهم يؤكد تلك الفرضية بينما يزعم البعض الآخر أن هذه القبيلة أخذت اسمها: آبازاخ من اسم فتاة شركسية

جميلة كانت تعيش قديما في منطقتهم، أما التفسير الذي يقدمه الشركس انفسهم لذلك الاسم هو: آبازام (م) + يخ = Abaza (m) + ikh وذلك يعني (ما دون الابازة او ما بعد الابازة). وفي الواقع فإن (الابزاخ) يجاورون (الابازة) من ناحية الشرق.

يشكل الابزاخ واحدة من أهم القبائل الشركسية. وقد كانوا يتمتعون بدستور وبقوانين ديمقراطية، كما كانوا يشتغلون بالتعدين وفي استثمار مناجم الحديد في وادي نهر بتشاش (Ptchach) ومناجم الرصاص في وادي نهر كورجيبس (Kurdjips) تلك المناجم التي كانت مشهورة جداً كما لعبت هذه القبيلة مع قبيلة الاوبيخ دوراً هاماً جداً في السنين الأخيرة من الحرب ضد روسيا.

١٥- الموخوش Mokhoch كانت مواطنهم واقعة في جنوب شرقي الكمرغوي وعلى ضفاف نهر (فارز) وعلى سفوح الجبال السوداء. وبلادهم هذه كانت تجتازها انهار شيمبلوناخي (Chimblonakhe) تشوكراج (Tchokradj) بسيفير (Psifir) وعلى ضفاف هذا النهر الاخير كانت توجد بلدتي مربري (Merberi) وكورغوكاي (Kurgokai) وكذلك نهر بسيخوش (Psekuch) وكالخ (Kalkh) وآريم (Arim). وكان على رأس قبيلة الموخوش منذ زمن طويل الأمراء من آل بوغارسوق (Bogarsoko).

١٦- الآغوي Agoi (اكوي) وكانوا يقطنون جنوب الناتكوى (ناتخواي أو ناتخواج) على شاطئ البحر الأسود بالقرب من طوابسه (Tuapse) ويدعوهم الكمرغوي (Kemirgoi) وبعض القبائل الشركسية الأخرى باسم حاكوش (Kakoutch) (حاكئوتش، حاكئوتصو) بينما يطلق عليهم البظدوغ والشابسوغ والناتخواي اسم (آغوي). ومن هذا الاسم اشتق اسم غويتخ (Goitkh) وهو الأسم الذي يطلق على الوديان الواقعة قرب طوابسه وآغويه (Tuapse, Aghuya)، وهذا الاسم الاخير يطلق على نهر صغير مجاور لطوابسه.

*** قبائل شعب القبرطاي:**

أما مجموعة شعب القبرطاي فإنها كانت تضم كل من قبائل كباردا الكبرى، وكباردا الصغرى منذ عام ١٧٥٩ علماً بأنها كانت قبيلة واحدة قبل ذلك. حيث قام الامير كورغوكو ومؤيده بالانفصال (على إثر خلافات على الزعامة) بعد موت والدهم أمير الامراء (اينال الكبير) واستوطنوا الضفة اليسرى لنهر (التيرك) وقاموا بتأسيس مدينة كباردى الصغرى. وأما الذين لم يغادروا موطنهم الأصلي اطلق عليهم اسم كباردى الكبرى، وكانوا يقيمون في احواض أنهر شجم، باخسان، مالكا، يودكوموك، كوما (Tehegem, Baksan Malka, Podkoumok, Kouma)، وكذلك في منطقة مزدوك أي كباردا الصغرى (بالشركسية: جلاخستني).

كما أنهم كانوا يقيمون في القرى والمدن الخاصة بهم في منطقة زيلينتشوك (Zelentchuk) ومعناها بالشركسية: ينزج، ينج وتسمى الآن (قرشاى شركس) وهم (البسلني) [١٣].

*** شعب الاوبيخ Oubykh (وبخ)** الذين يطلقون على أنفسهم اسم بخ او بيوخ (Pekh, Piokh)، وهم يقطنون حول منابع (Shagoache, Pcheha) أي (صحكواشه، بشح) وعلى شواطئ البحر الأسود ويجري في بلادهم انهر زويبرة، لون، نيغة، باتخ، داغوميس، بسيخ، ساخه (Zuebze, Lon, Nighe, Batkh, Dagomeps, Psikh, Sakhe) ويجاورهم الناتخواي والاغوى والابزاخ في الشمال والشرق، والابخاز من الجنوب، وهم يشكلون نقطة الانتقال أو مرحلة وسط بين (الاديغي والابخاز) وعلى الرغم من أن كثيراً من المؤلفين يعدونهم من قبيلة الابازة، إلا أن لهجتهم تختلف اختلافاً فنيا عن لهجة الابازة وانها لهجة وسط بين الابازة ولهجة الاديغة.

*** شعب الابخاز ويمكن تقسيمهم إلى قسمين (فرعين اثنين) هما:**

* الابخاز. * الابازة

ويطلق الشركس على القسم الأول الاسم العام (ازيغ أو ازاغة Azyg Azghe) بينما يسميهم الاوبيخ ادزيغة Adzyghe وهؤلاء هم الابازة المقيمون وراء الجبال. أما الابازة فإنهم يسمون الابخاز باسم ابسوفي (Apsowi) والجورجيون يدعونهم اوبيزا، اوبازا، ايسيلي (Obesa, Obasa, Apsili) وتتكون قبيلة الابخاز من العشائر التالية:

- البزيبة (Bzibe) وهم جيران الاوبيخ من الجنوب.
- الاخيبس (Akhips): ويمتد سكنهم من سوخوم (Soukhoum) حتى كاييتي (Kabeti).
- الايبغا (Aibga) وهم القاطنون على ضفاف نهر كودور (Kodor).
- الزامبال (Zambal) وهم الذين يدعوهم الروس باسم تزيبيلدينتزي Tzebldintzi ويقيمون في وديان كودور (Kodor)، ودال (Dal) .
- الخربيس (Khirpis) وهم يجاورون السوان (Svanes) من الشرق.
- التشاجي (Tchaji) ويقطنون ضفاف آغر (Aghir) ومارمار (Marmar).
- السادزة (Sadze) (أو الزادس Zads حسب قول كلابرون) ويسكنون على ضفاف نهر اوخوم Okhum .

أما الابازة (ابازين) الذين يسميهم الابخاز عموما باسم أشو (Acho) أو آبسغاتش (Apsgatch) فإنهم ينقسمون إلى عدد كبير من القبائل الصغيرة التي تحمل أسماء متعددة، وفيما يلي أهمها:

- التابانتا (Tapanta) ذلك هو الاسم الذي يطلقه على أنفسهم الابازة من الفروع الستة (آلتي – كيسيك آباز Alti-Kessek Abaza كما يلقبهم التتر) أما الشركس فيدعونهم (الاديغة) فإنهم يدعونهم باسكي (Baski).

وهؤلاء يشكلون المجموعة الشرقية من الابازة، فهم يسكنون بالفعل بالقرب من منابع الكوبان وزيلينتشوك الكبير والصغير وكانت منطقتهم تمتد في بداية القرن الماضي إلى حوضي الكوما والبودكوموك (Podkounok) .

- الباتشلباي أو الباشلباي – ويقطنون في الوديان العليا لنهري اوروب (Ouroup) (وارب Uarp) ، وزلنتشوك الكبير.
- الميدوا (Medwa) (أو ميداوي Midawe) أو (ماجوا – Madjwa) وكانوا يقيمون على الضفاف العليا لنهر (لابا) بالقرب من الابزاخ، وكان مركزهم موجودا في المكان الذي تشغله حاليا بلدة باغسكايا (Bagskaya) .
- الكازيلبك (Kazilbeg) أو الكازيلبيكيت [٣٣] وكانت مساكنهم في الجبال بالقرب من منابع نهري (لابا) الكبير والصغير وتمتد بلادهم حتى البحر الأسود تقريبا، وكانوا يتصلون من ناحية الشمال بالبسليني.
- الشجراي (Ghegrey) وكانوا يسكنون في وادي لابا الصغير.
- الاييبكو (Haibiko) وهم الجيران المباشرون (للشجراي) السابق ذكرهم.
- السييدي (Seidi) وهي عشيرة لم يذكرها إلا دوبيسونيل (De peysonnel). وكانوا يسكنون بالقرب من الاييبكو.
- الباغ (Bag) وكانوا يعيشون في المجرى الأعلى لنهر فادز (Fadz) وغير (خودز Khodz).

إن هذه العشائر الخمسة الصغيرة الاخيرة ترتبط بقبيلة بالميدوا (Medwa).

- التام أو تامكيت (Tam, Tamkit) وكانت منازلهم على الضفاف العليا لنهر لابا الكبير، وبالقرب من منابع اوروب.
- الكوجو (Koujou) ويسميهم الشركس (كوجو– Kojou)، بينما يدعوهم الروس كوفتشينسكي – آول (Kouvchinski aoul) .
- الججين (Djedjene) وهم عشيرة صغيرة وهم جيران الرابي.

- البرزنديغ (Berzendig) وكانوا يسكنون إلى جوار الكوجو السابقين.
- السارابي (Sarapi) وهم جيران الججين، وكانوا يعيشون بين الوديان العليا لنهري لابا الكبير واوروب بالقرب من بلدة بريغرادنايا (Pregradnaya).

وتقول الروايات الشعبية التي يتناقلها الابازة، أن بلاد السارابي (Sarapi) كانت مفضلة من قبل أبطال النارت الذين كانوا يترددون عليها كثيرا، وفي هذه المنطقة بالذات وفي داخل غابة قيباغا (Qibaga) توجد المقبرة التي يرونها للناس ويقولون عنها انها مقبرة النارتيين.

- البراقي (Prakey) وكانوا يقطنون في ضفاف نهري غويس (Gups) وفادز (Fadz)، وهم ينتمون إلى نفس الأصل الذي يرجع إليه الميدوا (Medwa) وهم أقرباء أيضا للابخاز المقيمين في منطقة سوخوم التي لم يكونوا بعيدين عنها أكثر من ٤٠كم.
- التوبي (Toubi) ويسكنون بالقرب من منابع صحكواش Shagoache وبشيحا Pcheha.
- الهاتشيبس (Hatchipsi) وهم جيران الاوبيخ مثل العشائر الأخرى.
- سيسيبشيري (Sisipchire) ويقطنون إلى الغرب من السارابي (Sarapi).
- الشاشي (Chachi) وقد ذكرهم بيسونيل (Peysonnell) وكانوا يقطنون على شواطئ البحر الأسود، بالقرب من الاوبيخ.
- اراتخواس (Aratkhowas). ويسكنون بالقرب من الشاتي.
- تالكو (Talko) وهم يسكنون بالقرب من الاوبيخ.
- كوبيخان (Koubikhan) وكانوا يسكنون على ضفاف البحر الأسود في جوار نالكوبي – مادجاوا وايبسيب (Ibsip Nalkoupi Madjawa).

ويلاحظ أن التقسيم السابق إلى ثلاثة فروع للشركس اعتماداً على لهجاتهم لا ينطبق تماماً على الحقائق الانتوغرافية (وصف الاقوام) حيث أن (ظانة) عند الاديغة والابازة، وكذلك (الشابسوغ والناتخواي) يصنفهم البعض مع (الابازة). ونجد (الاغوي) بين الناتخواي والحاتقواي وعند (الشابسوغ والكمرغوي). و"اليجر قواي" الذين هم فرع من "الكمرغوي" نجد قسماً منهم من "الناتخواي" مثلما نجد "باغ" بين الابزاخ والابيخ.

- كوصحة – ظانة Kusha-Jane ومعنى ذلك الظانة الجبليون، وهم ظانة وامبير (وامبير بساريرخ – لابا صغير Wampir Psarerkh-Petit Laba)، وإن صفة (الجبلي) قد أضيفت إلى اسمهم لتمييزهم عن الظانة الأديغة. وعلى الرغم من أن هاتين القبيلتين (ظانة) تتكلمان بلهجتين مختلفتين: فإنه من الواضح انهما لم يكونا في الأصل إلا قبيلة واحدة.(١٣)

قبائل المرحلة الثالثة، وهي المرحلة الممتدة من عام ١٨٦٤ وحتى نهاية القرن التاسع عشر

ربما كان أفضل من صنّف القبائل الشركسية في هذه المرحلة هم الكتّاب والباحثون التالية أسماؤهم وعلى النحو التالي:

التصنيف للكاتب (جموخة) * في كتابه The Circassians (١٤) حيث تضمن القبائل الشركسية التي كانت تعيش في الوطن الأم في شمال القفقاس في السنوات الأخيرة من الحرب الروسية القفقاسية التي انتهت عام ١٨٦٤. إلى ثلاث عشرة قبيلة وهي:

* الكاتب امجد حجوخة هو من الجيل الثالث من شراكسة المهجر في الأردن ومن المهتمين بكتابة تاريخ الأمة الشركسية باللغة الانكليزية وله أكثر من كتاب وبحث.

١) قبردي / كباردينا – Kabardians .
٢) بسليني – Beslany .
٣) تيمر قوي/ تيمر كوي – Temirgoi .
٤) بظه – دوغ/بزادوغ – Bzhedugh.
٥) أبزاخ – Abzakh.
٦) زانه او جانه – Zhanin.
٧) موخوش – Mokhosh.
٨) تشلوقوه – Tcheluga .
٩) نارت خواج – Nantkhuaj.
١٠) حتوقوي – Hutuqwey.
١١) حاكوج – Hakuch وتضم عشائر خمش – Ximisch وتشيرشيني – Cherchenay، فينيل Vepsne وآدامي – Adamey [١٤].
١٢) أباظة / أبخازيا – Abaza – Abkhazia وهي قبيلة تعتبر أصلاً من القبائل الشركسية إلاّ أنها مع مرور الزمن أصبح لها لغة تختلف عن اللغة الشركسية لانقطاع اتصالها مع الشراكسة.
١٣) أوبيخ – Ubbykhs.

التصنيف الثاني:

وبالرجوع إلى التقرير السري الذي كتبه الجنرال الاستخباراتي الروسي (يوتناتت تورناو) عام ١٨٣٩م الذي سبق أن دخل حدود الأراضي الشركسية عام ١٨٣٤ من منطقة الكوبان عن طريق البحر الأسود بمهمة التجسس، وما أن علم به الشراكسة حتى ألقوا القبض عليه ووضعوه تحت الإقامة الجبرية لمدة سنتين، حيث جاء في تقريره بأنه زار قبيلة شركسية عام ١٨٣٤ وهي قبيلة بسليني وتقع في الطرف الأيسر من نهر كوبان وفي العام نفسه وقعت تحت احتلال الحكومة

الروسية. غير أنهم رحلوا سراً إلى الطرف الأيمن من (النهر) عند مصب نهر (وارب) وعدد في تقريره القبائل الشركسية المتواجدة في شمال القفقاس على النحو التالي:

(١) الكمركوي أو ليزروقة

وكان يحكمها الأمير (بلوتوقة) ومن بعده الأمير (شرلوقه)، وكان موطنهما في عام (١٨٣٤) في الأراضي الواقعة، ما بين نهري (لايه) و (صحة كواشه) وفي العام نفسه قام (الجنرال زاس) الذي كان الشراكسة يلقبونه (بالرأس المثقوب) بتهجير (الكمركوري واليزروقة) و (المخوص) من مواقع سكنهم إلى الطرف الأيسر من (نهر لابه).

(٢) المخوص:

كانت بإمرة الأمير (باغرسقو) ويقيمون في الطرف العلوي من الجهة اليسرى من (نهر لابه).

(٣) الحاتيقواي:

كانت قراهم موزعة على جانب (نهر لابه) وعلى الجانب الأيسر من نهر (صحه كواشه)، وأمراؤهم كانوا موالين للحكومة القيصرية الروسية.

(٤) البظه دوغ:

وكانت تسكن على جانب الأنهر (بسه قويس وبشيش) تحت وصاية أمرائهم (جه جناي – خمشي) وأصبحت القبيلة تحت إشراف الحكومة القيصرية الروسية.

(٥) القبرطاي:

كانوا يقيمون في الطرف الأخير من نهر (يشيز) وعند نهري (تيزن – وارب) وكذلك (ينج) الصغير، وأقام القبرطاي في ذلك المكان وبعلم الحكومة الروسية وكل قرية من قراهم، تحت إمرة أمرائهم أو نبلائهم.

(٦) الشابسوغ:

وقال عنهم الجنرال تورنادو [١٥] (هم أناس طيبون جداً وذوو همة عالية وشديدو المراس ورجالات حرب)، كانوا يقيمون قرب منبع (بسه قويس) وحتى نهر (الكوبان) وعلى شاطئ البحر الأسود من (أنابه) إلى نهر (صافّة). وأراضي الشابسيغ قسمان: القسم الأول: – شابسوغ* الكبير: وهم سكان الجبل على محاذاة نهر الكوبان، والقسم الثاني: شابسوغ الصغير: وهم سكان شاطئ البحر الأسود. ولم يكن لدى الشابسوغ أمراء ولا نبلاء، وكانوا يحترمون كبار السن (التحامادة) ويخضعون لآرائهم ونصائحهم وكانت قرى الشابسوغ الكبير تتبع نظاماً واحداً، وطراز معيشتهم متشابه.

أما قرى الشابسوغ الصغير فكانت كل قرية فيها مستقلة عن الأخرى، وكان رئيس القرية هو الحاكم الإداري لها، وهو من كبار السن ومن ذوي الرأي والخبرة، وكلا القبيلتين كانتا تتحدان وتتعاونان وتقفان صفاً واحداً حين المجابهة مع الروس، والشابسوغ المقيمين على شواطئ البحر الأسود، اختاروا مناطق لسكناهم في سفوح الجبال القريبة من الساحل لتكون تحت أنظارهم ولمراقبة جميع الطرق والمسالك المؤدية إلى البحر الأسود وعلى امتداد البصر. ورغم مخاطر الحرب ظل سكان الشابسوغ الصغير يربون المواشي ونساؤهم يتمتعن بحرية أكبر، وكان تمسكهم بالدين ضعيفاً.

* شابسوغ باللغة الشركسية معناها (الحصان المضمر) أو السايس الذي يضمر الحصان حيث أن (ش) معناها (حصان).

(٧) الأبزاخ:

يفصل بين الأبزاخ والشابسوغ (نهر بسه قويسة) وكانوا موزعين على أطراف سفوح جبال القفقاس حتى نهر (صحة كواشة) للتمويه والاختفاء عن أعين الجيش الروسي، واختاروا مناطق الجبال والوديان والغابات لكي لا يؤخذوا على حين غرة. غير أنهم كانوا يفتقرون للأراضي الزراعية والمراعي والمياه الكافية.

وكان الأبزاخ غير خاضعين لإمرة أحد من الامراء ولم يكن لديهم أمراء إلاّ أنهم كانوا يحسبون حساب النبلاء لكثرة عددهم، ولم يكن النبلاء أغنياء، لذا كانوا يعيشون بدرجة الكفاف، أما النصف الباقي، فكانوا يغيرون على الأراضي التي استولى عليها الروس، وينهبون السكان، وعند الغارات كان الأبزاخ يتلقون المعونة من أخوانهم القبرطاي، وكذلك فإن شعب الأبزاخ كانوا غير متمسكين بأهداب الدين الإسلامي بصورة كاملة، إذ كان الدين عندهم في عهده الأول، وكانوا يفتقرون إلى العلماء والمشايخ ورجال الدين.

(٨) الأوبيخ

كانت أراضيهم مجاورة للتلال من جهة ما يسمونه (بشاقة) حيث تكثر مناجم الحديد، وبالقرب من نهر (يشاقة) وغابة (مزمارجية) يوجد بعض الأمكنة التي تنبع منها المياه المعدنية والكبريتية القابلة للاستجمام والعلاج.

وأما الكاتب الشركسي (مرتقوه قاسم) من جمهورية اديغية في الوطن الأم ربما كان أفضل من حدد سكن القبائل الشركسية في منطقة (الاديغية) وكذلك كان يعتبر خبيراً في وصف أسماء القبائل الشركسية التي كانت تعيش في منطقة الكوبان في السنوات الأخيرة من حرب الإبادة والدمار الروسية والتي انتهت باحتلال الوطن الأم عام ١٨٦٤.

التصنيف الثالث:

تناول (مرتقوة) في كتابه (تاريخ أسماء الاديغة) أسماء القبائل الشركسية التي تعيش في منطقة (الاديغية) وفي بعض المناطق الشركسية المحيطة فيها وبالاخص القبائل التي كانت تسكن اقليم ساحل البحر.*

وكذلك فإن (مرتقوة) هو أفضل كاتب قدم لنا وصفاً دقيقاً لمواقع سكن القبائل الشركسية في منطقة (الاديغية) وقدم تحليلا دقيقاً أيضاً لأسماء قبائل هذه المنطقة ومعنى اسم كل قبيلة ومدلولاته ومغزاه. حيث تناول (مرتقوة) في بحثه تاريخ (١٥) قبيلة شركسية وهي على النحو التالي:

القبيلة الأولى – آب دزاخ – أبزاخ ABD3Ax (١٦)

الموقع والحدود

امتدت اراضيها عبر السلسلة الجبلية في القفقاس الغربي من منخفض "توبه" وحتى مدينة "بس قاب" الحالية، التي تعرف أيضا بأسم "جورياتش كليوتش" وتتبع من أراضيها عدة أنهار منها:

- بش حا ، به قوبس ، بش ض ، لا به .

وتشترك حدود هذه القبيلة مع حدود قبيلة "شابغ" غرباً ومع حدود قبيلتي "بجدغو" و "حاتي قواي" شمالا، وحدود قبيلة "مام خيع" شرقاً، في حين تمتد أراضيها في الجنوب الغربي إلى حدود قبيلة "ويبخ" وأقامت القبيلة في قرى وبلدات عامرة، وانتشرت أهم مدن القبيلة في مختلف أنحاء أراضيها، منها على سبيل المثال:

- توبه ، داور حابلة ، حاتقوه حابلة ، نه دجقوه حابلة ، يدج حابلة.

* ولم يتطرق لأسماء القبائل الشراكسة في منطقة تشركسيا والقبرطاي وكرسندار.

اهتمام الرحالة بالقبيلة

تأخر اهتمام الرحالة بهذه القبيلة إلى اواسط القرن الثامن عشر، حيث أخذ بعض الرحالة الأجانب يترددون على هذه القبيلة، عبر المسالك الجبلية السرية، ويعود تأخر الاهتمام الجاد بهذه القبيلة إلى الطبيعة الجبلية الصعبة لأراضيها، حيث حالت هذه الطبيعة دون وصول الرحالة حتى وقت متأخر.

مصدر اسم القبيلة

تختلف الآراء حول معنى اسم القبيلة "آب دزاخ – أبزاخ" ويعيد معظم الباحثين هذا الاسم إلى الموقع الجغرافي لأراضي القبيلة، حيث تقع أسفل أراضي الأبخاز والأبازة، ويعتمدون في ذلك إلى تحليل الكلمة إلى مقطعين ويعطي هؤلاء المقطع الثاني "خ = X" معنى "أسفل، أدنى، منخفض" بحسب اللغة الشركسية (الأدي غيه). وبذلك يكون معنى الكلمة برأي هؤلاء هو: "الجماعة التي تعيش أسفل أراضي الأبازة".

إن التدقيق في الكلمة يثير الشك في المعنى الذي أعطي لها، اعتماداً على معنى المقطع الثاني "خ = X"، إذ يرد هذا المقطع في العديد من أسماء القبائل الأخرى، دون أن يأخذ هذا المعنى.

فروع القبيلة

كانت تتألف القبيلة من فرعين: عرف الأول بأسم "آبزاخ الأراضي العالية" والفرع الثاني باسم "أبزاخ الأراضي المنخفضة" وهذا ما يؤكد اختلاف اللهجة في القبيلة وتقع مواطن الفرع الأول في المناطق الجنوبية الشرقية من أراضي القبيلة، وبالتحديد منطقة "توبه" وهي منطقة جبيلة، وقد عرف هذا الفرع أيضا بالابزاخ الأصليين في حين تمتد أراضي الفرع الثاني في المنطقة الشمالية الغربية لأراضي القبيلة، ولا سيما في المنطقة التي تقع فيها اليوم مدينة "بس فاب".

المعالم الجغرافية

في أراضي القبيلة مواقع ومعالم جغرافية كثيرة، تحمل حتى الآن أسماء شركسية منها على سبيل المثال:

جبل الأبزاخ، ممر الأبزاخ، طريق الأبزاخ، مرعى الأبزاخ، نبع الأبزاخ، غابة الابزاخ، وغيرها، ولا تزال هذه الأسماء متداولة.

النظام الاجتماعي واللهجة:

لم يوجد في القبيلة نظام ملكي او نظام الإمارة خلافاً للقبائل الأخرى، وإنما كانت تتبع نظام (تحامادة) أو زعامة وقيادة كبار السن وللقبيلة لهجة أبزخية خاصة بها الا أن عدد المتحدثين فيها حالياً تراجع بسبب انتشار لهجة الأديغية الأدبية المستخدمة حالياً غير أن بعض كبار السن يتحدثون بهذه اللهجة حتى اليوم إضافة إلى الشباب الذين يتكلمون مزيجاً من اللهجة الأبزاخية واللغة الأدبية، دون أن يؤثر هذا على أولوية اللغة الأدبية.

عدد أفراد القبيلة

كان عدد أفراد القبيلة في مطلع القرن التاسع عشر هو ٢٠٠ الف نسمة ولم يبقَ منهم بعد التهجير القسري إلى تركيا سوى (١٦) ألف شخص.

القبيلة الثانية – قبيلة صابسيغ أو شابيغ

الحدود والموقع

تنقسم أراضي هذه القبيلة إلى قسمين، عرف الأول منها باسم "بلاد الصابسيغ الكبرى" في حين عرف الثاني باسم "بلاد الصايسيغ الصغرى" وتمتد أراضي الصابسيغ الكبرى بين حدود قبيلة "آبزاخ" والضفة اليمنى لنهر "آطاقوم" بما في ذلك الجزء الشمالي الغربي من سلسلة جبال القفقاس، في حين تمتد أراضي

الصابسيغ الصغرى، من الضفة اليسرى لنهر "آطاقوم" وحتى أواسط شبه جزيرة تامان" بما في ذلك مناطق "آناب" و "تسته مز" على ساحل البحر الأسود.

أهم المدن:

المدن الساحلية وأهمها:

يس به، آجوي، تسته بس، صؤه يقو، حادج قو، صحه فيت، تحا غابص، صه حه كي الكبري، صه حه كي الصغرى .

المدن في جمهورية الاديغية حالياً

توزع من بقي بعد التهجير على أربع بلدات (قرى) في محافظة واحدة في الاديغية وهي:

آف بس ب، به نه حه س، بس ي تكو ، حاش تكو .

إضافة إلى هذه البلدات الأربع، هناك عدة قرى "صايسيغية"، لا تزال قائمة في منطقة البحر الأسود، أي الإقليم الساحلي.

اشتقاق الاسم

يعود اسم صابسيغ لأحد الاحتمالات التالية:

الأول: تفسر كلمة صابسيغ او شابسيغ بمعنى (اصحاب الخيل) أو المهتمين بالخيل..

اما لاحتمالات الأخرى هي:

- صاب = اسم علم + يسوغ = نحيف، رفيع، اي الشاب الوسيم.
- صخ سيغ = اعطى الجواد ومضى أي الفارس الذي انطلق ورحل.
- صب = صقيع + ستيغ = من حرق حرقا، أي المنطقة التي تكثر فيها حالات الصقيع الذي يحرق النبات ويكوي البشرة أو ولد وقت الصقيع الحارق.
- تشه به = حبل، تل + يسوغ = رفيع، أي سكان الجبل الرفيع.
- صح = مائة + يسوغ = رفيع، أي ما يعادل مائة شخص نحاف الجسم.

عدد أفراد القبيلة

كان يبلغ عددها في عام ١٨٣٠ (١٥٠) الف نسمة بقي منهم في الوطن الأم بعد التهجير القسري إلى تركيا في الأعوام ١٨٥٨ – ١٨٦٤ (٢١١٤) نسمة فقط.

المعالم الجغرافية

كانت بلاد الشابسوغ تضم نوعين من المعالم الجغرافية الأول الساحل والثاني الجبل وتم احتلالها بالكامل في عام ١٨٦٤ بعد حرب الإبادة والدمار. وربما كانت هذه القبيلة أكثر القبائل الشركسية تعرضاً للإبادة والتشريد من قبل قوات السلطات القيصيرية الروسية.

النظام الاجتماعي واللهجة

اتبعت هذه القبيلة منذ القدم نظام (التحامدة) وكانت الزعامة لكبار السن ولم يتبع فيها النظام الطبقي الذي كان متبعاً لدى قبائل القبرطاي والقبائل الشركسية الأخرى.

القبيلة الثالثة: قبيلة بجدغو – بجه دغو

الحدود والموقع

ارتحلت هذه القبيلة عدة مرات، وعاشت في مرحلة زمنية سابقة على ساحل البحر الأسود، وكانت حدود أراضيها، بحسب الخريطة التي أعدت في عام ١٨٣٠ على النحو الآتي:

- شمالاً: نهر "بصز = كوبان" – غرباً: أراضي قبيلة "شابسغ".
- جنوبا: أراضي قبيلة أبزاخ. – شرقاً: أراضي قبيلة "حاتي قواي".

أهم مدن القبيلة:

يسكن حالياً افراد قبيلة البجدوغ في مدن وبلدات عديدة منها:

به نج قواي، آصه قه لاي، قونتش قوه حابل، غوه به قواي، وتشه بيشي، دجه دجه حابل، يتش حابله، قواي.

معنى اسم بجدغو:

تختلف الآراء حول معنى كلمة "بجدغو أو بجه دغو" ويعتقد معظم الباحثين أن الكلمة تعني: الذي أخذ البجه "أي الكأس" ويعتمدون في ذلك على تحليل الكلمة إلى مقطعين هما:

بجه = كأس + تغو = سرق أو أخذ أو نال ويعتقد الكاتب "يش ماف آوله" غير هذا المعنى، فيقول إن الكلمة مشتقة من اسم شجرة من الأشجار المعروفة بمتانة خشبها وتعرف باسم "بجه د – ويقول إن المقطع الثاني "غ – غو" يأتي بمعنى الجامع، أي من جمع يجمع جمعا، وهكذا يكون معنى الكلمة برأي هذا الكاتب هو: الذي يجمع خشب، أو حطب شجرة ال "بجه د"، أي أن اسم القبيلة جاء نسبة إلى هذه الشجرة.

اهتمام الرحالة بالقبيلة

ازداد اهتمام الرحالة والمؤرخين بهذه القبيلة، منذ بدايات منتصف القرن السابع عشر، وقد استطاع افرادها أن يحافظوا على ترابطهم ووحدتهم، بعد انتهاء الحرب القفقاسية، أكثر من بعض القبائل الشركسية الأخرى، وينتشر أفرادها اليوم في العديد من المدن والبلدات والقرى الشركسية، ولا سيما في تلك التي تقع في محافظتي – توتشوج وتختم قواي.

نزوح القبيلة:

تضم القبيلة فرعين أساسيين، الأول يعرف باسم "بجدغو المنطقة الغربية" أما الثاني فيعرف باسم "بجدغو المنطقة الشرقية" ويعرف كل فرع من هذه الفرعين باسم آخر أيضاً، وذلك على النحو الآتي:

- الأول: خ م شه ي
- الثاني: تش تش ناي.

المعالم الجغرافية

اكثر ما يميز أماكن سكن هذه القبيلة هي تعدد الانهار التي تجري في موطنها الأصلي ومن أهمها الانهار التالية:

- يش ض – مارت – بيه قوبيس – تصء بي – صوء بس – بكا ص

عدد أفراد القبيلة

كان عدد أفراد هذه القبيلة في أوائل القرن التاسع عشر حوالي (٤٠) ألف نسمة ولم يبق في الوطن الأم بعد التهجير القسري سوى (١٢) الف نسمة.

النظام الاجتماعي واللهجة

اتبعت هذه القبيلة النظام الاجتماعي الاقطاعي وكان الحكم فيه قائم على نظام الأمراء (بشى) مثل قبائل القبرطاي ولهم لهجة خاصة واحتفظوا بها أكثر من قبيلة الابزاخ بالرغم من تأثرها باللغة الادبية المستخدمة حالياً في جمهورية الاديغي.

القبيلة الرابعة – قبيلة جانه

الحدود والموقع

القبيلة معروفة منذ القرن الثاني قبل الميلاد وتنقلت كثيراً في بلاد شمال القفقاس إلا أن افرادها كانوا يسكنون في عام ١٧٧٨ على الضفة اليسرى من نهر الكوبان وعاشوا هناك حتى عام الاحتلال الروسي (١٨٦٤).

اهم مدن قبيلة جانه

تعتبر هذه القبيلة من أكثر القبائل الشركسية التي تعرضت لعمليات الغزو الخارجي والعدوان التوسعي، وبشكل يكاد يكون متواصلا، ولا سيما من قبل خانات

القرم والأتراك العثمانيين، فقد تعرضت هذه القبيلة لما يزيد عن (٣٣٠) غزوا وكادت عمليات الغزو الخارجي أن تقضى نهائيا على هذه القبيلة، وبالتالي فلم يبق لهم إلا العدد القليل من المدن والقرى كما تضاءل عدد سكانها كثيراً.

ومن أهم مدنها (حاكورته حابل، واده – مي) و (به – نه – خس)

معنى اسم جانه

تباينت الآراء حول معنى كلمة "جانه" فهناك من يعتقد أنها مشتقة من كلمة "زانه" أي "ز = 3bl – واحد أو وحيد"، ومنهم من يقول أن الكلمة تعني "ذات العيون السوداء".

عدد أفراد القبيلة

لم يبق منها في عام ١٨٣٠ سوى (١٢٠٠) نسمة، وقد توزع هؤلاء على بقية القبائل الشركسية. ولم يعد عودة الذين يعتبرون أنفسهم من بقايا قبيلة "جانه" سوى (٢١) شخصا في عام ١٨٨٣، وتوزعوا على بلدات "حاكورنه حابل" , "آده مي" و "به نه خس" أما اليوم فلم يبق من هذه القبيلة سوى اسمها، الذي يصادفه المرء في علم الاجناس.

فروع القبيلة

عرفت القبيلة باسم (سونه – أو "سانه) منذ القرن السابع عشر ويقسم نهر "آبن – Abbin " بلاد (الجانه) إلى قسمين يعرف الأول باسم "بلاد جانه الكبرى" في حين يعرف الثاني باسم "بلاد الجانه الصغرى".

القبيلة الخامسة: كه جوي – كم جوي

الحدود والموقع الجغرافي

امتدت أراضي هذه القبيلة على ضفاف الانهار ولا سيما أنهار: صحة جواش وبسج كوبان، ولا به. وكانت أراضيها تجاور أراضي قبيلتي "مام خيغ" و "مه خوص" وقد عرفت هذه القبيلة بشكل أكثر منذ القرن الثاني عشر. وكانت تعتبر من القبائل الشركسية الكبيرة.

أهم المدن والقرى

لم يذكر لنا المؤرخون أي شيء عن القرى القديمة التي كانت تسكنها هذه القبيلة، أما اليوم فاستطاعت هذه القبيلة مثل قبيلة "بجدغو" أن تحافظ نسبيا على نفسها، أكثر من غيرها من القبائل الشركسية الأخرى ويتوزع أبناؤها اليوم على عدة قرى وبلدات في ثلاث محافظات هي: "صودجن" "كوش حابل" "كراستود جفارديسك".

ولعل من أشهر القرى والبلدات التي يعيش فيه اليوم أبناء هذه القبيلة هي:

- حات غوج قواي – حاكه مزيي – يه دجر قواي – مام ضيع – بيش ج حابل – دجان يه تشي – آده مي – دج راقي – قوى قه به حابل.

معنى اسم القبيلة ولهجتها

لم يتفق الباحثون حول معنى اسم هذه القبيلة ولا يزال الجدال قائما حول تفسيره ويعتقد الكاتب (يش ماف آوله) أن الكلمة تتألف من مقطعين، الأول "كه م، كم = أناس" والثاني "جوي – القلب الواسع أو الكبير" وقد أخذت لهجة هذه القبيلة لتكون أساس اللغة الأدبية في جمهورية (الآدي غي).

القبيلة السادسة – قبيلة مام خيغ – مامكيغ

تمتد مواطن هذه القبيلة بين نهري "كوردجس" و "صحة جواش" بما فيها أراضي منطقة مايكوب، وقد أقام أفرادها في العديد من القرى والبلدات، من أهمها البلدات التالية:

- باط قواي، كانت هذه البلدة تقوم على الضفة اليسرى لنهر كوردجيس.– به جه ناي" – "ده تشه حابل وكانت هاتان البلدتان تقومان على الضفة اليمنى لنهر كوردجيس وفي مجراه العلوي وله ب تسه حابل، وكانت تقوم على الضفة اليمنى لنهر "غوناي" وقويج حابل كانت تقوم في المنطقة التي تقع بالقرب من التقاء نهري كوردجيس وصحة جواش.

ازداد الاهتمام بهذه القبيلة منذ أواسط القرن السابع عشر، وقد بلغ تعداد أفرادها، نحو (٥) الاف نسمة في عام ١٨٣٤، ولم يبق من أفراد هذه القبيلة في الوطن الأم سوى (١٢٥٨) نسمة في عام ١٨٨٣ وتعرضت هذه القبيلة، كغيرها من القبائل الشركسية، إلى التشرد والانقراض نتيجة الحرب القفقاسية.

ويوجد اليوم في جمهورية (الآدي غي) بلدة كبيرة تحمل اسم هذه القبيلة، ينتمي معظم سكانها إلى هذه القبيلة، وتقع هذه البلدة على يسار مجرى نهر فارز الذي يمر بين هذه البلدة وبين مدينة "صود جن حابل" وتبعد البلدة عن عاصمة الجمهورية، مدينة مايكوب، نحو (٦٥)كم، ولا يعرف حتى الآن معنى كلمة "مام حيغ".

معنى اسم القبيلة

تتألف الكلمة من مقطعين الأول "مام" والثاني "خيغ" ويمكن وضع الاحتمالات التالية في تقسيم هذه الكلمة:

- مام = اسم علم + خيغ – اختصار كلمة "بلد"، وطن: أي بلاد، وطن، أرض.

- مام – مشتقة من مامر – هدوء، استقرار + حيغ = اختصار كلمة بلد، وطن، أرض: اي البلاد الهادئة، وربما يعود الهدوء والاستقرار هنا إلى طبيعة الطقس في المنطقة.
- مام = اسم علم + خيغ – حصاد، غلة، محصول: أي حصاد أو غلة او محصول مام.
- مام = اسم علم + خيغ – حصاد: أي الوقت الذي يحصد فيها مام.
- مام = من أنواع الحبوب + خيغ – وقت الحصاد: أي وقت حصاد بات المام.
- مام = من انواع الحبوب + خيغ – اختصار كلمة بلاد، وطن، ارض: فيكون المعنى هو بلاد نبات المام، وربما كان "مام" هو اسم نبات الذرة الصفراء عند بعض القبائل الشركسية التي انقرضت.
- لا يزال الشركس يستخدمون كلمة "مام" كاسم علم مذكر.

القبيلة السابعة: قبيلة نه ت خواي أو نت خواي أو ناتخواي

تقول كتب التاريخ أن هذه القبيلة تعود في أصلها إلى قبيلة "شابسيغ" وكانت تنتشر في منطقة "آناب" على ساحل البحر الأسود، وقد بدأ الاهتمام بهذه القبيلة يزداد مع بدايات القرن الثامن عشر وتجري في أراضيها أنهار عديدة، من أهمها الأنهار التالية:

- آطه قوم – صؤ يس – كودا قو.

لقد بلغ تعداد أفراد هذه القبيلة نحو (١٠٠) الف نسمة في عام ١٨٣١، لم يبق منهم في الوطن، بعد الحرب القفقاسية سوى (٤٠٠) نسمة بعد أن أباد الجيش الروسي القسم الأكبر منهم، وهجر القسم الآخر إلى تركيا.

ولم يبق من بلدات هذه القبيلة وقراها سوى بلدة واحدة تدعى "نت خواي" اطلق عليها في بدايات العهد السوفيتي اسم "سوفوروف تشيركسك" غير أن أهالي هذه البلدة، هاجروا في عام ١٩٢٤ إلى محافظة "تحتم قواي" في جمهورية (الآدي غي)، وأسسوا بلدة جديدة، في موقع غير بعيد عن بلدة "شه ندجي" عرفت ايضا باسم "نت خواي".

يعتقد بعض الباحثين أن كلمة "نت خواي" تعني "العيون الزرقاء" ويستندون في ذلك إلى تقطيع الكلمة على النحو التالي: "نه = عين، تخوه، صخوه = أزرق أو مشتقات الأزرق + يي = له" فيكون معنى الكلمة هو أتباع صاحب العيون الزرقاء أو جماعة العيون الزرقاء.

معنى اسم القبيلة:

يمكن تحليل كلمة "نت خواي" على النحو الآتي:

- نه = عين + تخوه – خرمش يخرمش + أي = كثير، أي الذي يمد يده إلى العيون.
- نه = عين + ت = عطاء + خوي = كثير: أي الكرم والتضحية.
- نه = عين + تخوه = عكر، قرش + آي = كثير، شديد، أي (صاحب العيون القاسية أو الغاضبة أو غير الصافية) وربما يقصد العكس كما هو عادة الشعوب في وصف الشيء أحيانا بعكسه، أي العيون الجميلة.
- نت = اختصار كلمة نارت + خو= قو = ابن+ آي = بي = له، فيكون المعنى هو (ابن نارت أو أحفاد النارتيين).
- نت = الكيس المصنوع من جلد الماعز + خوي = كثير، فيكون المعنى هو أصحاب هذا النوع من الأكياس للدلالة على كثرة هذا النوع أو الشراء.

القبيلة الثامنة – قبيلة آده مي – آدمي

من القبائل الشركسية القديمة واستوطنت ضفاف الأنهار، ولا سيما أنهار: صحه جواش – بش ش – بصاد

تعتبر هذه القبيلة فرعا من قبيلة "كه م جوي" كم جوي والتي تعتبر من أكبر القبائل الشركسية، وتتباين الآراء حول معنى اسم القبيلة، بعضهم يعتقد أن الكلمة تركية، وتعني "انسان" في حين ينسب بعضهم الاسم إلى "آدم" بينما يقول البعض إن الكلمة تتألف من مقطعين الأول "آد" والثاني "مي".

هناك علاقة بين اسم قبيلة "آده مي" واسم بلدة "آده مي" التي تقع في جمهورية الاديغية ويعتقد أن اسم القبيلة يعني "بلدة آدم" وذلك على أساس تقطيع الكلمة على النحو الآتي: آدم + بي = ملك لآدم.

القبيلة التاسعة – قبيلة سوباي

تعتبر من أقدم القبائل الشركسية وكانت تعيش في الحوض الأعلى لنهر – آف بس – ويلاحظ هنا أن أخبار هذه القبيلة لا ترد كثيراً في كتب التاريخ، وقد اندمج أفرادها مع القبائل الشركسية الأخرى، ولم يتمكن الباحثون حتى الآن من معرفة المعنى الدقيق لكلمة سوباي – ويرد في التوبونيمة الشركسية اسم جبل يحمل اسم هذه القبيلة، الأمر الذي يؤكد مواطن هذه القبيلة التي اندثرت وتلاشت عن الوجود.

القبيلة العاشرة – قبيلة حه غاكه حر

أشار الرحالة أوليا جلي لأول مرة إلى وجود هذه القبيلة في منطقة – آناب – وذلك في الفترة (١٦٤١ – ١٦٦٦)، وقد قضت الحروب والأوبئة على هذه القبيلة، التي بلغ تعدادها في ذلك الوقت نحو (٥) الاف نسمة، إذ لم يبق من أفرادها في عام ١٨٨٣ سوى (١٠) أشخاص، منهم (٧) ذكور.

ويعتقد بعض الباحثين أن اسم القبيلة يعني الأراضي المنخفضة أو السفلية، ويعتمدون في هذا على تقطيع الكلمة إلى مقطعين، الأول "خه غا = اختصار لكلمة بلاد، أرض" والثاني "كه، كأخ – أسفل، أدنى" فيكون معنى الكلمة هو سكان الأراضي المنخفضة أو سكان الأراضي التي تقع في الأسفل، أو ما شابه ذلك.

وأورد (مرتوقة) عدة احتمالات لمعنى اسم هذه القبيلة منها

* خه غا = اختصار كلمة ضواحي + كاخ = جديد، حديث، فيكون المعنى هو سكان الضواحي الجديدة أو الذين سكنوا حديثا في الضواحي.

* يمكن ان تأتي بمعنى المزارعين أو الذين يستصلحون الأراضي المنخفضة أو السفلية، أو الضواحي.

* خه غا = من فعل بكى يبكي + كآخر = الحديث، فيكون المعنى هو الذي بكى مؤخراً، حديثا.

القبيلة الحادية عشر – قبيلة مه خوه ص – مخوص

امتدت أراضي هذه القبيلة ما بين نهر "لابه" شرقا ونهر "فارز" وحدود قبيلة أبزاخ غرباً وبين حدود قبائل: يدجرقواي، مام خيغ، بس له في الجنوب الشرقي، والأراضي التي استوطن فيها "النغوى" في الشمال، وتجري في أراضي القبيلة عدة أنهار، منها على سبيل المثال:

- فارز – بس فه – شه خورادج.

أخذت أخبار هذه القبيلة ترد في كتب التاريخ بشكل أكثر منذ بدايات القرن الثامن عشر، وكانت بلدة "ساسرقواي" مركز هذه القبيلة، وقد بلغ تعداد أفرادها، نحو (١٠) الاف نسمة في عام ١٨٣٠، بقي منهم بعد الحرب القفقاسية فقط (١٥٠) نسمة، واندمج من بقي من أفراد هذه القبيلة مع القبائل الشركسية الأخرى، ويرد اليوم اسم "مه خوص" في اللغة الشركسية كأسماء أفراد وعائلات، ولم يتمكن الباحثون حتى الآن، من تفسير كلمة "مه خوص".

القبيلة الثانية عشرة – قبيلة يه دجه رقواي – يد جرمواي

ترد أخبار هذه القبيلة في كتب التاريخ منذ القرن الرابع عشر، وكانت تجاور قبيلة "كم جوي" وتشترك حدود أراضيها مع حدود قبيلة "مه خوص مخوص" في الغرب، وحدود قبيلة مامكغ في الجنوب الغربي، حتى الموقع الحالي لمدينة مايكوب.

يعتقد بعضهم أن اسم القبيلة مستمد من اسم "يه دجه رقو" أي نسبة إلى شخص يدعى "ابن يه دجه" ويتوزع أفراد هذه القبيلة اليوم، على العديد من القرى والبلدات الشركسية في جمهورية (الأدي غي)، كما هو حال العديد من القبائل الشركسية الأخرى، وهناك في الجمهورية بلدة تحمل حتى اليوم اسم هذه القبيلة.
وفسر (مرتوقة) اسم هذه القبيلة بقوله :

يمكن تقطيع هذه الكلمة وفق الآتي: "يه بمعنى سيّىء، مصيبة + دجر = منادي + قوة = ابن + يي = له، ملكه، اتباعه. فيكون المعنى هو صاحب الحظ السيئ أو الصوت السيىء أو ما شابه ذلك، وربما ولد "يه دجر" وفي وقت عصيب أو ترافقت ولادته مع حدث سيئ، فيكون المعنى هو الذي ولد في ساعة المحنة او الخطر. وربما كلمة "به دجر" تعني "قارئ" فيكون المعنى "ابن القارئ" أو تعني المنادي فيكون المعنى "ابن المنادي او الذي يصرخ كثيرا".

القبيلة الثالثة عشرة – قبيلة حاكوتشو

وهي فرع من قبيلة "صايسيغ"، ويعتبر معظم أبناء بلدة "تحا غابص" التي تقع على ساحل البحر الأسود، من أبناء هذه القبيلة.

القبيلة الرابعة عشرة – قبيلة حاتي قواي – حاتقواي

تعد هذه القبيلة من القبائل الشركسية التي ارتحلت كثيراً، وقد استوطنت في فترة من الزمن على ضفاف الانهار التالية:

- "آبن – أيل – أفيس".

ويقول بعضهم أن اسم القبيلة يعود إلى شخص يدعى "حـــات يقـــوه = ابـــن حاتي"، وتوجد بلدة على نهر "لابه" تحمل اسم هذه القبيلة، ويعتقد أن بعـــض أبناء هذه القبيلة، هم الذين أسسوا هذه البلدة، وتعني الكلمة "بلدة ابـــن حـــات" وذلك على الأساس التالي: حات = اسم علم + يقو = ابن + يي = له.

القبيلة الخامسة عشرة – قبيلة آداله

قبيلة شركسية قديمة، عاشت في شبه جزيرة تاسان، وعرفت أيضاً باسم آخر هو "ح تكو" وتقول كتب التاريخ أن أفراد هذه القبيلة، اندمجوا مع الزمن مع قبيلة "نات خواي" وقد بقي اسم "آداله" دون تفسير حتى الآن.[١٦]

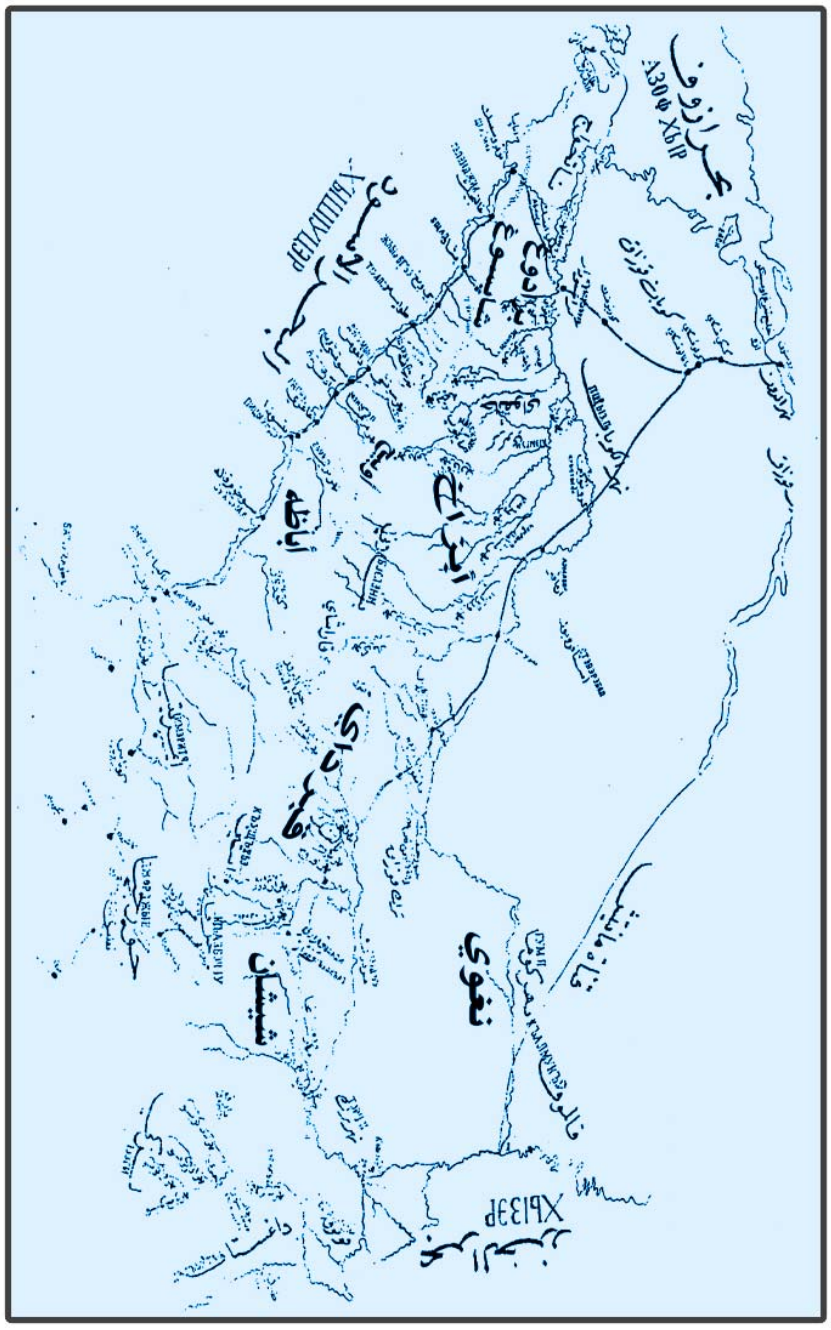
بحر ازوف
نهر كوبان
نهر لابا
نهر بيلايا
نهر زيلينشوك
نهر كوبان
نهر كوبان
نهر كوبان

نماذج

من أسماء القرى والمدن الشركسية الاصلية والاسماء الجديدة في الاديغي التي اطلق عليها بعد احتلال بلاد الامة الشركسية عام ١٨٦٤ [١٧]

الرقم	الاسم الشركسي	ما يقابله بالروسية	الرقم	الاسم الشركسي	ما يقابله بالروسية
١	ميه قواب	مايكوب	٢٢	مامر قوة	نوفو سفوبودنايا
٢	اف بسب	افي بسيب	٢٣	داخوة	داخو فسكايا
٣	يه نه م	انيم	٢٤	خمش كه ي	خامشكي
٤	تخوتم قواي	تيختيمو كاي	٢٥	غوزة ريبل	جوزيريبل
٥	لوستن حابل	تليوستن خابل	٢٦	بس باي	بسي باي
٦	ادغة قال	اديغي كال	٢٧	باغ	باجو فسكايا
٧	وتشة بشي	خوتشي بشي	٢٨	بسلني	بسلينفسكايا
٨	توتشوج حابل	توشيج خابل	٢٩	برقاي	باراكايفسكايا
٩	ادمي	ادامي	٣٠	بس فر	كوسترومسكايا
١٠	حاتي قواي	خاتو كاي	٣١	تص غه ياقو	ياروسلافسكايا
١١	ولاب	ولياب	٣٢	وارب	وروب
١٢	صودجن حابل	شوف جينوفسكي	٣٣	تش تسي قود	اوبورنايا
١٣	يدجر قواي	يجيرو خاي	٣٤	صحة تشه فج	وروبسكي
١٤	كوش حابل	كوشي خابل	٣٥	تشه تون	لابينسك
١٥	حادجة مقو حابل	دون دوكوفسكي	٣٦	قانه قوة	كانوكوف
١٦	فدز	خودز	٣٧	بخة مبغو قال	بتروبافلوفسكايا
١٧	دجادجة	جيا جينا سكايا	٣٨	شه غوم	تيمر جوفسكايا
١٨	يبصره دجادجة	كيلير مسكايا	٣٩	قو جه وب	خوزد فيجينسكايا
١٩	صه تكو	شو نتوك	٤٠	قه لا كـــء	نوفو لابينسكايا
٢٠	ابزاخه حابل	ابادزيخسكايا	٤١	شه راخ	نيكرا سوفسكايا
٢١	داغستان	داغستانسكايا	٤٢	ايبغة	ايبغا

الرقم	الاسم الشركسي	ما يقابله بالروسية	الرقم	الاسم الشركسي	ما يقابله بالروسية
٤٣	ات قوادج	كراسنو بوليانا	٦٥	طومه قال	جولوفنيسك
٤٤	ادلر	ادلير	٦٦	ج وبغو	دجو بغا
٤٥	خوبس	خوستا	٦٧	تشوه بس	ارخيبو اوسيبوفكا
٤٦	مه صوست	ماتيستا	٦٨	بصاده	بشادا
٤٧	سوتش	سوتشي	٦٩	دجان خوت	دجان خوت
٤٨	ت غه مبس	داجومس	٧٠	خول جي	جيلينجيك
٤٩	له وب	لوو	٧١	قبرتاي	كاباردينكا
٥٠	صه وه لخو	سولوخ أول	٧٢	مست خاقوه	مس خاكو
٥١	بزتش	بويتش	٧٣	تسنه مز	نوفو روسيسك
٥٢	بواب	فردان	٧٤	ابراغو	ابراو ديورسو
٥٣	حاجي	ياكورنايا شيل	٧٥	نت خواي	ناتوخايفسكايا
٥٤	صه خاب	جولوفنيك	٧٦	انابه	انابا
٥٥	توبه	توبي	٧٧	وست غاي	جوستا جايفسكايا
٥٦	تحا غا بص	كيروف	٧٨	كور كوي قال	فارينكو فسكايا
٥٧	قه له ج	كراسنوالكسندروفسكي	٧٩	ابن	ابينسك
٥٨	ندجقو	نادجيجو	٨٠	يل	يلسكي
٥٩	غواقوة	جيور جيفسكوي	٨١	اف بس	افي بسكي
٦٠	بس صؤا به	لازار يغسكوي	٨٢	سوب	كالوجسكايا
٦١	اشه	اشي	٨٣	بخه غو غال	ستافروبولسكايا
٦٢	طوابس	طوابسي	٨٤	بس فاب	جورياتشي كليوتش
٦٣	اجوي	اجوي	٨٥	به قان	سارا توفسكايا
٦٤	بس به	بسي بي	٨٦	قوتاس	كوتاس

الرقم	الاسم الشركسي	ما يقابله بالروسية	الرقم	الاسم الشركسي	ما يقابله بالروسية
٨٧	خ د ج	خادجنسك	١٠١	وبن	وبنسكايا
٨٨	ابصه ره ون	ابشيرونسك	١٠٢	شابسيغ	شابسوجسكايا
٨٩	ص تحال	بيلاريتشنسك	١٠٣	باته قال	نيجني باكان
٩٠	بجدغوقال	كراسنودار	١٠٤	به قان العليا	فيرخني باكان
٩١	حاشتوك	يليزابيتنسكايا	١٠٥	اطه قوم	اداجوم
٩٢	حه مز	ماريا نسكايا	١٠٦	ن به دجاي	ينبردجايفسكايا
٩٣	جرونه حابل	جريفنسكايا	١٠٧	طس خاب	تينغينسكايا
٩٤	حام تسي وو	فورونيجيسكايا	١٠٨	صحا تشه ري	كورغانينسكي
٩٥	له باب	اوست لابينسك	١٠٩	بيدا نقوه حابل	بيريبرافنايا
٩٦	ال مه ل	لادوجسكوي	١١٠	تشورمت قوادج	شيميتوكفادج
٩٧	تمرقوه	تيمريوك	١١١	نه فت قال	نفتي جورسك
٩٨	مخوص	ماخوشفسكايا	١١٢	جانتيادي	جانتيادي
٩٩	بش تشو	بشي تشو	١١٣	يرمل قال	آرمافير
١٠٠	شند جي	شيند جي			

نستنتج من مقارنة الاسماء الشركسية الاصلية للمدن والقرى والبلدات بالأسماء التي كانت السلطات الروسية تغيرها او تحرف لفظها بأن أكثر ٩٠% منها قد حرفت او انها اخذت اسم روسي جديد وأن اكثر من ٦٠% منها تحمل اسماء روسية مغايرة كليا للاسماء الشركسية الاصلية.

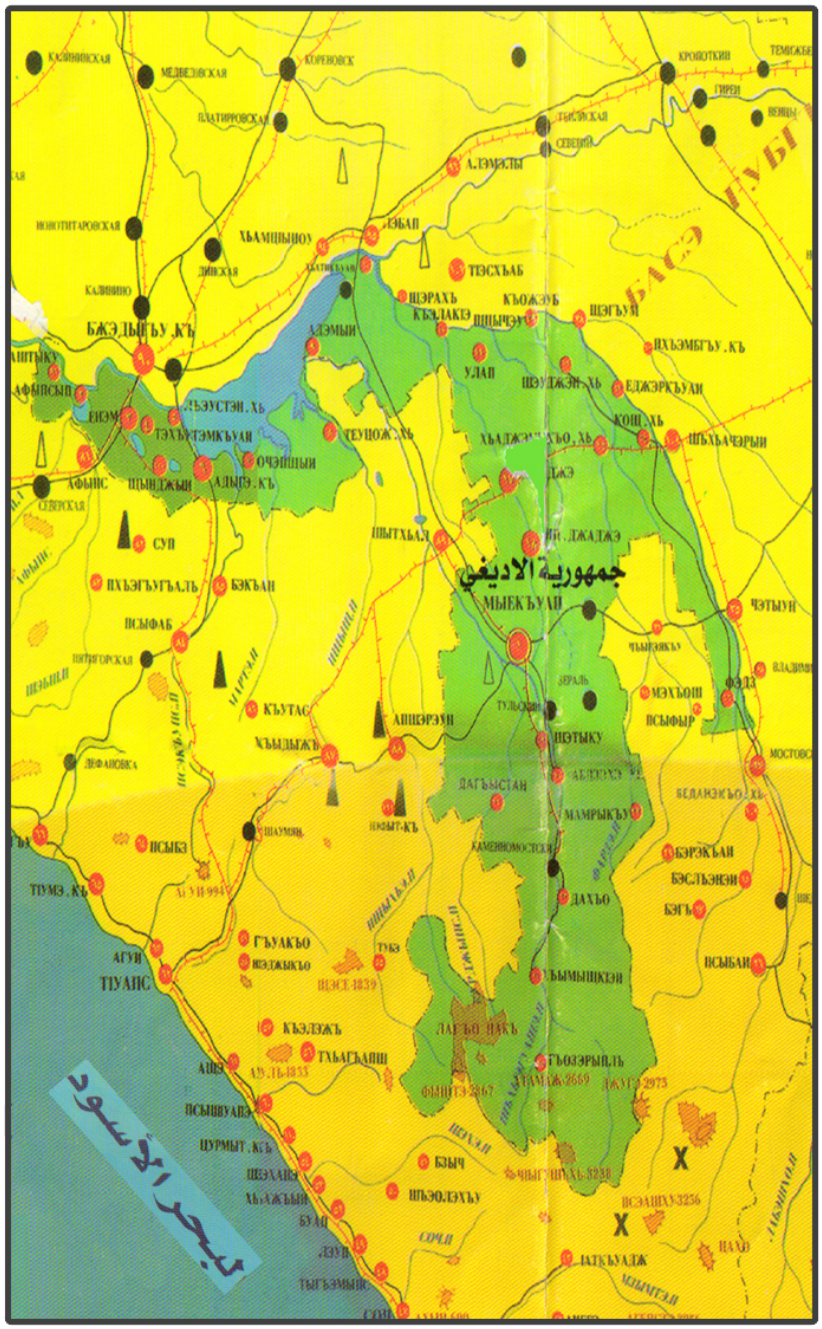

الخارطة رقم (٤) مواقع القرى الشركسية في جمهورية الأديغي في مرحلة ما بعد الاحتلال الروسي عام ١٩٦٤

نماذج
من الاسماء الأصلية للمدن والقرى والبلدات الشركسية في منطقة القبرطاي مقارنة مع الاسماء الروسية في ظل حكم روسيا القيصيرية وحكم الشيوعيين وفي وقتنا الحاضر

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
١.	اباتحابل	ارساكونسكي	ارساكون
٢.	ابيحابله	ابايفو	اوروجاينويا
٣.	ابزيوانحابله	كونوفو	كوركوجين
٤.	ابيقوحابله	ابوكوفو	زالوكوكواجه
٥.	اغوبكي	اتاجوكينو ٣	كوبا
٦.	ازبشي	خميديا	خاميديا
٧.	التيقويحابله	كودينيتوفو ٢	تشيغيم ٢
٨.	اسلميرزي	انزورفو	فتوروي لسكين
٩.	بوريقوي	بروكوقسكويا	اريك
١٠.	انزوري	انزورفو	ستاري لسكين
١١.	قوان الي يقواجه	اليكونفا	اليكونفكا
١٢.	استميري	فيرخني	فيرخني اكباش
١٣.	حطيخوشيقوي	زيوكو	زيوكو
١٤.	حطيخوشيقوي بيشا	زايوكفا	زايوكفا
١٥.	حطيخوشيقوي يشحاره	باكسانن غاس	اتاجوكينا
١٦.	حسنبي قواجه	كوبا	كوبا
١٧.	السكري	ناوروزفا	اسلامي
١٨.	الخوقواجه/الخوي	اخلوفا	نيجني كورب

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
.١٩	اشابي	اشابوفا	مالكا
.٢٠	ببيجوي	بابوكفا	سارماكوفا
.٢١	ببيقوي	نيزلوبنايا	نيزلوبنايا
.٢٢	شوقوانة حابله	مرتازوفا	ديسكويا
.٢٣	بسلنيقوا قواجه		إنجيتشيشخوا
.٢٤	بنوقا حابل	بنوكوفسكي	بنوكوفا
.٢٥	برماميت حابله		كاراغاتش
.٢٦	بيبرد قواجه		البورغان
.٢٧	بوتاشي	بوتاشيفا	بلانوفسكويا
.٢٨	بولتي	بولاتوفا	تيريكسكويا
.٢٩	قوم قاله	غيورغيفسك	مدينة غيورغيفسك
.٣٠	جاتج حابله	كسايفا	بكسانيونك
.٣١	غوتشج حابله	نالشكسكا كلسبيفسكويا	نارتان
.٣٢	داوتيقوا حابله	شالوشنسكويا	شالوشكا
.٣٣	در حابله	كسايفا	بكسانيونك
.٣٤	جامبوتيبش يقواجه		كاخون
.٣٥	جانخوت حابله	جانخوتوفا	بسيغانسو
.٣٦	قرية جديدة	دوغجوكوفا*	اوشيغير
.٣٧	دخوشقوي	دوكشوكينا	كاخون
.٣٨	دودار قوي		بسيج
.٣٩	دومن حابله	كامنوموستسكويا	كامنوموستسكويا
.٤٠	يشروقاي		نيجني كورب

* لا يوجد لهذه القرية اسم شركسي لأنها قرية جديدة انشأت في عهد القياصرة بعد الاحتلال.

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
.٤١	جمبكخا ياواتجر	ناوروزوفا	كيزبورون ٢
.٤٢	زخزخوا حابله	دوغوجوكوفا	اوشيغير
.٤٣	إنال حابله	إنالوفا	كاراغاتش
.٤٤	إنديري	أخلوفا	نيجني كورب
.٤٥	اسلامي	إسلاموفا	فيرخني كورب
.٤٦	بيكميزي		كانوكوقسكي
.٤٧	قارمه حابله		كامينوموستسكويا
.٤٨	قسي حابله	كاسايفسكي	خابيز
.٤٩	كيلشيقوا يقواجه		نارتان
.٥٠	نارتسانه		مدينة كيسلوفودسك
.٥١	قليشبي حابله	نالشكسكا كليشبيفسكويا	نارتان
.٥٢	قوغولقوي	كوغولكينا	أروخ
.٥٣	قويجيقوي يبشا	فيرخنيا كوجوكوفسكويا	جمتالا
.٥٤	قويحيقوي يشحارا	نيجينا كوجوكوفا	نيجني تشيرك
.٥٥	قوان حابله	كونوفا	كوركوجن
.٥٦	قونوقوي		كونوكوفسكي
.٥٧	قوش حابله	إنالوفا	كاراغاتش
.٥٨	قوشراقوي	كوشروكوفا	كينجيه
.٥٩	قوبات حابله	إنالوفا	كاراغاتش
.٦٠	قوندتي يزانه	كودنيتوفا ١	مدينة تشيغيم
.٦١	قوندتي يطوانا	كودنيتوفا ٢	تشيغيم ٢
.٦٢	قوناش حابله	كاسايفا	بكسانيونك
.٦٣	قونيج حابله	مرتازوفا	ديسكويا
.٦٤	قوغورقوي		كورغوكوفسكي

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
.٦٥	كوشمزيقوي	كوشمازوكينا	مدينة بكسان
.٦٦	لافيش حابله	لافيشفا	بسيخوري
.٦٧	غوملو قواجه تسيكو		إنجيتش تشيكون
.٦٨	غوملو قواجشخوا		كراسني فستوك
.٦٩	ماخرا حابله		كاخون
.٧٠	ماخوقوا حابله		أوشيغير
.٧١	ميصوستي	ميسوستوفا	أورفان
.٧٢	مرتزي	مرتازوفا	ديسكويا
.٧٣	برخيش حابله		تيركسكويا/اورجاينويا
.٧٤	بونج حابله		كاخون
.٧٥	قاله تشيح	بروخلادنيا	مدينة بروخلادني
.٧٦	بسيخوابه	مدينة بيتيغورسك	مدينة بيتيغورسك
.٧٧	سيداقي	إنالوفا	كاراغاتش
.٧٨	سيداقي	كاسايفا	بكسانيونك
.٧٩	ماته قاله	سلداتسكايا	سلداتسكايا
.٨٠	تامبي حابله	تامبييفا ٢	ألتود
.٨١	تامبي حابله	تامبييفا ١	مدينة بكسان
.٨٢	تيقلاني	ميسوستوفا	أورفان
.٨٣	تراما حابله	أشابوفا	مالكا
.٨٤	تيجي	تيجقا	كيشيك
.٨٥	حغونديقوي	خاغوندوكفسكي	اليبردوكفسكي
.٨٦	حغونديقوي	كارموفا	كامنوموستكويا
.٨٧	حغونديقوي	اشابوفا	مالكا
.٨٨	حاود حابله	نارتان	نارتان

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
.٨٩	حبتسي	خابتسيفا	خاميديا
.٩٠	شردن حابله	شالوشنسكويا	شالوشكا
.٩١	يلخوي	بوتاشفا	بلانوفسكويا

نستنتج من المقارنات السابقة بأن أكثر من ٨٥% من مدينة وقرية وبلدة شركسية في مناطق القبرطاي قد تم تغيير اسمائها او تحريفها او تبديلها عن الاسم الشركسي الأصلي لها. وهي حقيقية تؤكد إلى أي مدى عمل الروس في عهد القياصرة ومن بعدهم في عهد الاتحاد السوفيتي (سابقا) وروسيا الاتحادية حاليا على طمس المعالم القومية الشركسية عامة والمعالم الجغرافية خاصة حتى يقضوا على كل أثر يدل بأن بلاد القفقاس عامة ومناطق الترك في الشرق، والكوبان في شمال الغرب، وساحل البحر الأسود في الغرب هي مناطق يملكها أجداد الشراكسة منذ فجر التاريخ وقبل آلاف السنين قبل الميلاد.

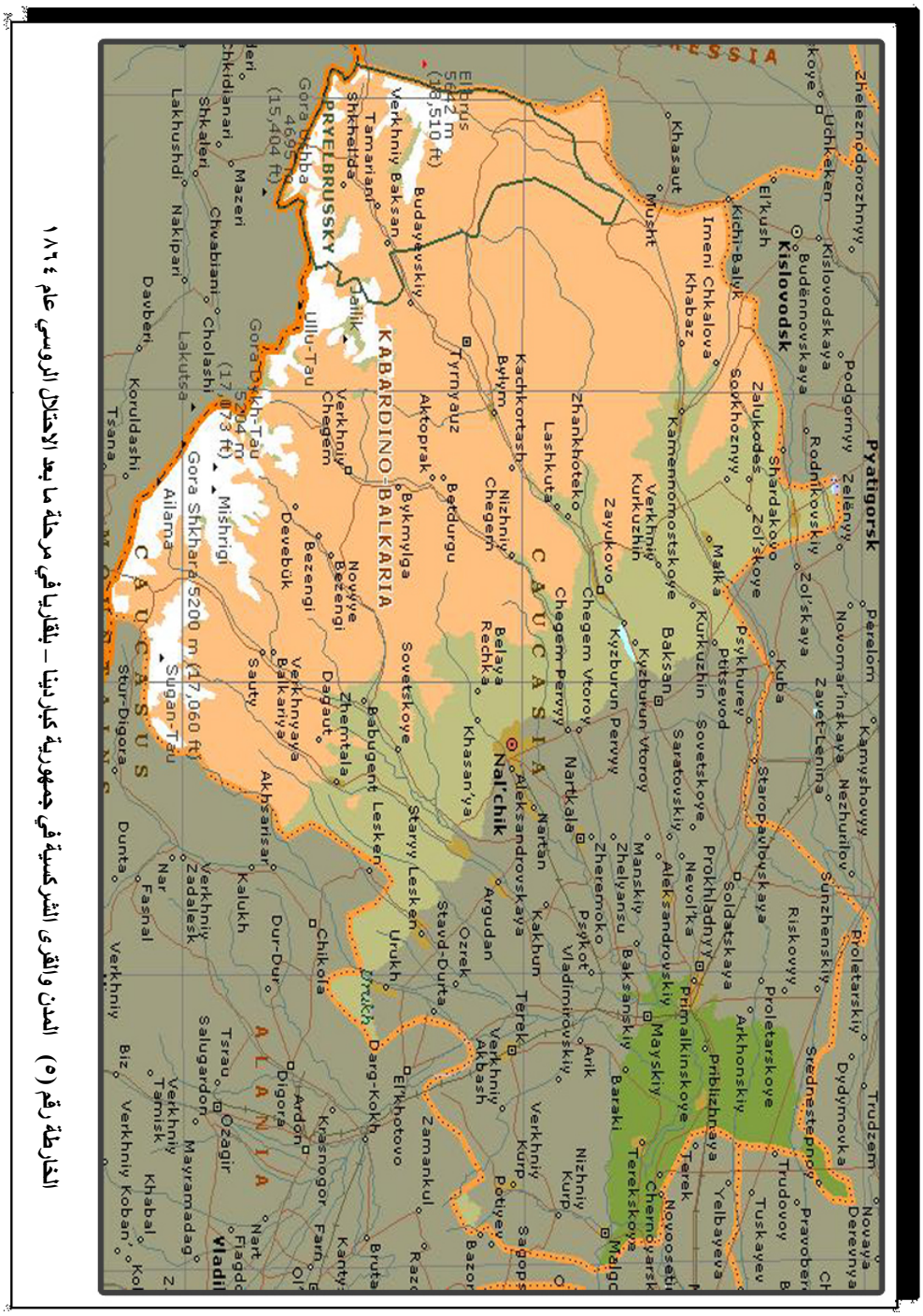

الخارطة رقم (٥) المدن والقرى الشركسية في جمهورية كباردينا – بلقاريا في مرحلة ما بعد الاحتلال الروسي عام ١٨٦٤

مصادر ومراجع
الفصل الرابع من الجزء الأول من المجلد الأول

١) نامتيوق، اتيك، مصدر سابق ص٧١-٧٧.
٢) Constatin porphytrgenetc إدارة الامبراطورية نشر عام ٨٤١.
٣) المسعودي، المؤرخ الجغرافي العربي عام ٨٤٣م.
٤) نامتيوق، أتيك، مصدر سابق ص: ٧٥.
٥) المسعودي، مصدر سابق، ص: ٧٧.
٦) نامتيوق، أتيك، مصدر سابق، ص٧٤.
٧) المصدر نفسه، ص: ٧٤.
٨) المصدر نفسه، ص١٣-١٥.
٩) م. جولدن، شيدت M. Guldensstaedt زار القفقاس عام ١٧٦٨وكتب عن حياة بلاد الشركس والابخاز وقدم الكثير من المعلومات القيمة التي اعتبرت معلومات أساسية لمن جاء بعده من الباحثين.
١٠) ن، بالاس N. Pallas زار المنطقة الشمالية من بلاد الابخاز وهو افضل من كتب عن أوضاع الابخاز والابازين (الاباظة) عام ١٧٩٣.
١١) ناميتوق، أتيك، مصدر سابق، ص: ١٥-٢٢.
١٢) جوناتوقة، ت (عزت يوسف) ص: ١٨٠.
١٣) ناميتوق، أتيك، مصدر سابق، ص: ١٩-٢٢.
١٤) جموخة، أمجد – The Circassians منشور في بريطانيا عام ٢٠٠٠ ص: ٢٠-٢١-٢٣-٢٩.

١٥) الجنرال برتنان تورنادو، ذكريات من القفقاس، جورجيا، طبعة عام ١٨١٩ . ص٢٠-٢٤.
١٦) مرتقوة، قاسم ، تاريخ أسماء الاديغية، (باللغة الشركسية) دراسة وترجمة عز الدين سطاس من شراكسة المهجر في سوريا، ونشر تحت عنوان (الشركس حضارة ومأساة) في دمشق عام ١٩٩٩.
١٧) مجلة الآخاء، الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، العدد (١٤٢) السنة الرابعة والثلاثون، نيسان/ حزيران ٢٠٠٧.

الفصل الخامس

منشأ العرق القوقازي

وأصل أجداد الشراكسة

*** منشأ العرق القوقازي وانتشاره:**

اجمع علماء الاتنوغرافيين وهم المختصون في وصف الأقوام، اجمعوا بأن العرق الأبيض الذي سمي (العرق القوقازي La Rasse Caucasiens) * بدأ انتشاره منذ أواخر العصر الحجري القديم الأعلى (البلايستوسين) مع بدء ذوبان الجمودية الأخيرة منذ (٣٥-٤٥) الف سنة ويسميه المؤرخون **بالإنسان العاقل Homo Sapiens** الذي انحدر منه (الانسان الحالي) وبعد (٢٠) ألف سنة انتقل من المناطق التي نشأ فيها، وهي اوروبا وآسيا إلى منطقة البحر الابيض المتوسط وتكونت الشعوب القفقاسية في بدايات عصر النوليت (وهو عصر الحديد الحديث) في الالف الثامن قبل الميلاد، ثم انتشر في السهول أولا، وفي الوديان ومصباتها ومصاطبها في قرى بدائية ثانياً، ومارس الزراعة وتربية الماشية وتمكن من تطوير صناعته الفخارية وبدأ يستخدم المعادن في تجمعات كبرت ونمت وتطورت إلى مدن سماها المؤرخون (بدويلات المدن) وذلك في العصر الحجري النحاسي ثم البرونز المبكر قبل (٤) آلاف سنة ق. م وكونوا الحضارات التالية:

- انقسم العرق الأبيض إلى ثلاث سلالات بشرية حدثت بينها بعض الفروق الفيزيولوجية كطول القامة وشكل الرأس.. الخ وهي:
- السلالة النوردية في أقصى شمال اوروبا (النورمانديون أو الفايكنج).
- السلالة الألبية في وسط اوروبا ومناطق جبال الألب.
- سلالة البحر الأبيض المتوسط والتي هي الكتلة الكبيرة الواسعة الانتشار حول البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وفي غرب آسيا عموما.
- بدأت سلالة البحر الأبيض المتوسط الواسعة الانتشار تتمايز في الأمكنة الجغرافية التي انتشرت فيها بتأثير مؤثرات بيئية أو تأثرت بالجوار فانقسمت إلى ثلاث مجموعات من الأسر:

وهي: ١) الأسرة القفقاسية، ٢) اسرة الشعوب الهندوأوروبية ، ٣) اسرة الشعوب الآسيوية.

- **حضارة مايكوب**، وتكونت في العصر البرونزي المبكر في الفترة ما بين (٤٠٠٠-٢٠٠٠) سنة ق. م.
- **حضارة كورا – أراكس**، القفقاسية وتكونت في العصر البرونزي المبكر ايضا.
- **حضارة الكاتا – كومب** القفقاسية وتكونت في عصر البرونز الأول في الفترة من (٢٠٠٠-١٠٠٠) سنة ق. م.

وضمت هذه الحضارة حضارتين فرعيتين هما:

- **حضارة القفقاس الشمالي.**
- **الحضارة الدولمينية.**

كما تكونت حضارة القفقاس الشمالي في العصر البرونزي المتأخر في الفترة من (١٠٠٠-٨٠٠ سنة ق. م) وكذلك الحضارة الكابية فتكونت أيضا في عصر البرونز المتأخر.

*** علاقة أجداد الشراكسة بالأمم والشعوب القديمة التي عاشت في بلاد القفقاس**

بمراجعة ما سبق في الفصل الثاني من الجزء الأول عند دراسة الشعوب القديمة المستوطنة في الوطن الأم في القفقاس في عصور ما قبل الميلاد، توصلنا بأن اكثر من عشرين شعباً وقومية سبق لها أن استوطنت في بلاد القفقاس منها (٧) شعوب تعتبر من القوميات القفقاسية الاصيلة وهي:

العلاميون، والكاسيين، والسومريون، والكيمريون، واللانيون، والسارماتيون (الامازونيون).

أما الشعوب القديمة الوافدة إلى القفقاس التي استوطنت فيها ردحاً من الزمن فعددها أربعة شعوب وهي:

(الحثيون، والاغريق، وقدماء المصريين، والاسكيتون، والرومان). الأمر الذي أدى ببعض المؤرخين إلى تسمية بلاد القفقاس الشمالية بمتحف الأقوام القديمة.

ودلت المكتشفات الأثرية في عشرات المناطق والمواقع في القفقاس عامة وفي شماله خاصة بأنها تعود إلى عصر الانيولت وعصور البرونز في مختلف مراحله المبكرة والمتوسطة والمتأخرة وبالاخص المكتشفة منها في كل من:

- حوض نهر الكوبان ومنطقة مايكوب في القسم الغربي من قفقاسيا الشمالية حيث كان يعيش الشراكسة منذ القدم وعمرها ما بين ٣٠٠٠-٢٥٠٠ سنة ق.م وهي الاثار المكتشفة في الفترة ما بين ١٨٩٨ إلى ١٩٠٩م.
- منطقة باخساي واكتشفت اثارها على ١٩٢٤-١٩٢٦.
- منطقة نالتشك وبالقرب من بيتقورسك ومعناها بالشركسية (المياه الساخنة).
- منطقة الشيشان انجوش في عام ١٩٣٦.
- منطقة الابخاز على الساحل الأسود.
- بلدة (دن) في بلاد الدغستان [٣].
- المكتشفات الاثرية الحديثة جنوبي سلسلة جبال القفقاس وعلى الضفة اليمنى من نهر نجويلا وفي مناطق (لاغو) و (غوري) في جورجيا تعود للفترة ما بين الألف الثالث والرابع قبل الميلاد [٤].

وبمقارنة الاثار المكتشفة في تلك المناطق القفقاسية مع الآثار السومرية والحثية والمصرية وغيرها وجدت بأنها قريبة من بعضها خاصة ما يتعلق منها بشكل (القاما) أي السيف المستقيم قصير النسل، وكذلك الحزام الجليدي يعتبران من مكملات اللباس القومي الشركسي حتى يومنا الحاضر.

كما توصل (مورجان) من التحقيقات والدراسات التي اجراها على المومياوات الحثية المحفوظة في (مصر) تبين بأن اصحابها من اصل قفقاسي.

أما بالنسبة للعلاقة بين اجداد الشراكسة وشعب الكميريين الذي حكم القفقاس الشمالي منذ عام (١٥٠٠) قبل الميلاد فإن التحريات التاريخية اثبتت بأنهم من

الكيمريين لوجود العديد من المدن والقبائل والبحار في بلاد الشراكسة تحمل اسم مشتق من (الكيمريين) مثل البحر الكميري وقبيلة اسمها (كومركوي) وغيرها.

اما بالنسبة للعلاميين والكاسيين فلا يوجد لها أي آثار مكتشفة (حتى الان) واعتبر بأن عدم اكتشاف آثار لهم لا يعني عدم وجود مثل هذه الآثار إلا انها لم تكتشف بعد لوجودها في الطبقات السفلى من الأرض القفقاسية لقوم الذي استيطانهما يعود إلى الفترة ما بين ٨٠٠٠-٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد، بينما الحضارات التي اكتشفت آثارها حتى الآن تعود للفترة الممتدة ما بعد الالفية الثالثة قبل الميلاد وبالتحديد في الفترة الممتدة من (٣٠٠٠-٢٥٠٠) قبل الميلاد.

وكذلك فإن ما تم اكتشافه في جنوب العراق من آثار سومرية مثل (القاما) المصنوع من الحجر المسنن والحزام الجلدي المعلق بـــ (القاما)، والحذاء (الخف) يشبهان كثيراً المستخدمين ضمن اللباس القومي الشركسي حتى وقتنا الحاضر.

وأما اللوحة الذهبية التي عثر عليها ضمن مكتشفات مايكوب وهي اللوحة التي وجد عليها رسم (سلسلة جبال وعلى امتدادها رسم لنهرين يصبان في البحر في موقعين مختلفين) فهي أكبر دليل على العلاقات التي كانت بين السومريين واجداد الشراكسة، حيث وجد بأن سلسلة الجبال، تعبر عن جبال القفقاس، والنهرين يعبران عن نهري (دجلة والفرات) في العراق، وهما النهران اللذان كانا يصبان فعلا في البحر من موقعين مختلفين قبل الالفية الثالثة قبل الميلاد [٦].

نستنتج مما تقدم من بيانات ومعلومات حول الشراكسة وعلاقة الاجداد بالشعوب القديمة الوقائع والحقائق التالية:

الحقيقة الأولى:

تدل المكتشفات الاثرية بأن القفقاس عامة وقفقاسيا الشمالية خاصة تكونت منها حضارات قديمة تدل على مدى تقدم وتطور تلك المناطق منذ الالفية الرابعة ما

قبل الميلاد، وان المكتشفات الاثرية تدل على العلاقات التي كانت سائدة بين أجداد الشراكسة وبين كل من الحثيين والسومريين والمصريين القدماء.

الحقيقة الثانية:

قدم لنا علماء الآثار وخبراء الاقوام والمؤرخين المختصين أدلة مادية تفيد بأن بناة الحضارات القفقاسية القديمة هم اجداد الشراكسة وبمشاركة من شعوب والأمم والاقوام القديمة التي استوطنت في بلاد القفقاس وان بناة تلك الحضارات لم يأتوا من خارج القفقاس، وأن الآثار التي اكتشفت ليست مستوردة قطعاً، وأنها من مخلفات وبقايا اجداد الشراكسة والشعوب التي كانت تعيش في المناطق التي وجدت فيها تلك الاثار وان العالم (الروسي) روستوفتسيف وهو العالم الوحيد الذي نسب بناء تلك الحضارة إلى شعب الميئوت والسند (Sindes–Meote) من اجداد الشراكسة [٦].

الحقيقة الثالثة

لم يقدم لنا العلماء والمختصون بدراسة الاقوام دليلا مادياً عن نشأة وأصل الاقوام القوقازية القديمة وهل هي من العرق الأبيض، وهذا ما عبر عنه البرفسور (الشركسي) (اتيك ناميتوق) في مقدمة كتابه أصل الشركس بقوله:

على الرغم من التقدم الكبير الذي لا يدحض، والذي حققه علماء التاريخ والانثروبولوجيا فإنهما لم يستطيعا حتى الآن توضيح بعض المسائل، إذ إن كثيراً منها، وعلى سبيل المثال المسائل المتعلقة بأصل الشركس، تظل غامضة وبالدرجة الأولى مسألة الأصل العرقي للعيلاميين والكيمريين والميديين والكاسيين وغيرهم كما يقول أيضاً:

"يعود الشركس بأصولهم مباشرة إلى هذه الشعوب التي كانت تشترك في أصولها القديمة مع شعوب أخرى في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي آسيا الصغرى مثل: البيلاسج (Pelasges) والاتروسك (Etrusques) والليغور

(Ligures) والميدول (Medulles) والليبيين (Libyens) والليليج (Leleges) والليسيين (Lyciens) والكاريين (Cariens) والليديين (Lydiens) والميتانيين (Mitanniens) والحثيين (Hittites) إلخ.. وغيرها من السكان الأوائل في أوروبا، أي مع الذين خلقوا الحضارة التي تبناها الاغريق وطورها.

الحقيقة الرابعة

ان التاريخ المكتوب عن حياة الشعوب القديمة في القفقاس لم يتضمن أية اشارة إلى قوم (نارت) ربما كان السبب في ذلك لقدم التاريخ الذي عاش فيه في القفقاس وهو عصر البرونز المبكر الذي يعود تاريخه لما قبل (٤) الاف سنة قبل الميلاد كما تستدل عليها من اساطير النارتيين.

الحقيقة الخامسة:

لم يتمكن المؤرخون القدماء والمحدثون وعلى اختلاف جنسياتهم من تحديد زمن وتاريخ قيام الاقوام القوقازية القديمة بالاستيطان في القفقاس، لذلك فإنهم أقروا بأن كل قوم أو شعب ثبت أنه كان مستوطنا على الأرض القفقاسية في فترة ما قبل العصر الحجري النحاسي أي في الفترة من (٦-٤) الآف سنة قبل الميلاد هم شعوب من أصول قوقازية وأنهم يمثلون العرق الأبيض القفقاسي [٧].

الحقيقة السادسة

عدم وجود مكتشفات أثرية لكل من شعوب الساراماتي، والأمازون، واللان لا يعني عدم وجود علاقة عرقية بينهم وبين اجداد الشراكسة حيث يؤكد بعض المؤرخين بأن السارامات هم اجداد الشراكسة وان اللان هم اجداد الاستين (القدماء)[٨].

الحقيقة السابعة:

إن التوصل إلى وجود تشابه في المكتشفات الاثرية في بلاد القفقاس عامة وشماله خاصة وبين المكتشفات الأثرية لحضارات وشعوب قديمة مثل الحثيين والسومرين والمصريين وان كانت تؤكد على وجود علاقات متبادلة مع قبل الشعوب إلا أنها لا تعني وجود علاقات عرقية أي لا يعني ذلك أنهم هم اجداد الشراكسة جميعا وان عددا من قبائل الشراكسة هي من أصول حثيّة او سومرية أو مصرية (كما سيتضح ذلك فيما بعد).

وقائع وحقائق حول أصل الشراكسة:

تضاربت آراء المؤرخين واختلفت تفسيرات خبراء دراسة الاقوام، وتعددت الفرضيات والنظريات التي تبحث في (اصل الشراكسة) وفي تحديد من هم اجدادهم، فمنهم من يقول بأنهم من أصل حثي، ومنهم من يؤكد بأنهم من أصل سومري وفئة ثالثة تذهب إلى القول بأن أجداد الشراكسة هم الكميرون أو أن الشراكسة قد قدموا من الجزيرة العربية وأنهم من أصل عربي، إلا أن مؤرخاً واحداً وهو (هيردوت) يميل للقول بأن القوقازيين ذوي البشرة السوداء (الغامقة) هم من أصول مصرية كما اعتقد (سترابون) بأنهم من أصل هندي، لكنّ بعض المؤرخين الشراكسة ومنهم (اتيك ناموتوق) يميل للقول بأن (الميئوت) هم اجداد الشراكسة، ويعتقد (سمكوغ) بأن أجداد الشراكسة هم قوم (نارت) الذي انحدر عنهم (امه الآنت).

وللتحقق من كل ما تقدم حول (أصل الشراكسة) وللتأكد من حقيقة من هم اجداد القدامى الشراكسة، كان لا بد لنا من اجراء دراسة معمقة للتحقق من النظريات والفرضيات التي افترضها الباحثون والدارسون لمسألة (أصل الشراكسة)، مستخدما في هذه الدراسة الأسس والقواعد العلمية منها

والانثروبولوجية التي يعتمد عليها خبراء (الأنتوغرافيين) وهم علماء (وصف الأقوام) في تحديد أصل ونسل أي قوم من الأقوام القديمة والحديثة.

وفيما يلي أهم القواعد والأسس المستخدمة في اثبات اصل الشراكسة:

١- **المقاييس البيولوجية والجسمية**، ومن أهم هذه المقاييس: شكل الرأس وأبعاده ولون البشرة، والتكوين الجسمي عامة من حيث وجود تطابق او تماثل في المقاييس البيولوجية والجسمية لقوم آخر.

٢- **اللغة القومية، مدى وجود تطابق أو تشابه بين لغة أو اكثر** من حيث تشابه الاحرف الهجائية في اللفظ والمعنى.

٣- **الادوات والمعدات**، من حيث وجود تشابه بين الالات والادوات التي تستخدم لدى قومين أو شعبين أو اكثر مثل: الادوات المستخدمة في الزراعة والصناعة وكذلك وجود تشابه في المعدات الحربية والاسلحة الشخصية. الخ.

٤- **الملابس القومية من حيث وجود تشابه** بين الملابس القومية لشعبين او اكثر مع وجود تشابه في مقاييس ومعايير أخرى، فالقوزاق مثلا كانوا يلبسون ملابس هي نفس الملابس القومية للشراكسة، إلا أنهم ليسوا شراكسة.

٥- **الفلكلور الشعبي**، خاصة الموسيقي والرقص من حيث وجود تشابه بين الرقصات والموسيقات الشعبية المستخدمة لدى الشراكسة مع ما هو موجود لدى الشعوب القديمة الأخرى.

٦- **المعتقدات الدينية من حيث وجود تشابه بين المعتقدات الدينية بين شعبين أو اكثر** (الطبيعية منها او الوثنية) مثل التشابه في أسماء الآلهة، وتطابق في ممارسة الطقوس الدينية المستخدمة في حالات الوفاة مثل طريقة وضع الجسم عند الدفن أو في الاشياء التي تدفن مع المتوفي.

٧- **الاسماء من حيث وجود تشابه في المصطلحات والاسماء المستخدمة في اللغة او وجود تشابه في أسماء القبائل أو اسماء العائلات أو اسمـــاء**

الأشخاص والمواقع الجغرافية بين شعبين أو اكثر.

٨- **العادات والتقاليد من حيث وجود تشابه بين العادات والتقاليد الشركسية** وعادات وتقاليد قوميات أخرى، وبالأخص العادات المتعلقة بالزواج والتربية والعلاقات الاجتماعية مثل احترام الكبير واحترام المرأة واحترام الضيف والكرم والشجاعة.

٩- **أماكن السكن من حيث التجاور في مناطق السكن وتواجدهم معاً** في نفس المكان لفترات طويلة.

وبتطبيق القواعد والأسس العلمية والانثروبيولوجية سالفة الذكر تم التوصل إلى ست نظريات وأربع فرضيات تبحث كل واحدة منها عن أصل الشراكسة الذين عاشوا في القفقاس قبل الألفية الرابعة قبل الميلاد.

النظرية الأولى:

يؤكد أصحاب هذه النظرية بأن الشراكسة (الأديغة) هم أحفاد (الهات – هيت) أو الحثيين Hitties فالشراكسة حسب هذه النظرية يعتبرون من الشعوب القديمة كالمصريين والصينيين، ويرجع الفضل في معرفة تاريخ الهاتيين (الحثيين) للعلامة الانجليزي (سايس) الذي حل رموز الكتابات والنقوش التي وجدت في آثار الحثيين الكثيرة بآسيا الصغرى واستدل منها على تاريخهم، ومدينتهم العظيمة، وما كانوا عليه من تقدم ورقي، وقد خدم العلامة (سايس) التاريخ خدمة جليلة لا حد لها بكشفه القناع عن رموز الحثيين وآثارهم.

كما يرجع الفضل أيضا للعلامة (مورجان) الذي أظهر بعد البحث والتدقيق أن الحثيين هم أجداد الجراكسة وأن باقي الأمم التي كانت ضمن "الاتحاد الامبراطوري لحكومات الحثيين" هم أيضاً اجداد الشعوب الأخرى في القفقاس.[٩]

كما يؤكد المؤرخ (لونورمات Lenormant) صراحة أن الحثيين (Les Hittites) أصلهم من القفقاس. كما توصل هؤلاء العلماء بأن عادات وتقاليد

الحثيين وملابسهم ولغتهم وتكوينهم الخلقي وأحوالهم الاجتماعية تتشابه وتنطبق تماماً مع ما هو موجود فعلا لدى الشراكسة [١٠].

ومن الثابت تاريخيا أن عصر الحثيين الذهبي في القفقاس كان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكان أعظم ملوكهم في قفقاسيا الغربية وعلى سواحل البحر الأسود هو (أيتس ae'tes) المشهور بعظمته وجبروته وأمواله الطائلة وهذه الشهرة كانت سبباً في اعلان الحروب عليه طمعاً في ماله كما جاء ذلك في أسطورة (أرجونوت Argonautes) اليونانية.

وبالبحث عن تاريخ الحثيين وجد بأنهم كانوا ينقسمون إلى قسمين رئيسيين هما:

الأول: "هتيت" القفقاس وهم سكان القسم الشمالي من القفقاس.

الثاني: هتيت (قابادوسيا Cappadoca) وهم سكان القسم الجنوبي في آسيا الصغرى، ودام هذا التقسيم لغاية القرن التاسع قبل الميلاد، ثم رحلوا من آسيا بعد انتصارات (الآشوريين) وغيرهم عليهم، وعادوا إلى وطنهم الأصلي في العراق وعاشوا مع مواطنيهم وعشائرهم الأولين، ومن هنا يبدأ تاريخ (الهات تي: Hittites) في القفقاس.

ويؤكد (جونا توقة) في كتابه (تاريخ القوقاز) على وجود أكثر من دليل بأن الحثيين هم أجداد الجراكسة (الأديغة) ومن هذه الدلائل هي:

الدليل الأول: التشابه في شكل الوجوه والتركيب الجسماني للحثيين مع ما تتصف به اجسام الشعوب القفقاسيين الحاليين.

الدليل الثاني: أثبتت الدراسات بأن لغة الحثيين تشبه كثيرا اللغة المستخدمة لدى الجراكسة (الأديغة) حتى يومنا الحاضر (انظر فصل أصل اللغة الشركسية).

الدليل الثالث: التشابه الكبير بين غطاء الرأس (القلبق) المصنوع من الفراء، وكذلك تشابه الملابس التي كان يستخدمها الحثيين بالملابس القومية للرجال من الشراكسة (أديغة فاشه) المؤلفة من الجاكيت الطويل (تسيه) والمعطف الطويل (شاكوه)

والخنجر (القاما).. الخ وهي نفس الملابس التي يلبسها (الجراكسة – الأديغة) حتى يومنا الحاضر.

الدليل الرابع: ترك جزء طويل من شعر الرأس (وحلق باقي الشعر) عند الحثيين وهي عادة كانت منتشرة عند قدماء الشراكسة والهدف هو التعرف على موتاهم في ساحة المعركة، خوفاً من تمثيل الأعداء بهم وكذلك وجود تشابه بين الاسلحة المستخدمة لدى الشراكسة وهي الرمح والقاما والخنجر) مع ما كان يستخدمه الحثيون.

الدليل الخامس: العثور على آثار للأصنام التي كان يعبدها الحثيون خصوصاً الصنم المسمى (ابسطارطة) في جبال القفقاس وفي مدائن (الكوبان) في بلاد القبرطاي.

الدليل السادس: يلاحظ أن الشارات والعلامات التي كان يدمغ بها أمراء الجراكسة واحرارهم من الورق لغاية يومنا هذا على أدواتهم المنزلية وأسلحتهم المختلفة وسروج الخيل والسوط (القامش) والتي اصطلحوا على تسميتها (دامغة) ما هي إلا بعض العلامات والأشكال المقتبسة من اللغة (الهيروغليفية الحثية).

الدليل السابع: وجود تشابه بين الأسماء التي كان يستخدمها الحثيون، والأسماء المستخدمة لدى قدماء الشراكسة. منها على سبيل المثال اسم الملك (ماؤو – زر) ومعناه الملك ماؤو الأول وأيضا (ماؤو – طور) وكلمة "طؤ" معناها (الثاني) فيكون اسمه الملك (ماؤو الثاني). وكذلك فإن أسماء الجراكسة الشائعة الاستعمال ليومنا هذا (ماو – داو – تاو) وكل هذه الأسماء وما شابهها من أسماء كان يستخدمها الحثيون أيضا.

الدليل الثامن: العثور ضمن منظومة أسماء القبائل الحثية التي اتحدت في حروبها ضد قدماء المصريين (الفراعنة) على أسماء قبائل تعيش في آسيا الصغرى ويقطنون ساحل البحر الأسود في القفقاس شبيهة بأسماء قبائل الحثيين القدماء.

الدليل التاسع: استخدم الحثيون بيوتاً متنقلة على عجلات تجرها خيول او ثيران وهي تشبه البيوت التي كان يستخدمها الشراكسة حتى عام ١٨٧٠ (١١).

الدليل العاشر: استوطن الحثيون في شمال الاناضول بالقرب من موطن الشراكشة (الاديغة) وهذا يعني أنهم جاوروا الشراكسة واختلطوا معهم بل انهم سكنوا لفترة من الزمن في بعض مناطقهم.

الدليل الحادي عشر: وجود تشابه في بناء المساكن لدى كل من الحثيين وقدماء الشراكسة وهي القائمة على (الزاوية) مع وضع دعائم لسند الجدران بالاغصان المتشابكة والاعمدة الخشبية وهي التي وردت عنها في قصص أساطير (قوم نارت) منها النص التالي: "يسكن قوم (النارت) في بيوت ذات جدران مائلة يسندها العديد من الدعامات دوماً" وهذا ما أكده مؤلف (تاريخ العالم) حيث قال بأن الحثيين كانوا يستخدمون نفس الأسلوب المستخدم لدى (النارتيين) في شكل وأسلوب بناء المنازل القائمة على (الزاوية) والدعائم المساندة للجدران والاغصان المتشابكة [١٨].

الدليل الثاني عشر: وجود تشابه في اسلوب تغطية القبور بأكوام من التراب، وكلما كان المتوفى ذا مكانة عالية او شخص عزيز جداً كانت (كومة التراب) أكبر وأعلى وقد تصل بعضها إلى شكل تلال مرتفعة وهي عادة كانت منتشرة لدى قوم (النارتيين) كما أن (كورغتان) مايكوب وهو نفس الاسلوب الذي كان يستخدمه الحثيون ايضا.

نستنتج من كل ما تقدم من أدلة بأن الشراكسة قد يعود منشأهم إلى الحثيين الذين عاشوا في بلاد القفقاس قبل (١٥) قرناً قبل الميلاد، وأن من بقي منهم في بلاد القفقاس بعد رحيل ملوكهم في القرن التاسع قبل الميلاد وعودتهم إلى بلادهم الأصلية (بلاد الرافدين) في العراق. ربما كانوا هم اجداد الشراكسة.

كما نستنتج أيضاً بأن العلاقة بين الحثيين وأجداد الشراكسة كانت علاقة قوية جداً، وأن قدماء الشراكسة تأثروا بالحضارة الحثيّة.

إلا أنني أرجح بأنهم ليسوا فعلا هم أجداد الشراكسة لعدة أسباب. أولها: تواجد الشراكسة في بلاد القفقاس قبل مجيء الحثيين بزمن بعيد، وأن وجودهم سابق لوجود الحثيين في القفقاس، والسبب الثاني: هو بقاء الشراكسة في القفقاس وعدم رحيلهم مع الحثيين عندما رحلوا عنها في القرن التاسع قبل الميلاد.

وبعد كل ما تقدم فإنني أرجح الرأي القائل بأن:

(١) بعض القبائل الشركسية ربما تكون من بقايا الحثيين مثل قبيلة (حاتوقي) ومعناها (ابن حات) علما ان حات كان اسماً من أسماء الحثيين القديمة كما سبق ذكره.

(٢) تأثر الشراكسة بالحثيين كما أن الشراكسة كان لهم تأثير على الحثيين في بعض العادات واللغة والاسماء القديمة...الخ.

النظرية الثانية:

يشير بعض المؤرخين اليونانيون بأن (الكيمريين) عاشوا على ساحل البحر الأسود وغربيها والقفقاسيين من أجداد الشراكسة عاشوا أيضاً ما بين البحر الأسود وبحر الخزر في الالف الرابع والثالث ما قبل الميلاد واسسوا فيها دولة عظيمة.

وورد اسم (الكيمريين) في اللغة اليونانية والرومانية القديمة بأسماء مختلفة مثل (كيمري – غومري – شومري – سومري – سيمري) وغيرها

وبالبحث في تاريخ الكيمريين وجد بأنهم كانوا يسكنون في مواقع ثلاثة وهي:

- موقع (أوننيته) على نهر ألبة في الغرب.
- موقع (فاتيانوفو) في أعالي نهر الفولغا.
- موقع حوض نهر الكوبان في القفقاس.

كما ورد في الأثر القديم بالتوراة أن العرق الأبيض هو من نسل (يافث بن نوح) وان اختلف العلماء الكتابيون أو اليافثيون في كثير من تفصيلات كيفية نشوء وانتشار هذا النسل، ولكن الذي لا خلاف عليه هو أن (يافث بن نوح) أعقبه ابنه (غومر) وأعقب هذا ابنه (تورغوم) ثم ابنه (يتراس) والتوراة تشير إلى أن الموطن الأصلي لنسل (يافث) كان في بلاد الأناضول والقفقاس، وعلى ذلك (فالكيمريون) أخذوا هذا الاسم عن (غومر) وأنهم في الحقيقة من سكان القفقاس الأوائل وأن العلماء يسمون اليافثيين (كاسيون) و (الإرتيون) وقد ذهب كثير من المؤرخين إلى أن الكيمريين والكيركاسيين هم أخوة أو أنهم أبناء عم [١٢].

كما أثبتت الاكتشافات الأثرية أن الكيمريين كانوا يشغلون (القفقاس الشمالي) وشبه جزيرة القرم وشمال البحر الأسود وحوض نهر الدون في الوقت الذي أنشأ فيه اليونانيون مستعمرات لهم في تلك المناطق.

ومن الأدلة التي يستند عليها أصحاب هذه النظرية بأن (الكيمريين) هم أجداد الشراكسة هي الدلائل المادية التالية:

الدليل الأول: وجود قبيلة جركسية من الاديغة في قفقاسيا وتسمى (كيمر كوي) ويلفظها الأبزاخ منهم (جمكوي) وكذلك وجود موقع (كيمر كوي) على الساحل الجنوبي لبحر آزور، كما توجد في الداغستان قرية اسمها (كيمري) أو (غمري) وهي مسقط رأس الامام شامل *.

الدليل الثاني: إن كلمة (أنت) التي وردت في تواريخ اليونان كاسم لقبيلة من قبائل الدولة الكيمرية لا تزال تعيش في حوض نهر الكوبان وفي الداغستان بنفس المدلول.

* للتعرف على اصل الامام شامل يمكن الرجوع للفصل (الخامس) من الجزء (الرابع) في المجلد الثالث من هذه الموسوعة.

الدليل الثالث: ورد اسم قبائل (تور – توريت) بين سكان الأوائل من شعب الميئوت في القرم وهي نفس الأسماء الموجودة حالياً بين العائلات الشركسية، كما يوجد ساحل اسمه ساحل (تورا).

الدليل الرابع: إذا تتبعنا ما وصل إليه علماء (الأنسال) في أبحاثهم الأخيرة، وخاصة العالم الروسي (بانتيوهوف) [١٣] يتضح لنا أن الشراكسة الذين سكنوا من قديم الزمان على سواحل بحر آزوف الشرقية وسواحل البحر الأسود وحوض نهر كوبان، ينتسبون أصلا إلى (الكيمريين).

كما أكد (مورجان) بأن الكيمريين حاربوا (الأسكيت) القادمين من آسيا حوالي القرن السابع قبل الميلاد في مناطق شمال قفقاسيا الغربية وفي سواحل بحر آزوف الشرقية، ويؤيد هذا الرأي ما جاء في آثار الآشوريون أيضاً الذين وجدوا قبل ظهور التوراة التي أكدت بأنهم هم (الكيمريون) [١٤].

وكذلك بأن المؤرخ (ماسبرو) يؤكد بأن الآشوريين كانوا يسمون جبال القفقاس في عهد السارغنيين بالجبال (الكيمرية).

واستناداً على ما تقدم فإن أصحاب هذه النظرية يؤكدون بأن الكيمريين يمكن أن يكونوا هم أجداد الشراكسة [١٥].

نستنتج مما تقدم بأن (الكيمريين) عاشوا فترة من الزمن مع الشراكسة في القفقاس وأن أصلهم من نسل (يافث بن نوح) إلا أنه من غير المرجح بأنهم هم أجداد الشراكسة لأن وجود الشراكسة في القفقاس سابق لوجود شعب الكيمريين والأرجح بأن قبيلة من قبائل الشراكسة وتسمى قبيلة (الجمكوى – كمير كوى) هم من بقايا شعب الكميريين.

النظرية الثالثة:

يرجح أصحاب هذه النظرية بأن الشراكسة يعودون في أصلهم إلى السلالة (الآدريه)، وانهم أوروبيو الجنس وأنهم (والشعوب الأوروبية) من سلالة واحدة وهي Indo - Europeenes .

ووفقا لأصحاب هذه النظرية فإن سكان قفقاسيا الأصليين هم من السلالة الآرية، مثلهم مثل سكان أوروبا الأقدمين، وأن جميع هذه السلالات تعود بنسبهم إلى أبناء (يافث بن نوح) عليه السلام والدليل الأساسي الذي يستند إليه أصحاب هذه النظرية هو تطبيق القواعد العلمية التي وضعها علماء الاجناس للحكم على (نسب الإنسان وجنسه وعرقه وبنيته) مثل قياس حجم الجمجمة وأبعاد الجسم، وكذلك التعرف على لون العيون والشعر والبشرة، حيث تبين من تطبيق هذه القواعد العلمية بأن الشراكسة هم من السلالة (الآرية) وليسوا من السلالة الطورانية وانهم لا يعتبرون ضمن مجموعات نسل (الكيمريين القدماء) الذين ينحدرون من سلالة الكلت أو (السلت) والاسكيت وانما ينتسبون للسلالة الآرية التي ينتسب إليها سكان أوروبا الأقدمون.

ومن المرجح حسب رأي بعض المختصين في علم الاجناس بأن الشراكسة من قبائل الشابسوغ والحاتقول والنتخوج هم أكثر قبائل الشراكسة التي تشابهت مقاييس بنائهم الجسمي ولون العيون والبشرة والشعر مع مقاييسها وصفاتها لدى الآريين. الأمر الذي يرجح ان تكون هذه القبائل من نسل (هند اوروبي) (Indo - Europeene).

نستنتج من هذه النظرية ترجيحاً مفاده بأن بعض قبائل الشراكسة هم من نسل الجنس هندي اوروبي وهي فرضية مقبولة علميا لأن الشراكسة هم من العرق الأبيض الذي يمتد وجوده إلى اوروبا وآسيا وهو العرق المعروف بالعرق القوقازي لكن يستبعد ان يكون الآريون هم أجداد الشراكسة لأنهم لم يسبق أن استوطنوا في

بلاد الشراكسة والعكس هو الصحيح، فإن اقواماً منحدرة من سلالات قفقاسية هاجرت إلى اوروبا في عصور ما قبل الميلاد وما بعده واستوطنت في أكثر من منطقة في أوروبا خاصة في الشمال منها، حيث ثبت للمؤرخين بأن الحضارات الأوروبية القديمة بنيت من قبل شعوب أخرى عاشت في اوروبا قبل مجيء العرق الآري إليه. وأن علماء الآثار عثروا على سلسلة من الآثار تعود للعصور الحجرية المختلفة وفي مناطق القفقاس والقرم وشمال البحر الأسود وصولا إلى غربي اوروبا وبالتحديد إلى ايرلندا وايسلندا. كما أكد المؤرخون بأن شعوباً قفقاسية سبق لها أن هاجرت إلى اوروبا وسكنت فيها ومن أهم هذه الشعوب هي:

١) شعب الأتروسك (التوسكانيين) الذين استوطنوا في ايطاليا وشكلوا مدناً زاهرة قبل حكم الرومان وهم من السلالة القفقاسية.
٢) شعب الباسك وهو من نسل (اتروسك) ايضا هاجر إلى القفقاس واتجه إلى اوروبا وسكن في جبال البيرنة ما بين فرنسا واسبانيا والمعتقد بأنهم هم من أجداد الابخاز وان لغتهم اقرب ما تكون للغة الباسغ الابخازية.
٣) شعب هيرتسل، ويعيش في بلاد المجر، ويمتازون عن الشعوب التي جاورتهم من الأقوام السلافية، واثبت علماء الاجناس بأنهم من السلالة القفقاسية أيضا.
٤) شعب (أ – خه – ي) وهو شعب رحل إلى بلاد آسيا الصغرى في عصر الفرسان ومنهم ايضا شعب (اشه) المذكور في تاريخ (الدروي) كما اورد كل من هيردوت وسترابون اسم (اخه) ضمن القبائل الشركسية في القفقاس وهم سكان بحر (آ. خه – ي) اليونانية.
٥) شعب الآتيكة الذي يعيش في المناطق التي تحمل اسم القبيلة نفسها في اليونان تتشابه مع الاسم القومي للشراكسة وهو (اديكه) وهو اسم محرف عن كلمة (اديغة)[١٩].

نستنتج مما تقدم وجود رابطة عرقية قومية بين القوقازيين الأصليين وبين بعض الشعوب الأوروبية القديمة وأن هذه الرابطة حدثت بحكم هجرة بعض القبائل القوقازية إلى اوروبا.

النظرية الرابعة:

يؤكد أصحاب هذه النظرية ومنهم المؤرخ العربي (ابن خلدون) بأن أجداد الشراكسة هم الشعب (الكاسي) ويستندون في نظريتهم على بعض الحقائق التاريخية نذكر منها الحقائق التالية:

الحقيقية الأولى: عاش شعب (كاس أو كيركاس) في شمال القفقاس على الساحل الغربي لبحر الخزر، وعلى ذلك فالغربيون يسمون بحر الخزر أو بحر قزوين بالبحر (الكاسي). كما جاء في كتب التاريخ العربي القديم ومنها مقدمة (ابن خلدون) عن وجود أربع قبائل في القفقاس أسماؤها (أركس / تركس / كسا/ آس) وهي قبائل تعد من أصول شعب كاس.

الحقيقة الثانية: يؤكد المؤرخون بأن (الكاسيين) هم من الآريين الذين شكلوا فيها الحكومة (الكاسية) في مقاطعة (بنارس) في القسم الشمالي الغربي للقفقاس في القرن الخامس قبل الميلاد.

الحقيقة الثالثة: توصل (آبه – زاو)[١٩] في بحثه حول منشأ ومهد شعب (كاس) بأن هذا الاسم يدخل حالياً في أسماء قفقاسية عديدة منها:

١- قفقاس: ويلفظ هذا الاسم، وغيره، بأشكال مختلفة حسب الأقوام التي تنطق بها فيقال: (قفقاس – أو كافكاس – او كاوكاز – أو قاوقاز) وما شابه ذلك، وعلى كل فإن هذا الاسم مكون من مقطعين هما:

الأول: كاف والثاني كاس.

و(كاف) هو اسم جبل عالٍ في قفقاسيا الشمالية ويلفظ احيانا بجبل (القـــاف). (وكاس) هو اسم شعب (كاس).

وبربط (القاف مع الكاس) يصبح معناه بلاد (كاف – كاس) أي بلاد جبل الكاسيين وأحيانا يلفظ بالقاف – فيصبح قاف قاس.

٢- وجود قبائل تحمل اسم كاسك = (قازبك) في أعلى جبال القفقاس.

٣- يوجد بين الشعوب القديمة والحديثة في القفقاس قبائل تحمل أسماء (سيركاس – سيراكس – جيركاس – جركس) وكلها تحمل مقطع (كاس).

٤- يوجد بين أسماء العائلات والأفراد الشركسية أسماء كثيرة لا تزال قيد الاستعمال مثل: (كاسوق – كسي – كاسبولات – قاسبي – القاس) وغيرها وكلها تحمل مقطع (كاس) والذي يلفظ بالشركسية (قاس) وما يجلب انتباهنا من بين الأسماء التي أوردناها الأسماء الثلاثة التالية:

٥- كيركاس: وهو اللفظ (الغربي) الذي يطلق على (الجراكسة) من قبل الأوربيين. وإذا علمنا أن مقطع (كير..) يعني باللغة اللاتينية (حقيقي) كما أنه يعني باليونانية (سيد) فإنه يتبين لنا أن معنى هذه الكلمة هو (الكاس الحقيقي) أو (سيد الكاس).

٦- كاسبي: وكان اسماً لشعب تاريخي قديم يعيش بجوار بحر الخزر، وإذا علمنا أن مقطع (يي) في اللغة (الكرجية) ما هو إلا أداة نسبة، يكون معنى هذه الكلمة هو (الكاسيون).

٧- كاساك / قازاق – هم الأكرانيون: ومقطع (آك) في اللغة السلافية الروسية هي أداة نسبة وربما كان (كاساك) هم (الكاسيون)، ومعلوم أن المواطن الأولى للقوزاق كانت في حوض نهر الدون شمال القفقاس، وعليه ربما كانوا في الأصل قفقاسيون وارتحلوا إلى الشمال الغربي منذ القديم (إلا أن لغتهم هي سلافية). علما بأن القوزاق لا يزالون إلى اليوم يقلدون الجراكسة إلى حد كبير في ملابسهم وأسلحتهم ولوازم خيلهم وفروسيتهم وفي كثير من مظاهر حياتهم. وهم ليسوا من (الروس السلافيين) ولكنهم كانوا

مسيحيين، فلما اعلنت روسيا الحرب على بلاد الشراكسة استغلوهم أبشع استغلال واستخدموهم في محاربة الشراكسة مستغلين النعرة الدينية عندهم وتقديم وعود كبيرة بالاستقلال وإنشاء وطن لهم في الأراضي المحتلة من بلاد الشراكسة.

وبناء على ما تقدم من الإيضاحات، لا شك بأن العلاقة وثيقة جداً بين (الكاسيين) وشعوب القفقاس وأن (الكيركاس) هم من سكان القفقاس حقيقة ثابتة بلا شك، وهكذا نكون قد اهتدينا إلى اسباب إطلاق المؤرخين اسم (الكاسيون) على العرق الأبيض الغربي، وإلى الموطن الأصلي لشعب (الكاس) الذي نحن بصدد البحث عن علاقتهم مع الشراكسة.

نستنتج مما تقدم بأن العلاقة بين الشعب الكاسي والشعوب القوقازية عامة والشركسية خاصة علاقة ثابتة وأنه من الأكثر ترجيحا بأن اجداد الشراكسة وأجداد الكاسيين واحد وأنهم من نفس النسل والعرق وهو العرق الأبيض القوقازي الذي يعود نسبهم إلى احفاد يافث بن نوح عليه السلام.

النظرية الخامسة:

يرجح أصحاب هذه النظرية وجود صلة قرابة بين قدامى الشراكسة والسومريين، مما جعل العديد من المؤرخين ينسبونهم أصلا إلى القفقاس، ويستندون في نظريتهم هذه إلى الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: دلت الآثار المكتشفة في منطقة (مايكوب) وهي (عاصمة جمهورية الأديغية حاليا) بأن اسم (سومر – شومر – غومر) هو اسم الشعب القفقاسي الكيمري القديم.

الحقيقة الثانية: ورد في كتب التاريخ القديم للوطن العربي بأن: السومريين قدموا إلى العراق من بلاد القوقاز وهضبة أرمينيا وأخذوا يستوطنون تدريجيا جنوب

العراق وعملوا في الزراعة التي نبغوا فيها. كما ورد في كتاب (التاريخ والحضارة في الأزمنة الغابرة)[٢١] بأن السومريين كانوا يستوردون النحاس من القفقاس، والفضة من طوروس، وكانوا يسمونها جبال (الفضة) كما جاء في كتاب (العصور القديمة) أن الجبليين الذي أقاموا شرقي وشمالي وادي الفرات، لم يكونوا ساميين، ولا علاقة تربطهم بالقبائل الرحل السامية التي كانت تقيم في بادية العرب، ويتعذر أن نجد لهم أية صلة بالأجناس الأخرى التي نعرفها، وكل ما لدينا عنهم من اخبار بأنهم كانوا (حليقي الرؤوس) ويلبسون (تنورات) من الصوف الخشن، وكانوا يستعملون الأدوات الحجرية، ومر بعضهم من مضائق الجبال الشرقية، وقاموا بتجفيف الأراضي في جوار مصبي الرافدين، وجعلوها صالحة للزراعة، وانتشرت مساكنهم المبنية من (اللبن) شمالا على ضفاف نهر الفرات، في الفترة ما قبل (٣٠٠٠) ق. م. [٢٢]

ويؤكد المؤرخون بأن هؤلاء الجبليين كانوا بلا شك من (الجنس الأبيض) وهم أقرب ما يكون إلى الجنس (الهندي الأوروبي) الذي كان قد انتشر في البلاد الواقعة إلى الشمال والشرق من بحر قزوين في بلاد القفقاس منذ زمن قديم جداً، واستولوا تدريجيا على سهل (شنعار) فدعيت المنطقة التي استولى عليها (سومر) وكانت الزعامة والقيادة بيد السومريين، ويتسلطون على (الأكديين) الذين كانوا أقل حضارة منهم وأقرب إلى البداوة، خاصة وأن القبائل البدوية السامية كانت ترتاد بلادهم للإقامة فيها.

الحقيقة الثالثة: تدل اللوحة الذهبية من الآثار المكتشفة في منطقة (مايكوب) والتي يمثل رسماً (لنهرين) ينبعان من سلسلة جبلية ويصبان في موقعين متقاربين في البحر، حيث تم تفسير ذلك على النحو التالي:

١- النهران يمثلان نهري (دجلة والفرات)، وكانا يصبان في البحر في العصور القديمة في مصبين مختلفين حتى عام (٣٥٠٠ق. م).

٢- السلسلة الجبلية المرسومة على اللوحة المذكورة ما هي إلا سلسلة جبال القفقاس (آبه زاو)*.

الحقيقة الرابعة: وجود تشابه كبير بين اللغة الشركسية واللغة السومرية في المعنى واللفظ، كما نستدل عليها من ألواح سومر (الإثني عشر) وكذلك من قاموس (لابات) الذي تضمن كلمات باللغة الشركسية ومرادفاتها باللغة السومرية (انظر النظرية التي تبحث في أصل اللغة الشركسية) ونقتبس من هذا القاموس بعض الكلمات الشركسية ومرادفاتها باللغة السومرية والعربية وهي:

الكلمة بالعربية	المعنى بالشركسية	المعنى بالسومرية
طبيب	آزه	A-2A
يد	أ	A
خنزير	قوه	Ku
جثمان الميت	حده	Ada
كبير	ين	En

الحقيقة الخامسة: تم اكتشاف اثار قديمة تعود إلى ما قبل (٣٥٠٠) ق. م في بلاد الرافدين (العراق) تضم خنجراً مستقيماً (قاما شركسية) وعلى قبضته زخرفة من الذهب والأحجار الكريمة متفنن بشكل بديع وهو يشبه (القاما) المكتشفة في آثار (مايكوب) في حوض نهر الكوبان في بلاد الشراكسة في القفقاس [٢٣].

تلك هي بعض الحقائق العلمية التي توصل إليها أصحاب هذه النظرية وهي حقائق تدل على وجود علاقة قوية بين الشراكسة والسومريين وأنهم من نسل واحد

* وردت هذه الحقيقة عند أكثر من كتاب منها كتاب موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، اعداد محمد جمال صادق آبه زاو.

وأن جدهم واحد. إلا ان هذا لا يعني ان الشراكسة هم السومريون، وأنهم ينحدرون من نسل واحد وعرق مشترك وهو العرق القفقاسي الأبيض.

تلك هي أهم النظريات التي تبحث في أصل الشراكسة وفي نسبهم ونـــسلهم والاقوام التي انحدر منها قدماء الشراكسة واجدادهم.

اما الفرضيات التي افترضها أكثر من مؤرخ من المؤرخين القدماء اليونانيين والعرب حول اصل قدامى الشراكسة ونسبهم هي الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى:

يؤكد أصحاب هذه الفرضية بأن الشراكسة من سلالة (بني قريش العربية) ويستندون في فرضيتهم على الوقائع المنقولة من (نوح المرتوقي الجركسي القفقاسي) في كتابه (نور المقابس في تواريخ الجراكس) [٢٤] وملخص الواقعة التي استند عليها المرتوقي هي:

حدث بأن قبيلة تدعى (بني عامر) واميرهم يقال له (كساء) اسمه (ابن عكرمة بن عمرو بن ود العامري) وحدث أثناء لعبه في فرح، فطاحت (جريدة) وقيل (قصبة) من يد الأمير (كساء) فأصابت عين أحد العربان ويدعى (فهيد) ففقأت عينه فاشتكى إلى أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) فأراد أن يقتص منه لخصمه شرعاً. فسأل عنه أمير المؤمنين فقيل له (سرى) وقيل (جرى) أي هرب ووصل إلى أرض الروم طلبا للنجاة بنفسه فسمي من ذلك اليوم (جرى كساء) واجتمع عليه خلق كثير من بني عمه وأقاربه ولحقوا به وانتقلوا من أرض إلى أرض حتى جاوز بأهله بلادا كثيرة، وكان عدد قبيلته زهاء (ثلاثين الفا) وكان كل من عارضه من أرض الروم يحاربه ويقتله حتى خافه الناس، وبلغ ذلك الملك (قسطنطين) فأعطاه أمانا سمح له بأن يجتاز الخليج القسطنطيني ويتخير من الأرض ما يريد فتجاوزها بأهله حتى وصل بلاداً تعرف قديما بأرض (النيارق) من

أرض (البلغار) كانت تعيش فيها عدة طوائف. فحاربهم وتغلب عليهم واستوطن بلادهم، وهي التي تعرف الآن بأرض الجراكسة.

والخلاصة بأن (الأمير كساء) عرف بين القبائل العربية بخروجه عن طاعة الخليفة وأنه (سرى ليلا) خوفا على نفسه من القصاص، فأضيف إلى اسمه لفظة (سرى) وبتركيب الكلمتين تصبح (سرى كسا) وبعضهم سماه (جرى كسا) ونحو ذلك، وانسحب ذلك الحكم على نسله وعقبه واصبحوا من سكان القفقاس واندمجوا مع السكان الأصليين. وسموا (جرا – كسا) نسبة إلى الكُنية التي يحملها الامير (كساء).

ويذهب أصحاب هذه الفرضية إلى احتمال مفاده بأن قسماً كبيراً من قبيلة الأمير (كسا بن عكرمة) رجعوا إلى بلاد (الإسلام) فمنهم من عاد ظاهراً إلى مصر وعرفوا (كأشراف بني عامر) بأرض مصر، حيث سكنوا الجهة القبلية منها، ومنهم من عاد متخفيا منفردا (كالسلطان الملك الظاهر برقوق بن أنص الجركسي) مؤسس (دولة الجراكسة البرجية) في مصر فإنه كان مملوكا للسلطان الملك (المنصور على بني الأشرف شعبان) وهو الملك الثالث والعشرون من ملوك أكراد الأيوبية (بديار مصر) وكان (برقوق بن أنص) هذا شابا حسنا جميلا قدم إلى قسطنطينية الكبرى مهاجرا بصحبة بعض المسافرين فانقض عليهم اللصوص فقتلوا جماعته وأسروه وباعوه وأتوا به مصر. وفي يوم من الأيام حدث أن تخاصم مع بعض (أمراء الامويين) قبل ان تتولى الحكم بالديار المصرية، وعايره بأنه (عبد مملوك) فغضب وبحث عن أصله واثبات نسبه بأنه (برقوق بن أنص بن تمر بن قان بن جهانكير بن رستم بن جهان شاه بن يهبر نداق بن ازبك بن اينال بن ترخان شاه بن عكرمة ابن عمرو بن ود العامري سيد بني عامر) وهو من عظماء قريش واثبت ذلك بأنه ليس (عبداً مملوكا) وإنما قبض عليه اللصوص فأسروه وباعوه كالعبيد وتمكن من اثبات نسبه بعد أن ارسل إلى مسقط رأسه في القفقاس وأحضر منها سجلا قديما

مؤرخاً فيه ذكر أصله وحسبه ونسبه واتصاله بنسب للأمير (كسا العامري القرشي). ولا شك بأنها قصة أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع والحقيقة.

وأما القصة الحقيقية (للسلطان برقوق) التي نقلها الإمام الصفدي بقوله: "أن برقوقا كان صغيرا لم يبلغ الحلم فأغار عليه بعض (البلغار) من اللصوص وباعوه فجلب إلى (قسطنطينية العظمى) فاشتراه طشتمر المعروف بالصاحب وأحضره إلى ديار حلب ثم إلى الشام ثم إلى الديار المصرية فاشتراه (الملك المنصور علي بن شعبان) ودرّجه في المناصب حتى آلت إليه الرئاسة وأفضت إليه السلطنة فجلس على سرير المملكة بالديار المصرية".

ونستدل من هذه الفرضية بأن عدداً كبيراً من قبيلة بني عامر سكنوا بلاد الشركس وانهم اختلطوا معهم وأنهم انصهروا على مر الزمان مع السكان الاصليين الشراكسة إلا أن هذا لا يدل بأن أصل الشراكس يعود إلى بني قريش، وأنهم من عرب الساميين. وهي فرضية ضعيفة جداً لأكثر من سبب منها بأن الشراكسة مستوطنين في بلاد القفقاس قبل (التاريخ الافتراضي) لمجيء (كسا) بالآف السنين.

الفرضية الثانية:

يذهب أنصار هذه الفرضية إلى القول بأن الشراكسة يمتدون في أصلهم إلى (قدماء المصريين)، ومن أصحاب هذه النظرية المؤرخ (هيرودوت) [٢٨] الذي توصل إلى هذه الفرضية عندما كان يجول ببلاد (الكولخيد) في الداغستان، حيث وجد بين أهالي تلك البلاد عامة وفي القفقاس نفسها خاصة، بعض السكان من (سود الوجوه) فتحير (هيرودوت) من ذلك ودهش، فعمد إلى البحث والتدقيق عنها حتى علم أن هؤلاء (السمر) يمتد أصلهم إلى قدماء المصريين. بالاضافة إلى **دليل ثانٍ** هو وجود عادة (الختان) بينهم إذ من الثابت أن عادة الختان تعلمها أهل القفقاس من (المصريين) الذين كانوا يختتون منذ القدم، **والدليل الثالث** أن (رمسيس الثاني)

فرعون مصر، في ذلك الوقت وصل في حروبه إلى القفقاس وعند عودته إلى مصر ترك فيها حامية من الجنود المصريين، فيحتمل ان يكون هؤلاء (ذوو البشرة السوداء) من نسل أولئك المصريين، وأما **الدليل الرابع** هو أن (رمسيس الثاني) كان يعرف عند الشراكسة باسم (ساء وسريس) وكانوا يقدسونه ويحترمونه حسب قول مؤرخ الجراكسة (نغموقة) [٢٩] .

أما **الدليل الخامس** فهو العثور على نقود مصرية قديمة في بلاد الكولخيد، وبالتحديد في حوض نهر (ريدن)، وكذلك العثور على النقوش الهيروغليفية في بعض (المدافن) المصرية.

بالرغم من تعدد الأدلة التي اعتمد عليها اصحاب هذه الفرضية فإنها لاقت اعتراضا كبيراً من قبل كل من البروفسور (رنتر) والمؤرخ الفرنسي (مورجان) كما يعارضها ايضا كل من (استرابون) و (اجزانفون) اليونانيين، فالأول يعتقد بأن السكان ذوي الوجوه (السمراء) هم من بقايا الهنود، والذين سبق أن استوطنوا في مقاطعة (بنارس) في القسم الشمالي الغربي من بلاد القفقاس، وشكلوا فيها الحكومة عام (٥٠٠) ق. م [٣٠].

وأما (مورجان) فإنه لا يعتقد أن (رمسيس الثاني) أمكنه الوصول إلى بلاد القفقاس، وعلى فرض وصوله فإنه يستحيل بقاء (حامية مصرية قليلة العدد) في وسط (أشداء محاربين) لمدة طويلة. ويرجح بأن هؤلاء (السمر) جاءوا إلى القفقاس من الهند، بقصد التجارة، وبهذه الوسيلة أمكنهم التوطن فيها [٣١].

أما (سترابسون) و (اجزانفون) فإنهما لم يجدا أثرا للجنس الإفريقي مطلقا بالقفقاس في القرن الأول للميلاد، ولم يذكرا شيئا عنهم.

وفي كل الاحوال فإن (جوناتوقة) يؤكد بأن هؤلاء ذوي البشرة السمراء انتهى أمرهم بالانقراض في الفترات ما قبل الميلاد، إما لعدم ملاءمة الجو، لأجسادهم أو أنهم انتهوا باندماجهم ضمن سكان البلاد الاصليين.

والدليل السادس هو ما توصل إليه بتشجالوقة في كتابه ايقاظ المؤرخين، حول التشابه بين اسماء الآلهة المصرية القديمة مع اسماء اشخاص ومواقع في بلاد القفقاس.

الدليل السابع كشف البدري [٣٣] بأن المعلومات التاريخية المتوفرة تشير إلى أن المصنوعات التي وجدت في صعيد مصر من أدوات صوانية وأدوات فخارية وغيرها من المكتشفات تدل على تطور الصناعات لديهم قبل عشرة الاف سنة قبل الميلاد، وان هذه المصنوعات انتقلت إلى اوروبا من جهة شمال البحر الاسود، الذي يرجحه (البدري) بأن تكون بلاد القفقاس مركز هذه الحضارة، وكذلك فإن المصريين عرفوا بلاد القفقاس منذ زمن بعيد وسموها (موطن الاموات) وان جميع الاسماء الواردة في الاساطير المصرية مطابقة للاسماء المستخدمة في وادي القفقاس.

الفرضية الثالثة

وتبحث في أكثر من فرضية فرعية ترجح أن الميئوت هم اجداد الشراكسة وان السارمات والامازون أيضا هم شعب واحد ايضا، وللتحقق من هذه الفرضية بفرعيها قمنا بدراسة وتحليل ما قام به مؤرخون يونانيون (رومان وبيزنطيون وفرنسيون وعرب) من دراسات وأبحاث حول شعوب الميئوت ومن جوارهم من شعوب في منطقة شمال القفقاس، كذلك حول اصل السارمتين والامازون حيث كتب أكثر من كاتب حول هذه الشعوب منهم:

هيرودت، وبلوتارت وستيفان البيزنطي وهيرمولارس وبطليموس وبلين من المؤرخين القدامى، وديمتريوس، وسميتوس الخيوسي وموانير الخوريني، الجغرافي الأرمني، وغيرهم [٣٤]، حيث توصلنا إلى بعض البيانات والمعلومات والحقائق المتعلقة بتاريخ شعوب المئوت وعلاقتهم بأجداد الشراكسة وهي على النحو التالي:

١- إن بعض المؤلفين يجعلون الميئوت والسرمات شعبا واحدا، وكان ديمتريوس Demetrius يسمى الميئوت أيازمات Iazamates اي سرمات، بينما سيمنوس الخيوسي Scymnus de Chios فيعتبرهما شعبا من الميئوت. وهو من المؤلفين القلائل الذين يعتبرون الميئوت شعبا سكيتيا ولا يقرون بالقرابة الاثنية بين الميئوت والسرمات.

٢- تأكد بأن عددا من قبائل الميئوت، مثل الداندار Dandares والاريخ Arikhes والتوركاي Turcae والسير Serse والسارد Sardes أو السيرب Serbes هم من جنس السارمات، حيث أكد أحد المؤرخين (مجهول الاسم/ اعتبر كل Apsoghi والابخازي Abkhasi هما شعبا سرماتيا وانهما من قوم سرماتيا.

٣- كان اليونانيون في عهد هيرودوت يعرفون السارمات Sarmates أو الساورومات Sauromates الذين كانوا يسكنون شرق نهر التنائيس (الدون)، والذين لم يكونوا جزءاً من (المجموعة السكيتية). وأن السرمات ينحدرون من الامازونات Amazones اللاتي كن يقطن على ضفاف نهر الترمودون Thermodon ومن السكيت الذين كانوا يسكنون على شواطئ الميئوتيد (بحر آزوف) وكانوا يتكلمون اللغة السكيتية حسب قول هيرودوت، ولكن بشكل سيّئ.

٤- يذكر المؤرخ (مات) قائمة هامة بأسماء الشعوب القاطنة في بلاد السرمات، حول الميئوتيد (بحر آزوف) وحتى جبل سيراوني (Ceraunien) (بالقرب من بحر قزوين). وبلغ عددها حوالي (٥٤) قبيلة وشعباً، وأضاف المؤرخ بطليموس إلى هذه القائمة (٨) قبائل أخرى، وكذلك كان يتحدث عن شعب جبلي آخر في سارماتي وهو شعب (بروخس Brukhes) الذي لم يذكره

المؤرخون الآخرين، وكانوا يقطنون في بلاد اللان Alans والزيخ Zikhes في شمال "الاباسك".

٥- يقول هيردوت من المستحيل الكلام عن السرمات دون التحدث عن الامازون، وبالإضافة إلى الروايات القديمة التي سجلها حول السرمات والامازون، فإن كثيرا من المؤلفين اليونان والرومان قد شهدوا بوجود الامازون في سرماتيا في المنطقة الواقعة فيما وراء جبال ريفيه (Riphees) بالقرب من السكيت والكيمريين والسيسيانيت (Cissiantes) والجيورجيون (الكرج). إلا أن أكثر المؤلفين يقولون أنهن (أي الامازون قبيلة النساء المقاتلات) كن يستوطنّ بالقرب من نهر تنائيس (الدون) ومن بحر الميئوتيد (آزوف) وكلهم يتحدثون عن التأثير الكبير الذي كن يمارسنه على السرمات الآسيويين، وحسب قول (سترابون) كن يسكنّ في شمال القفقاس، بالقرب من (الغار غار) (Gargares) أي في بلاد الشيشان والانغوش، بينما يكتب (بلوتارك) بأنهن كن يقطن إلى الشرق أكثر، بالقرب من بحر قزوين.

٦- جرى استبدال سكيتيا (Scythie) بسرماتيا (Sermatie) القريبة وكانوا ينقسمون إلى قسمين: سرماتيا الاوروبية (Sarmatie d'Europe) وسرماتية الآسيوية (Sarmatie d'Asia) والذي يفصلهما عن بعضهما البعض نهر التنايس (Tanais) (الدون) والميئوتيد (بحر آزوف). وكذلك فإن المفهوم الاثني (القومي أو العرقي) للسارمات (Sarmates) أصبح مع الايام مفهوما جغرافيا، له مدلول أوسع جدا، بحيث أصبح يشمل كل الأراضي الواسعة التي تمتد ابتداءً من جبال الاورال وبحر قزوين حتى جبال الكاربات (Carpathes) ونهر الفيستول (Vistule) وكانت تعيش عليها أمم عديدة جدا ومختلفة كثيراً من ناحية أصلها، ومن ناحية درجة الرقي في حضارتها.

ورغم ذلك الغموض فإنه مما لا شك فيه بأن قوما سرماتيا حقيقيا كان موجودا، وان دراسة العلاقات التي كانت سائدة في ذلك الوقت بين هذه العائلة من الشعوب السرماتية وبين القبائل الساحلية والتي كانت تسكن في بلاد الشركس في الأزمنة السحيقة الغابرة. تؤكد صلة القرابة التي كانت بينهم وبين حوالي (٢٥) قبيلة من اجداد الشراكسة.

٧- توصلنا من مقارنة اسماء قبائل (الميئوت) على ساحل بحر قزوين مع أسماء القبائل الشركسية التي كانت تعيش في المنطقة الجغرافية نفسها في القرون الوسطى وحتى أوائل القرن السابع عشر الميلادي، فتوصلنا إلى ان اكثر من عشرة اسماء لقبائل الميئوت ظلت مستخدمة لدى الشعوب الشركسية القفقاسية حتى القرن السابع الميلادي، ومن هذه الاسماء مثل – التحات والسيرني وهابي اوثالي، بالاضافة إلى اسماء القبائل الشركسية المستقلة عن مجموعة الميئوت مثل: كيركت او سرت، زيخ والباسك.. والسانيغ وهنيو Henou المعروف بما نبوخ.

نستنتج من كل ما تقدم ما يلي:

١- التأكيد على الفرضية القائلة بأن الميئوت هم اجداد الشراكسة وأن معظم القبائل الشركسية التي كانت متواجدة على أرض الوطن الأم القفقاس قبل حرب الابادة واحتلال روسيا القيصرية لمواطن الشراكسة هي قبائل منحدرة من أصل (ميئوتي) لكن التساؤل يبقى مفتوحا حول اجداد قدامى الشراكسة في عهد ما قبل عهد الميئوت وهو السؤال الذي لم يجب عنه حتى الان اي مؤرخ.. وهو من هم اجداد الميئوت؟ وهل هم من احفاد الكيمريين ام الكاسيين أم الحثيين؟ الخ فإن السؤال يبقى مفتوحا حتى نجد الإجابة المنطقية عنه.

٢- التأكيد على صلة القرابة بين الميئوت والسارمات وبالتالي فإن القرابة أو الصلة بين السارماتيين والشراكسة هي صلة مؤكدة وأن بعض القبائل الشركسية الحديثة قد تكون قد انحدرت عن السارماتيين.

٣- التأكيد بأن (الامازون) هم من أصل سارماتي حسب روايات هيرودوت وسكيمونسي حيث تزوجن من شباب من شعب الاسكيت ورحلن معهم إلى ما وراء نهر التنانيس أي نهر (الدون) وسكنوا فيها بالقرب من قبائل السارماتيين[٣٥].

الفرضية الرابعة والاخيرة:

تتناول هذه الفرضية مقولة أن الامة التي ينتسب إليها الشراكسة يمكن ان تكون هي امة ((النارتيين)) وهي فرضية وان لم يكتب عنها أي مؤرخ من المؤرخين القدامى من يونانيين ((اغريق)) ورمانيين وبيزنطيين إلا أن المؤرخ الشركسي (برزج سمكوغ) يؤكد في كتابه (اساطير النارتيين) مدى انتشار هذه الأمة قديما، وأن استيطانها امتد من القفقاس الشمالي ابتداء من نهر الدون وساحل شمال البحر الاسود، وأن مجالسهم هي مجالس النارتيين، وكل قارئ لهذه الأساطير يتأكد من هذه الحقيقة وهي انتساب القفقاسيين الشماليين الغربيين جميعا إلى أمة (نارت) وهم ذات الحضارة الزراعية وتربية الماشية وأنها وجدت في الألف الثالثة ق. م.[٣٦]

ويعتمد أصحاب هذه الفرضية على الوقائع والاحداث التالية:

١- لم يكتب أحد من المؤرخين القدامى عن أمة (نارت) لأن تاريخ ظهورها ونشأتها يعود إلى عصور قديمة جدا، حيث لم يوجد وقتها كتابة ولا تاريخ مكتوب.

٢- ظهر (النارتيون) في العصر الذي كان فيه الحكم للأم أي انهم نشأوا في مرحلة سيطرة الأم على الأسرة وهي المرحلة التي كانت تسمى (الأسرة الاموية) وعبادة الالهة الأم الاكبر.

٣- يقول المؤرخ الشركسي نوغموقة[٣٧] بأن كلمة (نارت) اصلها (نارانت) ومعناها أم (الانتيين)، وبالتالي فإن الشراكسة (الاديغة) هم أحفاد النارتيين والآنتيين.

٤- قدمت اساطير (النارتيين) تفاصيل عن حياة مجتمعات بأكملها وعن أمراء وحكام كما تتحدث عن جوانب ثقافية واقتصادية واجتماعية ودينية، وبالتالي فإن هذه الاساطير لا يمكن ان تكون بكاملها من نسج الخيال، ولا بد من وجود اساس مادي وواقعي لها. الأمر الذي افترضه بعض المؤرخين الشراكسة، وبالذات (سمكوغ) إلى وجود امة أو قوم أو شعب باسم (قوم نارت) أو (نارانت) أو (نات) كما يلفظها اهل الشابسوغ.

٥- الدليل الأكبر على وجود قوم يحمل اسم (نارت) نشأ واستوطن شمال القفقاس وعلى بقعة واسعة منها هو تداول قصص وأساطير (النارتيين) لدى مختلف الشعوب والقوميات القفقاسية، بالإضافة إلى الشراكسة وبالأخص الابخاز والشيشان والانجوش والأساتنين، مما يدل بأن هذا القوم ربما كان فعلا موجوداً وأنهم هم أجداد شعوب قفقاسيا الشمالية بأكملها وهي الفرضية التي ارجح صحتها أكثر بكثير من الفرضيات والنظريات السابقة الذكر.

مراجع ومصادر
الفصل الخامص من الجزء الأول من المجلد الأول

١- ناميتوق، اتيك، مصدر سابق، ص:٧.
٢- مورجان، المجلد الأول، مصدر سابق، ص:٧.
٣- مجلة يني قفقاسيا، عدد ايلول عام ١٩٦٢، ص١٥.
٤- جريدة زاربا، فونستو الصادرة في تفليس يوم ١٩٦١/٦/١ تحت عنوان (أعماق العصور).
٥- مورجان، المكتشفات الاثرية في الكوبان.
٦- ناميتوق، اتيك، مصدر سابق، ص: ٨.
٧- المصدر نفسه، ص: ٧.
٨- المصدر نفسه، ص٩.
٩- مورجان (مؤرخ فرنسي) تاريخ ومنشأ أمم القفقاس، المجلد الثاني، ص: ٩٣.
١٠- جوناتوقة، تاريخ القوقاز، مصدر سابق، ص:٩٤.
١١- آبه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس، مصدر سابق، ص: ١٢٤.
١٢- المصدر نفسه، ص: ٧٧-٨٠.
١٣- بانتيو هوف (عالم روسي مختص بدراسة الأجناس) مؤلف كتاب تقويم القفقاس، نشر بالروسية عام ١٩١٢ ص: ٥٣٩.
١٤- مورجان، مصدر سابق، ص: ٢١٧.
١٥- م. مايسبرو، تاريخ الامم الشرقية القديمة ص: ٣٩٢-٣٩٤.
١٦- السيرجون، تاريخ العالم، المجلد الثاني، ص١٩٦.
١٧- آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٧٦؟

١٨- السيرجون، تاريخ العالم، المجلد الثاني، تعريب وزارة المعارف المصرية، ص: ١٩٦ -١٩٧.
١٩- آبه زاو، مصدر سابق، ص ٧٤-٧٥.
٢٠- المصدر نفسه، ٧٠-٧٢.
٢١- انور الرفاعي وبسام كرد علي - كتاب اكاديمي، دمشق الفصل الثامن، ص: ٦٧.
٢٢- طه الهاشمي، تاريخ الحضارة في الازمة الغابرة، المجلد الأول، ص: ٥٤٥.
٢٣- هنري براستد (عضو أكاديمية العلوم في برلين) العصور القديمة، تعريف داوود كوبان، ص٨١.
٢٤- طه الهاشمي، مصدر سابق، ص: ٥٤٦.
٢٥- المرتوقي، نوح الجركسي القفقاسي، من شراكسة مصر، مؤلف كتاب نور المقابس في تواريخ الجراكس المنشور في بلدة قزان (باللغة العربية) عام ١٩١٢ص:
٢٦- مورجان، مصدر سابق، ص: ٧٩.
٢٧- جونا توقة، مصدر سابق، ص: ٦٥.
٢٨- هيرودوت، مصدر سابق.
٢٩- نغموقة، مصدر سابق، ص: ٧١-٧٢.
٣٠- آبه زاو، مصدر سابق، ص: ١٠٧.
٣١- جوناتوقة، مصدر سابق، ص: ٧٩.
٣٢- محمد علي بتشجالقوة - ايقاظ المؤرخين، منشور باللغة التركية، ترجمها محمد جمال امين عام ١٩٩٦، انظر ص(١١١) من كتاب موسوعة تاريخ القفقاس والجركس.

٣٣- المؤرخ العربي البدري في كتابه (مكتشفات صعيد مصر)، ص: ٤٠-٤١.
٣٤- ناميتوق أتيك، مصدر سابق، ٣١-٥٠.
٣٥- المفتي، شوكت، مصدر سابق ص٧-١٠.
٣٦- سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ٨٥-٩٠.
٣٧- نغموقة، مصدر سابق، ص:١٠٤.

الفصل السادس

الأسماء والالقاب التي عرفت بها الأمة الشركسية في الوطن الأم منذ فجر التاريخ

تمهيد:

قبل البحث في الاسماء او المسميات التي عرف بها الشراكسة منذ العصور القديمة وحتى العصر الحديث لا بد لنا من البحث اولا عن أهم الالقاب الأساسية التي دار حولها جدل كبير منذ القدم واختلف عليها العديد من المهتمين بتاريخ القفقاس وشعوبها عامة وبتاريخ الأمة الشركسية خاصة وكان أهم الالقاب التي اختلف على منشئها أو مصدرها هي:

اللقب الأول: النارتيون أو قوم نارت.

اللقب الثاني: الانتيون او أمة الآنت.

اللقب الثالث: الأديغة (الاديكة أو اديخة أو اديغي)

اللقب الرابع: الشراكسة (جركس او جراكسة او شراكسة أو سراكس أو سيركسيا)

وفيما يلي تحليل موجز عن مصدر ومنشأ كل من هذه الالقاب الأربعة.

اللقب الأول: النارتيون أو قوم نارت

عرف الشراكسة منذ القدم بقوم (نارت) أو (النارتيين) فهو اسم رمزي استعمله الشراكسة في ملاحمهم الشعرية وقصصهم وأساطيرهم منذ العصور القديمة، ويقول (ناميتوق) بأن استخدام اسم (نارت) يعود إلى زمن بعيد جدا، وهي تسمية لا نعلم ان كانت تعود إلى العصور الحجرية القديمة منها والحديثة (النيوليت) ام قبل ذلك وفي زمن لم تكن فيه الكتابة مكتشفة ولا التاريخ مكتوبا كما يقول أن (النارتيين) هم الأقوام أو الامة التي ينتسب إليها الشراكسة اصلا، وقد يكون هذا المصطلح هو أقدم مصطلح يطلق على الشراكسة في الملاحم الشعرية والاساطير والقصص التي تصف حياة امة متكاملة تضم آلهة وشعوباً وامراء وشخصيات، بالإضافة إلى وصف لعادات ومفاهيم لا يمكن ان تكون جميعها من نسج الخيال ولا بد أنها تصف وتتحدث عن وقائع وحقائق ومع الزمن أضيفت إليها بعض الاحداث والحوادث الخيالية [١].

أما المؤرخ الشركسي (نغموقه) فهو ايضا يتبنى فكرة ان (نارت) هو اسم لشعب، حيث يعتبر النارتيين احفاداً الانتيين وأسلافا للاديغة.

وحسب رأيه فإن كلمة (نارت) أصلها (نارانت) التي تعني (أم الانتيين) مما يفسر حسب اعتقاده العلاقة بين النارتيين والانتيين خاصة وأن الانتيين شعب ثبت وجوده تاريخيا واعتبر الشركس الاديغة هم أحفاداً للانتيين والنارتيين [٢].

وكذلك فإن (سمكوغ) يؤيد ما ذهب إليه كل من (ناميتوق ونغموقة) ويفترض بأن (نارت) وهي التسمية الموغلة في القدم والتي انتسبت إليها الشعوب الشركسية منذ العصور الحجرية وحياة القنص وقطف الثمار، ولا نعلم إلى أي مدى يمكن أن تعود في القدم ولكن تحليلها المقطعي يمكن أن يدلنا على مرحلتها الحضارية ويمكن أن تعود لأواخر الميزوليت أو النيوليت ولبدايات مرحلة (عبادة الأم) ويمكن ان تلفظ (نات) بدون حرف (الراء) لأن (الراء) ما هي إلا أداة

التعريف (ن + ت) وتعني (عطاء الام) إذ يعتبرون أنفسهم عطاء الام الآله الكبرى التي كان يعبدها النارتيون.

ويفسر لنا (سمكوغ) كلمة نارت في التحليل التالي:

١- حرف (ن أونا) هو حرف وجذر يدخل مجموعة كبيرة من الكلمات (والألف) هنا حرف صوتي يدل على الفتحة وتأتي للفصل بين حرفين ولا معنى لها (والنون) حركت بالفتحة بسبب الألف وهي في الأصل حرف (ن) ويعني (أم).

٢- حرف (التاء) يعني العطاء والمنح والهبة (باللغة الشركسية) وهكذا تصبح هذه الكلمة ن + ت ومعناها بالشركسية (عطاء الام) و (هبة الأم) وهي التسمية الطبيعية التي تمثل مرحلتها الحضارية عندما كانت هذه الأقوام تعيش عصر (الأسرة الامومية) وعبادة الآلهة (الأم الكبرى) وهي التي تطورت فيما بعد وسميت بآلهة الهبة والعطاء [٣].

اما المؤرخ الشركسي (اوزبك) فيؤكد على ما ذهب إليه الاخرون قائلا: إذا ما تفحصنا تعبير (نات) أو (نارت) نجده مؤلفا من جزأين: الأول (نا) أو (نار) والثاني (ت)، وبالنسبة للأول فإن (نه) تعني (عين) وبالنسبة للثاني فإن (ت) أو (تن) وتعني (اعطى، أهدى) ويكون المعنى الكامل معا (نارت) اي الذي (يضحى بعينه أو يهدي عينه) فالناتيخواج والشابسوغ يستعملان لفظ (نات) أو (ناتة) دون إظهار حرف الراء في الكلمة [٤].

وأما رأي (حادا غالة) المؤرخ المختص بأساطير النارتيين من شراكسة الوطن الأم فيعتقد بأنه يجب على الباحثين التحقق من مدلول كلمة (نارتي) ضمن المعنى الذي يدل على (فتح العين)، حيث إن الاديغة يستعملون تعبير (أنت مثل عيني، انت مثل قلبي) أو (اعط عينك لتحفظ وجهك) وعندما يقول احد من (الاديغة) بأنه يضحي (بعينه) لأجل أحد ما. فهذا يعني أن هذا الشخص ذو قيمة كبيرة لا تقدر بثمن، والأشخاص الذين عندهم استعداد للتضحية بأنفسهم من أجل الآخرين

يدعون (نه – يت) أو (نيت) حيث يتغنى عامة الناس بأفعاله ثم يتحول تعبير (نتة) بالتدريج رمزاً للبطولة بكل أشكالها لدى الآسيتين وبقية شعوب الشركسية في القفقاس.

ويرفض (حادا غالة) ان يكون (نارت) هو اسم لأمة او قوم او شعب، انما هو اسم او رمز لقصص وأساطير [٥].

نستنتج مما تقدم وجود اتفاق بين ثلاثة من الباحثين والمؤرخين الشراكسة حول معنى مصطلح (نارت) ويؤكدون بأنه أول اسم عرف به اجداد (الامة أو القوم) الشركسي وانهم جذور الأمة الشركسية واجدادهم الحقيقيون، وان لم يكن احدٌ من المؤرخين القدامى قد ذكرهم او كتب عنهم علما بأنهم ربما يكونون من الأمم القديمة التي سكنت منطقة القفقاس منذ فجر التاريخ قبل الكاسيين والكميريون والحثيين الخ... وحيث أن نشوء هذه الأمة قد يعود إلى العصر الحجري وفي زمن لم تكن الكتابة مكتشفة، والتاريخ غير مدون وان علماء الاثار لم يكتشفوا آثارهم وبقاياهم. "إلا ان عدم اكتشافها لا يعني انها غير موجودة في الطبقات السفلى من الأرض التي كانوا يعيشون عليها وهي الطبقات التي لم يصل إليها علماء الاثار حتى الآن لوجودها في الطبقات السفلى وعلى ابعاد عميقة.

وانطلاقا من هذه الفرضية فإنني (شخصياً) من الذين يرجحون بأن اسم (نارت) هو اسم لقوم أو أقوام أو شعوب عاشت فعلا في زمن يعود تاريخه إلى ما قبل الميلاد، وعلى علماء الآثار عامة والشراكسة منهم مواصلة البحث للتحقق من صحة هذه الفرضية.

اللقب الثاني: الانتيون او (امة الآنت)

يقول (سمكوغ) في كتابه (الشركس في فجر التاريخ) ((مع انتشار الزراعة المروية وبناء المدن تعددت الآلهة وتجاوزت اعدادها منها آلهه الزراعة (أنته) كما

هي واردة في الأساطير الشركسية وتعني (عطاء وهبة إله السماء) ويبدو أن تسمية (أنت) تلازمت مع الدخول إلى عصر الزراعة وتربية الماشية)).

كما تشير الأساطير الشركسية بأن (الأنت) كان اسما يطلق على الشراكسة في عصر لاحق لعصر قوم (نارت) وبعض المؤرخين يعتقدون بأن اسم (انت) اطلق على الأمة الشركسية في الفترة ما بين (٣٠٠-٤٠٠) سنة قبل الميلاد كما جاء في مرثية مقتل (امير باقسان).

وتحليل كلمة (انت) الى ثلاثة مقاطع أو أحرف نجد بأنها تتكون: **من الحرف الأول** وهو حرف الالف في أول الكلمة وهي أداة النداء بمعنى (أ + جال) ومعناه ياشاب (أ + بشاش) ومعناه يا بنت.

والحرف الثاني هو الحرف (ن) ومعناه الأم وعندما اقترنت بأداة النداء غدت اسم علم للسماء والحرف (ن) بلغة الأبخاز لا تزال تعني (الأم).

والحرف الثالث هو الحرف (ت) وتعني العطاء او الهبة.

وهكذا يكون معنى الكلمة (هبة إله السماء) أو (عطاء إله السماء)، وهذا يوافق المرحلة الحضارية للبرونز المبكر المتوافقة مع بدايات التحول إلى نظام (الأسرة الأبوية) وعبادة قوى الطبيعة، وقد عرفت هذه المجتمعات عبادة (إله السماء والشمس) نستدل عليها من الرسومات الشعاعية وأوضاع الدفن بشكله المثني باتجاه الشمس والشرق مع رفع اليدين إلى أعلى، ونثر مادة المغرة الحمراء. وهي تشبه أوضاع الدفن في كل حضارات آسية الغربية، وشعوب الأسرة القفقاسية واستيطانها في هذه المواطن بدءا من عصر (النيوليت) وحتى فجر التاريخ [٦].

لقد ورد ذكر كلمة (أنت) لدى الكثير من المؤرخين وخاصة اليونان الذين كانوا يستوطنون حول بحر آزوف وشمال البحر الأسود وكل الساحل الشرقي للبحر الأسود وحوض الكوبان وحتى مصب نهر الترك شرقا، إلى القفقاس الشمالي الغربي حتى ساحل البحر الأسود، وتعتبر المنطقة السابقة البؤرة المركزية لتوزع

أسرة شعوب القفقاس غربا نحو أوروبا وجنوباً في آسيا الصغرى ومرتفعات ايران وصولا إلى جنوب الرافدين.

ولإثبات صحة ما تقدم ينبغي علينا الرجوع إلى الشعر الشركسي القديم وأخذ بعض الأمثلة منه. فمثلاً إذا دققنا كلمة (أنتي نوكوبش anty-nokopjesh) وجدنا أن معناها ابن أمير آنتي و (انتيغ شاوه) antigishua معناها شاب آنتي و (آنتيغ ورق antigi-worq) معناها نبيل آنتي كما أن (آنتيغ شو antig shou) معناه فارس آنتي. ويقول (نغموقه) بأن صحة ما أوردناه حول (الآنت) يؤيدها شهادة بعض مؤلفي الاغريق الذين كانوا يطلقون أسماء شعوبنا على المواقع والأقاليم التي كانت تسكنها هذه الشعوب قديما(٧).

وكذلك نجد أن الخارطة التي وضعها (لابي Lapie) والذي اهتم بجمعها وتنسيقها كل من (بتولوميوس ptolemaeus) و (بلينيوس Plinius) نجد كلمة (آنتي سه Antisa) تطلق على ضفتي نهر الكوبان أي عند ملتقى هذا النهر بنهر اللابا.

كما أن (سترابون – Strabon) يسمى في مؤلفه الذي نشره عام ٢٦ق.م نهر الكوبان (آنتي كيتس antikitiss)، غير أن مؤلف كتاب (الدربندنامه Derben Nama) يسمى جميع الشعوب القاطنة في البلاد الواقعة ما بين نهر (الترك terk) وسواحل البحر الأسود الشرقية شعوب (جولي آنت Djuli Ant).

وكذلك نستدل من الروايات المتداولة أن (أمة الأديكة) كانت تقطن قديما البلاد الواقعة ما بين نهر الترك في الشرق ونهري (الفولجا Volga) و(الدون Don) في الشمال. وقد كانت هذه التسمية معروفة قديما لدى الإغريق والرمان، كما ان البيزنطيين يطلقون على دلتا نهر الكوبان ابتداء من نهاية شبه جزيرة تامان اسم (آتيخه) وفي الموقع الذي يرفد فيه نهر (اللابا) نهر (الكوبان) كان يسمى (آنيتا).

وكذلك فقد اطلق سترابون على منطقة نهر الكوبان اسماً معناه باللغة الجركسية: (المقيمون في وادي الأنت) مع ملاحظة أن المقطع (تيس) هو أداة نسبة في اللغة اليونانية [٨].

نستنتج مما تقدم بأن اسم (آنت) كان يطلق على (الأمة الشركسية) عندما كانت تقطن على ضفتي نهر الكوبان شمال القفقاس حسب رأي المؤرخين اليونانيين والبيزنطيين منذ القرن الخامس والرابع قبل الميلاد [٩].

اللقب الثالث: وهي الاديغة Adyge أو اديكة

وتلفظ بأكثر من لفظ منها (أديخة وأديجة، وأديكة وأتيخة) ... الخ. ومهما اختلف اللفظ فالمعنى واحد فهو الاسم (القومي للشراكسة).

والقاموس الذي جمع ونشر بمعرفة (لجنة علمية) برئاسة العالم (جول تروسو) في الجزء الثاني صفحة (٩٥) يعرف كلمة (أديغة) بأنها اسم (الجراكسة الأصلي) ومعناها نجيب، أصيل، انسان، نبيل، وباللغة (السنسكريتية) معناها أصيل، نجيب أيضا.

والواقع ان الجراكسة يستعملون هذا اللقب للدلالة على معنى (الانسان الكامل). فإذا أعجبهم شخص بأخلاقه ورجولته قالوا عنه انك: (أديكة) أو (أنت أديكة فعلا)، وإذا اقترف أحدهم نقيصة وعيباً ما يعيرونه بقولهم: (أنت لست آديكة) و (لا تحمل صفات الآديكة) [١٠].

وقد اصطلح الشراكسة وأجمعوا على أن اسمهم القومي (أديغة) وان اصلها جاء من كلمتي (اتي – خه) وبمرور الزمن بدلت التاء (وأصبحت دالا) فصارت (أديغة) أما الخاء فتلفظ ما بين الخاء والغين المخففة.

فرضيات تبحث في أصل كلمة أديغة

وبالرجوع إلى ما كتبه العشرات من المؤرخين والباحثين القدماء ومنهم المحدثين في أصل ومنشأ المصطلح (أديغة) توصلنا إلى أكثر من فرضية وأهمها:

الفرضية الأولى:

يعتمد اصحاب هذه الفرضية على ما ورد في الشعر والأغاني والروايات القديمة الشركسية حول كلمة (آنت Ant) (وآنتي) مع مرور الزمن تم تحريفها (إلى (آديكة Adyga) أو (أديخة Adyche) باستبدال التاء بالدال للتخفيف وإضافة المقطع الأخير وهي (خه che) إلى الاسم الأصلي. (انتي) وهذا المقطع ليس الا أداة تلحق آخر الكلمة في حالة (الجمع) باللغة الشركسية. ولا تزال جماعة حتى يومنا هذا من الكبار في بلاد القبرطاي يلفظون هذه الكلمة على الطريقة القديمة دون أن يغيروا من لفظها الأصلي فيقولون (آنتي خه antiche) والآخرون يقولون (آتي خه atiche) تبعاً لمقتضيات اللهجة التي يتكلمون بها [١١].

الفرضية الثانية:

يقول (جوناتوقة) نقلا عن (نوغموقة) بأن لفظ (تسوخ) هو أول من عبر به عن الجراكسة وان لقبهم (الاديغة) اشتق من اسم (هات – تي – خا) القديم الذي كانت تطلقه عليهم الشعوب القديمة في عصور ما قبل الميلاد خاصة الاغريق [١٢].

الفرضية الثالثة:

توجد في القفقاس جزيرة تحمل اسم آتيخ (Atekh) وهي الجزيرة المحصورة بين فرعي من الكوبان، وكانت تسمى ADA باللغة التترية ومنه أتى اسم آدالي (Adaly) اي سكان الجزيرة، الذي اطلق على الحاتقو (Hatko) وهو اسم يمكن تقريبه إلى آتيخ (Atekh) نفسه، حيث إن كلمة آدا (Ada) تعني جزيرة باللغات التترية والتركية. وفي كل الأحوال، فإن اسم آتيخ (Atekh) قريب من اسم آديغة (Adyghe)، وإذا كانت الكلمة تترية الأصل، فإنها ستبقى بحاجة إلى تفسير.[١٣].

الفرضية الرابعة:

يدعي أصحاب هذه الفرضية بأن اسم (أديغة Adyhe) جاء من آسيا الصغرى، وأنها مشتقة من اسم بلدة (Adyghko) (اديغيكو) الموجود في شمال القفقاس، وخلفية هذه الفرضية تعود إلى قصة الشعب المجهول الذي كان يعيش قديما في بلاد آسيا الصغرى بالقرب من سينوب (Sinope) وكان ذلك الشعب يعبد تلبش (Tlepsh) أو ليبش Lepch وهو (رب النار والحديد) كما كان يقدس مزتحة Mezitha أي رب الغابات.

وعندما بدأ انتشار الإسلام، أرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم صهره (علي) رضي الله عنه إلى (سينوب) لنشر الدين الإسلامي بين شعب (لبش) و (مزتحه)، وقد اجتمع (علي) مع رؤساء الشعب وعرض عليهم الدين الجديد وطلب منهم اعتناقه. وقد قابل الرؤساء ذلك الكلام بصمت مطبق ومعناه (الرفض)، ولكن (علي) جدد الطلب بإلحاح أكثر، وممثلي الشعب صامتون لا يجيبون، فغضب (علي) وحاول سحب سيفه من غمده، ولكن السيف لم يمتثل له بمعجزة إلهية، وتعجب (علي) كثيرا وامتطى صهوة جواده وحاول الهجوم على الحاضرين، ولكن حصانه دودول (Doudoul) لم يتحرك، وتعجب (علي) من كل هذه المعجزات، ويغادر الاجتماع ويعود من حيث أتى، بينما فرح ممثلو الشعب الحاضرون ويهللون ويدعون الشعب إلى اجتماع عام، ويقيمون احتفالات وابتهالات للرب (مزتحه) رمزاً للاعتراف بالجميل الذي فعله بصنع هذه المعجزات، وبعد سنوات عديدة من ذلك، قامت حرب (دينية) في الاناضول بين المسيحيين والمسلمين، وعندها اراد الشعب الذي ظل وفيا للاله (تلبش) و (مزتحه) ان يحتفظ بدينه القديم، فانقسم إلى قسمين اتجه احدهما بطريق البحر إلى القرم، والثاني إلى شمال القفقاس، وبالتحديد في المنطقة التي كانت توجد فيها بلدة آديغيكو Adygheko وقد اختار القسم الثاني

من المهاجرين مكانا لاحتفالاتهم الدينية ومجالسهم القضائية، (تلة) مغطاة بغابات عذراء كثيفة دلالة على تواجد (الرب مزتحه) معهم.

وقد وجد القادمون الجدد في المكان الذي حلوا به شعبا مسالماً ومرحبا ومشتغلا بالتجارة، وكان اسم ذلك الشعب غوى أو (آغوى) (Goi) on (Agoi) وقد نشأت فيما بعد علاقات حسنة بين هذا الشعب والمهاجرين القادمين الجدد، ومن الاختلاط بين (الطرفين) تشكل شعب (الاديغة) الذي اشتق اسمه من اسم المدينة اديغيكو (Adygheko) وكانت واقعة إلى القرب من الغابة المقدسة (مزتحة) وذلك الاسم نفسه الذي أطلق على شعب مكون من اسم العلم آدي (Ady) وكو (Ko) بمعنى (ابن آدى) وكانت هذه الرواية منتشرة بين الشابسوغ يرويها الأب لابنه، وظلت هذه التلة مقدسة لديهم، حتى منتصف القرن الثامن عشر، وكانوا يجتمعون عليها وبين ادغالها لإقامة الدعوات والابتهال للرب (مزتحة) الذي انقذ اجدادهم من آسيا الصغرى وانقذ دينهم القديم.

إلا أن هذه الفرضية فيها شيء من المغالطة التاريخية لأن الإسلام دخل إلى جنوب القفقاس من بلاد آسيا الصغرى عام (٢٢) هجرية بينما الشراكسة كانوا متواجدين في آسيا الصغرى وفي شمال القفقاس قبل ذلك التاريخ بالآف السنين وربما كانت القصة صحيحة إلا أنها لا علاقة لها بالإسلام، والصحيح هو ان بعض المهاجرين من الشعوب القفقاسية القديمة سكنوا آسيا الصغرى قبل استيطانها في منطقة Adygheko [١٤].

الفرضية الخامسة:

ورد في آثار البيزنطيين أن شعب (الكيركاس) كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (آنت أو أديكة) كما كان منطقة قريبة من أثينا تسمى (اتيكا). وفي ايطاليا كان يوجد نهر باسم (اتيخ) وكذلك في مصر كان في منطقة بالقرب من ساحل البحر الأحمر موقع يسمى (آتيك)، ويلاحظ مما سبق أن جميع التسميات تشترك في أسماء

(حات – آت – أنت) فلو أضفنا إليها ضمير الجمع (خه) وهي تلفظ مثل الخاء الألمانية، لحصلنا على أسماء (حاتخه – آتخه – آنتخه) ونرى بوضوح قربها من كلمة (أديغة) التي هي الاسم القومي للجراكسة حاليا والذي كان شائع الاستخدام من قبل الشعوب التي استوطنت او حكمت بلاد (الاديغة) في العصور ما قبل الميلاد.

الفرضية السادسة:

تعتمد هذه الفرضية على ان كلمة (اديخة) أو (اتيخة) مكونة من مقطعين اثنين، هما (أدَ) أو (أتَ) ومعناها باللغة الشركسية ولدى جميع القبائل (اب) وهذا يعني بأن الأمة الشركسية عندما تحولت من نظام (سلطة الام) إلى نظام (سلطة الأب) اصبح اسم (أديخه) أو (أتيخه) بمعنى جماعة (الأب) أو التابعين (للاب) حيث ان (خه) هي أداة (جمع) وهو نفس التفسير الذي قدمه (ناميتوق) عند بحثه عن اصل الأمة التي ينتسب إليها الشركس [١٦].

اللقب الرابع: وهو الشركس وجمعه (شراكسة)، جركس وجمعها جراكسة.

يكتب (شركس) باللغة العربية بأكثر من طريقة وتلفظ على أكثر من شكل منها: جركس، وجمعها جراكسة، سركس، وجمعها سراكسة، وجيركاس وجمعها جيراكسة وباللغة الانجليزية (Circassians) وبالتركية (Tcherkess) والباحث في مصدر كلمة (شركس) وأصلها يجد وجود اختلاف بين آراء الباحثين وتباين حول اصلها ومصدرها، وان المؤرخين الإغريق والبيزنطيين القدامى ومن بعدهم المؤرخين الفرنسيين والأتراك والعرب قالوا بأن الأمة الشركسية عرفت بأكثر من اسم، وان تلك الأسماء والمسميات اختلفت باختلاف الأمم والشعوب التي كان لها اتصال مباشر مع الشعوب الشركسية عبر العصور القديمة والمتوسطة كما اختلفت باختلاف جنسيات المؤرخين والفترات التي عاشوا فيها مع الشعوب الشركسية في قفقاسية الشمالية.

وفيما يلي تحليل موجز حول أصل كلمة شركس أو جركس.

أولا: التسميات التي اطلقها الاغريقيون:

اطلق قدماء الإغريق أكثر من اسم على الشراكس مثل (زيك Zyg)، (كركت Kerket)، وبعض المؤرخين اطلقوا عليهم اسم (جيك djik) وعلى بلادهم (جيكيتيا djichetia).

وكان من اكثر الأسماء ذيوعا في التاريخ القديم عند الاغريقيين (سرست) و (جيخ) أو (تسيخ). ومن الراجح ان تكون كلمة (جيخ) أو (تسيخ) مشتقة من (تسوخ) أو (تسي ف) التي تأتي بمعنى (انسان) باللغة الشركسية.

والمؤرخ (أريان Arian) اليوناني ذكر في كتابه المسمى (Peuplus ponti euxeni maris erythrcei) بأن اليونان يطلقون اسم (zyg) على شعب كان يقطن سواحل البحر الأسود الشرقية، وأنهم كانوا يجاورون شعب (زانيخ sanich) وهي قبيلة (جان jan) او (سان) الشركسية والمعروفة حتى اليوم.

كما جاء تفسير (كلمة (كركت) من قبل العالم (J.Klapprotb) في كتابه (Asia polylotta).

يقول (الكركت) كان شعبا قائما بذاته وينتسبون إلى أمة (الأديكة) كما هو الحال مع شعب (السند – sind) أحد شعوب جامعة (مأوت) أو (مه – وَت) التي كانت أحد شعوب الاتحاد الكميروني في القرن (الثالث) ق. م.

ثانيا: التسميات التي اطلقها الروس

أطلق المؤرخون الروس قديما على الشراكسة اسم (قاسوغي) كما أنهم كانوا يطلقون على قبائلهم التي كانت تسكن شمال نهر الكوبان اسم (السركس) كما كان يسمى المؤرخ الروسي (قسطنطين بورغرانوري) القبائل الجبلية في القفقاس باسم (قازاخ) وبلادهم (قازاخيا).

وفي عهد القياصرة كانوا يطلقون على (الشركس) اسم الجبليين ومنهم المؤرخ (ابراموف) الذي عاش مع القبائل الشركسية أكثر من ثلاث سنوات (١٨٨٢-١٨٨٥) كما أطلق المؤرخ (الاستعماري) الروسي (روسكا باستارينا) الذي عاصر حرب الإبادة الروسية، أطلق على السكان الأصليين في القوقاز مصطلح (توزيميتس) بمعنى (البدائيين المتوحشين) وهي التسمية التي رفضها بشدة المؤرخ الروسي (أبراموف) بقوله:

ولما كنت قد أقمت السنوات الثلاث الأخيرة (١٨٨٢- ١٨٨٥) في منطقة (الترك) مع قبائل القبرطاي وجهت عدة مرات سؤالا إلى ممثلي السلطة المحلية الروسية وإلى العلماء المحليين الروس.. وإلى أناس عاديين (من المستوطنين الروس في بلاد الشراكسة) ما هي الأسباب الحقيقية لهجرة الشراكسة؟

فكان الجواب: (لأنهم متوحشون) وانهم (بدائيون) كما أنهم (كسالى) وغيرها من الصفات الرديئة.

واستطرد قائلا: بعد التدقيق في مثل هذه الاتهامات وبعد التأكد من حقيقة الصفات التي أطلقها الروس والقوزاق على الشراكسة، وجدت بأنها كيدية ولا أساس لها من الصحة، (بل العكس هو الصحيح). وإذا قارنا بين ما قام به السكان الأصليون القوقازيون والذي نفذناه (قمنا به) نحن الروس فإنه يجب ان نعترف بأن الأمة الأقل حضارة وأقل حبا للعمل هي الأمة الروسية (وليس الجبليين الشراكسة). وأنه ليس من الانصاف ان نتهم (الجبليين) بالكسل في الوقت الذي حولوا فيه (الصخور العارية) إلى أرض زراعية بجهدهم وعرقهم وبالدم.

وفي العصر الحديث وبعد حرب الإبادة الروسية وبدء الاحتلال الروسي القيصري لبلاد الشراكسة منذ عام ١٨٦٤ اتبعت السلطات الروسية القيصيرية سياسة تفتيت الشعوب الشركسية (الأديغة) إلى جماعات اثنية صغيرة وأطلقوا على كل منها تسمية خاصة تحمل أسماء قبائلهم القديمة مثل:

١- القبردي – Kabardinians والمعروفين باسم (القبرطاي) خارج روسيا وفي دول المهجر.
٢- تشركيس Cherkess .
٣- واديغي Adigey .

والهدف الأساسي منها هو تحويل الأمة الشركسية إلى تجمعات صغيرة تسكن كل منها في منطقة منفصلة عن المناطق الشركسية الأخرى داخل الوطن الأم.

ثالثا: التسميات التي اطلقها الفرنسيون.

اهتم أكثر من مؤرخ وعالم فرنسي بتاريخ الأمة الشركسية قديما ومن أهمهم:

المؤرخ (سترابون) الذي أطلق في القرن الأول للميلاد على الشراكسة اسم (جيكسا وجيكت) كما اطلق عليهم المؤرخ (أدريان) اسم (توخي).

أما (بلين) فسماهم (سرست) أو (كركس)، كما سمى قبيلة أخرى باسم (سيراكس). [١٧]

هذا بالإضافة إلى العالم الجغرافي الفرنسي (لاب) الذي أطلق على منطقة من مناطق الشراكسة أسم (أديغية) وهي التسمية التي اقتبسها (لاب) عن خريطة كل من (بطليموس وبلين).

وبالرجوع إلى دائرة المعارف الفرنسية المنشورة في القرن التاسع عشر وجدنا بأنها تعرف الجراكسة باسم (انتيخة) أو (انتي) [٢١].

نستنتج مما تقدم بأن الأسماء التي اطلقها المؤرخون الفرنسيون على الأمة الجركسية ما هي إلا أسماء لبعض القبائل الشركسية. وهي مشتقة من جمع (انت) باللغة الشركسية، حيث أن مقطع (خه) يعني مجموعة أو (جماعة) باللغة الشركسية وبالتالي جمع (انت) هو (انتيخه) .

رابعا: التسميات التي اطلقها الايطاليون

اطلق الإيطاليون اسم الشركس (Circasses) و (سيركاس) على (الاديغة) والتسمية جاءت من (الكتاب) الذي ألفه رحالة إيطالي واسمه انتريانو (Interiano) الذي ذهب إلى سيركاسيا (Circassise) أي إلى بلاد الشركس، في عام (١٥٠٢م) وهو بالفعل، يبدأ كتابه بالحديث عن أخلاق وعادات (الزيخ) بالجملة التالية: زيخي Zychi كما يقال لهم بلغة البلغار واليونان والطليان، بينما يدعوهم التتر والترك باسم سيركاسي (Circassi) أما هم وبلغتهم الأصلية، فإنهم يطلقون على أنفسهم اسم آديك أو اديغة (Adige).[٢١]

خامسا: التسميات التي اطلقها العرب

أطلق العرب على (الجركس) أسماء عديدة منها: (سركس – سراكس – شركس – جركس).

كما أن ابن خلدون والبدر العيني، وغيرهما من كبار المؤرخين العرب يؤكدون بأن (الجركس) كان يتكون من أربع قبائل هي: (تركس)، (آراكس)، (كسا)، و (آص). وتتفرع من تلك القبائل الأربع (بطون وأفخاذ) كثيرة والمسعودي أشار في (مروج الذهب) بأن الجراكسة كانوا يعرفون قديما باسم (كشك) وباسم (كساق) كما جاء في كتاب تقويم البلدان (لأبي الفداء) نقلا عن المؤرخ (العزيزي).

اما نوح المرتوقي الشركسي فيقول بأن (جراكس) او (سراكس) جاء من اسم الأمير العربي (كسا من بني عامر القرشي) الذي هرب خوفا من قصاص الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي قرر الاقتصاص من (كسا) لقلعه عين أحد العربان خلال لعبه بالرمح في احتفال شعبي... وسأل عمر عن (كسا) فقيل له (سرى) بمعنى (جرى) أي هرب (كسا) حتى وصل مع قبيلته إلى بلاد الشركس واستقر هناك، ومن هنا اطلق اسم (سرى كسا) على جماعته [٢٤].

كما اتفق بعض المؤرخين المعاصرين المهتمين بتاريخ الأمة الشركسية بأن الكلمة المستعملة في تسمية شعوب (شمال القفقاس)، ما هي إلا كلمة من مقطعين هما: (سير – كاس) والمقطع الأول كان نعتاً أو صفة واضيف على المقطع الثاني الذي هو الاسم القديم لهذا الشعب وأصبح يلفظها كل قوم حسب لغته. وان (الجراكس) هم بقايا شعب (كاس) من أوائل الشعوب التي سكنت بلاد القفقاس، وأن المؤرخين العرب المحدثين تمسكوا باسم (جركس). وأن الشراكسة في بلاد المهجر بالدول العربية يعرفون (الاديغة) اليوم باسم (الشراكسة) أو (الجراكسة). [٢٤]

سادسا: التسميات التي اطلقها الفرس:

يؤكد المؤرخون الفرس، ومنهم بعض المؤرخين الاتراك والعرب بأن كلمة (الجركس) مشتق من كلمتين هما (جهار وكاس) والتي تفيد معنى (الأربعة الكاسيون) أو (الاربعة رجال) باللغة الفارسية حيث ان كلمة (جهار) معناها بالفارسية (الاربعة) و (كاس) مشتق او كنية لشعب (كاس) الذي كان يعيش في القفقاس في عهد ما قبل الالفية الرابعة قبل الميلاد، وأما مصدر (الأربعة) عدد القبائل التي كانت تحمل اسم (كاس) وهي: (تركس، اركس، كسا، آس) وهي القبائل التي كانت تعيش في المواقع التالية: [٢٥]

١- قبيلة (تركس)، هم سكان ضفاف نهر (تيرك) في الشمال الشرقي من جبال القوقاز ويقال لهم أيضا شركس و شراكسة وما شابه ذلك مثل (جركس) وانحدر منهم شعب الداغستان.

٢- قبيلة (أراكس) وهم القاطنون دون نهر (أركس) القديم عند مصب نهر (الرس) ونهر (كر) عند ساحل بحر الخزر. وهم سكان (البانيا) قديما واذربيجان حاليا.

٣- قبيلة (آص أو آس) هم شعب (اللان) كما يذكره (الحافظ الشهابي العجمي) في كتابه (لب اللباب) وكانوا يقيمون في الجنوب الغربي من قمة جبل (البروز) حتى البحر الأسود.

٤- قبيلة (كسا) يقال لهم أيضا (كاساك) و (كساق) وهم سكان ما وراء جبل (البروز) في الشمال الغربي من جبال القوقاز إلى سهول نهر القوبان وما حولها وهم (الاديغة) حاليا [٢٥].

سابعا: التسميات التي اطلقها الاتراك:

يقول الأتراك أن اسم (جركس) أطلقه احد المؤرخين الاتراك على (الأديغة) لصفاتهم البدنية ولبراعتهم في القتال، فـــ (جرى) بمعنى (جندي) باللغة التركية، ومقطع (كس) بمعنى (الرجل)، فيكون معنى (جركس) هو (الجندي الرجل) أو (الجندي البارع).

كما أن بعض المؤرخين الأتراك يقولون بأن (أتيغ خان) بن (كيمر خان) الملك الحثي الذي استولى على آسيا الصغرى كان قد سبق أن تزوج فتاة شركسية اسمها (جير غاس) بنت (كمير خان) بن (أوغوز خان) فاشتهرت (أنسال أتيغ خان) من زوجته الشركسية (جير غاس)، ثم أصبحت تلفظ (جركس) مع مرور الزمن[٢٦].

ثامنا: التسميات التي اطلقها الانجليز:

ربما كان الانجليز الوحيدين الذين تمسكوا بتسمية واحدة للشراكسة (قديما وحديثا) وأن هذه التسمية هي Circassians كما أطلقوا على بلادهم Cir-arcasia كما هو وارد في (دائرة معارف برتانيكا) الانجليزية [٢٨].

الخلاصة:

نستنتج مما تقدم بأن الأمة الشركسية بقبائلها المختلفة عرفوا بأكثر من اسم منذ القدم، وأن أسماءها قد تعددت واختلفت. وأن هذا الاختلاف كان نتيجة اختلاف لغات الأمم التي كان (الشراكسة) على اتصال مباشر وغير مباشر معهم في عصور ما قبل الميلاد وفي العصور الوسطى والحديثة، إلا أن المؤرخين على اختلاف جنسياتهم، وتباين ثقافاتهم، اتفقوا في كثير من الأحيان على اسم أو اكثر، كما أن دوائر المعارف المختلفة من أجنبية وعربية اتفقت على ثلاث تسميات للشراكسة وهي التسميات التي تعرف بها الشراكسة في وقتنا الحاضر وهذه الأسماء هي:

١- (الشراكسة) وتلفظ وتكتب بأكثر من طريقة وهي: جراكس وسراكس وشراكس، وبالانجليزية (Circassians) وأن هذه التسمية لا تشمل القوميات القوقازية الأخرى مثل الداغستان والشيشان والانجوش، والاستين كما كان عليه الحال في العصور القديمة.

٢- (أديغة) وتلفظ وتكتب بأكثر من طريقة وهي: أديكة، أديجة، وأديخة، واديغي وبالانجليزية (Adigey) وهذا هو الاسم القومي الذي يطلقه الشراكسة على أنفسهم، ويشمل هذا الاسم جميع القبائل الشركسية التي تتكلم لغة واحدة وهي (اديغا – بزة) اي (اللغة الشركسية) مع اختلاف اللهجات باختلاف القبائل التالية: قبردي وبلسيني، وتيمرقوي ، وابزاخ، وشابسوغ، وحتوفي، وزانه (جانه) وموخوش وحات – قوي، ونارت – خواج، وحاكوج، وأباظة، ولا يشمل قبيلتي الابخاز والاوبيخ ولهما لغتهما الخاصة.

٣- الاسمان السابقان وهما (الشراكسة) بالنسبة لكل الشعوب غير الشركسية و(الاديغة) لدى كل الأمة الشركسية في المهجر وفي الوطن الأم في السلطات الروسية في عهودها الثلاثة (القياصرة والشيوعيين وروسيا الاتحادية) يطلقون ثلاثة القاب على الشراكسة الذين يعيشون في الوطن الأم وهي

(القبردي) ويطلق على الشعب الشركسي الذي يعيش في (جمهورية كباردينيا بلقاريا) واللقب الثاني (شركسيا) ويطلق على الشعب الشركسي الذي يعيش في جمهورية (قراشاي تشيركسيا)، أما اللقب الثالث (الأديغة) فيطلق على الشراكسة الذين يعيشون في جمهورية (الاديغي) وبالتالي فإنه يختلف عن اللقب او الاسم (القومي) المعروف لدى الامة الشركسية منذ القدم لدى الشعوب الشركسية في دول الشتات وفي بلاد المهجر الا وهو (الاديغة) أو (الشراكسة).

مصادر ومراجع
الفصل السادس من الجزء الأول في المجلد الأول

١- ناميتوق، اتيك، اصل الشركس، مصدر سابق، ص٢١٩.
٢- نوغمو، شورا بلمرزا (نغوموقة) تاريخ الاديكة (الجركس) القديمة، ترجمه إلى اللغة الالمانية أدولف برجه ونقلها للعربية شوكت المفتي، ص:٨٣.
٣- سمكوغ، برزج أمين – الشركس في فجر التاريخ، مصدر سابق، ص: ٤٣-٤٤.
٤- اوزبك، باتري – اساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ترجمة احمد راتب زنداقي، دمشق عام ١٩٨٨، ص: ١٠٤-١٠٥(نقلا عن كتاب (نارت) للمؤرخ الشركسي حداغالة المنشور في كراسنودار عام ١٩٦٧.
٥- حداغاله ، اسكر وبكيت احيانا (هاديغالة) اصدر سبع مجلدات ابتداء من عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٧١ كما سبق ان اصدر عام ١٩٦٧ في كراستودار وكتاب ملحمة البطولة في الجذور ومنشور باللغة الروسية ص:١٠.
٦- باتريك، ايتك، مصدر سابق، ص: ٤٣.
٧- جوناتوقة، مصدر سابق، ص: (٨١).
٨- المصدر نفسه، ص: ٨٣.
٩- المصدر نفسه، ص٨٤.
١٠- ناميتوق، ايتك، مصدر سابق، ص٧٣.
١١- المصدر نفسه، ص:٢٦-٢٧.
١٢- جوناتوقة، مصدر سابق، ص٨٠.
١٣- ناميتوق، ايتك، مصدر سابق، ص: ٤٣.

١٤- أبراماموف، القوقازيون، مصدر سابق، ص٣١-٣٥.
١٥- نغموقه، مصدر سابق، ص: ٨ .
١٦- دائرة المعارف الفرنسية المنشورة في القرن التاسع عشر.
١٧- المؤرخ الايطالي انتريانو Interiuno في كتابه رحلة إلى بلاد سيركيسا Circassise عام ١٥٠٢ ترجمة آيتك ناميتوق ص: ٧٤.
١٨- دائرة المعارف الاسلامية ص٢٤٧-٢٤٨ اعداد فيصل خبطوش ابزاخ عمان ١٩٩٩.
١٩- آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٤٤.
٢٠- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس، نقلها إلى العربية احمد الشيناوي وآخرون، ص: ٢٣٨.
٢١- دائرة المعارف الفرنسية المنشورة في القرن التاسع عشر.
٢٢- المؤرخ الايطالي انتريانو Interiuno – في كتابه رحلة إلى بلاد سيركسيا Circassisa عام ١٥٠٢ ترجمة أتيك ناميتوق ص: ٧٤.
٢٣- دائرة المعارف الاسلامية، ص٢٤٧-٢٤٨.
٢٤- نوح المرتوقي الجركسي، قهر الوحدة بذكر نسب الجراكسة من قريش ١٢٨٧هـ اعداد فيصل حبطوش ابزاخ عمان ١٩٩٩.
٢٥- آبه زاو – مصدر سابق، ص: ٤٤.
٢٦- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس، نقلها إلى العربية: احمد الشيناوي وآخرون، المجلد السادس، ص: ٢٣٨.
٢٧- جوناتوق، مصدر سابق، ص: ٨٠.
٢٨- دائرة معارف برتانيكا، المجلد الثالث.

فصول الجزء الثاني

في

المجلد الأول

الفصل الأول

الخصائص الجغرافية والبيئية للوطن الأم في شمال القفقاس

تمهيد:

للاطلاع على الخصائص الجغرافية للوطن الأم في شمال القفقاس وللتعرف على جمال الطبيعة في منطقة القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة، كان لا بد من دراسة وتحليل ما كتبه العديد من الباحثين المختصين والرحالة الاجانب والعسكريين الروس وبالاخص ما كتبه كل من:

الكاتب الأول: الكسندر غريغولا وكتب في الأطروحة التي أعدها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا تحت عنوان: العدالة والعادات في القوقاز.. قائلا "منذ القدم أثارت القوقاز اهتمام الشعوب، فبالنسبة للمصريين كانت حدود المعمورة. وبالنسبة لليونان كانت أرض العجائب والرخاء، الغنية بخصوبة تربتها وتوفر الثروات المعدنية فيها والمزدهرة ببساتين الفاكهة ودوالي العنب المتسلق على الأشجار والجدران والمصاطب ومياه الأنهار والسيول التي تحمل ذرات من تبر الذهب فيلجأ المواطنون إلى غمس جلود الغنم في مياه سيولها الجبلية ويجمعون ذرات تبر الذهب التي تعلق بها. كما كان بالنسبة للإغريق بأنها أرض (الصوف الذهبي) ومسرح أساطيرهم الجميلة المشهورة. فأسطورة الأرغنوت ومغامرات ابطال الإغريق تدور حول بحثهم عن (الصوف الذهبي) في أرض الكولخيين القديم. كما وأن اسطورة (بورميثوس) التي تسرد كيف قيد على قمة عالية من جبال القوقاز. (واخيلوس) الذي خلّد في شعره العالمي مكانة، وجبال القوقاز المكسوة بالثلوج وتغنى بأرض القوقاز التي يقبع فيها مقيداً وسجيناً (بروميثوس) الذي سرق شعلة نار من السماء وجلبها للأرض منفعة للبشرية.

"وسفينة نوح التي رست على قمة جبل ارارات الواقعة في الطرف الجنوبي من القوقاز. كما اعتبر علماء الأصول العرقية بأن القوقاز هو مهد الانسان، بينما اعتبرها آخرون بأنه ملجأ ومخبأ لأقوام عديدة. [1]

الكاتب الثاني: المارشال أندريه غورميكو (وزير دفاع روسيا سابقا) الذي يصف لنا الطبيعة الجغرافية للقفقاس بقوله: "إن التضاريس الطبيعية في بلاد القفقاس بجبالها الشاهقة وبسهولها الخصبة وأنهارها المتعددة وبحيراتها العذبة، ومياهها المعدنية وغاباتها الكثيفة المملؤة بالحيوانات البرية المتعددة وممراتها الطبيعية ذات الأهمية الاستراتيجية وثرواتها الطبيعية المدفونة منها والظاهرة، ومناجمها المدفونة في الأعماق وآبارها البترولية والغازية المزروعة في كل مكان.

نستنتج من هذا الوصف لطبيعة القوقاز بأن تنوع وتعدد تضاريسها الطبيعية تجعل بلاد القفقاس نموذجاً لتكامل التضاريس التي لا يمكن ان يوجد منها في بقاع الكرة الأرضية فهي عبارة عن كرة أرضية مصغرة في تكوين طبيعتها الجغرافية [٢].

الكاتبة الثالثة أجنيس هيربرت وصفت في كتابها (ذكريات من القوقاز) طبيعة القفقاس بقولها:

"وليس في العالم بلد له ما للقوقاز من تأثير على النفس.. فإذا نظرت حولك تولدت لديك عشرات الألوف من المشاعر المختلفة لتعدد تضاريسها وغزارة ألوانها وخصوبة أرضها. فهنا ريف انكلترا الأخضر، وهناك هضاب اسكتلندا الحرجية بألوانها الخضراء والذهبية، وفي مواقع أخرى مروج وسهوب افريقيا الواسعة أو صحاريها الملتهبة حيث تتصاعد زوابع رملية وكأنها تمتد من الأرض باتجاه الشمس، بينما نشاهد في الأفق القريب القمم الشامخة المغطاة بالثلوج الدائمة تذكرنا بغموض وجبروت المناطق المتجمدة الشمالية" [٣].

الكاتب الرابع هو الكاتب الانجليزي فتزوري ماكلين الذي قال: (القوقاز نهاية حدود المعمورة وأغلب الناس يفتنهم سحر المناطق الحدودية. والقوقاز بسلسلة جبالها الشامخة التي تشكل حاجزاً كبيراً من البحر الأسود إلى بحر قزوين وتفصل أوروبا عن آسيا والغرب عن الشرق والمسيحية عن الإسلام، وهي من أجمل المناطق

الحدودية في العالم وأكثرها سحراً. فمنذ أقدم الأزمنة كانت القوقاز تشكل منطقة رومانسية خيالية. فبالنسبة لبعضهم كانت سلسلة جبال القوقاز بمثابة حدود المعمورة.. وما وراءه خيال وغموض. فأبحر إليها (جيسون مع الأرغنوت) بحثاً عن الخلود ذات الصوف الذهبي. وعندما تطلعوا ذات يوم وشاهدوا قمماً ثلجية بيضاء وكأنها معلقة بين البحر والسماء وتتألق فوق منسوب السحب عرفوا أنهم وصلوا إلى القوقاز.. ويستطرد قائلا:

"فهنا في بلاد (الابخاز) مارست (ميديا) سحرها، وعلى قمة جبل (كازبك) قام الاله (زيوس) بتقييد (بروميثوس) بالسلاسل الحديدية وأرسل النسور الكاسرة تنقر عينيه وتنهش قلبه عقاباً له على جرأته وقيامه بسرقة شعلة نار من السماء لخدمة البشرية. وهنا وحوش مرعبة ذات عين واحدة تحرس الكنوز الذهبية وتتقاتل فيما بينها. وهنا عاشت نساء الامازون الشرسات اللواتي كرهن الرجال. والساحر في قصص ألف ليلة وليلة يهدد بأنه سينقل مدينة خصمه إلى ما وراء جبال (القاف) والمقصود به جبال القفقاس ويحول أهلها إلى حجارة". (٤)

الكاتب الخامس: هو السير جون ماندفيل الذي كتب حول جبال جورجيا قائلا: "توجد في مكان ما بين جبال جورجيا منطقة يكتنفها ظلام حالك بسبب الضباب الكثيف، ويتعذر على الإنسان أن يرى فيها شيئاً ولا يجرؤ على التوغل فيها. إلا أن المواطنين المجاورين لتلك المنطقة يدعون بأنهم كثيراً ما يسمعون منها صوت إنسان أو صهيل حصان أو صياح ديك، وهم واثقون بأنه يعيش في تلك المنطقة قوم يجهلون عنهم كل شيء".(٥)

الكاتب السادس: الرحالة الفرنسي البير جاك الذي زار تشيركيسيا في القرن السابع عشر وبالتحديد عام (١٦٧٠) وكتب قائلا: "تشيركيسيا بلاد جميلة وجيدة ذات تنوع طبيعي كبير، ففيها السهول والغابات والجبال والتلال والعديد من الينابيع التي يكفي واحد منها سبعة أو ثمانية تجمعات سكنية تقع حوله .. إن التربة هناك غنية بحيث

ان كمية الثمار تشكل وفرة كبيرة ولا تحتاج إلى جهد خاص لجنيها.. وتتكون الثروة الرئيسة من القطعان وخاصة الخيول الجميلة التي تشبه الاسبانية كثيرا، كما أنه توجد لديهم أعداد كبيرة من الأغنام والماعز ذات الشعر الجيد مثله مثل الاسباني، أما الأبقار والثيران فليست بذلك المستوى حيث أنها لا تهم الشراكسة كثيرا، فلديهم من اللحم الجيد والدجاج اللذيذ وطرائد الصيد أكثر مما يستطيعون استهلاكه.. وهم لا يستعملون للصيد الكلاب أو الطيور فلديهم خيول رائعة إلى حد أنهم يجبرون القنيصة على الاستسلام في أثناء مطاردتهم لها.." (٦)

الكاتب السابع: هو الروسي ديفيد توتاييف الذي يصف لنا طبيعة بلاد القوقاز وثرواتها الدفينة وتضاريسها الطبيعية بقوله:

"القوقاز غنية من عدة وجوه.. أراضيها الخصبة، ومياهها الغزيرة، وطقسها المناسب، ومصحاتها الشهيرة، ومناطق الصيد ومرابع السياحة، وسفوح التزلج على الثلج، وآبار البترول والغاز، ومناجم المعادن والخامات المختلفة، ومحطات توليد الطاقة الكهربائية. وكانت القوقاز المصدر الوحيد للبترول في الاتحاد السوفيتي مما جعل احتلالها هدفاً رئيسياً للاستراتيجية العسكرية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية، وكان يمثل انتاج القوقاز ٩٤% من مجموع انتاج الشاي في الاتحاد السوفيتي السابق.

الكاتب الثامن: هو السائح الفرنسي فرانس شيراك الذي زار القفقاس وفي عهد روسيا الاتحادية وعبر عن دهشته قائلا: "إن الله تعالى قد أظهر قدرته وبراعته بتجميل الطبيعة في هذه البلاد".

الكاتب التاسع: هو كاتب (اسطورة كاوس) اليونانية، والتي تقول: "أثناء محاولة الآله الأعظم خلق الأرض أصبحت الأرض في حالة غليان شديد لا تستقر فأمر الإله ملاكاً يدعى (سوفوكليس) أن يأخذ قبضة من جواهر الجنة فينثرها على

الأرض لتستقر وتهدأ، وفعل الملاك ما أمر به فنثر قبضة من جواهر الجنة في القفقاس واستقرت الأرض". (٧)

وأخيراً المؤرخ الشركسي الأصل (جونا توقة) الذي وصف جمال الطبيعة الجغرافية لبلاد القفقاس الشمالي موطن اجداد الشراكسة منذ العصور الحجرية بقوله: "وإذا قارنا القفقاس ببلاد سويسرا لوجدنا أنها تكبرها بإحدى عشرة مرة، ويزيد سكانها عن سكان سويسرا خمسة أضعاف، وأنها ستكون يوما ما سويسرا الشرق لما امتازت بها من جمال الطبيعة وجمال التكوين (٨).

هذا هو الموطن الأصلي للشراكسة، وتلك هي البلاد التي نشأ فيها اجداد الشراكسة منذ العصر الحجري القديم الأدنى وهي بلاد جميلة في تضاريسها الطبيعية وغنية بثرواتها المعدنية ومتطورة في انتاجها الزراعي والحيواني منذ العصر الحجري النيوليتي (الجديد) منذ (٨) الاف سنة قبل الميلاد.

وفيما يلي وصف تحليلي موجز للتكوين الجغرافي منطقة القفقـــاس منـــذ العصور القديمة

*** المساحة والحدود :**

يشغل القفقاس مساحة واسعة (كما هو مبين في الخارطة المرفقة حيث يبلغ عرضها في أضيق حدوده الواقع على خط (بوني – ماخاتشكالا) حوالي (٥٠٠) كيلومتراً والمساحة الممتدة من الحدود الشمالية للقفقاس حتى حدوده الجنوبية حوالي الف كيلومتر، كما تمتد حدوده البرية مع تركيا وإيران في الجنوب حوالي ١٣٨٢ كيلومتراً منها ٧٨٠ كيلومتراً مع تركيا ويحده من الشرق بحر قزوين (بحر الخزر سابقا) ومن الغرب البحر الاسود (وتم حفر قناة بين البحرين) يمتد بين نهر استراخان ونهري الدون والفولغا وتعادل مساحة القفقاس نحو ثلث مساحة الولايات المتحدة الامريكية وربع مساحة اوروبا وتقدر مساحته بحوالي ٦٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع (٩). كما هو مبين في الخارطة رقم (٦-أ).

وابتداء من القرن السابع عشر الميلادي اطلق على جميع المناطق التي تسكنها القبائل الشركسية المكونة من الاديغة والاوبخ والابخاز والاباظة اسم تشركسيا كما هو مبين في الخارطة رقم (٦- ب)

وفي عام ١٨٦٤، وبعد استيلاء سلطات روسيا القيصيرية للوطن الأم للشراكسة تم تقسيمه إلى اربع جمهوريات، مقاطعات صغيرة كما هو مبين في الخارطة رقم (٧).

يلاحظ من هذه الخارطة (مجموع مساحات المقاطعات) التي حددت لسكن الشراكسة الذين نجوا من القتل أو التهجير عام ١٨٦٤ لم تتعدَ (٤٢٠٠٠) كيلو متر مربع من اصل ٦٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع كما هو مبين في الخارطة رقم (٧).

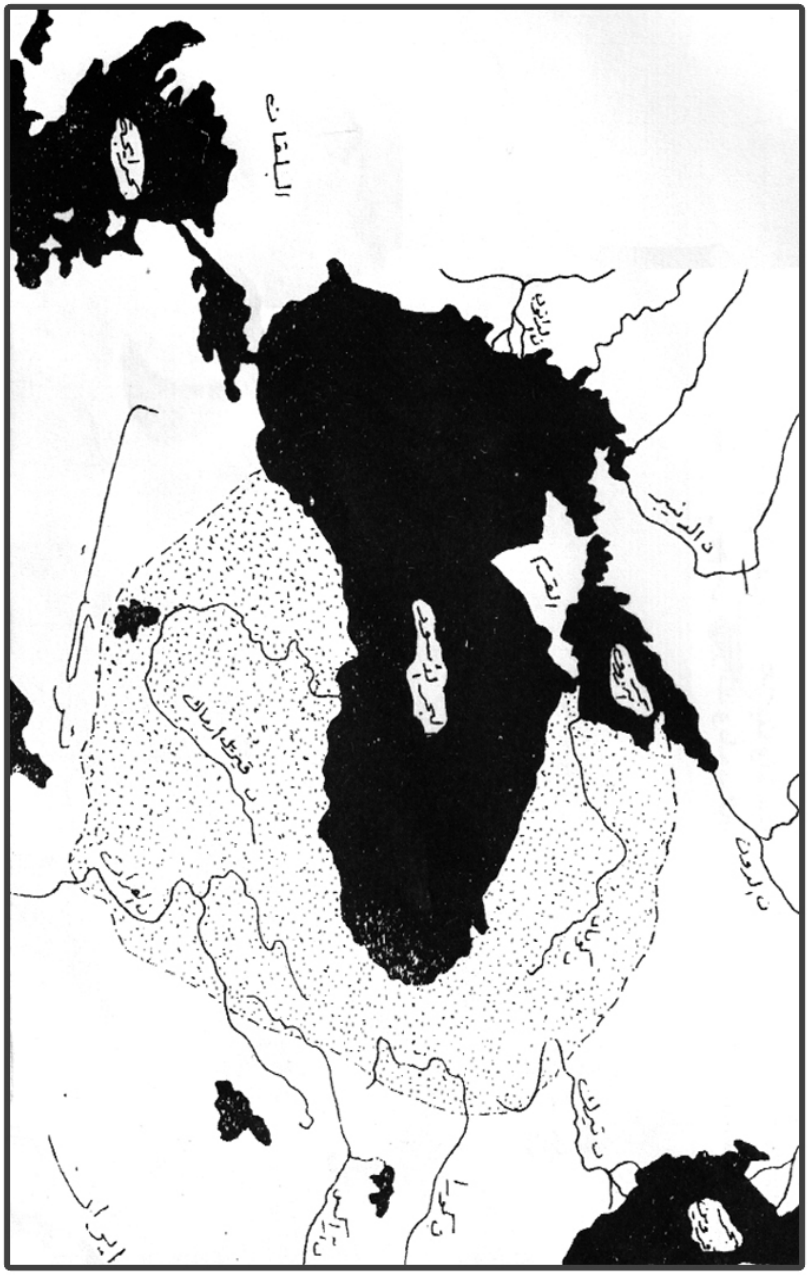

الخارطة رقم (٦-أ) تبين حدود القفقاس الطبيعية في العصور القديمة

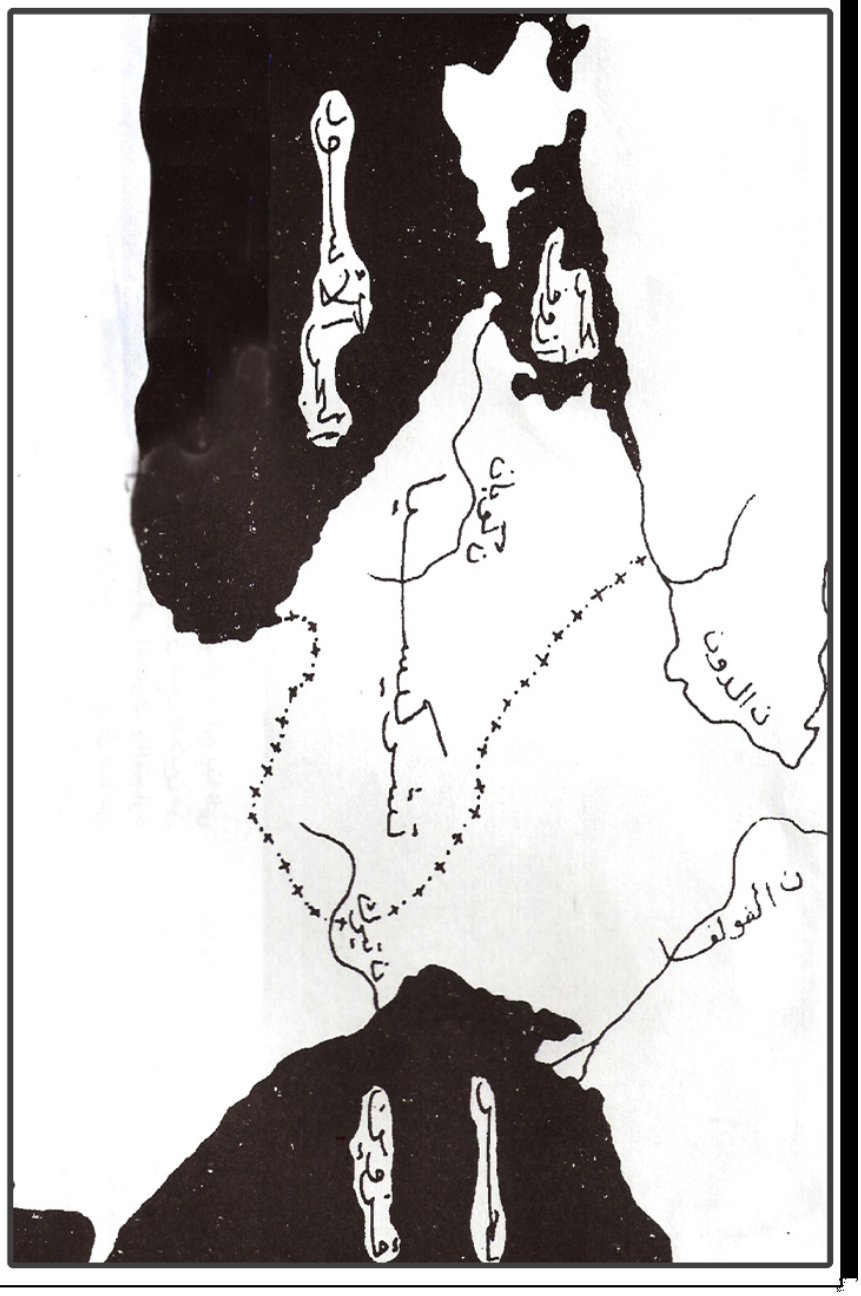

الخارطة رقم (٦- ب) تبين حدود تشركسيا ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي

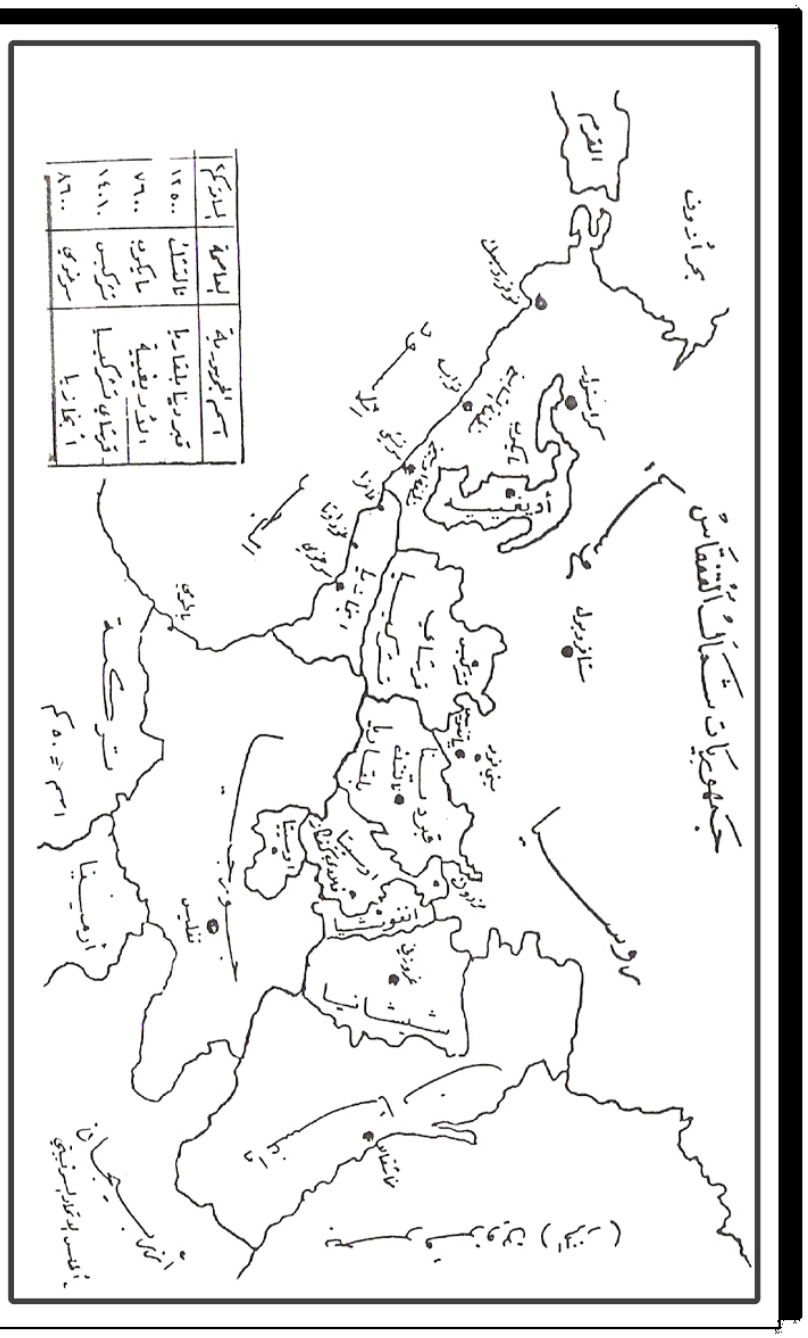

الخارطة رقم (٧) تبين حدود الجمهوريات الثلاث التي حددت فيها أماكن سكن الشراكسة الذين نجوا من التهجير القسري عام ١٨٦٤

الجبال في شمال قفقاسيا:

تشكل السلسلة الرئيسية الجبلية في القفقاس التي تمتد من شبه جزيرة أبشيرون على ساحل بحر الخزر شرقا حتى شبه جزيرة تامان على الساحل بين البحر الأسود وفرعه بحر آزاق في الشمال الغربي بطول ١٣٠٠ كيلومتر تقريبا.

كما تشكل هذه السلسلة سداً طبيعياً بين شمال القفقاس وجنوبه وبين البحر الأسود والداخل، ولهذه السلسلة امتدادات في الشمال ومنحدراتها ذات ميل تدريجي مشكلا وديانا واسعة طويلة حول مجرى الأنهار، وبعض هذه الوديان تضيق عند نهايتها حتى تشكل مضيقا جبلياً يفصل الوادي الداخلي عن السهول الشمالية ويليها إلى الشمال السهول والسهوب، أما الامتدادات الجنوبية لسلسلة جبال القفقاس فهي أشد ميلا ولها امتدادات جبلية تجعل منطقة جنوب القفقاس في كورجستان (جورجيا) وارمينيا وأذربيجان بلاداً جبلية وأعلى منطقة في سلسلة القفقاس تبدأ شرقاً من مرتفعات (ياروبولا) حيث منابع نهر (اندقويسو) حتى منابع نهر (تيبرد) غربا، وهذا القسم بطول ٣٥٠ك.م وهو يحتوي على أعلى القمم وأعظم الجموديات وفيه كتلة تمتد مسافة ٦٠ك.م تضم أعلى جبال القفقاس ومحورها جبل ألبروز وارتفاعه ٥٦٣٣م.

والكاتب الروسي مؤلف كتاب (Exploration of the Caucasus) يقول: "يوجد في قفقاسيا حوالي (٤١) جبلاً ارتفاع قممها ما بين (٥٦٣٣م و ٤٢٨٩م) منها (٩) قمم ارتفاعها ما بين (٥٦٣٣ و ٥٠٠٤) و (٢٢) قمة ارتفاعها ما بين ٤٥٣٠م ، و٤٥٣٤ كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول
بأسماء أهم قمم جبال قفقاسيا وارتفاعاتها عن سطح البحر

الرقم	اسم القمة	الارتفاع عن سطح البحر بالمتر	الرقم	اسم القمة	الارتفاع عن سطح البحر بالمتر
١	البرز الغربية	٥٦٣٣	١٧	الأرزوباشي	٤٦٨٢
٢	البرز الشرقية	٥٥٩٥	١٨	تكتنجن	٤٦٥٦
٣	دوخ تاو	٥٢٠٣	١٩	أريا كوخ	٤٦٥٠
٤	شكارا	٥١٩٦	٢٠	جيليك باشي	٤٥٣٤
٥	ارارات (على الحدود داخل تركيا)	٥١٥٦	٢١	كورداراش	٤٥٣٠
٦	كاشتان	٥١٥٠	٢٢	كاراغوم	٤٥١٥
٧	كازبك	٥٠٤٧	٢٣	سوغان باشي	٤٤٩٢
٨	جانغا الشرقية	٥٠٤٠	٢٤	سالينان باشي	٤٤٨٣
٩	مشيرغتو الغربية	٥٠٠٤	٢٥	غلتش	٤٤٧٧
١٠	مشيرغتو الشرقية	٤٩٨٦	٢٦	أديارسو باشي	٤٤٧٥
١١	كاتنتو	٤٩٧٠	٢٧	ولفوسوروم الوسطى	٤٤٥٣
١٢	غستولا	٤٨٥٩	٢٨	تيتي باشي	٤٤٢١
١٣	تتنولد	٤٨٥٥	٢٩	بوبس كوخ	٤٤٢١
١٤	غيماريا خوخ	٤٧٧٩	٣٠	غد كوخ	٤٣٧٢
١٥	أوشبا الجنوبية	٤٦٩٩	٣١	خامخاخي كوخ	٤٢٨٩
١٦	أوشبا الشمالية	٤٦٩٧			

*** الطرق الرئيسية في القفقاس**

ترتفع هضبة جبال القوقاز الكبرى في القسم الأوسط وتنحدر تدريجيا غرباً باتجاه البحر الأسود باتجاه بحر قزوين حيث تتحول إلى تلال بسيطة. وتوجد بموازاة كل من ساحل البحر الأسود وبحر قزوين طريق سيارات وسكة حديد صالحين للسير صيفاً وشتاء على مدار العام على كامل امتداد الساحلين المذكورين.

وأما الجزء الأوسط الكبير الارتفاع من هذه الهضبة فلا تعبره خطوط سكة حديد، إلا أنه تعبره ثلاث طرق عربات كان لها دور هام في الاحتلال الروسي للقوقاز حيث كانت تمر منها القوات الروسية وتجهيزاتها وتموينها بين شمال الهضبة وجنوبها. وهذه الطرق هي:-

١- **طريق جورجيا الحربي:** وهو أهم هذه الطرق وأطولها، يبلغ طوله من مدينة فلادي قفقاسيا إلى تفليس (٢٧٠) كيلومتر. وهو طريق ذو مسربين واحد بكل اتجاه صالح للسير لجميع أنواع العربات صيفا وشتاء. ويقع في وسطه تقريباً ممر الصليب (كروس) على ارتفاع (٢٣٨٠) متراً عن منسوب سطح البحر.

٢- **طريق الاوستين الحربي:** وهو أيضا بمسربين: وأصبح مؤخراً بعد فتح نفق طويل صالحٍ لسير السيارات المختلفة ما عدا بعض فترات فصل الشتاء. ويبلغ طوله من مدينة فلادي قفقاسيا باتجاه الجنوب غرباً حتى مدينة كوتاسي في جورجيا الغربية (٨٠) كيلومتراً تقريبا. ويمر هذا الطريق عبر ممر ماميسون على ارتفاع (٢٨٤٠) متراً عن سطح البحر.

٣- **طريق سوخوم الحربي:** ويقع غرب الطريقين المذكورين سابقا، ولا يصلح لسير العربات في الجزء الأوسط منه. ويبدأ من مدينة بكسان شمال نالتشك ويمر عبر ممر كلوخود الذي يرتفع ايضاً (٢٨٤٠) متراً عن سطح البحر وينتهي عند مدينة سوخومي على البحر الأسود.

ومن أهم الممرات التي تعبر جبال القوقاز وعلى ارتفاعات تبدأ من ممر اسمه (سالينان أوتشر) وارتفاعه (٤٥٣٨)م وانتهاء بممر (نانتما) على ارتفاع (٢٢٨٧)م والجدول التالي يبين اهم (٤٢) ممراً على ارتفاعات منخفضة تخترق القفقاس الشهيرة [١١].

جدول يبين
أسماء الممرات الجبلية القفقاسية وارتفاعهاتها

الرقم	اسم الممر	الارتفاع عن سطح البحر (متر)	الرقم	اسم الممر	الارتفاع عن سطح البحر (متر)
١	جونتيكام	٣٥٤٨	٢٢	سيلا	٤٢٧٠
٢	جيبر آزو	٣٢٦٦	٢٣	الواز	٤٣٦١
٣	أزو	٣٥١٦	٢٤	كاشتان	٣٥٠٧
٤	دونغوسوروم	٣٢٠٠	٢٥	غيروزيفسك	٢٣٤٧
٥	بتشو (غولسكي)	٣٣٧٧	٢٦	كاراغوم	٣٦٢٩
٦	آكسو	٣٨١٢	٢٧	زي	٣٦٦٠
٧	اوتبيرى	٢٤٠١	٢٨	شتونوفسك	٢٣١١
٨	آدر(سيتا)	٣٦٦٣	٢٩	باخ فانداك	٢٩١٨
٩	تويبر	٣٥٦٨	٣٠	كولوتدر	٣٢٤٣
١٠	زائر العليا	٣٩٥٤	٣١	لابارا	٣٠٢٠
١١	زائر السفلى	٣٩٢١	٣٢	لاتبارى	٢٨٢٣
١٢	كيتلور	٢٨٤٥	٣٣	غودور	٢٣٨٨
١٣	اورباشي	٣٧٦٦	٣٤	ماميسون(يمر عبره طريق الاوستين الحربي)	٢٨٤٠
١٤	دونكن	٣٩٧٤	٣٥	كلوخور (ويمر عبره طريق جورجيا الحربي)	٢٨٤٠
١٥	سيرين	٣٤٣٣	٣٦	ماروخ	٣٢٣٢
١٦	سالينان تشيران	٤١٥٤	٣٧	روك	٢٩٩٣
١٧	سالينان اوتشر	٤٥٣٨	٣٨	كروس (ويمر عبره طريق جورجيا الحربي)	٢٣٨٠
١٨	لوامكوم	٤٠٨٥	٣٩	ارخوتيس	٢٧٣٣
١٩	فينارغن	٣٣٩٤	٤٠	فانتما شيتسكي	٢٢٨٧
٢٠	ادينا	٤٣٣٧	٤١	سالافات	٢٨٢٥
٢١	ديخسو	٣٨٧٩	٤٢	كودور	٢٨٣٤

الانهار والبحيرات

يقول الجنرال (غورميكو) في كتابه (ملحمة القفقاس) بأن أنهار القفقاس الشمالي تجري بصورة عامة موازية للجبال، وتستقي منها روافد عديدة بالمئات، والقفقاس يملك شبكة مائية نهرية لا مثيل لها وخاصة في الهضبة الوسطى كما ان هذه المنطقة تحتوي على ينابيع معدنية كثيرة متعددة الصفات وأهمها في (نارتسان) أي بلاد النارت ولكثرة المياه فيها يسميها الجركس (بس كون) أي مستودع المياه. والمنابع الأولى لهذه الأنهار تتغلغل إلى أعماق السلسلة الجبلية وتشكل وديانا طويلة ملتوية وفروعها الكبرى تكون سهولا رائعة حول مجاريها تمتاز جميعا بالخصب الزائد والبهاء والرونق الطبيعي الذي يأخذ بمجامع القلوب، كما أن الغابات الخضراء تكسبها جمالاً طبيعيا لا يوجد مثيل له [١٢].

وأن اشهر انهار القفقاس هي:

كوبان – وتيرك – وقوما – ومانيج في الشمال، وفي الجنوب انهار ريون، وكر، وآراس، وفيما يلي وصف ملخص لكل نهر من تلك الأنهار:

نهر كوبان: ويسمى بسيغ باللغة الشركسية وتتكون منابعه الأصلية من وديان كتلة جبل البروز، وبعد ان تتجمع روافده الأولى وتنفذ إلى السهل شمالاً يتجه النهر نحو شمال غرب البلاد حيث يرفده العديد من الأنهار التي تنحدر من وديان الجبال مث: انهار لابا – ولايا واينجيغ وشحه كواشه... الخ.. وفي شبه جزيرة تامان ينقسم نهر كوبان إلى قسمين يصب فرعه الشمالي في بحر آزوف وفرعه الجنوبي في البحر الأسود. وطول هذا النهر ٨١٠ ك.م وفروعه حوالي ١٤٠٠٠ فرع.

نهر مانيج: منابعه في السهول الشمالية في منطقة مستنقعات مانيج والبحيرات المالحة يجري باتجاه الشمال الغربي ويصب في بحر آزوف.

نهر تيرك: المنبع الأصلي لهذا النهر هو المكان الذي يسمى (كريستولا) ويقع في ممر داريال، ويتجه في مسيله إلى الشمال الشرقي وترفده عشرات الأنهار التي

تسيل من وديان الكتلة الجنوبية الوسطى مثل انهار سونجا وروافده وصولاق وروافده ويصب في بحر الخزر بدلتا واسعة، واضيق محل فيه (١٠٠م) ويبلغ عرضه عند مصبه (٥٠٠م).

نهر قوما: توجد منابع روافده من كتلة جبل البروز الوسطى، وتتجه فروعه نحو الشمال ثم الشرق وتتلاقى ويتابع النهر مسيله في سهول الاستبس حتى يصب في بحر الخزر.

اما الانهار التي تجري في بلاد الشركس فهي على النحو التالي:

تجرى في جمهورية كباردينا بلغاريا (٩) انهر رئيسية ابتداء من نهر باخسان وتيرك وبلقا وتشيرك بالإضافة لأنهار ارغودان وشحيم وكوركوتربن واوروخ ولبسكن.

وفي جمهورية تشيركس فرشاي تجري انهار الكوبان (ينجج الكبير وينجج الصغير) واللابا، دنيادرا.

وفي جمهورية اديغي فإن امتداد انهار الكوبان واللابا، وبشكوبس، كيشا، شخاريا، خودز، ادراس يمر فيها.

أما البحيرات فإنها تمتد بالمئات منها (١٠٠) بحيرة في جمهورية كباردينا بلغاريا وحدها وأهمها:

تسيركل، جلوبيا السفلي، جلوبيا العليا، كيلتشيس وتقع ٥٥% من هذه البحيرات ما بين نهر باخسان ونهر ملقا.

وهناك في جمهورية تشركيس قراشاي خزانات مياه طبيعية، مثل خزان تشريكيس، ويبلغ مجموع مساحة مسطحاتها المائية اكثر من مائة الف متر مربع[١٣].

الحمامات المعدنية والمصحات والمنتجعات

يوجد في القفقاس (٦٠٠) نوع من المياه المعدنية تصل درجة حرارة المياه الحارة فيها ما بين (١٠) درجة إلى (٦٠) درجة مئوية كما يوجد في القوقاز (١١٤) من مجموع (٤٢٣) مصحاً في روسيا الاتحادية موزعة على النحو التالي:

٢٠ مصحا في جمهورية أذربيجان. ٩ مصحات في جمهورية أرمينيا.

٦٤ مصحا في جمهورية جورجيا. ٢١ مصحاً في شمال القوقاز.

جدول لمصحات الشهيرة في القوقاز

المصدر: مجلة Cancasion Review Vol. 1, 1955

الرقم	اسم المصح	فتح المصح للزوار	معدل الامطار مم	معدل عدد الساعات المشمسة في السنة
١	اباستوماني	طول السنة	٦١٨	١٩٨١
٢	انابا	=	٦٨٠	٢٥٥٦
٣	آرزني	١١/١٥-٥/١٥	٣٥٠	١٩٦٣
٤	بورزهوي	تموز وأكتوبر	٥٨٠	١٧٠٠
٥	غاغا	طول السنة	١٣٠٠	١٨٥٠
٦	غيليند زهك	مايو- اكتوبر	٧٠٠	٢٤٠٠
٧	ديلزهان	طول السنة	٥٤٠	٢٠٩١
٨	اسنتوكي	=	٥١٩	٢٢٤٠
٩	زغيرنوفودسك	=	٥١٩	٢٢٤٠
١٠	بارداكياني	=	١٢٠٠	٢٠٠٠
١١	نالتشك	١١/١-٥/٥	٦٠٠	٢٢٨٩
١٢	بياتيغورسك	طول السنة	٦٠٠	٢١٨٦
١٣	سوتشي	=	٦٨٢	٢٠٠٠
١٤	سوخومي	=	٨٦٠	١٨٩٥

الثروات الزراعية والحيوانية وتتكون من الثروات التالية:

١) الغابات والأحراج:

تغطي ٣٥% من مساحة القفقاس كما تغطي كامل سلسلة القفقاس الرئيسية وسطوحها حتى ارتفاع (١٥٠٠-١٨٠٠)م بالأحراش والغابات وأغلب أشجارها من

النوع الدائم الخضرة. كما تغطي الغابات السلسلة الجبلية الأصلية على امتدادها بعرض ٢٥ك م من كل جانب، وتغطي سفوح جميع الجبال الفرعية في الشمال والجنوب وتمتاز الجبال على ساحل البحر الأسود بجمال مناظرها.

٢) أنواع الأشجار والمزروعات

يوجد في سلسلة جبال القفقاس أنواع من الشجر التي تستخدم في صناعة اجود انواع الخشب كما تحتوي الغابات أنواع كثيرة من الأشجار المثمرة (الطبيعية) غير مملوكة لأحد مثل البندق والجوز والكستناء والكمثري والتفاح والخوخ والتين والأعناب، وأنواعاً أخرى عديدة، وحتى عهد قريب كانت منطقة مزدوك (الغابة الصماء) مكسوة بأحراش كثيفة يصعب المشي خلالها، وكذلك حوض نهر كوبان.[١٥]

وتمتاز أراضي القفقاس بأنها تصلح لجميع أنواع الزراعة حتى أن القفقاس كان يعد (المزرعة الأولى) في الاتحاد السوفياتي كله (سابقا) ويعتبر مستودعاً مهما لتأمين التموين وكانت كولخزات المزارع التعاونية السوفيتية في القفقاس تأخذ دائما الدرجة الأولى في الانتاج الزراعي على كافة مناطق الدولة.

كما يزرع الذرة الصفراء في القفقاس بشكل دائم وينتج منها أجود الأنواع وكذلك الشعير والجلبان والبقول والخضراوات والفواكه والشمندر السكري الذي يؤمن جانباً كبيراً من احتياج الاتحاد السوفياتي (سابقا)، وبساتين الفواكه بجميع أنواعها حتى المشمش والحمضيات تنمو بشكل جيد جداً على السواحل وفي جنوب القفقاس.

وربما يمتاز القفقاس عن أوروبا في امكانية زراعة الكروم على ارتفاعات تزيد على (١٦٠٠م) عن سطح البحر بينما في اوروبا لا تعيش الكروم على ارتفاعات تزيد على ٩٠٠م فوق سطح البحر.

وأما القطن فيتم زراعته على ارتفاع ٦٨٠م عن سطح البحر والحبوب حتى ارتفاع ٢٣٠٠م عن سطح البحر. كما يزرع الشاي في مناطق عدة ويعطى محصولا وافراً، كما تعطي أهمية كبرى لزراعة نبات دوار الشمس، وقد اشتهرت مؤخراً بزراعة التبغ وتنتج منه أنواعاً ممتازة ومحصولاً وافراً. وأخصب الأقاليم وأكثرها ملاءمة للزراعة هي منطقة الأبخاز (أباظة) وفي الشرق ساحل البحر الأسود.

٣) النباتات البرية:

تنمو النباتات البرية في جبال القفقاس على ارتفاعات لا تصل إليها في جبال اوروبا. وفي جبال القفقاس أنواع من النباتات وتزدهر بكثافة اكثر مما في جبال الالب، والنباتات بصورة عامة في القفقاس تشابه نباتات فرنسا الغربية اكثر من مشابهتها لنباتات حوض البحر المتوسط، ومع ذلك فإن مناطق (بوتس وصخوم وكوتائيس) تحتوي على نباتات منطقة حوض البحر المتوسط وغرب اوروبا خاصة في سواحل البحر الأسود وبحر الخزر التي تتأثر بالإقليم البحري [١٦].

وأكثر الاعشاب والنباتات نمواً في بلاد القفقاس هي الازهار البرية ذات الروائح الطيبة، والبهاء والرونق بالإضافة إلى أعشاب طبية متعددة ومتنوعة.

٤) الحيوانات البرية:

تعيش على جبال القفقاس وهضابها وممراتها عشرات الأنواع من الحيوانات البرية أهمها: النمر والفهد والثور الهندي والدب والذئب والثعلب والقط البري والغزال والماعز البري والوعل والجواميس البرية والطيور الجارحة مثل العقبان والنسر.

٥) الحيوانات الأليفة:

تشير الدراسات المتعلقة بالثروة الحيوانية (الأليفة) في بلاد القفقاس الشمالي بأن جميع أنحاء بلاد القفقاس ذات شروط مشجعة جداً لتربية الماشية بجميع أنواعها

لكثرة مراعيها وأعشابها التي تغطي الجبال والسهول والغابات واطراف المزارع لذلك يتم فيها تربية قطعان الغنم والماعز والبقر والجواميس بكثرة، كما أن البقر القفقاسي الأصيل من أضخم انواع البقر في العالم كله، كما كانت تربى فيها قطعان الخيول، خاصة اجود الأنواع منها مثل الخيول الأصيلة الكريمة وهي (آلب، فاره بسوغ – بروبل – بجقان – شولوخ) وان اجود أنواع الخيول تمتاز بالقوة والضخامة والسرعة هي (فاره يسوغ، وهي ضامرة جميلة سريعة كالريح). أما الحمير والجمال فإن الشراكسة لم يكونوا يهتمون بتربيتها.

٦) الطيور والدواجن:

وهي منتشرة بكثرة لسهولة تأمين غذائها ولا يوجد بيت شركسي يخلو من عشرات او مئات طيور الدجاج والبط والوز والحمام.

*** المصادر الطبيعية والثروات الدفينة**

يعد القفقاس من أكثر المناطق في روسيا واوروبا غناءً في ثرواتها الطبيعية وبالأخص الثروات التالية:

١) **البترول:** ويستخرج من سهول الكوبان في بلاد الشركس (بالقوقاز) وفي (باكو) في اذربيجان و (غروزني) في الشيشان و (مايكوب) في بلاد الأديغي و (مزدوك) في منطقة القبرطاي المسيحين بالإضافة إلى منطقة سونترتال.

٢) **المعادن:** تستخرج من ارض القفقاس المعادن التالية: المنغنيز، والفحم، والحديد (كان القفقاسيون أول من استخدم الحديد في الصناعة في العالم)، والذهب والالمنيوم والفضة والتوتياء والقصدير والكوبالت والنحاس.

٣) **البراكين:** يوجد في القفقاس جبال بركانية صخرية وفيها ايضاً العديد من الفوهات البركانية الخامدة في منحدرات جبال (هرمة) منذ القدم [١٧].

نماذج

من المناظر الطبيعية في بلاد الشراكسة في الوطن الأم في شمال القفقاس

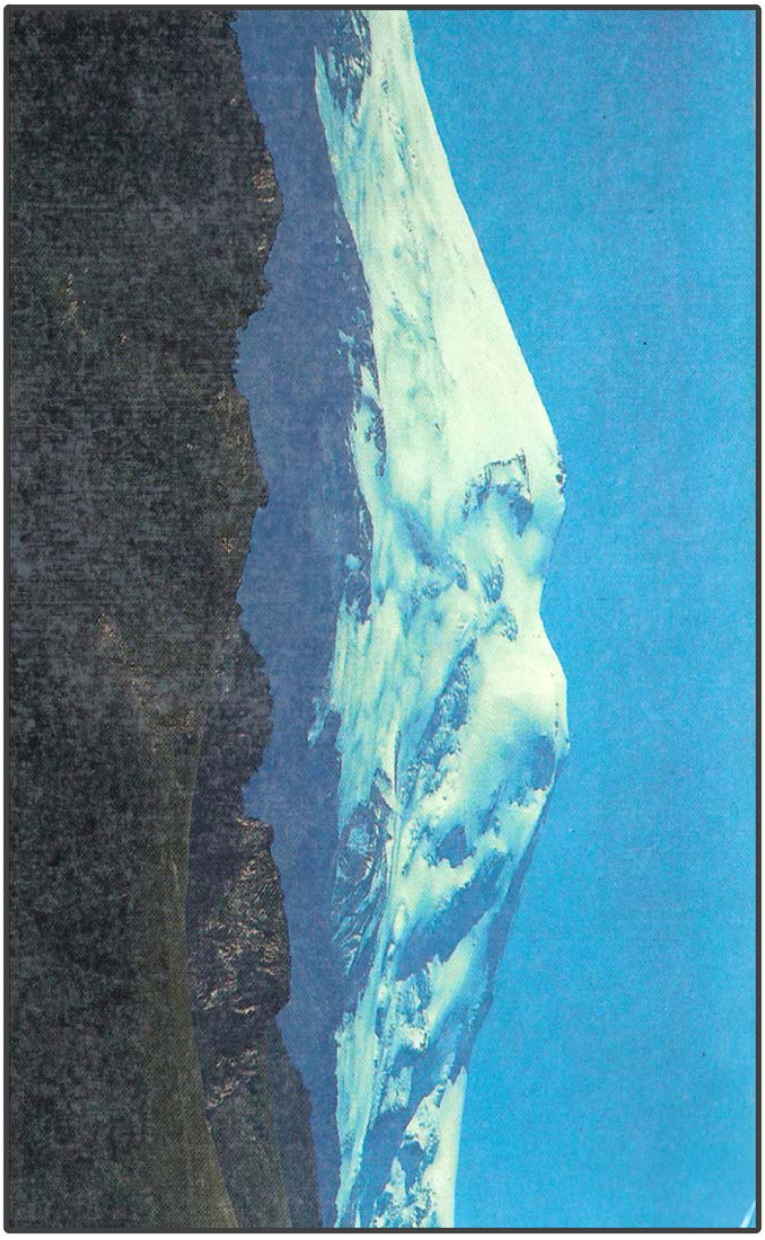

منظر عام لقمة جبل البروز في منطقة القبرطاي في الوطن الأم ويبلغ ارتفاعه ٥٦٣٣م من الجهة الغربية و ٥٥٩٥ من الجهة الشرقية

منظر لمنطقة التزلج في جبل البروز

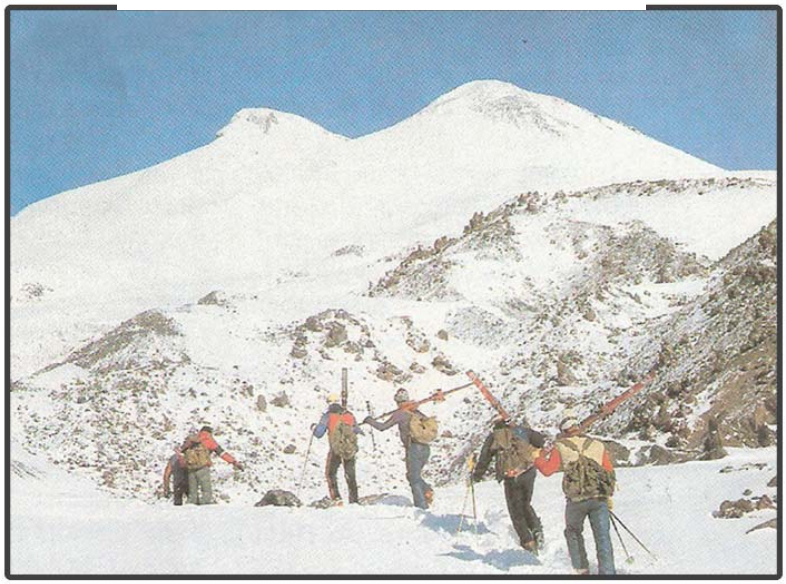

مناظر طبيعية لجبال وشلالات وأنهار في مناطق القبرطاي في الوطن الأم

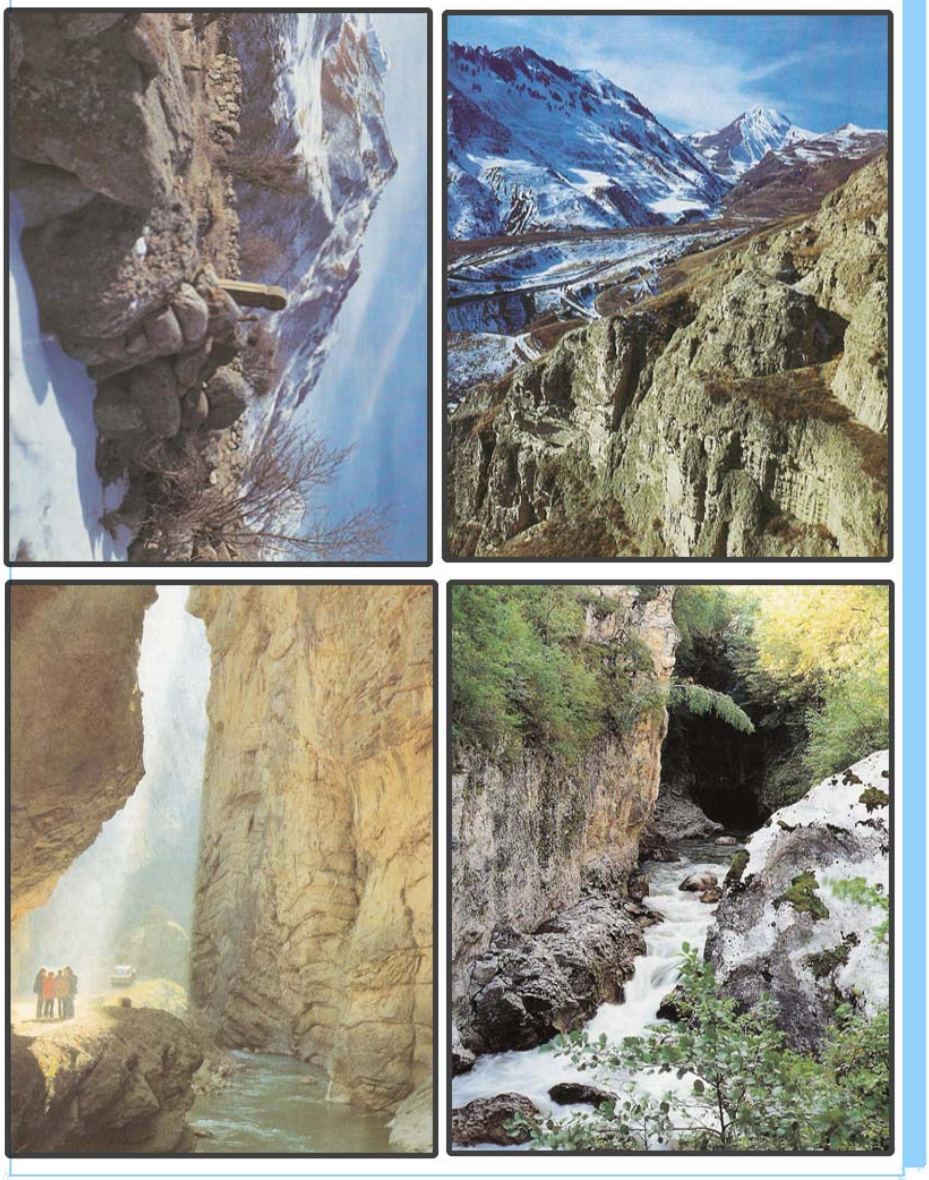

مناظر طبيعية لبعض جبال في الوطن الأم للشراكسة في شمال القفقاس

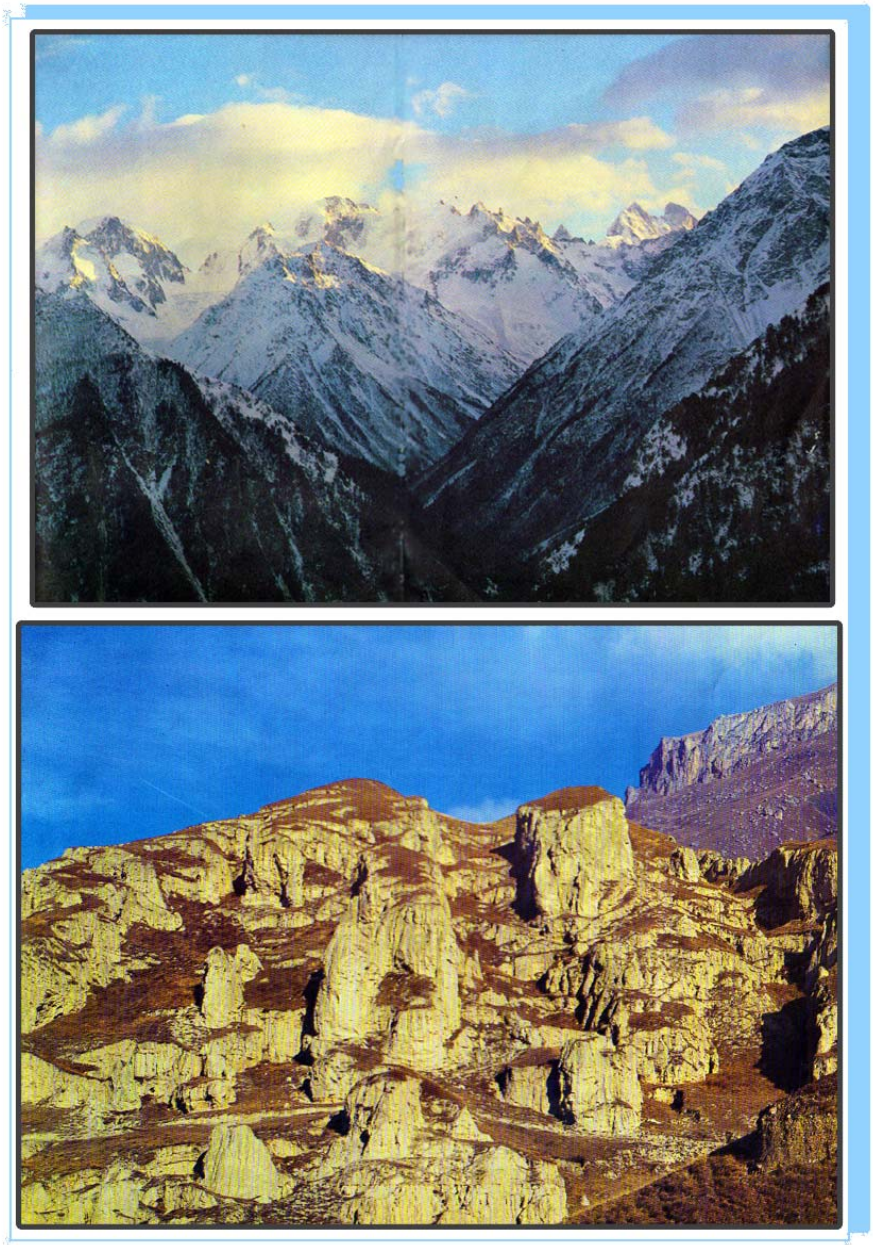

مصادر ومراجع الفصل الخامس

١) الكسندر غريغولا: العدالة والعادات في القوقاز وسكان المناطق الجبلية في جورجيا – اطروحة دكتوراه –جامعة بنسلفانيا ص: ١٧.
٢) المارشال اندريه غورمبكو (وزير الدفاع السوفيتي الاسبق)، ملحمة القفقاس (باللغة الروسية) تعريب اللواء الركن عبد الرزاق الدردري والعميد الركن عبد العزيز جركس، دمشق ١٩٧١، ص: ١٦.
٣) اجنيس هيربرت – ذكريات من القوقاز منشور باللغة الانجليزية ترجمة سعيد بيونو، عمان ١٩٩٧ ص: ١٥.
٤) فتزوري ماكلين، القوقاز نهاية حدود المعمورة، منشور باللغة الانجليزية، ترجمة سعيد بينو عام ١٩٩٧ ص: ١٥-١٦.
٥) السيرجون ماندفيل، جبال جورجيا، منشور باللغة الانجليزية ترجمة سعيد بينو عام ١٩٩٧ ص: ١٦.
٦) البيرجاك، رحالة فرنسي عاش في الفترة (١٦٠٥-١٦٨٦) وزار بلاد تشيركيسيا في عام ١٦٧٠ وكتب تقريراً عن أوضاعها الاجتماعية والزراعية وعن جمال طبيعتها.
٧) محمد صادق آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٣٢.
٨) جوناتوقه يوسف عزت، تاريخ القوقاز، منشور باللغة التركية، عام ١٩١٢ ترجمة عبد الحميد بك غالب خوست (من شراكسة مصر) ونشر في جميعة الاخاء الشركسي بمصر عام ١٩٤٠ (وهو أول كتاب باللغة العربية عن تاريخ الشراكسة.
٩) آبه زاو محمد صادق، مصدر سابق، ص: ١٧.

١٠) مالتوف، استكشاف القوقاز – Exploration Caucasus المنشور عام ١٨٩٦ ونقلها إلى العربية سعيد بينو وأوردها في كتابه الشيشان والاستعمار الروسي، المنشور عام ١٩٩٧ في عمان ص: ٣٣.
١١) المصدر نفسه ص: ٣٤.
١٢) الجنرال غورميكو – ملحمة القفقاس، مصدر سابق، ص: ٢٩.
١٣) دليل أهلنا، الجمعية الخيرية الشركسية – فرع صويلح، مصدر سابق، ص: ٢٨-٣٣.
١٤) مجلة القفقاس Caucasus Review عدد (١) عام ١٩٥٥ عن سعيد بينو في كتابه – الشيشان – مصدر سابق، ص: ٣٦.
١٥) آبه زاو، محمد صادق – مصدر سابق، ص١٨.
١٦) مجلة دركسي – عدد شهر نيسان ١٩٥٣، باللغة التركية، ترجمة جمال صادق آبه زاو ص: ٣٣.
١٧) آبه زاو، محمد صادق – نقلاً عن مجلة الاتحاد السوفيتي، عدد (٣) سنة ١٩٦٣ ص(٣٠).

الفصل الثاني

خصائص اللغة الشركسية

*** مراحل نشأة وتطور اللغة الشركسية كتابة ومحادثة:**

يعود تاريخ نشأة الكتابة التصويرية اللفظية إلى الالف الثالث قبل الميلاد[١]، وهناك دلائل مادية تشير إلى نشأة اللغة كلغة تخاطب مع نشأة العلاقة بين اللغتين السومرية والشركسية قبل خمسة الآف سنة [٢].

والدارس لنشأة اللغة الشركسية وتطورها يجد أنها مرت في خمس مراحل زمنية وعلى النحو التالي:

المرحلة الاولى: وهي مرحلة نشأة اللغة كوسيلة للتفاهم والتخاطب بين افراد المجتمعات القديمة وهي المرحلة التي نشأت فيها اللغة الشركسية كلغة خاصة بقوم (النارتيين).

ويتضح ذلك من اساطير النارتيين التي تحدثت حول احداث حدثت في العصور الحجرية والبرونزية، وبالتالي فإن نشأتها تعود للألف الرابع قبل الميلاد.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة (الكتابة الصورية) التي كانت تعتمد على الرموز للمقاطع الصوتية شبه المجردة... وهي الكتابة في العصور القديمة بدلالاتها الصوتية للمقاطع، وكما هو الحال في الكتابة الهيروغليفية الاولى وإن تشابه الكتابات التي وجدت في صوخومي مع كتابات مايكوب لا يدع لنا مجالا للشك أنه ما بين عام (١٣٠٠ – ١٢٠٠)ق.م كانت هناك لغة واحدة تستخدم كتابة واحدة على مساحة كبيرة تمتد من صوخومي وحتى مايكواب. وانتقلت هذه الكتابة الصورية إلى ايجاد رموز للمقاطع الصوتية شبه المجردة بجانب المقاطع التصويرية، وكانت بداية الانتقال للكتابة ذات الدلالات الصوتية للمقاطع، وقد انتقلت هذه الكتابة خارج القفقاس الشمالي إلى الساحل السوري الفينيقي، وكان العالم النمساوي البرفسور (انطوان ايركو) هو أول من شك بأن الكتابة الهيروغليفية الأولى في فينيقية هي كتابة قفقاسية المنشأ.

وربما كان (سمكوغ) افضل من كتب في هذا الموضوع، حيث أكد في كتابه (الشراكسة في فجر التاريخ) * بأن الأقوام ذات الأرومة والأصل والواحد والتي غدت مع الزمن واستمرار الاستيطان والاستقرار في أحواض الأنهار شعوبا وبدأت الفروق اللهجوية تتوضح وتزداد حتى غدت لغات مستقلة ذات أصل ومنشأ واحد، وكلها لغات مقطعية يظهر أصلها المشترك بشيء من التحليل البسيط، وهذه الشعوب هي التي خرجت حاملة نمطها الحضاري المميز والمتشابه من ظلمات العصور الحجرية المعدنية (ما قبل التاريخ) إلى سدة التاريخ فاخترعت الكتابة الاولى في سومر (٣١٠٠) ق. م. دون أن ننسى باقي الشعوب من أرومتها والتي وضعت كتاباتها الخاصة بها (الكتابة الميخية، والكتابة الهيروغليفية الحديثة في قبادوكيا، والكتابة الصوتية الكريدية في مسينا والآشوية في الكوبان) واعتبر المؤرخون هذا الحدث بأنه أسبقيه سومر في اختراع الكتابة وأنه الثورة الثانية الهامة في سلم الحضارة الإنسانية.

ويقول (سمكوغ) "كانت هذه الكتابة والكتابات الأخرى الخاصة بلغات مقطعية جمعية (حرفية، مقطعية، ووصفية) لا يمكننا بأن نتصور بأن الشعوب ذات اللغات الاشتقاقية قد شاركت في وضعها او اكتشافها، ونبني حكمنا هذا على خصوصيتها الشديدة بتلك اللغات المقطعية والبون الشاسع بين طبيعة وشكل اللغات المقطعية واللغات الاشتقاقية، وكذلك من منطلق انشغال الشعوب ذات اللغات الاشتقاقية بنمط الحياة القاسية والتنقل الدائم، وإنما يمكننا التأكيد على أن هذه الكتابة الصورية تطورت إلى كتابة مقطعية مسمارية، وقد تمت استعارتها لكتابة اللغات الاشتقاقية بها فيما بعد، وجرى تطويرها حتى يتم التغلب على الصعوبات التي

* لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب (الشركس في فجر التاريخ) تأليف برذج سمكوغ ص٣٣-٣٥.

نشأت عن كتابة هذه اللغات الاشتقاقية بكتابة وضعت أصلا للغات مقطعية، وربما كان هذا التطوير هو السبب غير المباشر في الوصول في النهاية إلى وضع الابجديات التي تصلح لكل أنواع اللغات، لذلك فإن المتتبع لتطوير واسلوب الكتابة الصورية المقطعية، من صورة أولى مفردة تدل وحدها على المرأة (صورة إمرأة) ثم صورة ثانية للجبل (صورة جبل) يجد بأن المقصود من هاتين الصورتين ليست المرأة وليس الجبل وإنما اسم العلم الذي تدل عليه هاتين الصورتين وهي (الخادمة) لأن اسم الخادمة مكون من مقطعي (الجبل والمرأة) ربما لأنهم كانوا يأتون بها من الجبل، أي أن عبارة (امرأة الجبل) صارت اسم علم ويمكن ان نزيد هذا الأمر وضوحا فنأخذ مثالا من اللغة الشركسية (الأديغة) التي هي الأخرى لغة مقطعية إن اسم العلم الذي يدل على (الزعيم) أو الرئيس هي كلمة (تحمادة) وهي تعني زعيم القوم وكبيرهم ولا يفهم منها معانيها المقطعية حتى يتم تحليلها إلى مقاطعها التي كونت هذه الكلمة وهي (تحة) وتعني (إله) (والميم) بمثابة اللام الجارة في اللغة العربية و (آده) تعني الوسيلة أو الأداة، ويصبح معنى المقطعين (وسيلة الإله أو أداة الإله) وربما احتوت المعنى المجازي نائب الإله، ولكن القارئ والمتكلم لا يفهم هذه المعنى لأنها غدت مجتمعة اسم علم يعني الزعيم أو الرئيس، وهكذا فاسم العلم في اللغات المقطعية يتألف من مقاطع وحروف وصفية، وهذا غير موجود في اللغات الاشتقاقية لذلك كانت الكتابة السومرية الصورية المقطعية خاصة بالسومرين ولم يشاركهم أحد في اكتشافها. (٣)

وكذلك فإن العالم الفرنسي (ديونان) له وجهة نظر مشابهة حول كيفية ظهور الكتابة الخطية بقوله:

"... وهكذا أصبحنا نعلم كيف ظهرت الكتابة الخطية الفينيقية بعد ظهور الكتابة الآشوية في بيبلوس، وهذا ما حصل للكتابة اليونانية التي تأسست بدورها على رسوم الكتابة الفينيقية الكنعانية الخطية التي كانت قد تأسست على أساس

الكتابة المقطعية اللفظية الآشوية ويفيدنا أن نذكر هنا أن أقدم الكتابات الفينيقية في بيبلوس تعود للقرن الرابع عشر ق. م. في حين تعود الكتابات الآشوية في بيبلوس إلى القرن العشرين ق. م.

وهي الكتابة التي سميت (بالكولخدية) الابخازية القديمة حسب رأي عالم (تورتشانيتوف) مؤلف كتاب (اكتشافات وفك الرموز القديمة الاشوية) [٤].

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي نشأت فيها الكتابات الخاصة باللغة الشركسية (اديغابزة) وهي المرحلة التي اختلف فيها علماء اللغة وخبراء الاقوام القديمة حول منشأ اللغة الشركسية وأصلها، وهذا الاختلاف أدى إلى ظهور أكثر من نظرية وكل واحدة منها تعتبرها مصدر ومنشأ واصل الكتابة باللغة الشركسية... فمنهم من يؤكد بأن لغة الكتابة الشركسية كانت تستخدم كاحدى اللغات السبعة التي كان يستخدمها الحثيون في الالف الثاني قبل الميلاد، بينما فئة ثانية من العلماء يفترضون بأن اللغة الشركسية استخدمت الاحرف الفينيقية، وفئة ثالثة اكدت بأنها لغة مشتقة من اللغة السورية القديمة، وذهبت فئة رابعة للقول بأن اللغة الشركسية تعود إلى اللغة الايبرية (وهي احدى اللغات الهندأوروبية) وتعتبر من اقدم اللغات في العالم.

واما العالم (تورتشانيتوف) فيقول بأن الاثار المكتشفة في (صوخومي) اولا وفي (مايكوب) ثانيا تؤكد بأن اللغة الشركسية تنتمي إلى اللغة الاشوية (الابخازية) القديمة.

ويؤكد الباحثون في أصل ومنشأ اللغات القوقازية عامة واللغة الشركسية خاصة بأنها بقيت لغة تكتب بالاحرف التصويرية الخاصة بها حتى القرن الرابع[٤].

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة نشوء اللغات القومية القوقازية وتشعبها إلى لهجات قبلية محلية.

حيث قام بعض العلماء الغربيين من أمثال تودنستد وباللاس الالمانيان، وادولف دبر الانجليزي، وكذلك العالم الكرجي الشهير تيغولامار بالبحث في أصل اللغات القومية التي ظهرت في مراحل وعصور ما قبل الميلاد وتوصلوا لحقيقة بأنها لغات مشتقة من أصل لغوي واحد وان اللغات التي ظهرت في القوقاز في القرون الوسطى وما بعدها ما هي إلا لغات اشتقاقية حتى اصبح القفقاس من اكثر المناطق في العالم تعددا في لغاتها القومية ولهجاتها المحلية.

وفيما يلي نتائج الدراسات التي قام بها العديد من علماء اللغة الغربيين والروس وغيرهم..

اولا: قام العالمان (تودنستد وباللاس) في القرن الثامن عشر بتصنيف اللغات القفقاسية إلى ستة أصناف وهي:

١- لغة التتار = تركية
٢- لغة لزكي = داغستانية
٣- لغة كيست = جاجانية
٤- لغة أوست = ايرانية
٥- لغة الجركس = آديكية
٦- لغة الكرج

ثانيا: الدراسات التي قام بها كل من العلماء (كالابروث وبروس وروزه شيغنر واوستار وفريدريك موللر) وأخيرا وفي عام ١٨٩٢ العالم (ر.فون أركت) بعنوان (Disprachen des Kaukasichen stammes)

كما تشير نتائج هذه الدراسات بأن جميع اللغات قد تفرعت من أصل واحد بعينه، وأساساتها تعود إلى لغة واحدة وهي اللغة الأم. القوقازية (الايبرية).

ثالثا: ذهب العالم (أدولف ديرر) إلى القفقاس وعاش فيها سنين عديدة، وأجرى دراساته في شرقي القفقاس وتوصل إلى أن اللغات القفقاسية تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

* قسم اللغة القارتوالية: وهي لغة الابيريين أي الكرج.
* قسم اللغة الآديكية: وهي لغة الأباظة والأوبيخ والجركس (آديكة).
* قسم لغة الجاجان والداغستان وهي سكان المنطقة الشرقية في شمال القفقاس.

وأكد أن هذه اللغات الثلاث مشتقة من أصل واحد، أو انها ثلاثة شعوب متفرعة من أصل واحد وانها ليست لغات مختلفة لقوميات مختلفة.

رابعا: قام عالم اللغات الشهير الكرجي (نيقولامار) بجمع اكبر عدد من اللغات القفاسية تحت اسم (اللغات اليافثية) ووزعها إلى أربع لغات وهي:

١- لغة اللزكي ٢- لغة الججن
٣- لغة آباظة وآديكة ٤- لغة قارتوه ل.

كما قال لو قسمت اللغات القفقاسية الشمالية إلى صنفين، شرقية وغربية، لكان الصنف الشرقي يحتوي على لغات الجاجان والداغستان، والصنف الغربي لغة الآديكة والأباظة.

فالصنف الأول – تتكلم به قبائل (لزكي – جاجان – اينكوش)
والصنف الثاني – تتكلم به قبائل الآديكة والأبخاز والاوبيخ.

خامسا: قسم العالم (فريدريك موللر) اللغات القفقاسية إلى ثلاثة اصناف، كما قال بأن هذه الأصناف الثلاثة تعود إلى أصل واحد، ولكن الانكماش بين الجبال" وعدم الاختلاط، لعدم وجود وحدة سياسية، مئات وربما آلاف السنين" "أثر عليها بمرور الزمان فأصابها التغيير والتبديل، كما حدث في اللغات السامية".

نستنتج من نتائج الدراسات السابقة بأن اصل اللغات القوقازية هو من أصل واحد، وأن هذه النتائج تؤكد ما سبق ان أكدّه المؤرخون اليونانيون والعرب والروس والمتضمن بأن القفقاس هي بلد (الالسن) وتتعدد فيها اللغات واللهجات إذ تصل إلى المئات ونستدل على هذه الحقيقة من قول كل من:

* المؤرخ اليوناني (سترابون) في القرن الأول للميلاد بأن الذين يدخلون إلى بلدة دياسكاريوس (بجوار صخوم الحالية) على البحر الأسود، بقصد البيع والشراء يجدهم يتكلمون سبعين لغة ولهجة مختلفة.
* وأما المؤرخ الروماني (بلين) واعتمادا على كلام (ديموستين) فإنه قد رفع هذا الرقم إلى ثلاثمائة لغة كما عقب قائلا: "نحن الرومان ننجز معاملاتنا مع الاهالي باستخدام ١٣٠ ترجمانا.
* **وكذلك المؤرخ العربي (العزيز) سمى قفقاسيا الشرقية بجبل الألسن.**

وأما المؤرخون الروس الذين كانوا أكثر المتحمسين من المؤرخين الآخرين لإبراز اختلاف اللغات وتعدد القوميات في القفقاس لتحقيق الدعاية المغرضة والدس وقلب الحقائق بقصد إيقاع التفرقة والفتن بين القفقاسيين على قاعدة (فرق تسد) حتى أنهم يعتبرون كل لهجة من لهجات اللغة الواحدة، لغة قومية مستقلة بذاتها، ويجعلون لها إدارة محلية ويغذونها بأفكار التنافر القبلي والعرقي كما حدث مع الأمة الشركسية.

إلا أن علماء منصفين حياديين شغلوا أنفسهم في دراسة اللغات القفقاسية دراسة علمية موضوعية لا يقصدون منها سوى معرفة الحقائق، وهي دراسات حيادية موضوعية تهدف إلى الوصول لنتائج علمية فقط، والكشف عن ادعاءات علماء الروس اولا وتصحيح المعلومات الخاطئة التي سبق ان توصل إليها علماء اليونان والعرب حول تعدد اللغات القفقاسية القديمة ثانياً [٥]، حيث كانوا يعتقدون بأن كل لهجة عبارة عن لغة قائمة بذاتها فمثلا كان عدد القبائل الشركسية (الاديغة)

في القرن الثامن عشر مثلا حوالي (١٨) قبيلة وكل قبيلة لها لهجة تختلف عن لهجة القبائل الأخرى.. فالمؤرخون او الرحالة الرومان الفرنسيون أو الانجليز كانوا يعتبرون كل لهجة لغة، علما بأن (١٨) لهجة هي لغة واحدة. وكذلك الأمر بالنسبة للقوميات الأخرى وخاصة الداغستان فربما كان فيها أكثر من (٨٠) لهجة بينما عدد لغاتها لا تتعدى (٣٠) لغة فعليا.

وفي عهد الاتحاد السوفيتي فإن عدد اللغات في القفقاس ارتفع إلى (٥١) لغة إلا أن اكثر من نصفها هي لغات غير قوقازية الأصل وانما هي لغات لشعوب واقوام وفدت واستوطنت في بلاد القفقاس. كما هو مبين في الخارطة اللغوية رقم(٨).

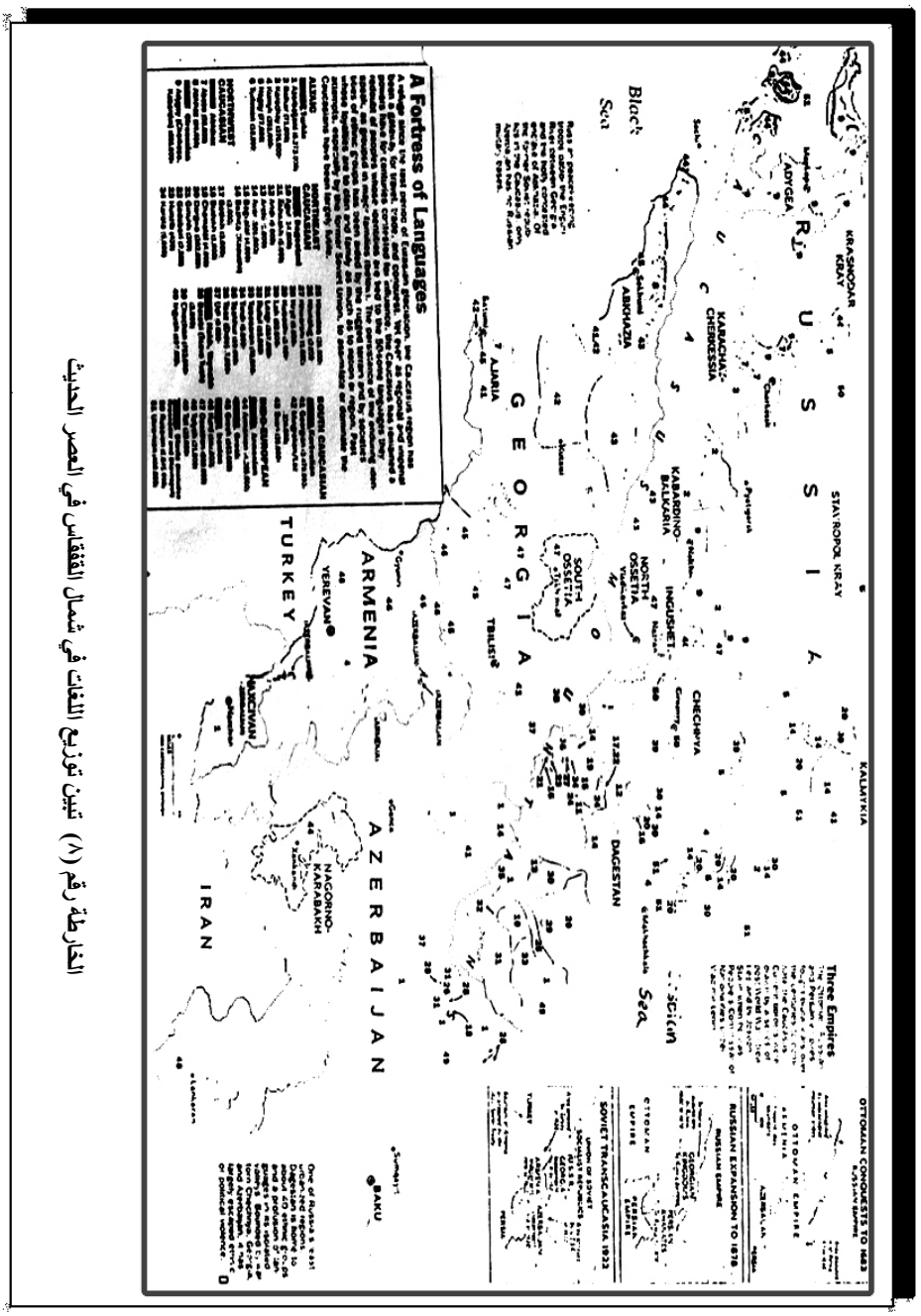

الخارطة رقم (٨) تبين توزيع اللغات في شمال القفقاس في العصر الحديث

المرحلة الخامسة: وهي مرحلة دراسة اللغة الشركسية من قبل علماء اللغة.

تنتمي اللغة الشركسية إلى اللغات القفقاسية، وتعد في حد ذاتها الشقيقة الكبرى لهذه اللغات سابقة الذكر، والمقصود بالانتماء هنا، هو ان اللغة الشركسية اصلا منبثقة عن اللغة القفقاسية الايبيرية الام، تماما مثلها مثل اللغة العربية المنبثقة من اللغة السامية الام، ومثلما اللغة الانجليزية المنبثقة من اللغة التيتونية (الجرمانية) وبالتالي فهي لغة مستقلة تمام الاستقلال يطلق عليها علماء اللغات اسم اللغات القفقاسية، ويعتبرونها اقدم كثيرا من اللغات الهندواوروبية والسامية والطورانية وغيرها.

وتزايد اهتمام علماء اللغة بدراسة اللغة الشركسية دراسة لغوية واتموليجية. وتعتبر (حضارة مايكوب) التي ظهرت في العصر البرونزي الحضارات التي تلتها، والمنسوبة إلى شعوب (الميئوت والسند من اجداد الشراكسة القدامى) موضوع دراسات مكثفة من قبل عدد كبير من علماء الاثار والتاريخ واللغات. وقد اجرى هؤلاء العلماء في فترات متفاوتة، ابحاثا هاما في اصول وتطور اللغة الشركسية وحسب التواريخ التالية:

* في القرن السادس عشر – العالم الايطالي ج. انتريانو.
* بداية القرن الثامن عشر – العالم الالماني فايتسن.
* في نهاية القرن الثامن عشر – العالمان جولد نشتات وبالاس.
* في القرن التاسع عشر – مجموعة من العلماء تضم كلا من:

جوليوس ف. كلا بروث، بروسيت، ج. روزن، أ. شيفنر، ب. ك. اوسلار، ف. ميللر، ل. لوايوا، ر. ف. ايركيرت، ل. لوباتنسكي.

ولم يقتصر البحث في اصول اللغة الشركسية وتاريخها على هؤلاء العلماء فقط، بل هناك مجموعة كبيرة اخرى ابدت اهتماما فائقا في دراسة هذه اللغة

ووضعت مؤلفات قيمة كثيرة مثلها مثل لغات عالمية مختلفة، وأخص بالذكر في هذا المجال العلماء:-

* **البرفسور ج. ديترز – جامعة بون.**
* **الدكتور ج. نوبلوخ. – عضو معهد ابحاث إنسبورك (النمسا).**
* **البروفسور ن. ف. ياكو فليف (الاتحاد السوفياتي) – (ويعتبر هذا العالم اللغة الشركسية إحدى اللغات التي كانت موضع بحث وتدقيق علماء اللغة).**
* **البروفسور ج. دومزيل الذي قام بزيارة تركيا مرتين لدراسة لغة قبيلة (الأوبيخ) وله مؤلفين بهذا الخصوص.**

وخرجوا بحقيقة اساسية هي أن تاريخ الكتابة باللغة الشركسية تاريخ قديم ويعود إلى سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد.. وشارك في هذا القول العالم البلغاري ب. جيوجيف (١٩٥٧) حيث يضاف إلى هذا قول العالم ارن تشيكوبافا (مايكوب) في كتابه عن اللغة القفقاسية الايبيرية المجلد الثاني الصادر في مدينة مايكوب عام (١٩٦٣) بقوله: (ان اللغة الحثية واللغات الابازكو شركسية تشترك مع بعضها البعض في اصول جذرية واحدة). وقد تمكن عالم اللغات الروسي ج. ف. تورتشانيتوف المختص بنظم كتابات اللغات القفقاسية، من حل الكتابة الغربية التي وجدت محفورة على بلاطة حجرية كبيرة استخرجت في العصر الحديث من حفريات مدينة (مايكوب) في مقاطعة الاديغي ذات الاستقلال الذاتي. وقد وجد العالم المذكور ان الرموز المحفورة على البلاطة مكتوبة بحروف فينقية وبلغة ابازكو شركسية، وان تاريخ البلاطة يعود إلى القرن الثامن او السابع قبل الميلاد)[٧].

وفي عام ١٧٧٣ عثر العالم الالماني (جولد نشتات) اثناء تجواله في بلاد القبردي بالقرب من ضفة نهر (بساطقوه) على تمثال حجري محفور عليه باللغتين اليونانية والشركسية وفي نهاية الحفر كتب تاريخ وضع التمثال هناك وهو القرن الرابع قبل الميلاد.

وللوصول إلى تاريخ بدء كتابة اللغة الشركسية لأول مرة بحث علماء اللغة في قواميس اللغات الشركسية والابخازية والوبخ عن الكلمات التي تتعلق بالكتابة ووجدوا توافقا تاما للمفردات المستعملة في هذه اللغات ودلالات تؤكد بأن كتابتها قديمة منها:

١) باللغة الشركسية – كلمة (تخ) بتسكين التاء وكسر الخاء المخففة تعني اكتب (فعل متعدي).

كلمة (تخا) بتسكين التاء وفتح الخاء المخففة تعني كتب (فعل لازم).

كلمة (تخل) بتسكين التاء واللام المميعة وكسر الخاء المخففة تعني كتاب او رسالة.

٢) بلغة الوبخ: كلمة (تخ) مثل الشركسية لفظا ومعنى.

كلمة (تخل) مثل الشركسية لفظا ومعنى.

٣) بلغة الابازة: كلمة (اتخره) كسر التاء وتسكين الخاء المخففة..

والملاحظ هنا، ان هذه الكلمات موجودة في اللغة بصفة اصلية منذ فجر التاريخ وليست مستعارة من اللغات الاخرى التي احتكت بها اللغة الشركسية في تاريخها القديم والحديث مثل اللغات الاسكيتية والمغولية والتركية والارمنية والروسية والعربية وغيرها. وهذا يدل على ان الشراكسة كانوا يكتبون لغتهم في الازمنة الغابرة بوسيلة او بأخرى. ويؤكد هذه الفكرة وجود علامات (دامغة) خاصة بكل عائلة شركسية كانوا يدمغون بها اسلحتهم وخيولهم ومواشيهم وبيوتهم، وما زالت عائلات كثيرة تحتفظ بهذه العلامات إلى يومنا هذا. ولو دققنا النظر في هذه العلامات لوجدنا ان اشكالها تشمل تقريبا جميع الاحرف اليونانية واللاتينية وغالبية الاحرف السلافية.

ان اول ذكر عن الكتابة الشركسية في تاريخ هذه اللغة، قد ورد على لسان العالم الالماني الكبير (ي. فون ميزاروس) في كتابه لغة (الوبخ) – شيكاغو عام ١٩٣٤، حيث قال:

اننا لو قارنا لغتي (الوبخ) و (الحثيين) لوجدنا تقاربا شديدا في اصول اللغتين، والمدهش حقا هو التناسق الغريب بين قواعد اللغتين، مما يشجع كثيرا على اعتبارهما لغة واحدة. والمعروف ان تاريخ اللغة الحثية المكتوبة يعود إلى عام (٢٠٠٠) ق. م كما ذكرنا سابقا. أضف إلى ذلك بأن اللغة الجركسية تحتوي على الاسماء الخاصة بوسائل القراءة وادوات الكتابة مثل الكتاب، والورق، والقلم، والمدرسة، والمعلم... فمن البديهي أن يكون الشراكسة قد مارسوا هذا الفن في دور من ادوار حياتهم منذ الازمنة التاريخية ويعتقد ان هذا الدور كان في زمن الحضارة الاغريقية، او قبل ذلك اي في زمن الامبراطورية (الكيميرية) التي كانت من اعضائها قبائل السند والكركت وغيرهما من اجداد الشراكسة *

* لمزيد من المعلومات حول تاريخ كتابة اللغة الشركسية يمكن الرجوع للمؤلفات التالية:
(١) كوبرز (١٩٥٥) في كتابه: (الفونيم والمورفيم في لهجة القبردي) الصفحة العاشرة.
(٢) العالمين ن. ف. ياكوفليف والبروفسور د. أ. اشحاماف (من الاديغي) اعضاء اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي الصادر في موسكو عام ١٩٤١ ، كتاب قواعد اللغة الادبية الشركسية ص: ٣.
(٣) احمد شردم، تاريخ كتابة اللغة الشركسية، مجلة الواحة – الجمعية الخيرية الشركسية/ عمان، العدد (١٦) السنة الثانية لعام ١٩٧٦ ص: ١٤-١٥.

ومن الواضح بأن اللغة الشركسية لم تكتب منذ القرن الرابع الميلادي وحتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وان اول من فكر بإحياء كتابة اللغة واوجد لها حروفا خاصة هو العالم الشركسي نغموقة شورا بكمرزا في عام ١٨٤٠، وقد استعمل الاحرف السلافية في بادئ الامر ثم وضع الف باء اخرى مستعملا الحروف العربية في عام (١٨٤٣) وسيتم مناقشته في المرحلة السابعة من تاريخ نشأة وتطور اللغة الشركسية [٢٢].

المرحلة السادسة: مرحلة توقف الكتابة باللغة الشركسية واستخدامها كلغة تخاطب وتفاهم فقط، حيث تشير الوقائع التاريخية بأنها لم تكتب بأي شكل من الاشكال لأكثر من (١٥) قرنا وهي المرحلة الزمنية الممتدة من القرن الرابع وحتى القرن التاسع عشر ميلادي وهي الفترة التي تعرضت فيها الامة الشركسية إلى مئات الغزوات البربرية وعشرات الحروب المدمرة من قبل دول وشعوب وأمم من خارج القفقاس ومن داخلها، وكان آخرها حرب الابادة والدمار التي تعرضت لها الأمة الشركسية من قبل روسيا القيصرية وبمساهمة مباشرة وغير مباشرة من العثمانيين الاتراك والايرانيين وتتار القرم والانجليز والفرنسيين وهي الحروب التي انتهت باحتلال الأراضي القفقاسية عامة والاراضي الشركسية خاصة من قبل المستعمر الروسي القيصري ابتداء من عام ١٨٦٤ [٦].

المرحلة السابعة: وهي مرحلة تعدد اللغات القفقاسية واللهجات لدى الأمة الشركسية (الاديغة) وظهرت في هذه المرحلة لغات قفقاسية متعددة بعد ان كانت في فجر التاريخ لغة واحدة ويقسمها (كليموف)* إلى ثلاث مجموعات لغوية، وهي على النحو التالي: [٧]

* نقلا عن كتاب كليموف ص: ١٣٤ – ١٣٥ مع بعض اضافات من الكاتب .

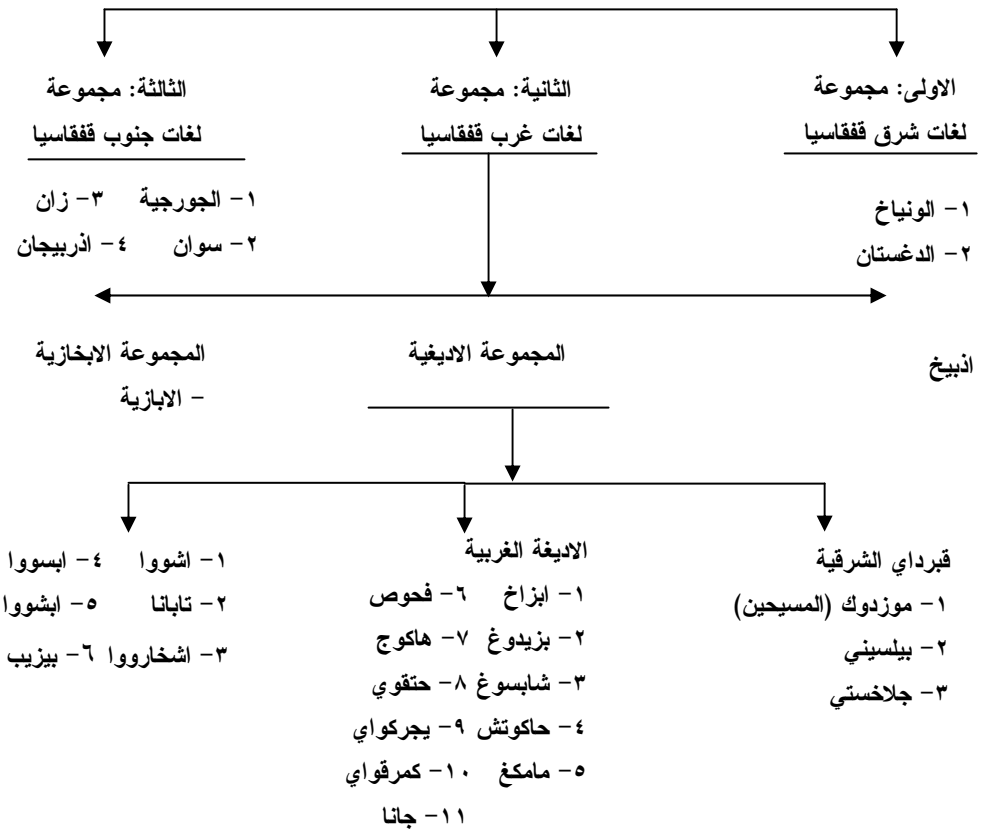

وفيما يلي تحليل للغات كل مجموعة، وعلى النحو التالي:

أولا: لغة مجموعة غرب قفقاسيا وهي مجموعة الشراكسة في الاديغي

يؤكد الباحثون المختصون بتاريخ اللغة الشركسية (الاديغة) بأن الشراكسة الذين يسكنون المنطقة الممتدة من نهر "دون" شمالا وحتى شواطئ نهر "أزوف" يتكلمون ويكتبون اللغة الشركسية المعتمدة على **لهجة الكمرقواي**.

كما يتحدث بها قرى الشابسوغ على سواحل البحر الاسود وفي كراسنودار، وكما يتحدث بلهجة الاديغة الشرقية والمسماة (قبرطاي) في جمهورية قباردينا بلقاريا وفي منطقة قراشاي – تشركيسك وفي ولاية ستافروبول.*

وتنقسم لغة الاديغة الغربية (لغة الاديغة القديمة القومية) من حيث اللهجة إحدى عشرة لهجة بمعدل لهجة واحدة لكل قبيلة من القبائل المذكورة في مجموعة لغة الأديغة الغربية كما هو مبين في المخطط السابق:

كما تعتبر لهجة مخوص ولهجة جانه من اللهجات التي انقرضت حيث لا يوجد اي شخص الآن يتحدث بها.

ثانيا: مجموعة لهجة لغة الاديغة الشرقية (لغة القبرطاي)، وهي لغة لا تختلف لهجاتها إلا ببعض الفروق الصوتية في أواخر الكلمات وتنقسم إلى ثلاث لهجات:

(١) لهجة بسلني.

(٢) لهجة جيلاخستني.

(٣) لهجة أهل مزدوج.

وتكتب لهجات لغة الاديغة الغربية بأحرف ابجدية معتمدة على لهجة ال "كميرقواي" اساسا لها، واللهجات الشرقية تعتمد في أحرفها الابجدية على لهجة ال "جيلاخستني"، ولا يوجد في أي من الابجديتين ما يشكل فارقا كبيرا حيث يتعدى الاختلاف بينهما أكثر من (٣٠-٥٠) كلمة، وهي الكلمات التي دخلت إلى اللهجة الشرقية من اللغات الاجنبية.

* نهاد برزج، اللغات القفقاسية، ترجمة سمير الدغستاني، دمشق عام ١٩٨٨، ص١٣-١٨.

كما أن الاختلافات في الاصوات بسبب اختلاف المناطق تبلغ ثمانية أصوات فقط، كما ان هنالك اختلافات في زوائد نهايات الكلمات.

ثانيا: مجموعة لغة الابخاز (الاباظة)

وهو فرع من لغات القفقاس الغربية، ولغة الباسك التي تتحدث بها الشعوب التي تسكن في منطقة جبال بيرية على الحدود الفرنسية الاسبانية هي ايضا من نفس الفرع.

في عام ١٩٦٤ تم العثور بجوار "مايكوب" على كتابة من داخل حفريات أثرية تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وعلى اثر الابحاث والدراسات التي اجراها العلماء المتخصصون في علوم تاريخ ولغات القفقاس في الاتحاد السوفياتي فقد تم الحصول على نتيجة ان لغة الاديغة ولغة الاباظة كانت تشكل لغة واحدة.

وفي سنة (٨٠٠) بعد الميلاد كان الابخاز (الاباظة) يشكلون دولة كبرى في قفقاسيا، وفي تلك الفترة كانت لغة الابخاز منتشرة في قسم من جورجيا وفي مناطق الاديغة ايضا.

واليوم يبلغ عدد الذين يتحدثون بلغة الابخاز في كل من الجمهوريتين (١٦٠) الف نسمة فقط.

وتنقسم لغة الابخاز إلى (٦) لهجات وأهمها هي:

(١) أبسوا: وهي اللغة القومية لجمهورية ابخازيا ذات الحكم الذاتي ومركزها سوخوم (أكو) وتتفرع إلى فرعين: ابيوا وبزيب، وتم في نهاية القرن التاسع عشر المباشرة بكتابتها بأحرفها الابجدية، واليوم لديهم أدب متطور بهذه اللغة.

(٢) ابازين: ويتحدث بها الابخاز الذين يقطنون في منطقة قراشاي – تشركيسك ذات الحكم الذاتي. وتنقسم إلى فرعين هما: أشيوا (تابانتا) وأشكها روفا.

وأما اللهجات الاربع الاخرى للابخاز وهي تابانتا، واشخاروا، وابودا وابشوا، وبيزيب منها لم تعد مستخدمة حالياً.

ثالثا: لغة الاوبيخ: *

يصف العلماء المختصون بلغات القفقاس بأن لغة الابيخ هي وسط بين لغة الابخاز ولغة الاديغة ويسمى الابيخ انفسهم (بيخ) ويسميهم الابخاز (سادز).

وفي عام ٥٠٠ للميلاد قام (الزيخ) وهم اجداد الاوبيخ بتوحيد كامل قبائل شمال غرب القفقاس ضمن اتحاد فيدرالي. ومع مرور الزمن تحول هذا الاتحاد الفيدرالي المستقبل للقبائل الممتدة من ابخازيا إلى شبه جزيرة تامان إلى دولة (زيخيا) واثناء ذلك اصبحت لغة الاوبيخ لغة مؤثرة في جميع مناطق شمال غرب القفقاس.

وفي القرن التاسع عشر كان (الاوبيخ) يعيشون في المناطق الممتدة من جاجري على شواطئ البحر الاسود جنوبا إلى نهر شاخة شمالا، وكان عددهم آنذاك يتراوح من ٥٠ – ٨٠ ألف نسمة.

وفي عام ١٨٤٠ للميلاد وبناء على قرار مجالسهم القومية قرروا تبني لغة الاديغة كلغة رسمية لهم * .

واليوم لا يوجد في قفقاسيا من (الاوبيخ) سوى بعض العائلات والتي تم اسكانها في مناطق اخرى. ولا يتحدثون بلغة الاوبيخ، كما يعيش في كل من قرى تركية وسورية والأردن ما يتراوح من ٢٥–٣٠ الف نسمة من الاوبيخ ويتحدثون بلغة الاديغة بدلا من لغتهم التي اندثرت تقريباً.

* ناميتوقة أيتك، كتاب اصل الشراكسة / باريس ١٩٣٩.

* مجلة قفقاسيا الجديدة، استانبول ١٩٥٨، عدد ١١.

حيث كان آخر شخص في العالم يتحدث بلغة الاوبيخ هو "توفيق اسنش" من قرية حاجي عثمان في تركيا وقام البروفوسير (جورج دوميزيل) المختص بلغات القفقاس في جامعة السوربون بدراسة لغة الاوبيخ لعدة سنوات، وقام بكتابة خمسة كتب تتعلق بقاموس للغة الاوبيخ وكتاب القواعد اللغوية للغة الاوبيخ وكتاب التاريخ والاقوال. ***

أما بالنسبة للغات المجموعة الشرقية والمجموعة الجنوبية في القفقاس والمتعلقة بلغات الويناخ والداغستان والجورجيين والاذربيجان والتسوان والزان فإنها خارجة عن موضوع بحثنا في هذه الموسوعة.

المرحلة الثامنة: وهي المرحلة الممتدة من مطلع القرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين. وهي المرحلة التي تم فيها احياء الكتابة باللغة الشركسية على فترات:

الفترة الاولى: وامتدت من عام ١٧٠٥ إلى عام ١٩٢٣

قام خلال هذه الفترة اكثر من باحث اجنبي واكثر من محاولة لإحياء الكتابة باللغة الشركسية منهم:

١) العالم الالماني (N.C Witsen) الذي اصدر كتيبا عن اللهجة القبردية عام ١٧٠٥ [١٠].

٢) العالم (لوليه) الذي وضع كتابا للصرف وقاموسا للالفاظ الجركسية وطبع ١٨٤٦ في اوديسا.

٣) العالم البولوني (ل. أوباتيسكي) الذي وضع كتابا حول مبادئ اللغة الجركسية وقاموسا للكلمات بلهجة قبيلة القبارداى مع اللغة الروسية (طبع بتفليس عاصمة جورجيا) وانتشر هذا الكتاب انتشارا واسعا في حينه. [١١]

*** كاتبه الدكتور ريكس سميث، حول اللغة الشركسية/ جامعة ليدن، هولندا، ١٩٧٤.

كما قام العالم الشركسي شورا بكمرزة نغمو (نغوموقة) ابتداء من عام ١٨٤٣ باحياء اللغة الشركسية كتابة ووضع قاموس الالفاظ الشركسية باللغة العربية عام ١٨٤٦ [٨].

وفي سنة ١٨٦٠ كتب أحد الكتاب الجراكسة من القبردي (حاتوقشوقة) كتابا في الهجاء الجركسي بحروف روسية [١٠] إلا ان الفكرة لم تنجح.

ويذكر كل من العالمين: مونتبيريه (١٨٤٢) ودرر (١٩٢٥) بأن لغة (سرية) خاصة بأمراء الشركس اسمها شاكوبزة (لغة الصيادين) كانت مستخدمة في هذه الفترة. وهي ليست لغة جديدة بقدر ما هو تحريف لبعض أحرف ومقاطع اللغة الشركسية بحيث يصعب فهمها على الآخرين.*

وفي هذه الفترة وابتداء من عام ١٨٥١ وقبل الاحتلال الروسي القيصري لبلاد الشراكسة بدأ تدريس اللغة الشركسية في المدارس وكانت اول محاولة لتدريس اللغة الشركسية في نالتشك عام ١٨٥١ وكذلك في مدرسة (سيتما فربول) الثانوية على يد "ويمر بيرسي" Womer Bersey الذي نشر عام ١٨٨٥ كتاباً لدراسة اللغة والادب الاديغي، كما نشر في مدرسة (نالشك) الثانوية كتاباً آخر عام ١٨٨٥ على يد (ل. لوباتنسكي Lopatinsky) كما نشر كتاباً ثالثاً في مختصر قواعد اللغة القبردينية عام ١٨٩١. كما كان هناك عدة مدن اخرى تدرس فيها اللغة الشركسية بما فيها مدينتا اكترينودار وبتالباشنسك. ووجدت مخطوطات عديدة عن القصص الشعبية الشركسية يعود تاريخ تأليفها إلى النصف الاول من القرن الماضي على يد القاضي (اتانشوخين) واخرين [١٢].

* لمزيد من المعلومات حول لغة الصيادين الشركسية السرية يمكن الرجوع إلى الجزء الاول من كتاب مونتبيرية عام ١٨٤٢ ص: ٨٢ وكتاب (ودرر) عام ١٩٢٥ ص: ١٤٧.

هذه بالنسبة للجهود التي بذلها علماء من اوروبا وروسيا والشراكسة في الوطن الام، أما بالنسبة لمساهمات بعض شراكسة المهجر، فكان لهم مساهمات جادة في احياء اللغة الشركسية وفي مقدمتهم (اجاويد باشا) من شراكسة المهجر في الدولة العثمانية، وبالرغم من الحظر الذي كان مفروضا على نشر وتعليم اللغة الشركسية او تدوين التاريخ القومي الشركسي، فإن (اجاويد) الشركسي الأصل وعضو جمعية التعاون الجركسية في تركيا (آنذاك) قام بتأليف كتيب عن اللغة الشركسية باستخدام الأحرف العربية عام ١٨٨٥.

ولما تشكلت الحكومات الدستورية بتركيا امكن نشر وكتابة لغة (الأديغة) بحرية وأصدروا جريدة (غوازه) التركية / الجركسية لنشر كل ما يتعلق باللغة الشركسية بحروف تركية وجركسية، وكل ما فيه فائدة للأمة الجركسية.

الفترة الثانية: وهي الفترة التي استخدمت فيها الاحرف اللاتينية في كتابه اللغة الشركسية وامتدت هذه الفترة من عام (١٩٢٣ وحتى عام ١٩٣٦).

وكان من رواد الكتابة بالاحرف اللاتينية في الوطن الام هو ماميتوكوف صاحب اول كتاب يصدر باستخدام الاحرف اللاتينية. وبعد ذلك صدرت كتب عديدة باستخدام الاحرف اللاتينية وكان آخرها عام ١٩٣٦.

وفي أوائل عقد العشرينات عقد مؤتمر (تنوير القفقاسيين) في كيزلوفودسك، وكان من نتائجه أن افتتحت مدارس للتعليم باللغة الوطنية المحلية في شمال القفقاس وما إن حل عام ١٩٢٥ حتى تبني الروس ابجديات منفصلة للكياخ واللهجات القبردينية وقواعد نحوية منفصلة للهجات اللغة الواحدة رغم الاثارة المتكررة على ضرورة توحيد جميع الابجديات في شمال القفقاس، وخلق لغة ادبية واحدة لجميع اللهجات إلا أنها لم تلق آذانا صاغية في المؤتمرات الذي عقد لبحث هذه المسألة في الاديغي Adyge وشيركاسيا، وشيشان وانجوشيا، وقراشي وبلكاريان وجمهورية

داغستان إلا أن هذه المؤتمرات لم تحقق أية نتائج عملية لمحاربة الروس لفكرة توحيد لغات شعوب القفقاس الشمالي.

وفي عام ١٩٣٠ دعت لجنة الابجدية الجديدة التابعة لمجلس القوميات في موسكو برئاسة (جلال كوركاسوف) إلى مؤتمر جديد حول ضرورة توحيد اللغة، وقرر توحيد الابجدية القبردينية والشركسية، والشيشانية الانجوشية والقراشية والبلقار، والداغستانية والابجديات الاخرى. ولم يتمخض عنه شيء لأن المسألة أثيرت لإصلاح الابجديات باستخدام الاحرف السلافية Cyrillie . وابتداء من العام الدراسي ١٩٣٠-١٩٣٢ اصبح لدى معظم مدارس جمهورية كباردينو بلقاريا كتب دراسة باللغة الشركسية باستخدام الاحرف اللاتينية وفي عام ١٩٣٢ تأسس معهد التربية والعلوم وبدأت تدرس اللغة الشركسية [١٣].

ومن ناحية اخرى فقد اهتم العديد من شراكسة المهجر بإحياء الكتابة باللغة الشركسية في هذه الفترة ومن أهم الذين كانت لهم مساهمات لغوية فاعلة هم:

(١) عالم اللغة السيد (بيجيوا عمر)، وهو من ابخاز /تركيا، حيث عمل أكثر من عشرين عاما وبإمكانياته الذاتية على اجراء الدراسات والابحاث على اللغة الابخازية وقام بنشر أربعة كتب بهذا الخصوص [١٤].

(٢) الدكتور نياز باتوقوه، من شراكسة سوريا ودرس في السوربون، وقام بإعداد رسالة دكتوراه في علم اللغات، حيث كان موضوع بحثه: "اللغة الشركسية" (الابزاخ) [١٥].

(٣) أمين سمكوغ، من شراكسة سوريا الذي قام بافتتاح مدرسة لتدريس اللغة الشركسية في القنيطرة عام ١٩٣٢ [١٦].

(٤) بله ناوقوه تابوق هارون، واصدر كتابه باسم مذكرات اللجنة اللغوية في جمعية التعليم والتعاون الجركسية في دمشق، ونشرت الدراسة التي وضعتها اللجنة حول اللغة الشركسية عام ١٩٢٨ في (٣٥) صفحة.

وأما بالنسبة للعلماء والباحثين الاجانب الذين كانت لهم مساهمات في هذه الفترة فهم:

(ريكس سميث) من جامعة (لايدن في هولندا) بالإضافة إلى اساتذة من جامعات اوسلو وكندا وهامبرغ وكولومبيا الاميركية وكامبردج الانجليزية الذين كتبوا مئات المقالات وعشرات الكتب، بالإضافة إلى العديد من الابحاث العلمية على شكل رسائل الدكتوراه والماجستير حول نشأة وتطور اللغة الشركسية [١٧].

الفترة الثالثة: وهي الفترة التي تحولت فيها الكتابة باللغة الشركسية من الاحرف اللاتينية إلى الاحرف السلافية (Cirillic) ابتداء من عام ١٩٣٨ وحتى عقد الخمسينات من القرن العشرين.

وتطورت كتابة اللغة الشركسية في هذه الفترة تطورا ملحوظا إلا انها لم تتحول إلى لغة علم وادب وبقيت لغة تدرس في المدارس الابتدائية والثانوية وكان من رواد وخبراء اللغة في هذه الفترة داخل الوطن الام كل من:

* أوختوف Okhtov ونشر قاموسا باللغة الشركسية والروسية.
* لولي (L.Lyule) ونشر قاموسا شركسيا بلهجة القبردينية.

وقد بلغ عدد المدارس في جمهورية كباردينا بلقاريا حوالي ٢٤٩ مدرسة تدرس اللغة الشركسية في هذه الفترة، وكانت نسبة الطلبة الذين كانوا يدرسون اللغة الشركسية في القبردي ٢٤% من مجموع طلبة المدارس وفي الاديغية كانت نسبتهم ١١% وفي تشركيسيا ٩%.

وكان أكثر العلماء المختصين في تأليف طرق تعليم اللغة الشركسية في المرحلة الابتدائية هو نيكولا باغ Nicola Bagh من مدينة نالتشك [١٨].

أما روادها من شراكسة دول الشتات في المهجر عامة وفي تركيا خاصة كل من محمد علي بجتالوقة وهارون وحلمي تسيما [٢٠].

وفي الأردن فإن الدكتور شوكت المفتي كان من المهتمين بالتاريخ واللغة الشركسية حيث أعد كتابا حول قواعد اللغة الشركسية باللغة الالمانية عام ١٩٧٨ بعنوان

Die Sprachwissenschaft des Tscherkessischen Heidelberg, 1978.

الفترة الرابعة: وهي الفترة التي تحولت فيها اللغة الشركسية إلى لغة أكاديمية تستخدم في كتابة الادب وفقه اللغة الشركسية وتدرس على مستوى المراحل الجامعية الثلاث (البكالوريوس والماجستير والدكتوراه).

وهي الفترة التي بدأت مع تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية، ابتداء من العقد الخامس من القرن العشرين في جمهوريات كباردينا، بلقاريا، وقراشاي تشيركيسيا، والاديغي، وانقسمت اللغة الشركسية في هذه الفترة إلى لغتين ادبيتين مستقلتين عن بعضهما وهما: الاديغية Adyge والقبردينية .

وتسمي اللغة الاديغية لغة الكياخ Kyakh وتشمل لهجاتها البزادوغ، والكاميرجوي Kemireoi والشابسوغ والابزاخ Pbadzekh والخاكوش Khakuchi واللغة الاديغية الادبية مبنية على لهجة (الكميرجوي والبزادوغ).

أما اللغة القبردينية فتحتوي على عدة لهجات لا تكاد تختلف عن بعضها وهي مجموعة من لهجات القبردينية الكبرى والقباردي الصغرى، والقبردينية المذدكوية (نسبة إلى شراكسة المذدوك المسيحيين)، إضافة لمجموعة اللهجات البسلانية للمنطقة الشركسية في جمهورية قراشي – تشركسيا. وتستخدم هذه اللغة لهجة القبردي الكبرى كلغة ادبية.

وربما كان أحدث تقسيم للغة الاديغة الشركسية في الوطن الأم هو تقسيمها إلى:

* لغة الاديغة الغربية (لغة الاديغة الوطنية القديمة).
* لغة الاديغة الشرقية والمسماة باللغة القبردينية.

وتنقسم لغة الاديغة الغربية (لغة الاديغة القديمة الوطنية) من حيث اللهجة إلى اللهجات التالية:

(١) ناتيكواج.
(٢) شابسوغ.
(٣) هاكوج.
(٤) ابزاخ.
(٥) بزادوغ.
(٦) حتوقاي.
(٧) تشمير جواي.(كميرقواي)
(٨) مامكيغ.
(٩) يجر كواي.
(١٠) مخوص (فحوش).
(١١) جانا.

أما لهجات لغة الاديغة الشرقية (لغة القبرطاي)، فلا تختلف لهجاتها الا ببعض الفروق الصوتية في أواخر الكلمات وتستخدمها ثلاث قبائل من القبرطاي كما أن اللغة الادبية الغربية تأسست بأحرف ابجدية معتمدة على لهجة ال "كميرجواي"، واللهجات الشرقية (القبرطاي) تعتمد في أحرفها الابجدية على لهجة ال "جيلاخستني". ولا يوجد في أي من الابجديتين ما يشكل فارقا جوهريا والاختلاف لا يتعدى في أكثر من (٣٠-٥٠) كلمة أو كلمات دخلت إلى اللهجة الشرقية من اللغات الاجنبية.

والاختلافات في الاصوات بسبب اختلاف المناطق تبلغ ثمانية اصوات، كما أن هنالك اختلافات في زوائد نهايات الكلمات [٢٢]، كما سبقت الإشارة إليها.

الفترة الخامسة: وفيها تتم عملية مراجعة اللغة الشركسية والبحث عن افضل الوسائل لتبسيط الكتابة وتحويلها إلى لغة عالمية، والتفكير الجاد للعودة إلى استخدام الاحرف اللاتينية إلا أن المشكلة الرئيسية هو استخدام الاحرف السلافية لاكثر من (٦٠) عاما تم خلالها تأليف عشرات الالوف من الكتب والمراجع بالاحرف السلافية ويقوم العالم (كيوبر) A. H. Kuiper بوضع طريقة او استراتيجية لتغيير الاحرف اللاتينية [٢٣].

كما يتم في هذه الفترة محاولة توحيد اللهجات الشركسية بلغة واحدة (لفظا وكتابة) وربما أكثر المهتمين بتطوير اللغة الشركسية وتوحيد لهجاتها هو الباحث في اللغة الشركسية (عز الدين سطاس) من شراكسة سوريا في المهجر منذ عام ١٩٩١ الذي وضع دراسة حول فقه اللغة الشركسية وخصائصها وامكانات توحيد اللهجات الشركسية في لغة واحدة لفظا وكتابة وعرضها على بعض المختصين من ادباء اللغة في الوطن الأم، إلا أن الفكرة رفضت منهم جملة وتفصيلا وكتب حول هذا الموضوع بنوع من الالم والحسرة في مجلة الاخاء الشركسية قائلا:

"ترى ما الذي دفع (ادباء اللغة في الوطن الام) إلى رفض مشروع يدعو إلى وحدة اللغة الشركسية لفظا وكتابة وتطويرا؟ هل هو الجهل بأهمية وحدة اللغة ودورها في المسألة القومية؟! أم هناك قناعة بعبثية المحاولة، واستحالة تحقيقها؟! أم الخوف من رد فعل روسي، وانعكاساته على مسألة البقاء والوجود؟ لكن أما كان بالإمكان، ولو من قبيل المجاملة الاطلاع على البحث، ومناقشته بهدوء في الساحة الثقافية على الأقل لاستخراج الآراء في مسألة تتميز بأهمية خاصة؟!

ويعتبر (سطاس) بأن اللغة الشركسية هي جميع اللهجات التي يتحدث بها الشركس، وتلك التي على طريق الانقراض، أو انقرضت بعد أن تعرض ابناؤها للابادة، ولعل العلة الأساسية في أزمة هذه اللغة، تكمن في عدم توحيد هذه اللهجات، في لغة واحدة لفظا وكتابة، رغم وحدة اصولها وجذورها، وتوفر مقومات توحيدها.

وتعتبر مسؤولية استمرار هذه الأزمة مسؤولية عامة، وحيثما وجد الشركس، ويتحمل العاملون في مجالات اللغة، والأدب، والثقافة بشكل عام مسؤولية خاصة، سواء كانوا داخل الوطن الام، أم خارجه، كما تتحمل السلطات السياسية في الكيانات الشركسية مسؤولية خاصة، ذلك انه دون دعم هذه السلطات لا يمكن توحيد اللغة وتعميمها رسميا.

كما يقول بأن ظاهرة تعدد اللهجات ظاهرة عامة، لا ظاهرة خاصة تنحصر بشعب دون آخر، فقد شهدت معظم شعوب العالم هذه الظاهرة، وتعود أسبابها إلى عوامل كثيرة، سياسية وبيئية، وتعتبر ظاهرة طبيعية، ما دامت على طريق التوحد، وتصبح ظاهرة مرضية مع استمرارها، قد تدفع هذه اللهجات إلى الاندثار، أو التباعد، فتتشكل من هذه اللهجة أو تلك لغة جديدة تكون على الاغلب لغة ضعيفة، لا تملك مقومات الصمود في وجه اللغات الأكثر حيوية، وقد تتحول في أحسن الاحوال إلى لغة هجينة، لا حول لها ولا قوة في مواجهة تحديات وجودها. ان استمرار الكيانات السياسية دون لغة واحدة تشكل اطارها الروحي، سيؤدي مع الزمن إلى تحول اللهجات إلى لغات بعيدة عن أصولها وجذورها.

ويؤكد بأن اللغة الشركسية اصيبت بالضعف وبالعجز عن استيعاب الكثير من مستجدات عملية التطور، وأخذت تظهر بمظهر اللغة الجامدة، العاجزة عن المواكبة حتى أن بعضهم بات يتساءل عن جدوى تعلمها، وتطويرها ناسيا أو متناسيا مسؤوليته المباشرة فيما آلت إليه اللغة، ودون أن يدري بأن قوة اللغة أو ضعفها رهن علاقته بها، ورهن السوية التي ارتقاها ابناؤها في مضمار التطور المادي والروحي. كما يعترف بأن الوضع (الجيوبوليتكي) على انه يؤثر سلبا، على مسألة توحيد اللهجات في لغة واحدة، لكن هل ترتبط مسألة توحيد اللغة بالوضع (الجيوبوليتيكي) إلى درجة استحالة توحيد اللغة، قبل حل المشكلة (الجيوبوليتيكية)؟ لقد وحد العرب لغتهم لفظا وكتابة، قبل أن يتحدوا سياسيا.

ويحذر من امكانية زوال اللغة الشركسية واندثارها بقوله: (اللغة الشركسية ايضا، لا تعيش حالة السكون المطلق، لكن شأنها في ذلك شأن الناطقين بها، كان تطورها بطيئا وصعبا لقد تعرضت اللغة الشركسية لظروف قاسية جدا، وكادت ان تندثر، واثبتت حيويتها، بدلالة صمودها وبقائها على السنة ابنائها، ولا سيما في الشتات غير ان هذا لا يعني ان هذه اللغة بخير، وانها تملك مقومات صمود أبدية، فالعوامل التي ساعدت على صمودها حتى الان تتعرض للتآكل وقد تزول نهائيا، وهناك مؤشرات قوية على هذه الامكانية تدق ناقوس الخطر.

واختتم (سطاس) دراسته بقوله: (ويقينا لا نرى في الازمة التي تعاني منها اللغة الشركسية أزمة عصية على الحل، انها ازمة، يكمن مفتاح حلها، في الايمان بوحدة اللغة، ودور اللغة الواحدة في مسألة الهوية، وفي قرار فاعل يجسد رغبة صادقة). [٣١]

النظريات والفرضيات التي تبحث في منشأ اللغة الشركسية وأصلها (اديغا بزة)

نستنتج من الدراسات والابحاث التي اجراها علماء اللغة عامة وعلماء الشراكسة خاصة (بالرغم من قلة عددهم) نستنتج وجود أكثر من نظرية وفرضيات تبحث في منشأ اللغة وأصلها الشركسية (اديغابزة) وأن عدد النظريات تصل إلى خمس نظريات والفرضيات إلى اربع فرضيات يمكن تلخيصها على النحو التالي:

النظرية الاولى: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية (اديغابزة) هي لغة حثية:

ومن أصحابها المؤرخ الروماني (ديموستين) وهو من المؤرخين الذين اكدوا بأن منشأ اللغة الشركسية هي احدى اللغات الحثية (السبعة) وتوصل أصحاب هذه النظرية إلى هذه النتيجة من الدلائل والقرائن التالية:

١- اللغة الحثية ثابت بأنها لغة تركيبية ، واللغة الجركسية أبرز مثال للغات التركيبية.

٢- في اللغة الحثية تحرك آخر حرف في الكلمات، وهذا يشابه اللغة الجركسية تماما.

٣- أظهر الاكتشفات الاثرية في جنوب القفقاس وجود تشابه كبير بين الحروف والعلامات التي تستعملها العائلات الجركسية لدمغ الحيوانات الخاصة بهم وتسمى (دامغة) ومن الاحرف الحثية.

٤- إن اللغات القفقاسية الحالية هي سبع لغات (الاديغة والآبخاز واوبخ والجاجان واللزكي والداغستان والسفانية) وهي التي تكوّن اللغات الحثية السبعة.

٥- العديد من أسماء ملوك الحثيين لها معاني باللغة الشركسية ومن أمثلة ذلك:

* بيتحاناش – الملك المؤسس للدولة الحثية – وكلمة حاناش معناها باللغة الجركسية (الكلب الاحول).
* لابرناش – ملك حثي – ومعنى (لابر) (في الحاثية لابارنا).
* ماؤزير – ملك حثي ومعناه ماؤ الأول أي أن (زير) معناه الواحد وكذلك فإن اسم ماو دارج الاستعمال إلى اليوم لدى الشراكسة.
* ماؤطؤر – ملك حثي، ومعناه ماؤ الثاني (طؤ) معناه (اثنين) باللغة الشركسية.

٦- وجد العديد من اسماء المواقع والمدن والعشائر لدى الحثيين لها معاني مرادفة لها في اللغة الشركسية منها:

* طؤابسين: ومعناه النبع المزدوج أو البئر المزدوج.
* تحابسين: ومعناه بئر الله (تح) معناه (الله) (بسين) معناه منبع أو ماء.
* حاتوشاش: وهي عشيرة شاش موجودة بين الجراكسة حتى وقتنا الحاضر.
* شاسي، حاتي، وهي أسماء لعشائر جركسية موجودة حاليا في قفقاسيا.
* حاتوكوي اسم بلدة جركسية في القفقاس ومعناه موطن الحات.

* كاسخي: قاسوخي: قبيلة حثية، لعلها قبيلة الشابسوغ الجركسية التي كانت تسمى قديما (قاسوغي) او قاسوغ.
* ليك: قبيلة حثية، (وليك) هو الاسم القومي حاليا للداغستان.
* تحة شؤب: اسم (إله حثي) ومعناه الصريح باللغة الجركسية (الإله الردئ) ولعله كان إله الشر أو إله الحرب لدى قدماء الشراكسة.
* حت أو حات: وهو الاسم القومي للحثيين وحاتقواي اسم لقبيلة جركسية كبيرة ومعناه (منشأ الحات) وحتقوة اسم لعشيرة من الآبزاخ ومعناها ابن (حت). (٢٤)

النظرية الثانية: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية مشتقة من اللغة الفينقية

يؤكد بعض المؤرخين بأنه كان للشراكسة قديما علاقات تجارية وثقافية مع اليونانيين والفينقيين وانهم استعملوا أحرفا شبيهة بالأحرف الفينيقية في لغتهم وحجتهم في ذلك، الدلائل والقرائن التالية:

١- تدل الاكتشافات الاثرية في قفقاسيا وجود كتابات فينيقية في بلاد الأبخاز القدامى منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد.
٢- أصحاب هذه النظرية، يؤكدون على وجود تشابه كبير بين الكثير من الكلمات الاغريقية والكلمات الشركسية والقفقاسية، ويتضح ذلك من تحليل اللغة اليونانية القديمة كما جاء في كتاب (الاناضول القديم).
٣- من الأدلة التي يستند عليها اصحاب النظرية القائلة بأن اصل اللغة الشركسية مشتقة من اللغة اليونانية هي نتاج الدراسات التي أكدت بأن دولة من دول اليونان القديمة جاورت بلاد الجركس وأنهم أنشأوا في الأعوام ما بين ١٠٠٠ – ٢٠٠٠ ق. م. مستعمرة تجارية على سواحل البحر الأسود الجنوبية وفي منطقة قفقاسيا الشمالية بالتحديد والتي تعتبر

الموطن الاصلي للشراكسة (الاديغة) منذ القدم حيث تم اكتشاف مسكوكات نقدية في بلاد (الاديغة) مكتوب عليها بالأحرف اليونانية.

النظرية الثالثة: وخلاصتها بأن اصل اللغة الشركسية مشتقة من اللغة السومرية

وصاحب هذه النظرية هو العالم اللغوي الشركسي (ابراهيم ادهم بج) مكتشف العلاقة بين اللغتين الشركسية والسومرية حيث جمع مئات الكلمات والمصطلحات المكتوبة باللغة السومرية وقارنها بكلمات ومصطلحات مستخدمة في اللغة الشركسية فوجد تطابقاً (شبه) كامل بين اللغتين السومرية والشركسية من حيث اللفظ والمعنى.

وفيما يلي نماذج من مقارنة كلمات ومصطلحات سومرية ومصطلحات شركسية معتمدا في ذلك على الدلائل والشواهد التالية:

١- الكتابة السومرية تستخدم الكتابة المسمارية ولها ثلاثة انواع من العلامات وتمثل كل واحدة (العلامة) الدالة، (المقاطع الصوتية) فعلامة الضم مثلا تلفظ (gu) والعلامة الدالة توضع قبل الكلمة لتحديد معناها مثل كلمة (Daza) ولها اكثر من معنى فإن وضعت علامة أو صورة (اسنان) (Daza) تعني (سن) وان وضع صورة جنود وعساكر يكون المعنى (جيش) ويلاحظ بأن اللغة السومرية تتضمن بعض الكلمات التي لها اكثر من ثلاثة وأربعة معاني، وكذلك الأمر في اللغة الشركسية فلها نفس المعاني.

٢- اللغة السومرية لغة مقطعية، وكذلك اللغة الشركسية (لغة الاديغة)، وهذا يعني حقيقة هامة أن لكل حرف من حروف هذه اللغات المقطعية معنى، فحرف (آ) تعني اليد، وحرف (ب) تعني طرف أو أنف والمقطع المؤلف من حرفي (آب) يعني طرف اليد والكلمة تتألف من مجموعة من المقاطع والحروف فيها مجموع معانيها فاحرف (آ ب ش) تعني (رسغ طرف اليد).

٣- معاني الحروف ثابتة لا تتبدل مع الزمن ومع تطور اللغة لأنه إذا تبدل معنى أحد الحروف فسيبدل معاني مئات الكلمات التي يدخل في تركيبها هذا الحرف ويؤثر على اللغة من أساسها لذلك كان من المستحيل ان يتبدل معنى الحرف مع الزمن. وهذا هو سر احتفاظ اللغة الشركسية وعدم اندثارها او اختفائها كما حدث في لغات قديمة كثيرا.

٤- ثبات معاني الحروف والمقاطع، وبالتالي ثبات الكلمات هو الذي يمكننا من فهم اللغة السومرية بعد قرابة خمسة آلاف عام. إن الكلمة السومرية لا تفهم للوهلة الأولى باللغة الشركسية لقدمها، ولكننا عندما نحللها إلى مقاطعها وحروفها ونرى معانيها الثابتة يتبين لنا المعنى واضحا وهو يطابق تماما المعنى الذي أعطي للكلمة السومرية اصلا.

٥- ثبات معاني الحروف والمقاطع هو من خصائص هذه اللغات. ولولا هذه الخاصية لضاعت هذه اللغات وحدثت فيها اخطاء إلا أن هذا الثبات لا يعني ان هذه اللغات لم تتطور وانما التطور الحاصل فيها يحدث في اسلوب جمع الحروف والمقاطع وترتيب الجملة ونلاحظ هذا التطور تماما بمقارنة اللغة السومرية القديمة وباللغة الشركسية اليوم.[٢٥]

٦- بالرجوع للقاموس السومري [٢٦] وجد بأن اكثر من ٨٠% من الكلمات والاحرف السومرية لها نفس اللفظ ونفس المعنى باللغة الشركسية وفيما يلي بعض المقارنات بين اللغتين السومرية والشركسية:

اللفظ بالسومري	اللفظ بالشركسي	المعنى بالعربي
A-ZU	آزه	طبيب
A	أ	يد
ku	قُ	خنزير
αd-dα	أدا	أب
en- yen	ين	كبير
gα	شا	حليب
gissu	جاوَ	أمل
Tus	طس	اجلس
Nin	نَنَ	أم
Kα-gα	جا	فم
Ku	كَو	اذهب

نستنتج مما تقدم وجود تطابق في اللفظ والمعنى في الكلمات والمصطلحات في اللغتين السومرية والشركسية مما يدل على ان اللغة الشركسية مشتقة من اللغة السومرية او العكس.

النظرية الرابعة: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية تعود في أصلها للغة الايبرية

وهي احدى اللغات (الهندواوروبية) وهي من اقدم اللغات في العالم واصحاب هذه النظرية يعيدون أصل اللغة الشركسية إلى اللغة القفقاسية الأم (الأيبرية) وهي لغة شبيهة باللغة الباسكية الحالية واللغة الاتروسيكية القديمة المستخدمة في شمال ايطاليا، وان اللغة الايبرية كانت تستخدم قديما في آسيا

الصغرى واصحاب هذه النظرية يعتبرون اللغة الشركسية من أقدم اللغات (الهندواوروبية) وانها اقدم من السامية والطورانية والتركية.

وأصحاب هذه النظرية يقدمون لنا بعض الادلة والشواهد اللغوية لإثبات صحة ما يذهبون إليه حول اصل اللغة الشركسية وعلى النحو التالي:

١- الشراكسة ينتمون عرقيا إلى السلالة (الهندية الاوروبية) وبالتالي لا بد من ان تكون لغتهم واحدة او متشابهة.

٢- توصل علماء اللغة الاوروبيين إلى وجود تشابه بين قواعد اللغة الشركسية وبعض اللغات الاوروبية، وكذلك تشابه من حيث تركيب الكلمات ومخارجها ويؤكدون على ذلك بالأمثلة التالية [٢٧].

٣- (خاء فوقها نقطتان): يلفظ كما تلفظ (ch) الالمانية (خه) كما في كلمة (خاسه) بمعنى (المجلس) وتنطق بالخاه والهاء مدغمتين.

٤- الهمزة إذا تقدمها حرف (ب) الساكن ينطقان معا. وكذلك إذا تقدمها (ج) و (ص) و (ك) و (ف) مثل (بئه) بمعنى فراش و (جئه) بمعنى جديد.

أمثلة لبعض الكلمات الجركسية المشابهة لفظا ومعناً للكلمات الاوروبية (أي الهندية الاوروبية):

جركسي	لغات اوروبية	عربي
طؤ	Deux (فرنسي)	اثنين
مازه	Mois (فرنسي)	شهر
وونه	Vona (هولاندي)	مسكن
خبزه	Habit (انجليزي)	عادات
واصه	Wasa / (روسي)	مهر (صداق)

بسه	Psy (رومي)	روح
تحه	Theo (رومي)	اله
طو	دو (فارسي)	اثنين
شي	شه (فارسي)	ثلاثة
مازه	ماه (فارسي)	شهر
ارى	ارى (فارسي)	نعم

النظرية الخامسة: وهي احدث نظرية وخلاصتها ان اللغة الشركسية تنتمي إلى اللغة الآشوية القديمة لأجداد الاباظة والابخاز والابيخ.

وظهرت هذه النظرية عام (١٩٦٣) بعد (مكتشفات مايكوب) عاصمة جمهورية الاديغية الحالية في الوطن الام، ونشرت المعلومات الاولية عن الكتابات القديمة التي تعود إلى القرنين الثالث والثاني عشر قبل الميلاد وصدر كتاب حول نتائج تحليل هذه الكتابات وسميت بالكتابة (الكولخيدية الابخازية القديمة) وفي عام ١٩٦٨ تغير اسم الكتابة إلى (الاشوية) بعد اكتشافات منطقة (صوخومي) على ساحل بحر الاسود والتي يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد ويقول العالم (تورتشانيتوف) مؤلف كتاب (اكتشافات وفك الرموز القديمة) الموجودة على اللوحات البرونزية العائدة للقرن التاسع عشر قبل الميلاد وعلى إنائين فضيين وجدا في مقبرة مايكوب الشهيرة والعائدة في تاريخها لمنتصف الالف الثالث قبل الميلاد حيث وجدت خارطة محفورة على احد الإنائين تبين البلد الذي صنع فيه الاناء. يستدل منها انه صنعت في بلد (الاشويين) والذين كانوا يقطنون على مساحة كبيرة في ذلك الوقت تبدأ من ساحل البحر الاسود جنوبا ومن (مايكوب) شمالا ونهر (الكوبان) في الشمال الغربي ووصولا إلى (ربون) في الجنوب الشرقي وهي

المنطقة التي كان يسكنها الشراكسة (الاديغة) قبل التهجير في منتصف القرن التاسع عشر ويضيف قائلا... "بأن الابخاز حتى الآن يسمون الاباظة (اشبوا) اما سكان (آشو) كما هو وارد في الاساطير القديمة فيسمون (آشي) وهي منطقة على ساحل البحر الاسود شمال غرب القفقاس ويعتقد بأنها كانت الموطن الاصلي لقبيلة الاباظة[٢٨].

بالاضافة إلى النظريات الخمس الاساسية التي تبحث في أصل ومنشأ اللغة الشركسية سابقة الذكر هناك الفرضيات الثانوية الاخرى التي تبحث في أصلها منها:

الفرضية الأولى: ان اللغة الشركسية تعود اصلها إلى اللغة العربية وان هناك تشابهاً بين بعض الكلمات (معنى ولفظا) في اللغتين العربية والشركسية.

الفرضية الثانية: ان اللغة الشركسية هي لغة سلافية لوجود تشابه في بعض الالفاظ والمعاني.

واعتقد بأن هاتين الفرضيتين ضعيفتين لعدة اسباب منها:

١- لم يدخل العرب المسلمون بلاد القفقاس إلا في القرن (٢٢)هـ بينما المكتشفات الاثرية والجيلوجية تشير إلى وجود آثار الانسان في مدارج الانهار القفقاسية تدل على وجود الانسان فيها منذ (١٥-٢٠) الف سنة [٢٩].

٢- اما بالنسبة لربط اللغة الشركسية باللغة السلافية فإنه أمر غير منطقي علميا لأن الكتابة السلافية ظهرت في القرن الرابع او الخامس الميلادي بينما النظريات السابقة تؤكد بأن وجود اللغة الآشووية تعود إلى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد [٣٠].

نستنتج مما تقدم بأن اللغة الشركسية، هي لغة قائمة بذاتها وأن لها قواعدها، وفقهها وأنّ الشراكسة منذ عصر الأجداد استخدموا اكثر من أحرف في كتابة لغتهم في أكثر من مرحلة من مراحل العصور التي مرت فيها أجداد الشراكسة وحتى يومنا الحاضر، حيث استخدموا في مرحلة الأحرف الفينقية، وفي مرحلة ثانية استخدموا الأحرف الحثية، وفي مرحلة ثالثة استخدموا الأحرف السومرية، كما استخدموا في المرحلة الرابعة الأحرف الاشوية، وفي العصور الحديثة فإنهم استخدموا الأحرف العربية، ثم الأحرف اللاتينية، وفي وقتنا الحاضر يستخدمون الاحرف السلافية وبالتالي فإن استخدام أحرف لغة من اللغات سابقة الذكر لا يعني بالضرورة أن تكون اللغة الشركسية مشتقة من تلك اللغة أو أنها تعود في أصلها إلى لغة من اللغات التي استخدمت أحرفها. وقد يعود في أصلها إلى اللغة الآيبيرية القوقازية، وأنها من اللغات القديمة في العالم ويرجع منشأها إلى ما قبل ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد على الأقل.

مصادر ومراجع

الفصل الثاني من الجزء الثاني في المجلد الأول

١) توزتشانيتوف غ. ف.، اكتشافات وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس من منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الرابع بعد الميلاد، مخطوطة باللغة الروسية، ترجمة الدكتور عمر شابسوغ، دمشق عام ١٩٩٠، ص١٠.
٢) بج، منذر: العلاقة بين اللغتين السومرية والشركسية (اسطورة، ملحمة، تراث) حلب عام ١٩٩٦.
٣) سمكوغ، برزج، الشركس في فجر التاريخ، مصدر سابق، ص٣٣-٣٥.
٤) تورتشانيتوف، مصدر سابق، ص: ٣١.
٥) آبه زاو – مصدر سابق، ص: ٣٦٩-٣٣١.
٦) نغموقة – مصدر سابق، ص: ٤٠
٧) م. كليموف، تقسيم اللغات القفقاسية – منشور في عام ١٩٦٩، ص: ١٣٤-١٣٥ ترجمة باتري اوزييك عام ١٩٨٨.
٨) نغموقه، قاموس الالفاظ الشركسية عام ١٨٤٠.
٩) حاتوقشوقه، الهجاء الجركسي بالحروف الروسية عام ١٩٦٠ (لا يوجد منها نسخ حاليا) حسب قول شورا بكمرزة في كتابه تاريخ القوقاز ص: ٢٣٤-٢٣٥.
١٠) جموخة أمجد، مصدر سابق، ص٢٤٨.
١١) رشدي، راسم (باحث مصري من اصل شركسي)، دائرة المعارف الاسلامية، ص: ٢٣٩.
١٢) بالاس. ب س، رحلات إلى الاقاليم الجنوبية الشركسية من الامبراطورية الروسية ١٧٩٣ – ١٧٩٤ (باللغة الروسية) تجميع واعداد وصفي ميرزا، ترجمة واخراج فهمي شما، عمان ١٩٨٢.
١٣) المصدر نفسه ص: ٢٥٢.

١٤) برزج، نهاد، اللغات القفقاسية (باللغة التركية)، ترجمة سمير الدغستاني، عمان ١٩٨٨، ص: ٧.
١٥) المصدر نفسه: ص٨.
١٦) سمكوغ، امين، مدخل إلى تاريخ الشراكسة دمشق ١٩٨٤، ص: ٥٦.
١٧) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص:٧.
١٨) جموخة، امجد، مصدر سابق، ص: ٢٥٥.
١٩) المصدر نفسه، ص ٢٥٦-٢٥٧.
٢٠) سمكوغ، أمين، مصدر سابق، ص: ٥٦.
٢١) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٧.
٢٢) المصدر نفسه، ص: ١١-١٤.
٢٣) جموخة، امجد، مصدر سابق، ص: ٢٤٠-٢٦٠.
٢٤) ابه زاو، محمد جمال صادق، مصدر سابق، ص١٢٤-١٢٧.
٢٥) بج، منذر، العلاقة بين اللغتين السومرية والشركسية، حلب عام ١٩٩٦ ص٥٧-٦٣.
٢٦) المصدر نفسه ص١١١-١٤٣.
٢٧) جوناتوقه، مصدر سابق، ١٦٣-١٦٨.
٢٨) غ. ف تورنشانيتوف – اكتشافات لفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس – مصدر سابق، ص: ٦-١١.
٢٩) آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٦٥.
٣٠) تورنشانيتوف – مصدر سابق، ص: ٣١.
٣١) سطاس، عز الدين، كلام في توحيد اللهجات الشركسية، مجلة الاخاء الشركسية – اصدار الجمعية الخيرية الشركسية في وادي السير الاردن، العدد (١٢١) اذار ٢٠٠٢، ص١٠-١١.

الفصل الثالث

نشأة وتطور المعتقدات الدينية لدى الأمة الشركسية

مراحل نشأة وتطورالفكر الديني لدى الأمة الشركسية

بالرجوع إلى ما كتبه المؤرخون القدامى والمعاصرون حول تاريخ الامة الشركسية منذ العصر الحجري القديم عامة وفي العصر الحجري الحديث خاصة وحول الفكر الديني لدى الشراكسة منذ القدم، **تبين لنا بأن الأمة الشركسية مرت في ست مراحل أساسية في فكرهم ومعتقداتهم الدينية والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:**

*** المرحلة الأولى: نشأة وتطور الفكر الديني**

اقر العلماء المختصون في دراسة الاديان القديمة ان الانسان توصل أولا إلى تعلم الكلام ثم اكتشف الكتابة، وبعدها توصل إلى مجموعة من العادات والتقاليد التي تنظم حياة الانسان ابتداء من العصر الحجري القديم (باليوليت) وبعدها ظهرت المعتقدات الدينية، وفي البداية كان هناك خلط بين المعتقدات الدينية وانظمة الحياة الاجتماعية ويقول (دغوظ) بأن الشراكسة كانوا يطلقون في قديم الزمان على مثل هذه المعتقدات (تخة – خابزة) أي العادات الالهية وبمعنى ان الدين لديهم كان عبارة عن العقيدة الالهية أو النظام الالهي [1].

وفي العصر الحجري الوسيط (ميزوليت) ومنذ الالف السادس قبل الميلاد كان الشراكسة ينتمون إلى (سلطة الام) وسيطرتها، وكان يسمى عصر (نظام الاسرة الامومية) وهذا النظام كان قائما على سلطة النساء عامة والامهات خاصة وهن اللواتي تولين حكم الاسرة وقيادتها كما كان الانتساب (للام) وليس (للأب).

وكذلك كان الأفراد ينتمون إلى عشيرة الام لا إلى عشيرة الاب، والميراث ينتقل إلى عشيرة الامهات، وظهرت خلال هذه الفترة معتقدات دينية سميت بأرباب العشائر وفكرة التواتم ومفردة (توتم) أي تعويذة او قرينة. واتخذت كل عشيرة (توتما) لها إما من الطيور أو من الحيوانات وتعتبرها حامية لأفراد العشيرة (وربا) لجماعتها وبدأ الاعتقاد بوجود نوعين من الجن (الابيض والاسود) وظهر الوسطاء

بين الجن والانسان اطلقوا عليهم (الكهنة والعرافين) وغيرهما من الاسماء وهم الذين كانوا يقيمون الاحتفالات الدينية والابتهالات إلى الله (تحة) قبل الشروع في اي عمل تنوي الجماعة القيام به واستمر العمل بهذه المعتقدات الدينية حتى العصر الحجري الحديث (النيوليت) والنظر إلى الام (كألهة كبرى).

*** المرحلة الثانية: مرحلة "الوثنية"**

وفي بداية عصر المعادن ومنذ الالف السادس قبل الميلاد وحتى الالف الثالث قبل الميلاد وهو العصر الحجري / النحاسي الذي تم فيه اكتشاف البرونز كما تغيرت في هذه المرحلة السلطة والسيطرة في الاسرة من (الام) إلى (الاب)، ومن النساء إلى الرجال وبدأ عصر سيطرة الاب والمسمى بعصر (باتريباركة) او رئيس العشيرة او الشيخ وظهر خلال هذه الفترة الفكر الديني الذي يعتمد على عبادة الظواهر الطبيعية وبعد ان كان الفكر الديني في عهد (سيطرة الام) يعتمد على فكرة (التوتمة) أو (التعويذة) واتخاذ بعض الحيوانات بمثابة (الارباب) حماة من الجماعة من الشر.

ويقول (ماكس موللر) بأن تكامل العقائد الدينية تعود إلى أسباب بسيكولوجية بحتة، فالمظاهر الطبيعية كانت تسبب الخوف، كما كانت توحي إليه بالأمل، وبالحيرة في أحيان أخرى، كما كان الاعتقاد بأن الشمس والنار والبرق والعواصف والأمطار تملك القدرة على الأذى والتخريب والاعتقاد أيضا أنها تملك القدرة على وهب الحياة والخيرات للنبات والحيوان والإنسان وأن الشمس ترسل الضياء والنور ومعها الاطمئنان من غدر الظلام وتوفير شروط الأمن للسعي وراء الرزق والحياة.

وأن النار التي هي قبس من تلك الشمس، تدفئه في الشتاء وتنير حلكة الظلام وتخيف الوحوش، وقد اكتشف فيما بعد أنها تشوي اللحوم فتحسن طعمها، ثم تذيب المعادن وتسهل طرقها وتصنيعها فكانت الوسيلة الاولى لاختراع الأسلحة الدفاعية والمعدات الحربية.

فالشراكسة ايضا مثلهم مثل الشعوب القديمة الاخرى لم تخل حياتهم منذ القدم من الفكرة الالهية والعقيدة الدينية لأنها منغرسة في النفس البشرية وموجودة في فطرتهم، وإنه لم يخل قوم (أينما كانوا) ومهما كانوا في رقيهم او تأخرهم من الفكرة الإلهية والعقيدة الدينية مع اختلاف مظاهرها ومستوياتها وأنواعها.

قسم العالم شورتانوف الآلهة عند الشراكسة إلى خمس أنواع من الآلهة، على النحو التالي:

١- الآلهة الكونية: وتضم الآلهة التالية: (تحاشكوه)، واشخو، غوبج غوش، بساتحا، شبله.

٢- الآلهة المحلية: وتضم الآلهة التالية: تحاغالج، اميش، تلبش، اخين، ميزيتحا، شوزيريش، كوديس، نيسرين، زيكوتحا، جيغوباتحا، اوشجيرجيي، إيلا.

٣- آلهة الإناث: وتضم الآلهة التالية: ستناي، ميليشيبخو، اديف، جيغ كواشا، حانتسيه-كواشا، خيبا-كواشا، بسخوة – كواشحادة – كواشا، تحار كواشا، ميز – كواشا، ماريم.

٤- آلهة الحُماة/ القبائل: وتضم الآلهة التالية: نواكشه، تشاشتا، تحارالييي، تحاتاباس، توخليتحا، ديغوديش، حاؤتس حاش، تحاغيشو، اوتخوي-كاس، شو-موتشو، خوخ-موخ، تحاكوافيشو، حادريخ، تحاشيو تحاشيريبخو، شخوسكا، حاكوستاش، كوديش، بشيشان، سوتراش.

٥- آلهة المخلوقات العجيبة: وتضم الآلهة التالية: ينيج، بلاغو، ييمينيج، حاشحا، فيتلا، الماستا، ناغوتشيتسا.

وقدم لنا المؤرخ الشركسي ك. شوجين في كتابه (أرض الأديغة)* ثلاثون إسما لآلهة قدامى الشراكسة وحُماتهم وعلى النحو التالي: ايرج، ايميس، اليي، انتسفا، اوشيج، افي، أخاميدا، ديبيش، جاغه، دزاخوش، تييميش، زيسحان، إيسا، ماميش، ميزيتل، ميسته، موسى، سوسروق، ستاوتغا، تلوخوميش وشيبيريز، توغوزيتحا، توغوبلاخو، وازرميس، شيبرس، شحاغوشا، شيرغوبس.

أما (باتريك) اوزبك) فقد قدم لنا في كتابه (أساطير النارتيين) نقلا عن أقوال عشرات الرحالة الذين عاشوا بين القبائل الشركسية في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين أسماء ٢١ إلاهاً من الآلهة التي وردت أسمائهم في قصص وأساطير النارتيين [٥] وهي:

* A.K. Sheugen. G.A. Galkin. N.E. Aleshin. A.A. Kushu. B.E. Sheugen. Zemlia Adyghov (The Land of the Adyghas). Maikop. 1996.

١) أميتش	٢) أوجيدج	٣) بيمش
٤) ميريسا او (ميريم)	٥) ميزيتحا	٦) أوشحاماخوا
٧) باكوي	٨) بساتحا	٩) بسيتحا كواشة
١٠) زيكوتحا	١١) سوسيريز (سوسيريش)	١٢) شيبلة
١٣) تحاغيليدج	١٤) تليبش	١٥) تيغوبتلوق
١٦) واشا	١٧) جيتحا	١٨) آخين

١٩) بله ووص: رب الرقص

٢٠) ساوسرس: رب الزوابع والانواء

٢١) يه له: رب الصواعق.

وبالرجوع إلى ما كتبه بعض الرحالة حول وصف الآلهة وأنواعها الثلاثة وكذلك التحليل الذي قدمه (باتري أوزبك)، والتحليل الذي قاله أو كتبه العديد من الرحالة والباحثين توصلنا إلى الوصف التالي لهذه الالهة.

١- (آخين) (Akhen): وهو الرب الحامي أو الإله الحامي و (ساركيبانز) يعتقد بأنه رب (الخراف) ايضا عند الشراكسة.

٢- تحاغيليدج The ghelei ويصفه الأديب الشركسي الرحالة (حاداغالة- ١٩٧٠) بأنه إله المواشي عند الشراكسة [٥] ويصفه (جموغة -٢٠٠) بأنه اله النبات.

٣- أميتش: ويصفه (حاداغالة – ١٩٧١) جزء ٧، ص١٠٦ بأنه إله المواشي عند الشراكسة. [٦]

٤- أوجيدج: ويصفه كل من (حاداغالة – ١٩٧٠ و إيليا جيليني – ١٩٦٩) وهان- ١٩٨٦ بأنه إله الحجر عند الشراكسة.

٥- ييمش: ويصفه الرحالة توكاريف – ١٩٦٨ [٨] بأنه السيد الحامي (للخراف) وراعي الرعاة وكان ينافس (اميتش).

٦- ميرس أو مريم (Meris , Meriem) ويجمع جميع الرحالة بأنها ربة الحماية لتربية النحل ويحتفلون بها في شهر أيلول من كل عام. وتسمى ايضا ام الاله الاكبر.

٧- ميزيتحا (Meztehe) وتحدث عنه (يودن شتيرت) بأنه إله الغابات وبعض القبائل يسميها إله الصيد وصيادي الحيوانات البرية.[٩]

٨- تحه تسوك: ويصفه (حاداغالة – ١٩٦٨ جزء١، ص١٠٩-١١٣)، بأنه من الآلهة الصغار ويعتبر رمزا للضعف والبلادة والغباء. [١٠]

٩- بساتحه: ويصفها (حاداغالة – ١٩٧١ جزء ٧، ص١٠٧) بأنها إله الروح والحياة، حيث أن (بسا) بالشركسية معناها (روح) و (تحه) تعني إله. [١٠]

١٠- بستحا – جواشه: ويعتبرها (حاداغالة – ١٩٦٨)، (اميرة الماء) حيث أن (بس) تعني ماء و (جواشه) تعني (سيدة أو أميرة). [١١]

١١- تحه شيبلة (The Sebilla) فهو إله البرق حسب تفسير نويمان ١٨٤٠، [١١] ص: ١٠٨-١٠٩ أما بودن شتيدت – ١٨٤٨، [١٣] يعتبره إله (الرعد والحرب والعدالة) ولم يرد ذكره في اساطير النارتيين.

١٢- زيكوتحا *: فهو إله السياحة والمسافرين حسب رأي كل من بودن – ١٨٤٨، [١٤] ص: ٢٠٢، ودانيليفسكي – ١٨٤٧، [١٦] وكذلك اله الحرب.

* زايكئوه تحه: رب الحرب أو اله السياحة ويقصدون به (النبي) سليمان عليه السلام.

تليبش: رب الحديد ويرمزون به إلى داود عليه السلام لأنه معتبر عندهم ابا الحدادين من القديم ويقولون ان مهد الحديد ظهر ببلاد الابزاخ (نغموقة) ص: ٤٠.

١٣- تييغو تبلوق: فهو حامي اللصوص وقاطعي الطرق كما يصفه (تروبيزكوي) (١٩٣٤)[١٧] وكان ذلك عندما كانت السرقة رمزا للشجاعة ووسيلة لكسب العيش في مجتمعات الشراكسة في العصور القديمة.

١٤- (جه – تيحا): وهو إله الرياح على اعتبار أن كلمة (جه) تعني (ريح) و (تحه) تعني إله. ومن المحتمل ان يكون لهذا الإله علاقة من ناحية المعنى بالموت والحياة.

١٥- تليبش: فهو معلم الحدادة، ووصفه بعض الباحثين في المعتقدات الدينية لدى قدماء الشراكسة بأنه إله الحدادة وان له قدرة على معالجة المرض داخل عيادته وله خبرات في التوليد، ويقول تروبيز كوي ١٨٤٠ [١٧] بأن (تليبش) كان قديسا عند الشراكسة وانه حامي (الحدادة) ويوم الاحتفال بعيده كانوا يسكبون الشراب على المحراث والمعاول الحديدية، أما (نوبمان) فيقول بأنه إله (النار) [١٨].

١٦- سوسريس (Zozeris) سويزيوس: مراسم هذا الاله بشكل عابر في الأساطير اثناء تعداد الالهة الذين يجتمعون سنويا برئاسة (بساتحة) ليتذوقوا شراب (سانو) وينعشوا أنفسهم بها وحاداغالة يسميه (سوسريس) (إله العائلة والموقد) وليس هناك ما يتفق مع هذه المقولة في أدب الرحالة.

ويقول عنه توكاريف (١٩٦٨) [٢٠] بأن سوسريس هو بالنسبة للشراكسة (السيد الحامي) للزراعة والخصب، بينما يكتب ساركيسيانز (١٩٦١) اسم سوسريس بشكل سوتسيريس، وانه هو إله الزراعة الذي اختفى في البحر ذات يوم وانه سيعود للظهور من هناك. كما ورد ذكر (سيوسيريس) عند دوبويس مونتبير (١٨٤٢) [٢١] على انه جوال كبير يتصرف في الريح والينابيع وسمته (بودن شتيدت) (سيوزيروس) وكتبت بأن الغيوم والرياح تنصاع له [٢١].

وأخيرا فإن نويمان (١٨٤٠) [٢٣] يقول بأن الشراكسة كانوا "يحتفلون به في الربيع، ويقدمون له ضحية، وتستغرق الاحتفالات ثلاثة ايام" .

بالإضافة إلى ما ذكر بأن مجموعة أخرى من الالهة قد وردت في دائرة المعارف الاسلامية [٢٥] وأهمها:

* خوكوتش وهو نوع من الالهة التي ترعى القبيلة وهو من الالهة التي كان قبيلة شابسوغ يقدسونه:

- كورش وهو على هيئة سمكة ويعتبر من الالهة التي كانت تحكم البحار.
- وزيرمس Wozermess وهواله المجال.
- بله – تحه – اله الحية Bla - The

*** معتقدات دينية قديمة:**

من المعتقدات القديمة لدى الامة الشركسية حتى القرن التاسع عشر هو:

(١) **تقديس المتوفى بالصاعقة** حيث كانت العادة إن أحد أقرباء المتوفى بالصاعقة يأخذ حجرا من قبر الميت ويذهب مع الآخرين إلى شلال مياه حيث يربط الحجر بخيط ويدلي به في الماء ويثبت الطرف الآخر من الخيط إلى شجرة، ثم يغطس جميع المشاركين بكامل ثيابهم في الماء لفترة قصيرة. وكانوا يعتقدون أن هذه الطقوس تجلب المطر، ويأملون أن يبللهم المطر، كما بللهم الماء الذي غطسوا فيه.

(٢) **اعتبار الموت بالصاعقة شرفا وتكريما:** كان الاعتقاد قديما لدى الشراكسة بأنه لا يجوز الحزن على من مات بالصاعقة، ولا يسمح إلا للنساء ذوات القربى منهن أن يبكينهن بينما تبكي جميع نساء القرية الميت في الحالات الأخرى كما كان يقام لمن يموت بالصواعق مراسيم دفن خاصة مهيبة [٢٦].

كما كان ينظرون إلى الصاعقة بأنها (ملاك) وتصيب من بارك فيه الالـــه وكذلك فإن الشجرة التي تصيبها صاعقة كانت تصبح شجرة (مقدسة).

(٣) **كان الشابسوغ يمارسون طقوس منها:** خروج جميع رجال القرية إلى (قبر إنسان كان قد مات بصاعقة) حيث كانوا يعتبرون القبر وما تحيط به من أشجار مكانا مقدسا لتلك الجماعة، ومن المهم جدا أن يكون بين أولئك الرجال أحد أقرباء الميت، ويمسك الجميع بأيدي بعضهم البعض ويرقصون عراة الرؤوس وحفاة الاقدام في دائرة حول القبر، وهم يغنون قصائد دينية، ثم يرفع أحد أقرباء الميت رغيفا إلى الأعلى ويتوجه (لاله الشيبلة) باسم جميع الحاضرين بالتوسل إليه ان يرسل إليهم المطر.

(٤) **ومن الطقوس التي كانت تمارس ايضا حتى منتصف القرن العشرين في بلاد المهجر عامة وفي الأردن خاصة (طقوس الاستقصاء)** ويسمى بالشركسية (Hentsy- Gwache) (حانسي جواشه) وهي عبارة عن (دمية مصنوعة على شكل المرأة) مصنوعة من قطع خشبية متصالبة محاطة فوق بعضها وملفوفة بالقماش بشكل يشابه (لباس المرأة). فإذا حل الجفاف يأخذ مجموعة من الأولاد (الدمية) ويمرون بها على بيوت القرية فيقوم الاهالي الذين يمرون عليهم برش الماء عليهم وعلى الدمية.. وهم يغنون خلال تجوالهم قائلين:

حانسر جواشه زدوشه يا آله وش ايغش ... الخ ومعناها: الدعاء لله سبحانه وتعالى أن يمطر السماء علينا وعلى الدمية. وأخيرا تلقى الدمية في الماء وتترك ثلاثة أيام، ثم تؤخذ من هناك ويحتفظ بها للمرات القادمة.

*** الطقوس الدينية الوثنية والاحتفالات الدينية لدى قدماء الشراكسة**

دلت المقابر المكتشفة في منطقة (مايكوب) بأن الطقوس التي كانت متبعة تدل ممارسة طقوس محددة عند حدوث وفاة ومن أهم هذه الطقوس هي:

١) إذا مات أحد (المتنفذين) تفرغ أحشاؤه ويوضع جثمانه فوق كومة من أغصان الشجر، وعرضه على الناس (لمدة أسبوع) بكامل ملابسه، ويقف اثنان من أقربائه من كبار السن على جانبيه. وعند رأسه تقف (فتاة شابة) بيدها سهم معلق عليه منديل من الحرير تكش به عن وجه الميت الذباب والحشرات، كما تجلس زوجته الكبرى (الأولى) عند رأسه بدون بكاء. فإذا انتهت مدة العزاء، يحضرون تابوتا من (ساق شجرة) غليظة مقسومة إلى قسمين (طولا) ومجوفة بإتقان، ويضعون فيه الميت بكامل ملابسه وزينته وأسلحته وقسما من ممتلكاته الثمنية، ويختارون مكانا يضعون عليه التابوت ويغطون التابوت بالتراب حتى يصبح (تلا ترابيا)، وكلما كان مقام الميت كبيرا كان التل الترابي كبيرا وعاليا.

٢) قيام أهل المتوفى بربط لجام حصانه على (القبر) وتركه يدور حوله ثلاث دورات ثم تقطع أذنه اليمنى وترمى داخل القبر.

٣) عرض ملابس المتوفى وأسلحته وجواده بكامل تجهيزاته قبل دفنه بعدة أيام.

٤) قيام أهل المتوفى بذبح الذبائح فوق القبر وتقديم الطعام للميت.

وهذه العادة ظلت عند الجراكسة حتى عهد قريب جدا ويسمونها (حده اوس) بمعنى طعام الموتى، ولعلها ما زالت موجودة عند الجراكسة في قرى تركيا الجبلية النائية، حيث كانوا يقيمون مائدة كبيرة يدعون إليها شخصيات القرية والقرى المجاورة واصدقاء الميت واقربائه، ويمدون المائدة، ثم يقوم البعض من أهل الميت بتمثيل اطعام الميت ورفاقه من الموتى فيدعونهم بأسمائهم ويمثلون خدمتهم على المائدة كما لو كانوا يأكلون وهم احياء ويمثلون تغسيل ايديهم

وصب الماء عليها، ومن ثم يجلس المدعوون من الاحياء إلى المائدة فيطعمون منها.

٥) قيام أصدقاء المتوفى من أهل القرية بحمل الشموع (المصنوعة) على شكل النجوم والمثبتة على قرون (الثيران) وقيادتها إلى المقبرة وهم حفاة الأقدام مظهرين حزنهم الشديد، كما يحملون معهم بعض الأطعمة ويطعمونها للمشاركين بالجنازة.

٦) بعد الدفن يقدم الشباب ألعاباً استعراضية على الخيل وإطلاق السهام في الهواء.

٧) قيام أهل المتوفى بإحاطة مدافن الأُسر الكبيرة بسياج مزروع بأشجار الفاكهة.

*** الاعياد الدينية لدى الشراكسة في العصور القديمة**

كان لدى الأمة الشركسية أكثر من عيد يحتفلون بها في العصور القديمة التي تعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد ومنها:

- أعياد الربيع: حيث يقام أول الربيع لعدة ايام يتم فيها اعداد معالم (الزينة) باستخدام أنواع مختلفة من الزهور، وأوراق شجرة (الإجاص) اليابسة وتغطى بقماش مزركش وتعلق عليها (القناديل) وتبدأ الاحتفالات بذبح الذبائح قربانا للإله الاكبر لديهم، ويتقاسم الحاضرون لحم الذبائح وأقراص الجبنة وتستمر الاحتفالات ثلاثة أيام.
- اعياد رأس السنة الجديدة: وتبدأ في شهر آذار من كل عام، وفي اليوم المقرر للاحتفالات يجتمعون في الغابة المقدسة، وعند الشجرة المقدسة المسماة (قودش) ويذبحون القرابين، ويخرجون ويغنون ويرقصون طوال النهار والليل ثم يعودون للقرية.

- أعياد الحصاد: وفيه يأكلون الحنطة (القمح) المقلية مع اللبن (المخمر) كما يأكلون أطعمة أخرى مصنوعة من أنواع المحاصيل والفواكه المختلفة وتقام هذه الاعياد بعد جني المحاصيل الزراعية.
- دفن الاموات: دلت الحفريات الاثرية في بلاد الشراكسة بأن الاموات عامة والشخصيات والرؤساء والزعماء منهم خاصة كانوا يدفنون في مقابر خاصة كما دلت بأنها كانت على انواع وهي:

النوع الاول: الكورغانات او التلال الترابية

والنوع الثاني: الدولمانات اسفل الصخور الكبيرة وتسمى بالشركسية (مقابر الابراميف) واستخدمت حتى العصور الوسطى.

والنوع الثالث: الدفن داخل صخور منحوتة بشكل صناديق وكل صندوق يحتوي على جثة واحدة.

وأما النوع الرابع: فهو الدفن داخل أبنية تحتوي على أضرحة وقبور.

كما كانت العادة طلاء الجثة بالحناء او الغرة الحمراء مقاومة تعفنها وتآكلها ويشبه التحنيط الذي كان معروفا عند الفراعنة. إلا أنها أقل فعالية من التحنيط.

*** المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الديانة المسيحية وامتدت من عام (٥٢٧م) وهو العام الذي بدأ فيه انتشار المسيحية في بلاد القفقاس عامة وبلاد (الاديغة) الشراكسة خاصة وحتى عام ١٧١٧:**

وفيما يلي مراحل انتشار المسيحية في القفقاس بصورة جدية وواسعة وابتداء من عهد الامبراطور (جوستنيان البيزنطي) Justinian في الفترة (٥٢٧-٥٦٥م) حيث أوفد كاهناً يدعى (بونتوك) لنشر الدين على سواحل البحر الاسود، والقيصر (جوستنيان) يسميه الشراكسة (جوستين) وكان حليفا لأمة الآنت (الجراكس) حتى أنه كان يلقب بالفارس (الأنتي)، وحارب (الغوت) بمعاونة

(الاديغة) وأحرز عليهم النصر، وما زالت ذكريات هذه الملحمة ترد في أغاني (الأديغة) القديمة.

قام (جوستين) بنشر الديانة المسيحية بين شعوب (الأديغة) ولاقت دعوته نجاحا، واقاموا الكنائس، وكانوا يسمون الراهب أو الخوري باللغة الشركسية شوجن[٢٦]. كما نجح اليونانيون في نشر الديانة النصرانية بين قبائل القبرطاي ولا يزالون يذكرون اسم الموقع الذي أقام فيه أول أسقف قدم إليهم من اليونان وهو مكان قريب من مدينة (نالشيك الحالية) ويسمى حتى الان (مزكورغان) أي (غابة الرابية)، وهو تل مرتفع تكسوه الاشجار الكثيفة. وكان الشراكسة يقدسون هذا المكان ويحترمونه ويبجلونه كما كانوا يكثرون من الثناء والمديح للخوري شوجن* بقولهم:

(شوجن) هو حامينا ومربي ضعافنا وأطفالنا، وهو نور أرسله الله إلينا لينقذنا من الظلمات، وهو الذي هدانا إلى المولى وجعلنا بنصره في الأعالي وشيد للخالق برجا من الحديد ذا أبواب من الفضة، وفيه حلت واستقامت روح الله ذي النور القدس وهو يرفرف بروحه ويرتفع كالطير في الفضاء حتى يمس السحب ويرى الظالمين من تلك الأعالي وأما أضلاعه فليست من عظام فانية تبلى، بل إنها من العاج الخالص يقاوم الدهر والأيام، وأما الصليب الذي يتدلى على صدره فهو من الذهب الخالص الوهاج، وضياؤه الحب والحنان [٢٧].

* الرهبان كانوا يدعون (شوكن Shogen) ومعناه (معلم الاولاد)، واليوم هناك أسر عديدة بين الجراكس يدعون بهذا الاسم لكونهم احفاد اولئك القساوسة ورجال الدين الذين كانوا قسما من الاغريق الاورثوذكس وقسما من اللاتين.

ويقول (آبه زاو) في كتابه (موسوعة تاريخ القفقاس والجركس) بأنه كان يوجد بين الرهبان ورجال الدين من أصل شركسي ويقولون عن رجل الدين الرومي (روم شوجن) (Rome Shogen) وعن الجركسي (كركه شوجن) (Karkshogen) كما كان بينهم ايضا خوارنه من (اللاتين) حيث كان يوجد في بلاد (الاديغة) رهبان ورجال دين يتبعون الكنيسة اللاتينية، ويوجد حتى الان كنائس قديمة بنيت على الطراز الاغريقي وتوجد واحدة منها على المجرى العلوي لنهر (الكوبان)، واثنتان بين نهري (الكوبان والتبردي) وهي مبنية من الحجر والآجر، وتسمى الاولى (شونة) وهي مختصرة من (شوونه) أي (بيت الفرسان) فقد عثر فيها على (المعالف والمزاود والمناهل) من الآجر الحجرية، والثانية تسمى (خاسه ميفه) أي (صخرة المجمع) وهو المكان الذي كان يجتمع فيه مجلس القضاة من الخوارنة ويوجد بداخلها (مرآة القضاء) وصخرة منقوش عليها حذوة (جواد) ورجل على هيئة (كلب)، وفيها فتحة (فوهة) تتسع لمرور شخص (عاري الجسم) وحسب القصص الشعبية كان هذا المكان مخصصا للكشف عن المجرمين من خلال تمرير المتهمين والمذنبين من هذه الفوهة فالبريء مهما كان ضخما وسمينا كان يمر منها بسهولة، أما المذنب ومهما كان نحيلا كان يعلق فيها ولا يستطيع المرور دلالة على أنه مذنب ويحال لمجلس القضاة [٢٩].

كما يوجد بين (نهري الكوبان وسلنجوق) بعض الأبنية من (الآجر) مبنية فوق التلال (الرابية) وحسب الروايات القديمة فإن هذه الابنية كانت مخصصة لسكن بعض الرهبان والقسيسين.

والشراكسة لم يكونوا يعّمدون أطفالهم إلا بعد بلوغهم السنة الثامنة من عمرهم. والعماد عندهم عبارة عن رش قليل من الماء (المبارك) وتلاوة صلاة قصيرة من قبل الراهب.

وكذلك فالنبلاء منهم لم يكن يدخلون الكنيسة للصلاة إلا بعد بلوغهم الستين من أعمارهم، إذ من عاداتهم وهم في سن الشباب الخروج للغزو، وان هذه الاعمال لم تكن تتفق مع احكام الدين والكنيسة لذلك كانوا يعتقدون أن دخولها قبل (سن الستين) انتهاك لحرمتها، كما كان الشبان منهم يحضرون الصلاة وهم واقفون أمام باب الكنيسة أو راكبون على ظهور الخيل، وبعد بلوغهم سن الستين من العمر وتركهم أعمال الغزو يدخلون الكنيسة للقيام بالصلاة والعبادة داخل الكنيسة.

وبقي الشعب على عادته القديمة في الذهاب إلى (جولات)؛ لأداء قسم اليمين بقولهم: (الله يجعلني أمر من التترتوب إذا لم أكن صادقا)، وهو الاسم الذي سميت به (الجولات) بعد احتلالها من قبل خانات التتر فأصبح اسمه (تترتوب).

ولا تزال الروايات الشعبية تذكر ايضا بأن قدماء الشراكسة كانوا يقدسون (أوشى كركه) وهو (اليسوع اليوناني) ويدعون النبي (الياس) باسم (ياليزا) والنبي موسى باسم (ايمش) أو (آيمم) والنبي داود (له يابش)، وقد يكون معناها (ملك الرجال)، وكذلك يذكرون ان القدماء كانوا يحرمون على انفسهم أكل اللحم في بعض ايام الربيع. [٢٩]

هذا ما كان من امر انتشار الدين المسيحي بين شعوب الآديكه في الأزمان الغابرة، وظل الدين قويا خلال المدة التي استمر فيها الاغريق في إرسال الوفود الدينية لبلاد الشراكسة ولكن بعد سقوط الامبراطورية البيزنطية اعتراه ضعف وانحلال لعدم وجود رجال دين اكفاء.

ومن رأي المؤرخين (مورجان) و (شوبان) ان الجراكسة لم يطبقوا النصرانية بحذافيرها بل أخذوا منها ما شاءوا وتركوا منها ما لم يوافقهم ولم يتماشى مع أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم.

كما يقول بعض مؤرخي الافرنج أنه نظرا لما في الدين المسيحي من بعض التعاليم المغلقة المعقدة التي أشكل على الجراكسة فهمها فإنهم لم يتعمقوا كثيرا في النصرانية بل اكتفوا بتطبيق بعض التعاليم التي راقت لهم [٣٠].

ويلاحظ بأن قسما كبيرا من الشراكسة وخاصة بعض قبائل شراكسة الغرب ظلوا وثنيين ولم يعتنقوا الديانة المسيحية. وأكد المؤرخ (شوبان) على هذه الحقيقة بقوله: إن الجراكسة كانوا يميلون دائما إلى معتقداتهم الوثنية القديمة رغم انتقالهم إلى المسيحية، وكانوا يقيمون بعض تلك المظاهر العالقة بأذهانهم من زمن الجاهلية الأولى وكانوا يقدمون الضحايا لأرواح الموتى ويطعمون الطعام في حبهم ويعظمون (له بش) رب الحديد وأمثاله من الآلهة. [٣١]

والخلاصة أن معتقدات الشراكسة كانت خليطا من الوثنية والمسيحية وبعض المبادئ الإسلامية الأولية وكانت العقائد مضطربة غير مستقرة في هذه المرحلة من حياتهم.

ويقول (ناشخوا) حول مدى انتشار الديانة المسيحية في بلاد الشراكسة "رغما عن ان جميع النشاطات التبشيرية المدعمة بالقوة العسكرية والنفوذ السياسي فإن المسيحية لم تنتشر وترسي قواعدها بين الشراكسة، لأن أحكامها وشرائعها لم تكن تنطبق مع ميولهم وأخلاقهم وفطرتهم، ووصف أحد المؤرخين الذين زاروا بلاد الشركس (الأديغة) في القرن السادس عشر بأن الشباب الشراكسة لم يكونوا يدخلون الكنائس طول سن الشباب، بل كانوا يقفون خارج الكنيسة أيام الأحد وهم على ظهر الجواد، على اعتبار ان عنفوان الشباب لا يتفق مع تعاليم الدين المسيحي التي تدعو إلى التسامح عملا بقول المسيح عليه السلام: (إن صفعك (ضربك) على خدك الايمن أدر له خدك الأيسر) [٢٨].

وبالتالي فإن الديانة المسيحية لم تكن تجد صدى لدى الشباب، لأنهم كانوا منذ آلاف السنين يقضون حياتهم في كفاح ونضال دائم ضد الغزاة والطامعين حتى أصبح القتال والحرب والعنف (جزء) من حياتهم اليومية.

ويقول (نغموقة) بأن اعتناق الشراكسة الديانة المسيحية ساهم في إحداث تطور في حياتهم ونهضة جديدة في أفكارهم ومجتمعهم، وربى فيهم ميلا إلى الثقافة والاهتمام بالصنائع والفنون الجميلة، إلا أنهم لم يقلعوا عن حياة العنف بل استمروا فيها وظلوا يزاولون أعمالهم الحربية ويقتدون بآثار آبائهم في العادات (الخشنة) مفاخرين بشجاعتهم، إلا ان اعتمادهم على قوتهم وبسالتهم واستصغارهم لأعدائهم جعلهم يبقون على ما كانوا عليه في سالف الازمان، وأثر ذلك على تقدمهم وحضارتهم [٢٩].

*** المرحلة الرابعة: مرحلة اعتناق الشعوب القوقازية عامة والشركسية خاصة الدين الاسلامي*.**

بالرجوع إلى تاريخ الفتوحات الاسلامية عامة وفتوحاتها في بلاد القفقاس خاصة توصلنا بأن أكثر من قائد من القادة المسلمين، وأكثر من دولة من الدول الإسلامية كان لها دور فاعل في دعوة الشعوب القوقازية لاعتناق الدين الإسلامي الحنيف، ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، والعباسيين، ودولة

* لمزيد من المعلومات حول تاريخ اعتناق الشعوب القوقازية عامة والشراكسة خاصة الدين الإسلامي يمكن الرجوع إلى المراجع التالية:

(١) اسماعيل جانبيك، الاسلام في قفقاسيا في بداية الفتوحات الاسلامية، مجلة الواحة العدد (١٥) السنة الثانية عام ١٩٧٦ الجمعية الخيرية الشركسية – عمان ص: ٣-١٠.

(٢) ابن بطوطة: تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية الجزء الاول.

شراكسة مصر (المماليك البرجية والبحرية) والدولة العثمانية، وخانات القرم بالإضافة لدور التجار المسلمين من عرب وايرانيين واتراك وكذلك الامبراطورية المغولية كما كان للجماعات الصوفية واصحاب الطريقة النقشبندية دور في نشر الإسلام في بلاد القفقاس.

(١) فيما يلي ملخص لدور كل من الدول والجماعات وأصحاب الطرق الصوفية.

أولا: دور خلفاء الراشدين

في عام ٢١هـ ٦٤٢م امر الخليفة عمر بن الخطاب القائد سراقة بن عمر بالتقدم لفتح مدينة – باب الابواب – دربند – وجعل في مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ومعه حذيفة بن اسير الغفاري وبكير بن عبد الله الليثي ليقودا جناحي الجيش ومعهم سليمان بن ربيعة الباهلي، ثم امدهم بحبيب بن مسلمة الفهري وتمكن من فتح الباب – دربند– سلما.

أول مأذنة إسلامية أقيمت في القفقاس في القرن /١٣/م – في منطقة مايكوب (للفنان عبدالله برسيقوه)

وفي السنة نفسها ارسل سراقة القائد بكير بن عبد الله إلى (موقان) وحبيب ابن مسلمة إلى (تفليس) وحذيفة بن اليمان إلى جبال (اللان). ولكن القائد سراقة توفي بعد أن تمكن من تعريف الاسلام لكثير من اهالي البلاد، وخلفه عبد الرحمن ابن ربيعة في القيادة وأمره الخليفة عمر بن الخطاب بغزو بلاد الترك في شمال الباب دربند والتقدم شمالا.. فتقدم وفتح مدينة – بلنجر – ولكنه عاد دون ان ينجح في محاولته. واستمر حبيب بن مسلمة وسلمان بن ربيعة على قتالهم مع الارمن.

وكان عياض بن غنم قد دخل في عام ١٩هـ–٦٣٩م – بلاد الكرج حتى بلغ مدينة (تفليس) وبقي يحارب هناك حتى عام ٢٠هـ – ٦٤٠م ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى أرمينيا القفقاسية.

كما وصلت جيوش عربية إلى سواحل بحر قزوين ففتحوا (الري وجرجان وطبرستان) على يد القائد نعيم بن مقرن عام ٢٢هـ–٦٤٣م.

وفي عهد عثمان بن عفان وبعد ان توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ٢٣هـ ٦٤٤م أمر باستعادة فتح اران في اذربيجان بقيادة نعيم بن المقرن في عام ٢٤هـ.

وفي عام ٣٠هـ ٦٥١م ارسل الخليفة عثمان القائد حذيفة بن ربيعة على فتح باب اللان وفي عام ٣٢ هـ ٦٥٣م حاول عبد الرحمن بن ربيعة مرة اخرى التقدم نحو الشمال إلى بلاد الترك من باب الابواب دون موافقة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولكنه قوبل بمقاومة شديدة واضطر لمقاتلة الترك والخزر معا. فانهزم واستشهد عبد الرحمن بن ربيعة، فارسل سعيد بن العاص اخاه سلمان بن ربيعة الذي تمكن من انقاذ بقية الجيش من الوقوع في الاسر فعينه مكان اخيه حاكما على الباب.

ونتيجة للحروب التي كان قد قام بها حبيب بن مسلمة الفهري وسلمان بن ربيعة في تلك البلاد حتى عام ٢٥هـ ٦٤٦م كان المسلمون قد تمكنوا من فرض سيطرتهم على اقاليم اران في اذربيجان "والبانيا التاريخية" وعلى جورجيا التي كانت تسمى عند العرب (جرزان) ولكن لم يستتب الهدوء تماماً لأن الروم كانوا ينازعون العرب السيطرة على تلك البلاد التي كانت تدين في الاصل بالديانة المسيحية. فقد كان العرب ينتصرون فيها مرة وتبقى البلاد تحت سيطرتهم، ومرات اخرى كانت القوات البيزنطية التي كانت تساعد ارمينيا وجورجيا تتمكن من الاستيلاء على البلاد من جديد ليعود العرب المسلمون إلى استعادتها مرة اخرى. وبالرغم من كل هذه القلاقل والفتن بقيت هذه البلاد تحت حكم المسلمين دون ان تتمكن القوات المسيحية والخزرية من إجلائهم عنها.

ثانيا: دور الامويين

في عام ١٠٤هـ عين يزيد بن عبد الملك الجراح بن عبدالله الحكمي عاملا على ارمينيه وامره بغزو الخزر وغيرهم. فدخل باب الابواب – دربند – وفتح مدينة بلنجر عنوة وسار في البلاد الى حصن الربند، ولكن بعد مدة ثار اهل البلاد مما اضطره إلى طلب نجدة من يزيد الذي وافته المنية. ولكن هشام بن عبد الملك جدد له الولاية على ارمينية وبلنجر وباب الابواب. وفي عام ١١٢هـ. ٧٣٠م هزم وهو يحاول فتح باب "اللان" داربال حاليا. فتقدمت جيوش الخزر واستشهد في مرج اردبيل وخلفه اخوة عبد الملك مسلمة بن عبد الملك مكانه على إقليم باب الأبواب وأرمينية، فحاول بدوره فتح البلاد الواقعة في شمال هذا الأقليم ولكنه لم ينجح وانتصر عليه الخزر وكان مسلمة بن عبد الملك قد وصل إلى باب اللان واحتل قلعتها.

بعد هذه الهزيمة عين هشام بن عبد الملك مروان بن محمد حاكما على ارمينية واذربيجان وعلى البلاد الخاضعة للمسلمين في جنوبي القفقاس، وكان ذلك في عام ١١٤هـ ٧٣٥م ووضع تحت تصرفه قوات كبيرة من الجنود والمرتزقة بلغت ١٢٠,٠٠٠ فردا مكنته من التغلب على الخزر واخذ الثأر منهم، كما نجح في احتلال ابخازيا التي كانت تدين بالمسيحية في تلك الازمنة.

ثالثا: دور العباسيين

لما آلت الخلافة للعباسيين لم تهدأ الحالة في البلاد، بل بقي التنازع بين العرب والسكان مستمرا بتشجيع من الدول المسيحية المجاورة، ومع ذلك بقيت هذه البلاد محكومة تقريبا من قبل المسلمين العرب منذ ايام الخلفاء الراشدين.

ورغم كل التغييرات التي جرت في جنوب القفقاس، بسبب تعرضهم لغزو متواصل من جهات مختلفة ووقوعها تحت حكم دول ذات ديانات متباينة، بقيت البلاد خاضعة للنفوذ الاسلامي وتعاليمه وبقيت تسير على النظم الادارية التي كانت قد ادخلت ايام الخلفاء الراشدين على ايدي حكام مثل عتبة بن فرقد وحبيب بن مسلمة وعبد الرحمن بن ربيعة ونعيم بن المقرن وغيرهم، وكذلك من قبل قواد مثل هشام بن عبد الملك ومروان بن محمد. وبقيت البلاد في ايدي المسلمين مع ادخال تغييرات طفيفة في الادارة تتناسب مع الوضع العسكري والانظمة التي كان يفرضها الحكام والدول التي كانت تتغير وتتبدل باستمرار كما كانت البلاد الخاضعة للخلافة الاسلامية مقسمة إلى دويلات مثل (جرزان) – جورجيا الحالية، والبانيا القديمة اذربيجان الحالية والتي كانت تعرف باسم (اران)، وارمينية التي بقيت تحمل نفس الاسم دون تغيير وكانت اللغة العربية هي اللغة المسيطرة كلغة للثقافة والتعليم الديني، خاصة في شمال القفقاس، وفي كل من الداغستان والشيشان وبعض مناطق الشراكسة.

وفي عام ٨٠٠م كان كل سكان الداغستان وبلاد الشيشان يدينون بالدين الاسلامي وفي عام ٢٨٧هـ- ٩٠٠م – كانت اكثرية سكان شمال القفقاس قد دخلت الدين الاسلامي.

رابعا: دور ملوك الدولتين البحرية والبرجية الشركسية في مصر

كان لملوك مصر من اصل شركسي في عهد المماليك دور في نشر الاسلام في بلاد الشركس حسب ما كتبه ابن بطوطة في كتابه المسمى (تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) حيث قال بأن محمد ازبك خان الذي ولي في عام ١٣١٣-١٣٤٠ على مكان يدعى (بيش داغ) ويسمى الآن بالروسية (بياتيكورسك) واصبح هذا المكان مع مرور الزمان مدينة كبيرة تقع في شمال القفقاس في بلاد القبردي من بلاد الشراكسة. وفيها ينابيع مياه معدنية كثيرة، يفد إليها الناس للاستشفاء. ويروى أن (اوزبك خان) هذا قد عاش في بلاد الشراكسة كلاجيء وكان يجيد التكلم باللغة الشركسية كما كان يوجد حي خاص للشراكسة في سراي عاصمة ملكه.

ويقول ابن بطوطة انه قابل في بلاط اوزبك خان الشريف نقيب الشرفاء عبد الحميد مربي ولده، والقاضي حمزة والامام بدران القوامي والامام المقرىء حسام الدين البخاري وغيرهم، مما يدل على ان الدين الاسلامي كان قد انتشر إلى داخلية البلاد الشركسية، مع العلم ان القوات الاسلامية بقيت خارج حدودها. ومع ذلك كانت لها علاقات مع البلاد العربية، وكان ذلك ايام دولة المماليك البحرية التركية والمماليك البرجية الشركسية وفي ايام الايوبيين من قبلهم، وكان من الطبيعي والحالة هذه ان يكون للسكان الالمام بالشيء الكثير عن الديانة الاسلامية عن طريق ابنائهم واقاربهم الذين عاشوا في مصر لمدة ستة قرون متواصلة تقريبا، والذين كانوا يقومون بزيارة بلادهم او يستضيفون اقاربهم في مصر. إلا اننا لا

نمتلك وثائق تاريخية لنعرف منها النشاطات التي كانوا يقومون بها لنشر الدين الاسلامي في موطن آبائهم واجدادهم.

إلا اننا نعرف انهم كانوا يعودون إليها او يزورونها وهم مسلمون متعلمون ومتعصبون للإسلام، وجميعهم كانوا يتخرجون من مدارس خاصة انشأت لتعليم المماليك تعرف باسم الطباق في القلعة في مدينة القاهرة، وكانوا يتفقهون في العلوم الدينية ويجيدون اللغة العربية قراءة وكتابة كأحد ابنائها، يمكنهم من تلقين اهلهم واقاربهم ومعارفهم اصول الدين على اسس سليمة. وللاسف لا توجد لدينا معلومات تساعدنا على تقدير مدى انتشار الاسلام بين الشراكسة عن طريق هؤلاء المماليك ومع ذلك سنذكر اسماء بعض الاشخاص الذين عادوا إلى بلادهم او احضروا إلى مصر اقاربهم لزيارتها:

١- في عام ٧٨٢هـ الموافق ١٣٨٠م حضر إلى مصر والد برقوق الشركس وهو لا يزال قائد جيش، وكان اسمه (انس) ومعه عدد كبير من اقاربه واولاده واخوته بصحبة التاجر فخر الدين الخوارزمي.

٢- تحالف السلطان برقوق مع توختمش خان القبجاقي ضد تيمورلنك، وكان ذلك بين عامي ١٣٩٤-١٣٩٥م وكان ثالث سلطان مصري يعقد حلف مع القبجاق.

٣- زار الامير يشبك الدوادار عام ٨٧٥هـ - ١٤٧١م ايام سلطنه الاشرف قايتباي بلاد القفقاس وكتب عن رحلته ابو حامد بن خليل يوسف المقدسي.

٤- سافر سنة ٨٨٣هـ -١٤٧٨م الامير قانصوه الالفي إلى بلاد القفقاس للتداوي من توعك اصابه في اذنيه وعينيه وعاد منها سنة ٨٨٤هـ-١٤٧٩م.

٥- جاءت في سنة ٨٧٧هـ-١٤٧٣م من بلاد الشراكسة إلى مصر اخت السلطان قايتباي واسمها – جان كين – ومعها ولدها.

٦- سنة ٩٠٠هـ – ١٤٩٤م سافر الامير قانصوه (الخمسمائة) إلى القفقاس.

٧- حضر سنة ٩٢١هـ- ١٥١٥م من القفقاس إلى مصر شخص يقال إنه ابن اخ السلطان قانصوه الغوري.

ولا شك بأن هذه الزيارات كان لها دور في نشر الاسلام في المناطق التي وصل إليها ملوك وسلاطين مصر من اصول شركسية في عهد المماليك البحرية والبرجية.

خامسا: دور التجار المسلمين والسفراء العرب [٣١]

انتشر الاسلام سلما على امتداد الطرق التجارية من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر، وذلك بامتداد الطريقين الكبيرين للتجارة الدولية.. من الجنوب إلى الشمال بامتداد نهر الفولغا وهو (طريق الفراء) ومن الغرب إلى الشرق من البحر الاسود إلى الصين وهو (طريق الحرير) حيث انتشر الاسلام بفضل التجار المسلمين من عرب وايرانيين وأتراك آسيا الوسطى، وكذلك بفضل التجار والسفراء العرب في مملكة بلغار الفولغا الاوسط وفي الاورال وسهوب قازاق وجبال قرغيزيا وغيرها

سادسا: دور ملوك المغول

* كان لامبراطورية المغول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر دورها في نشر الدين الاسلامي حيث كان ملوك المغول من العشيرة الذهبية وخانات تشغتاي قد اهتدوا إلى الاسلام ودخلوا الاسلام على يد (النوغاي) في القوقاز الأوسط في القرن الثاني عشر. وفي نهاية القرن الخامس عشر اعتنق دين الاسلام معظم البلقر والكراتشاي والقبرطاي والشركس الشرقيون.

سابعا: دور خانات القرم

قامت روسيا بجهود كبيرة في محاربة الاسلام واعادة تنصير المسلمين. وجاء خانات القرم والامبراطورية العثمانية، حيث لجأوا إلى احلاف دبلوماسية وعسكرية ساهمت في نشر الإسلام بين قبائل الشركس الغربية والابخاز بجهودهم وأوقفوا تقدم المسيحية في القوقاز الأوسط.

ثامنا: دور جماعات الصوفية والنقشبندية

ظهرت الجماعات الصوفية من أصحاب الطريقة النقشبندية التي سجلت الموجه الثانية من انتشار الاسلام في القوقاز كما ظهر في داغستان وشيشانيا دعاة النقشبندية القادمون من شيرفان وآسيا الوسطى، وكانت المقاومة الشديدة والمستعمرة التي خاضها قبائل القوقاز وتصدوا بها للزحف الروسي هي ثمرة دعوى مريدي النقشبندية، وإليهم يرجع الفضل في نشر الاسلام نهائيا بين الشيشان في مطلع القرن التاسع عشر والشركس الغربيين والابازا.

تاسعا: دور الحركة المريدية

كان لأصحاب الحركة المريدية دور هام في نشر الاسلام في القفقاس عامة وفي بلاد الشراكسة في وقت متأخر خاصة، حيث قام اصحاب الطريقة النقشبيندية والحركة المريدية بنشر الاسلام بين شراكسة غرب القفقاس الشمالي [*] .

حاول الشيخ شامل ادخال المريدية إلى بلاد الشراكسة في غرب القفقاس، وعندما طلبوا منه ارسال من ينوب عنه لتنظيم المقاومة والادارة في البلاد سعيا وراء توحيد المقاومة ضد الغزو في الشرق والغرب بإحداث قيادة موحدة وتنظيمات متجانسة، لم يكن في الامكان إتمام مثل هذه الاعمال الكبيرة على اسس الدين

[*] لمزيد من المعلومات حول دور الحركة المريدية في نشر الاسلام بين قبائل الشراكسة الاديغة في غرب شمال القفقاس يمكن الرجوع للمجلد الثالث، الجزء الرابع، الفصل الخامس.

بالإضافة إلى روح الوطنية التي كانت تستند عليها مستلزمات الجهاد في الدفاع عن الوطن الام، والسبب هو عدم وجود لغة واحدة مشتركة للتفاهم بين شرقي القفقاس وغربه، ولذا كانت الآمال كلها معقودة على توحيد الدين وتقويته في نفوس الافراد، وتكوين الرابطة التي ستمكنهم من الوقوف صفا واحدا امام الخطر الداهم لكلا الطرفين، فأرسل الشيخ (شامل) عام ١٨٤٢ الحاج محمد ثم الحاج سليمان في عام ١٨٤٤ ولكن النجاح لم يكن من نصيبهما. واخيرا ارسل إليهم النائب (محمد امين) وهو شاب ذكي ونشيط، في عام ١٨٤٦، وبعد ان درس أحوال البلاد عن كثب اعلن الغاء القاب الامراء والاشراف والنبلاء ليتخلص الشعب من تحكم الطبقة الخاصة، كما شدد على اعتناق الاسلام لكل من لم يكن قد اعتنقه من سكان البلاد حتى ذلك التاريخ. حيث ان كثيراً من الشراكسة كانوا ما زالوا وثنيين، فقام (النائب) بتعليمهم تعاليم الاسلام. وقام بالدعوة للحرب المقدسة. وكانت البلاد في ذلك الوقت متأهبة لمثل هذه الدعوة. اضافة إلى ان كثيرا من الأمراء كانوا قد دخلوا الاسلام وبمساعدة هؤلاء الأمراء استطاع ان ينشر الاسلام بين جميع سكان الاقليم تقريبا، فالدعوة انتشرت بين جميع الأديغة في وقت قصير ولكن هذا لم يجعل النائب يشعر بالرضا، فبعد إشاعة الاسلام في كل المنطقة قام بإطلاق سراح كل الأسرى من جنود الأعداء ودعاهم لاعتناق الاسلام وجعلهم نواة لجيش صغير، وبمساعدة هذه الفرقة المحاربة استطاع القضاء على المشاكل القائمة، وأصبح يجمع الضرائب والمتطوعين وتجولوا في الجبال مع مرافقيه يدعون الناس للاجتماع واداء الصلاة ودفع الضرائب الحربية وكل من يعترض على ذلك كان يعاقب دون رحمة.

يقول جيمس بل، الذي زار القفقاس عام ١٨٣٧ واقام فيها لمدة ثلاث سنوات، في كتابه – الاقامة في القفقاس – المجلد الاول – صفحة ٣٣٨.

يقول بأن "امراء القبائل لم يكونوا يتمتعون بأي نوع من نفوذ او امتيازات في ايامه ويعزي ذلك إلى الدخول في الديانة الاسلامية التي ساوت بينهم، كما كانت لجنة المحلفين تدور في البلاد لتنظيم (اليمين) على أفراد الشعب ليبقوا مخلصين على تحالف القبائل، حيث كان العلماء والمشايخ الذين يرافقونهم هم الذين يتولون عملية التحليف ويطلبون من كل فرد ان يحلف على القرآن الكريم لا على كتاب آخر، مما يدل على ان الدين الاسلامي كان منتشرا بينهم ويسير الناس بموجب تعاليمه.

ويقول بعض المؤرخين لا يمكن ان يعزى كل ما جرى من التغييرات في بلاد الشراكسة إلى نشاط النائب محمد امين بل كانت البلاد مستعدة عند مجيئه لقبول أفكاره التحريرية الجريئة، ومع ذلك يجب أن لا ننكر على هذا الرجل ما قدمه للشراكسة من خدمات في تنظيم البلاد إداريا وعسكريا على اسس دينية محاولا ايجاد تقارب ان لم يكن اتحادا بين شرق القفقاس وغربه، واصبحت البلاد تدار من قبل مجلس مكون من ١٥ شخصا من ابناء القبائل المذكورة عرف باسم – مجلس الميثاق القومي – غير ان الامبراطورية الروسية كانت له بالمرصاد، ولم تعطيه الفرصة للقيام بأعمال كبيرة.

ويجدر بنا ان نذكر ان شرقي القفقاس الذي كان قد اسلم على ايدي العرب بقي مسلما واصطبغ بالاسلام منذ دخوله فيه، ولكن الاسلام وجد مقاومة في غربي القفقاس، الشمالية والجنوبية، لم يجده في الشرق، وذلك بسبب قرب المناطق الغربية من الامبراطورية البيزنطية والقسطنطينية التي كانت تتمركز فيها زعامة الديانة المسيحية الارثوذكسية التي كانت تدين بها سكان المناطق الغربية قبل وصول الاسلام إليها، وإلى البلاد الاخرى المحيطة بالبحر الاسود مثل ارمينيا وجورجيا ومنغوليا وابخازيا – وبلغاريا ورومانيا وروسيا بعد ان اصبحت الاخيرة من دول البحر الاسود، وورثت الزعامة الارثوذكسية بعد زوال الدولة البيزنطية، هذه الدول

كانت كلها مسيحية تحاول دائما وبكل الطرق المحافظة على الديانة المسيحية وحمايتها في مختلف المناطق القفقاسية، مما ساعد على بقاء جورجيا وارمينيا ومنغوليا وحتى ابخازيا مسيحية إلى يومنا هذا. ولذا فإن سكان بلاد الشراكسة تأخروا في دخول الدين الاسلامي حتى القرن السادس عشر، ولم يعم الاسلام فيها إلا في اوائل القرن الثامن عشر على يد خانات القرم والدولة العثمانية.

ويلاحظ بأن الذين اسلموا من سكان القفقاس على ايدي العرب على ايدي الفاتحين العرب يتبعون الامام الشافعي، بينما الشراكسة الذين اسلموا على ايدي خانات القرم وولاة الدولة العثمانية ومبشريها يتبعون المذهب الحنفي.

(٢) فترات انتشار الدين الإسلامي في بلاد الشراكسة.

تلك هي ادوار الخلفاء الراشدين وبعض الدول والجماعات الاسلامية خلال الفترة الممتدة من (١٩)هـ الموافق (٦٣٩م) وحتى منتصف القرن الثامن عشر.

اما تفاصيل الانتشار الحقيقي للدين الحنيف بين مختلف الامارات الشركسية في شرق غرب القفقاس فقد تمت على فترات متباعدة ابتداء من اواسط القرن السادس عشر؛ اي في عام (١٥٥٧) وحتى عام (١٨٦٠) ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

الفترة الاولى: وهي الفترة الممتدة من اواسط القرن السادس عشر ابتداء من عام (١٥٥٧ إلى عام ١٧١٧)

حيث بدأ اعتناق بعض أمراء الشراكسة الإسلام، وبعض عامة الشعب من مختلف القبائل الشركسية التي كانت سكنت في المنطقة القريبة من بلاد (القرم) وذلك بتأثير (خانات) القرم المجاورين لبلاد الشراكسة من الشمال، وامتدت إلى منطقة حوض نهر (الترك) وتلاقت مع المسلمين في القسم الشركسي من القفقاس، إلا أن المناطق الداخلية من ساحل البحر الاسود والقسم الاوسط والأدنى من حوض

(الكوبان) فقد تأخر انتشار الاسلام بين سكانها من (الأديغة) عامة والقبرطاي خاصة.

في عام (١٥٥٧م) وهو العام الذي وقعت فيه اتفاقية بين الأمير تيموروق وبين القيصر (إيفان الرابع) وزواج القيصر من ابنته الأميرة (ماريا).

ولإعطاء فكرة واضحة عن الأوضاع الدينية التي كانت سائدة لدى الشراكسة (الأديغة) في هذه الفترة لا بد من اقتباس بعض الفقرات من كتاب (Quelquejay)[٣٣] ترجمة (نيازبا توقه) وهو أفضل من كتب عن هذه الفترة، حيث يقول في الفصل الخاص بالبنية الاجتماعية والسياسية والدينية في القفقاس الشمالي بالقرن السادس عشر [٣٣]. بدأت العلاقات بين روسيا (والقبرطاي) عام ١٥٥٧ اي بعد سنة من احتلال (خانية استراخان) من قبل الجيش الروسي الذي كان في حينه الجيش الذي لا يقهر في نظر القفقاسيين. وفي تموز من عام (١٥٥٧) توجه سفير الامير (تمروق) احد أمراء (القبرطاي) إلى موسكو طالبا الحماية من القيصر ضد اعدائهم (الداغستانيين والنغويين) الاشقياء و (خانات القرم). وتؤكد الوثائق الروسية بأن بعض عائلات الامراء من (القبرطاي) كانوا من المسلمين وكذلك الامير (تمروق بن إيدار) كان مسلما لكن ابنته (ماري) اعتنقت الديانة المسيحية الارثوذكسية عندما تزوجت القيصر (إيفان الرهيب).

ومن مظاهر (التذبذب) الديني لدى بعض أمراء الشراكسة في هذه الفترة هي ظاهرة تأثرهم بديانة (الدول) والسلطات التي يتعاملون معها.. فأولاد الأمراء الذين كانوا على اتصال مع القياصرة الروس كانوا يعتنقون المسيحية، اما الاولاد الذين كانوا على اتصال مع العثمانيين فكانوا يعتنقون الدين الاسلامي، وكذلك فإن المقيمين منهم في البلاد كانوا مسلمين، ومن الذين اعتنقوا المسيحية هو أحد أحفاد الأمير (تمروق) وابن (مامستروق) و (كانشوف) بينما شقيقهم (قانصاو) كان مسلما، كما كان جميع أعضاء أسرة الأمير (تمروق) مسلمين.

وفي عام ١٥٥٨ أخذ الأمير قانبولات شقيق ابنه (خورشاي) إلى بلاط القيصر بهدف طلب الحماية الروسية، وأصبح ابنه مسيحيا وعمد تحت اسم (بوريس) بينما ابن آخر لقانبولات وهو الأمير (كودنت) الذي بقي في القفقاس كان مسلما، ولكن ابنه الثالث (أرسلان) الذي عاش في موسكو مع طبقة (الستولنيك Stolnik) اعتنق المسيحية وسمى نفسه (ياكوف).

نستنتج مما تقدم بأننا امام ظاهرة تكاد تكون فريدة في نوعها في تاريخ الاسلام وهي وجود بعض من أعضاء العائلة الواحدة يدينون بالمسيحية الارثوذكسية والبعض الآخر بالإسلام.

وفي عام ١٥٦٦ قرر القيصر (إيفان) دفع حركة التنصير إلى أبعد من ذلك في بلاد (القبرطاي) فأرسل احد القادة العسكريين المقربين إليه واسمه (جرمينسوف) إلى بلاد (القبرطاي) على رأس جيش كبير ضم العديد من القساوسة الأرثوذكس بهدف ادخال الشركس عامة و (القبرطاي) خاصة إلى الديانة المسيحية إلا أن هذه المحاولة لم تنجح وقد حدث العكس حيث أدت المحاولة الخاطئة لتخويف (القبرطاي) من هذه الحملة فكانت النتيجة بأن اعداداً كبيرة تركت المسيحية واعتنقوا الاسلام بعد عام ١٥٦٠.

وفي تموز عام ١٥٦٣ حينما كان الأمير (تمروق) المدعوم من قبل القيصر يناضل ضد منافسيه الاميرين (سيبوق وقانوق) من بشتاو واللذين كانا من قبل في خدمة القيصر، يحملان اسمين مسيحيين هما (الكسي) و (غاقربل) هربا من موسكو ليتوجها أولا إلى (ليتوانيا) ومن هناك إلى (القرم). وهكذا فإن أمراء (القبرطاي) كانوا في فوضى من الناحية الدينية والسياسية، فالحزب الموالي للروس كان على رأسه أمير شركسي مسيحي بينما كان القبرطاي المسلمون يتوجهون إلى معسكر التاتار (في القرم).

هكذا كان الوضع الديني لدى الشراكسة (القبرطاي) الذين كانوا يسكنون القسمين الاوسط والشمالي من بلاد القفقاس. أما الشراكسة الذين كانوا يقطنون المنطقة الغربية منها مثل (الأبازة) فكان وضعهم الديني يتسم بالتذبذب ايضا خلال القرن السادس عشر ما بين مبايعة خانات القرم والإسلام من جهة والتابعية الروسية والمسيحية من جهة أخرى، ولم يتم اعتناق (الأبازة) للإسلام إلا في القرن الثامن عشر.

ويقول المؤرخ (Quel Quejay) عندما تكلم عن البنية الاجتماعية والسياسية والدينية في القفقاس في القرن السادس عشر بأن الوضع عند الشراكسة الغربيين كان أكثر تعقيدا وأكثر اضطرابا عنه لدى (القبرطاي) في الشمال بسبب غياب الهرم الاقطاعي عندهم، كما هو الحال عند جيرانهم (القبرطاي)، فقد كانت الطبقة النبيلة حتى عام ١٥٦٠ تدين جزئيا بالمسيحية وجزئيا بالإسلام مع احتمال وجود أقلية (تدين بالوثنية)، كما كان إقطاعيو (الأديغية) يبدلون دينهم من حين لآخر وأما طبقات الفلاحين والأحرار والخدم، فكانوا بشكل عام يدينون بمذهب وجود الروح في الكائنات الحية (Animistes)، كما كانت القاعدة عند نبلاء الشراكسة الذين توجهوا لخدمة القيصر أن يصبحوا مسيحيين (تحت اسم جماعي جركاسي Gerkasi) واقدم تعميد للشراكس الغربيين يعود إلى عام ١٥٥٠ عندما توجه أحد الابازة (القاليج) Alqalig ابن (ايزبوزلوقة) إلى موسكو وتعمد تحت اسم (إيفان) كما كان ابن (غردنوقة) يعيش حينئذ في بلاد القيصر (إيفان) وهو من اصل ابازي. وفي عام ١٥٥٥ أرسل امير قبيلة (جاني) الشركسية واسمه (سيبوقة) ابنه (كوداد يقوه) إلى موسكو وتعمد تحت اسم (الكسندر) وفي عام ١٥٦٠م ارسل القيصر (إيفان) عددا كبيرا من الشراكسة المسيحيين الذين كانوا يعيشون في موسكو ضمن حملة تضم قساوسة بهدف ادخال عائلة (جاني) إلى المسيحية، وساهم رؤساء قبيلة (جاني) في الأعوام ١٥٥٦-١٥٦٠ مساهمة فعالة في محاولة الامير (ديمتري

فيشنيفسكي) لاحتلال القلاع العثمانية (آزاق، وتامان، وتمروق)، وانتهت محاولة (فيشنيفسكي) بمساعدة قبائل الشركس لاحتلال القلاع بالفشل النهائي عام ١٥٦٠ وبدأ الإسلام يتأصل بقوة لدى الشراكسة الغربيين بعد هذه المحاولة بعام واحد حيث اعتنق نبلاء قبيلة (جاني) الاسلام شيئا فشيئا.

والدارس للأرشيف العثماني في القرن السادس عشر، يجد بأن بعض أمراء الشراكسة عامة وقبيلة (جاني) خاصة اعتنقوا الدين الاسلامي ابتداء من عام ١٥٦٠ وفي عام ١٥٦٥ أرسل كبير (البكوات) العثمانيين واسمه (بيلربي) خبرا يعلمهم فيه بأن أحد زعماء الشراكسة يرغب الحضور إلى اسطنبول ليعتنق الدين الإسلامي، كما أعلم أحد ضباط (الباب العالي) بأن قبائل شركسية تحمل علم السلطان وتدفع له الجزية باستثناء قبيلة جاني (جاتقوق) كانت متمردة وتهدد خانات القرم. وفي نفس الوقت فقد أخبر الضابط الحكام بأن رئيسا شركسيا وهو (انقوتوقه) (اسمه لا يكشف عن انتمائه الديني) كان ينوي القدوم إلى اسطنبول، ربما لاعتناق الاسلام.

في عام (١٥٧٤) أصدر قاضي (صمصون) التتري أمرا يعلن فيه إباحة بيع الأسرى من الشراكسة (غير المسلمين). وفي عام (١٥٨٢) أصدر أمراً آخر إلى بيك البكوات (بيلربي) في (باطوم) يصف فيه الابخاز (ابازة في النص العثماني) وشراكسة الجبال الذين يغزون منطقة باطوم بأنهم (كفار)، وبعد عام ١٥٩٠ ازداد عدد زعماء الشركس (المسيحيين) الذين يرغبون القدوم إلى اسطنبول للمبايعة واعتناق الاسلام ويبدو بأنه مع نهاية القرن السادس عشر كانت جميع القبائل (الغربية) ذات البنية الاقطاعية قد دخلت إلى الإسلام.

كما أكد (الأبخازي هزارفين) كاتب اليوميات العثمانية (أن الذين يقطنون في الغرب من بلاد الشركس مثل قبيلة (جاني) من سنجاق تامان يعترفون بقواعد الشريعة ويتقبلون القضاة المعينين من قبل الباب العالي، وبالتالي فلا يحق لنا أسرهم، لكن الذين يقطنون شرق قبيلة (جاني) وحتى شراكسة القبرطاي فإنها (دار

حرب) ويمكن ان نأخذهم أسرى. نستنتج من ذلك بأن قبائل الشراكسة الشرقية ومنها (البسلني) اعتبرهم (العثمانيون) كفارا، لأنهم كانوا يدينون (بالوثنية Animists) ويعتقدون بأن الكائنات الحية لها أرواح، ووصفتهم الوثائق العثمانية في ذلك العهد بأنهم (كفار) [٣٤].

الفترة الثانية: وهي الفترة الممتدة من تاريخ قتل الاساقفة والخوارنة الارثوذكس من أصول بيزنطية أو شركسية في عام ١٧١٧ وحتى عام ١٨٥٠ وهو العام الذي انتهى فيه محمد أمين نائب الامام شامل من مهمة نشر الدين الاسلامي بين جميع القبائل الشركسية في الغرب.

يقول (نوغموقة) في كتابه تاريخ الاديكة (الجركسي) القديم: إن الضربة القاضية التي اصابت الديانة المسيحية في القفقاس، كانت عام ١٧١٧، حينما امر سلاطين الاتراك خان القرم (دولت كراي Dewlet Girai) و (غاز كراي -Ghaz Girai) بنشر الديانة الاسلامية بين (الآديكة) بقوة السيف، وقتل رؤساء الدين المسيحيين والخوارنة (شوجن) وإحراق كتبهم المقدسة وتحطيم عصيهم، مما أدى إلى ترك أثر كبير في نفوس الشراكسة المسيحيين وضربوا امثالا للتعبير عن استيائهم، منها المثل القائل **(ليتهم يسلبوا متاعك وملكك كما سلبت عصي الاساقفة).**

إلا أن القادة العسكريين لخانات القرم أساؤوا التصرف مع القبائل الشركسية التي اعتنقت الدين الإسلامي حيث فرضوا على كل عائلة شركسية إيواء أربعة من رجالهم العساكر مع خيولهم، وأجبروا الأهالي على إطعامهم وإيوائهم، ثم عينوا في كل بلدة إماما (مولى) لتعليم الاهالي قواعد الدين الاسلامي، وبقي (جيش القرم) محتلا بلاد قبيلة (القبردي) من شركيسيا عدة سنوات، وقبل بعض السكان منهم اعتناق الدين الاسلامي بينما رفض آخرون، وظلوا يمارسون شعائر دينهم القديم خفية، خوفا من اضطهاد التتار لهم.

وفي عام ١٧٢٥م أمر (أمير قبائل القبردي) الشركسية كل شركسي من سكان المقاطعة قتل كل من يعثر عليه من (الاتراك) وأهل (القرم) اينما كانوا وحيثما وجدوا ولما خيم الظلام قام أهل (القبردي) قومة رجل واحد وسلطوا السيوف على رقاب الغاصبين خانات القرم والاتراك، وأبادوهم عن آخرهم، حتى لم يبق منهم أحد على قيد الحياة. وفي عهد الامير الشركسي (حاتوظوقة) دخل فريق من شعب الاديغة (الشراكسة) بالإسلام، وعندما تسلم الإمارة أخوه (عادل كراي Adil Girai) الحكم وكان قد تعلم اللغة العربية والتركية، أخذ بنشر الدين الاسلامي بين عشائر القبردي الشركسية التي لم تكن قد اعتنقت الدين الاسلامي، كما اهتم في بناء المساجد وتعيين الائمة والمشايخ وعلماء الدين الاسلامي في كل انحاء منطقة القبردي الشركسية، وهكذا أخذ الدين الحنيف بالانتشار ذاتيا، وعلى يد أمراء الشركس انفسهم وبأسلوب الإقناع والترغيب، وقد أدى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية إلى انتظام الاحوال المدنية والاجتماعية في بلاد القبردي الشركسية.

أما قبائل الشراكس الأخرى التي كانت تسكن وسط وشمال قفقازيا الشمالية وشواطئ البحر الأسود الشرقية، فقد تأخر انتشار الدين الإسلامي بينهم حتى سنة (١٨٤٢م) عندما قرر الكثير من ابناء تلك القبائل الدخول في الدين الاسلامي نتيجة الحركة المريدية على يد (الإمام شامل) الذي قاد حركة الاستقلال ضد روسيا في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد أرسل عام (١٨٤٢) أحد نوابه وهو (الحاج محمد أمين) إلى بلاد الشراكسة في منطقة الاديغي قادما من بلاد الداغستان، فأخذ النائب يبث الدعاية للإمام (شامل)، ويصوره للأهالي بأنه محارب شجاع ومن (أولياء الله المطهرين)، ووعد بأنه سيعينهم على الروس إذا قبلوا الإسلام دينا لهم، واتبعوا ارشاداته وتعاليمه. وتبين للقبائل الشركسية الشمالية أن ما يطلبه منهم الإمام شامل مقابل مساعدته لهم ضد الروس، يختلف عما قدمه الاتراك سابقا، وايقنوا ان دخولهم في الإسلام هو الطريق الوحيد للخلاص من عدوان الروس عليهم

والحصول على المساعدات اللازمة لإخراجهم، وكانت أولى القبائل الشركسية الشمالية التي اعتنقت الإسلام هي قبيلة (الأبزاخ)، وساعد على انتشار الإسلام بين أبناء هذه القبيلة غضب العامة من حكم أمرائهم ونبلائهم، فتقبلوا الدين الجديد واستطاعوا القضاء بمساعدة (الإمام محمد أمين) على هذه الطبقة من الحكام، وفرضوا قوانين الشريعة الاسلامية في شمال القفقاس وبناء المساجد [٣٥].

حاول النائب (محمد امين) بعد ان استتب له الأمر في بلاد (الابزاخ) الشركسية أن يمد نفوذه وينشر الدين الاسلامي في منطقة (الاوبيخ والشابسوغ) إلا أنه وجد في منطقة (الاوبيخ) مقاومة شديدة حيث صمد له سكانها الذين كان أكثرهم يدين بالمسيحية فاضطر إلى تأجيل هذه المنطقة من برامجه، ووجه اهتمامه إلى قبيلة (الشابسوغ) التي كانت من أمهات القبائل الشركسية في الغرب وأقواها، إلا أن الامور لم تتيسر له في بلاد الشابسوغ، حيث أن هذه القبيلة لم تكن تعاني من تسلط نظام الإقطاع عليها، ولم تكن لديها طبقة نبلاء وامراء حتى يتمكن النائب من تحريض طبقة العوام عليهم كما فعل في منطقة (الابزاخ)، عدا أن وجود مسلمين ومسيحيين بين ابناء قبيلة الشابسوغ قسم الرأي العام منهم إلى قسمين بين مؤيد لاستقبال (نائب الامام شامل) ومعارض له. أما أهالي منطقة (ناتخواج) من القبائل الشركسية ايضا التي كانت تسكن شمال بلاد الاديغة، فكانوا ميالين لاستقبال النائب لاحتياجهم لمساعدته الحربية أكثر من سواهم بسبب قربهم من حدود الروس، أما سكان الاقسام الجبلية من بلاد الشابسوغ، وبخاصة القاطنين بين نهري (شيس) و (أفيبس)، فقد تسلحوا لمقاومته حربيا.

وفي عام ١٨٤٩م جمع النائب (محمد أمين) جيشا كبيرا من قبائل الشركس التي اعتنقت الاسلام، وفي مقدمتها قبيلة (الابزاخ) التي جمعت له (٢٠الف) مقاتل و (٤آلاف) من مسلمي الشابسوغ أنفسهم وجرت معركة بين المعارضين للدخول في الدين الاسلامي من قبيلة الشابسوغ، وكان عددهم ستة آلاف مقاتل وبين جيش

النائب (محمد أمين) البالغ عدده (٢٤ الف) مقاتل من (الأبزاخ والشابسوغ) عند ضفاف نهر (دوغاي) أسفرت عن صمود المعارضين وقتل خمسمائة محارب من كلا الطرفين، ولم يستتب الأمر للنائب (محمد أمين) إلا بعد عدة معارك مع المعارضين حدثت عند أنهر (آبين) و (أيل) و (حابل) و (بوغندور). بعد ذلك أخذ النائب يسرع في تقدمه ويقيم عند كل نهر اسبوعا كاملا، يقوم خلاله بجمع السكان وإجبارهم فردا فردا على أداء كلمة الشهادة وتلاوة بعض السور القرآنية، وكان يسجل اسم من يؤمن ويجبره على الالتحاق بجيش المسلمين. ثم توجه بجيشه الذي بلغ ٢٥ الف مقاتل إلى منطقة قبيلة (ناتخواج) حيث استقبله الأهالي بحفاوة بالغة وأعلنوا إسلامهم راغبين، ونقضوا هدنتهم مع الروس إذ كانت بلادهم متاخمة للبلاد الروسية، وعقدوا مؤتمرا شعبيا عاما تقرر خلاله أنه ليس بمقدور أية جماعة أو قبيلة بمفردها أن تهادن الروس وأن كل مفاوضة او اتفاق أو حرب مع الروس يجب ان يشترك فيه جميع قبائل الأمة الشركسية. وبعد انتهاء النائب (محمد أمين) من اعماله في بلاد الشابسوغ والناتخواج وجه نظره إلى بلاد الاوبيخ والأقسام الجبيلة من الشابسوغ التي كان قد تركها وشأنها في بادئ الأمر، لأن سكان هذه البلاد الممتدة على ساحل البحر الأسود من (صوجاق) (ميناء على ساحل البحر الاسود الشرقي) حتى حدود بلاد الاوبيخ، كانوا أشد الناس تعنتا وتعصبا لدينهم المسيحي [٣٦].

ثم غير النائب (محمد امين) من أسلوبه ولجأ إلى أسلوب الاقناع وتوسيط ابناء الشابسوغ المسلمين لاقناع إخوانهم من أهالي شابسوغ الجبال بالدخول في الدين الاسلامي، وإنشاء محاكم في كل (المدن الساحلية على شاطئ البحر الاسود الشرقي)، وقد نجح أخيرا في إدخال (شابسوغ) الجبلين في الدين الاسلامي. وقد قضى النائب (محمد أمين) شتاء سنة ١٨٤٩-١٨٥٠م وهو يحاول انشاء محكمة إسلامية في بلاد الاوبيخ إذ لقي من أهلها العصيان لإرادته، غير أن أهالي بلاد

(الاوبيخ) لما رأوا أن جميع الأمة الشركسية قد اعترفت نهائيا بنيابة (محمد امين) وسيادته عليها لم يقاوموه حربيا، وهكذا نجد أن الفضل في انتشار الدين الاسلامي بين الامة الشركسية في الغرب يعود للنائب (محمد امين نائب الامام شامل)، وليس للدولة العثمانية التي عجزت عن تنظيم البلاد الشركسية، كما نجح هذا النائب في تقسيم البلاد الشركسية إلى مراكز وإدارات وأقام المحاكم والمساجد في جميع أنحاء بلاد الشركس.[٣٧]

الفترة الثالثة وهي فترة حرب الشعارات والتي تتداخل مع الفترة الزمنية الثالثة وحتى بدء التهجير القسري لشعوب شمال القفقاس عامة والشراكسة خاصة (١٨٢٩م-١٨٦٤م).

تميزت هذه الفترة بأربعة مظاهر دينية / سياسية وهي:

الظاهرة الاولى: وهي ظاهرة حرب الشعارات الدينية التي أطلقها كل من اصحاب الحركة المريدية التي قادت المقاومة الاسلامية شمال قفقاسيا عامة والداغستان خاصة، وهي حركة كانت تتبع (الطريقة النقشبندية) التي أسسها محمد البخاري المتوفى سنة ٧٩١هـ، وبدأت حركة إصلاح ديني إلا أن الإمام (محمد البرغلي) أعطاها طابعا سياسيا وتولى قيادتها محمد الغمري المعروف باسم "غازي مولا" من بلاد الداغستان، وفي عام (١٨٢٩م) وجه نداء عاما لشعوب الداغستان بالجهاد في سبيل نشر الدين الاسلامي، واستشهد عام ١٨٣٢، بعد عدة معارك مع القوات الروسية، وتولى الامام (فخرات) قيادة المريدية إلا أنه اغتيل بعد عامين من قيادته من قبل (الحاج مراد) وهو من قبيلة (باخوبيخي زعيمة خونزاح الداغستانية) وتولى القيادة من بعده الإمام (شامل) عام ١٨٣٤، وأمضى في تنظيم الحركة المريدية (عسكريا) خلال السنوات (١٨٣٤-١٨٣٧) وفي عام ١٨٣٨ بدأ حربا مفتوحة على القوات الروسية في كل من بلاد الداغستان والشيشان وشراكسة الغرب واستمر في قتاله حتى استسلم عام (١٨٥٧) [٣٨].

وتميزت الفترة التي قاد فيها (شامل) الحركة المريدية برفع شعارات دينية سياسية، ومن هذه الشعارات:

- الجنة تحت ظلال السيوف.
- جميع الروس لا يدينون بدين الاسلام.
- من شروط الإسلام كره الروس.
- كل ما هو عائد للروس فهو محرم على المسلمين.
- لا يقبل الدين قطعيا ذهاب المريض للعلاج عند الاطباء الروس.
- كل شخص لا يحارب الكفرة الروس مصيره إلى جهنم.
- إن أمة محمد لا يمكن ان تعيش تحت إدارة الكفرة من غير المؤمنين بالله.
- على كل مسلم أن يفكر بالجهاد وفق الشريعة السمحة [٣٩].

الظاهرة الثانية: وهي رفع الشعارات المضادة للشعارات (المريدية النقشبندية) الإسلامية من قبل جماعة عدوانية من قبائل القوقاز المدعومين من حكام روسيا القيصرية وهي الجماعة التي سمت نفسها بالطائفة (الزباروزية) التي اعتنقت الديانة المسيحية حديثا.. فرفعت هذه الطائفة شعارات تمجد الديانة المسيحية على اعتبارها أفضل الأديان والتحريض على قتل القفقاسيين.

وكان من الشعارات التي رفعتها الطائفة الدينية المتعصبة هي:

- أفضل الأديان هي المسيحية.
- يجب قتل كل قفقاسي يرفض ذلك.
- وهذه أهم مهام للزباروزية.

ولا شك بأن هذه الدعاية المركزة من قبل الطرفين أدت إلى عدم تحكيم التفكير السليم والعقلاني في موضوع المقاومة والحرب في شمال القفقاس وعدم التفاهم للتعايش واستمرار الحروب الدامية لسنوات طويلة. [٤٠]

الظاهرة الثالثة: وهي وقوع صراعات ونزاعات وصدامات دموية بين الأمراء والنبلاء من جهة وعامة الشعوب الشركسية من جهة أخرى لدى قبائل (القبرطاي والابزاخ) وهي الصراعات التي وصفها الجنرال (بريافنسكي) نائب القيصر الروسي في رسالته المطولة التي أرسلها إلى القيصر ونصها كما في مذكرات الجنرال الشيشاني (كندوقوف) ونقتبس منها الفقرات الخمسة التالية: [٤١].

الفقرة الاولى: وفيها وصف الصراعات القائمة بين الأمراء والنبلاء وعامة الشعب بقوله: ((مع ان النظام العسكري الجديد الذي طبق في القفقاس في الفترة الأخيرة يعطي الأمل في الحصول على صداقة هذه المنطقة، فإن الاستسلام الحاصل نتيجة قوة السلاح والذي يعتبر ضررا لنا لأنه يحاول بالواقع منع المد الديني بالطريقة المريدية، فلذا يجب العمل على ازالة هذه الفكرة من الوجود. فالمريدية ليست عقيدة دينية فقط بل هو قانون يمنع الامتياز الطبقي ويعتبر الناس سواسية بدون تمييز او طبقية، ويوحد أبناء الشعب، والمريدية نظام يرفض الحكم العلماني ولا يقبل إلا بالحكومة التي تطبق أحكام الإسلام وهم لا يعترفون بسلطان عليهم إلا السلطان العثماني (سلطان جميع المسلمين) وبالنسبة لهم فإن الشريعة هي القانون الوحيد الذي يمكن ان يحافظ على حقوق وأرواح المسلمين)).

واستطرد قائلا: من هنا يتضح أنه إذا لم نتمكن من إضعاف طريقة المريدية ونضع العوائق والموانع في طريق تقدمهم وازديادهم فإن النصر العسكري الذي حققناه في قفقاسيا سوف يذهب هباء بظهور إمام قوى يستطيع أن يوحد الشراكسة مرة ثانية، والطريقة الحتمية لذلك هي إحياء النظام الذي يعتمد على الطبقية في قفقاسيا، وبذلك فإن أي حكومة تعتمد على الطبقية ستضعف التيار الديني بأقصر الطرق، وبالطبقية سيبدأ تطبيق العادات الشركسية بدلا من الاحكام الشرعية وستظهر المحاكمات التي تؤيد العادات والتقاليد.

الفقرة الثانية: وركز فيها على مدى تأثير الطريقة المريدية على الشعوب الشركسية بقوله:

"وتم اعتماد الجهاد كمبدأ ديني بطريقة المريدية واعلنت الحرب ضد الكفرة الموجودين في قفقاسيا أو يحاولون الدخول إليها. وبهذا فقد انتشر الحس الديني في قفقاسيا التي كانت مفرغة من كل فكر مخالف لنا وانضم الجميع تحت لواء الشريعة الاسلامية. فبتأسيس هذه الوحدة الدينية والوطنية في جبال القفقاس وازدياد اهمية الائمة المستمرة اجبرنا على تقوية وزيادة عدد افراد قواتنا العسكرية في المنطقة، وفي الحقيقة قديما كنا بحاجة إلى قوة صغيرة لإيقاف العصيان او التمرد الحاصل في المنطقة. أما اليوم فإننا بحاجة إلى ألوية من الجيش لإيقاف مثل هذه العصيان أو التمرد.

الفقرة الثالثة: فقد خصصها لشرح الحركة المريدية والتأكيد على أنها ليست عقيدة دينية فقط وإنما هي قانون يمنع الطبقية بين شعوب القفقاس عامة والشراكسة خاصة.

وفي الفقرة الرابعة: يقترح فصل الاعمال الدينية عن الاعمال الادارية كما يقترح احياء النظام الطبقي بقوله: هذا وسيكون طريقا سهلا لكي تفرض الحكومة الروسية سيطرتها وأن تضع الاعمال الادارية تحت سيطرتها وتوجيهها حسب ما تراه مناسبا. وبإحياء النظام الطبقي سوف يضعف رجال الدين الإسلامي (مادة ومعنى)، فالشعب الذي سيتخلص من نفوذ رجال الدين سوف يتهرب من دفع الضرائب التي فرضها عليهم. فلهذا السبب سيضطر أخيرا رجل الدين للتخلي عن قيادة الأمة، وسقوط رجال الدين وقطع علاقاته مع ابناء الشعب، فالمسلمون من الناحية الاخلاقية ستبقى العلاقة الدينية كل حسب ما يشعر أنه يلزمه، ومع مرور الزمن سوف يتخبط الشعب في معتقداته، وبالتالي سوف تجد الحكومة الروسية شعباً تقوده كيفما تشاء بدلا من شعب تحسب له ألف حساب. ولهذا يجب أن يرى المسلم الذي

فقد أسلوب إدارته عقيدة تتناسب مع روح العصر وجب علينا أخذ التدابير اللازمة، لذلك، ومنذ الآن وحتى يتمكن ذلك المسلم من المقارنة بين عقيدته الإسلامية والعقيدة الجديدة ان يرى افضلية العقيدة الجديدة ويقدرها أضعاف اضعاف العقيدة الاسلامية.

وفي الفقرة الخامسة والاخيرة: ركز الجنرال على وجوب نشر الارثوذكسية بقوله: "أعتقد بوجوب نشر الارثوذكسية في القفقاس من خلال تأسيس الكنائس وايجاد أساليب لإنشائها، وبذلك نكون قد وضعنا حجر الأساس لهدفنا في الوقت الحاضر. إن القناعات السلبية حول ديننا والتي يجعلها غير مرغوب فيها مع الأسف فإن رجال الدين المسيحي ليس لهم أي احترام أو تقدير في نظرنا نحن كما لشيوخ ورجال الدين الإسلامي، نحن الآن وصاعدا يجب ان نضع رجال الدين في المكان اللائق بهم ونحترمهم ومن أجل ما ذكر أجد في نفسي الشجاعة لإصراري على ما ذكر واعتماد الأسس التي ذكرتها بالبدء فورا في تأسيس كوادر لنشر الدين المسيحي في قفقاسيا".

واستطرد قائلاً: "عندما تمكنا من الدخول في قفقاسيا بعد عناء طويل وجدنا أن هناك صراعا بين الفئة المسلمة التي تتمسك بروحية الاسلام وبين الفئات الاخرى مما زعزع في مواقعهم وقوتهم، ومن هذه الفئات وجدنا ان الامراء والبكوات وزعماء العشائر يحكمون البلاد بالعادات والتقاليد المتوارثة اكثر بكثير من اتباعهم أصول الشريعة والدين".

وعلى هذا الأساس فإن تأييد من يتفق ووجهات نظراتنا السياسية هو أحدى الوظائف التي تقع على عاتق حكومتنا. ولكن نتيجة الأسلوب الخاطئ حاليا فإن هذا الموضوع الذي هو مطلب طبيعي لكل إنسان والذي يمكن ان يكسب تأييد الشعب بأسرع الطرق لم يدرس ولم يؤخذ بالشكل المطلوب لغاية الآن. فالإسلام يرى المستقبل بوحدة الجماهير تحت اسم الطريقة المريدية وفي الحقيقة أن الشعب يفضل

حكم الشريعة الإسلامية أكثر من حكم طبقة النبلاء الذي يعتمد على العادات. وهكذا فإن ممثلي حكومتنا في النهاية يقعون في أول خطأ قاتل يبدأ من عدم معرفتهم بوضع الشعب. والآن وبسقوط الطبقة الارستقراطية التي كانت تسهل علينا حكم شعوبهم لانقسامهم إلى قبائل متعددة، ذلك الشعب اتحد تحت لواء ديني واحد أدى إلى وجود زعيم إداري وديني واحد لكل المنطقة بأسرها. (٤٢)

الظاهرة الرابعة: وهي المتمثلة بخلق مناخ مناسب لتهجير القفقاسيين عامة والشراكسة خاصة إلى الأراضي العثمانية تنفيذا لسياستها المخطط لها مسبقا وبإحكام تام ورفع شعارات وبث دعايات مستغلا في ذلك النعرة الدينية المتأصلة لدى الشعوب القفقاسية عامة والشركسية خاصة، ومن الشعارات الدينية التي نشرها العثمانيون بين الشعوب القفقاسية هي:

- لا يمكن العيش والبقاء في بلد كافر وتحت إدارة الكفرة، لذا وجب الحرب أو الموت او الهجرة إلى البلاد الإسلامية.
- الهجرة قدرنا ومكتوبة لنا فلا مناص إلا إطاعة امر الخالق.
- الهجرة موجودة في الإسلام، فلقد هاجر اتباع محمد (ص) إلى الحبشة كما هاجر محمد (ص) إلى المدينة.
- ستذهب إلى البلاد الإسلامية فقط ومن ثم نستعد ونعود لتحرير الوطن.
- من يموت في غير الديار الإسلامية يذهب إلى جهنم ومن يريد الجنة يجب ان يموت في ديار الخلافة الإسلامية.
- ما أوله بلاد الشام آخره بلاد الشام. (٤٣)

*** الفترة الرابعة: وامتدت من عام ١٨٦١ إلى عام ١٨٦٤.**

بدأت هذه الفترة من تاريخ قيام القيصر الكسندر بزيارة إلى بلاد الشراكسة يوم ١١/١٨ من عام ١٨٦١، تلك الزيارة التي كشفت عن نوايا القيصر الاستعمارية والاضطهادية وتهديد الشراكسة قبل البدء بهذه الزيارة وإصراره على استسلام الشراكسة والرضوخ لحكمه بقوله: **لا خيار أمامكم أنتم شعوب قفقاسيا الشمالية عامة والشراكسة خاصة غير خيار واحد من ثلاثة خيارات وهي:**

- إما الموت بلا قبور أو
- الهجرة لبلاد العثمانيين أو
- اعتناق الديانة المسيحية.

كما كشف الجنرال (نقولاي) قائد القوات الروسية في بلاد القفقاس في هذه الفترة عن سياسته والمتمثلة بمحاولة (استرضاء الأمراء والنبلاء الشراكسة بإيجاد وظائف لهم) وكذلك محاولتهم تحسين الأحوال المعيشية لدى الطبقات العامة في بلاد (الاديغة) مع تكثيف حملات التبشير وإعادة تنصير الذين اعتنقوا الدين الاسلامي.. إلا أن قادة الشراكسة واتباعهم رفضوا تلك السياسة التهديدية بقوة، وتمثل هذا الرفض في الكلمة التي ألقاها أحد كبار السن من الأبخاز (الأباظة) واسمه "لصه صوته قولسبه تو" أمام القيصر الكسندر وحاشيته نقتطف منها الفقرات التالية:

"**جلالة القيصر قال: لنا ما ينبغي قوله من وجهة نظره، ولا نعتب عليه... أما ما سأقوله أنا فلن يتوافق مع ما يريده القيصر واستطرد قائلا: القيصر الروسي أعجبته بلادنا وحاربنا من أجلها (٦٠) سنة وحاول الاستيلاء عليها بالقوة، ونحن نحب بل نقدس أرضنا ووطننا الأم، وسندافع عنه بأرواحنا وانفسنا، وعلينا أن نعطيه الجواب: بأن آباءنا وأجدادنا والرب الذي خلقنا جميعهم شهدوا**

بأننا لم نتهاون يوما في الدفاع عن ارضنا الحبيبة وأن الموت خير لنـــا مـــن ان نعيش عبيدا وبلا أرض أو وطن.

"إن الله ليس مع القوة الطاغية بل مع الصادقين... سنحارب حتى النهاية وقال بأن (الوطن، والشعب، والحرية) هي شعارنا فإن سقطنا شهداء من اجلهـــا، فليس عيبا. ويمكن للروس أن يستولوا على بلادنا القفقاس، لكن الشراكسة لـــن يكونوا عبيدا لهذا القيصر طالما يجري في عروقهم دم شركسي(٤٤).

وفي هذه الفترة وبعد ان تأكد لزعماء الشراكسة بأن العيش في الوطن الأم وبين الروس (الكفرة)، وكذلك فإن جواز العيش في ظل حكم مستعمر كافر اصبح بحاجة إلى افتاء ديني لذلك قام بعض الفقهاء من الشراكسة ورجال دين بإرسال **ثلاث رسائل إلى كل من مفتي مكة المكرمة ومفتي الديار المصرية، ومفتي الديار الشامية** يستفتونهم في حالتهم وفي القلق الذي كان ينتابهم حول جواز الفرار بدينهم من ظلم الروس الكفرة في الوقت الذي كانوا متمسكين فيه بأرض الوطن وعدم الرغبة في تركه للكفار. (٤٥) * كما هو مبين في المخطوط المنسوخ باليد عن النسخة الاصلية. *

* للاطلاع على نص الرسالة يمكن الرجوع للملحق رقم (١) المثبتة في نهاية هذا الفصل الثالث

* المخطوطة اليدوية بيد ناظم قردن عن النسخة الأصلية ونشرها في كتابه سيف من سيوف العلم، ص: ١١٧ – ١١٩.

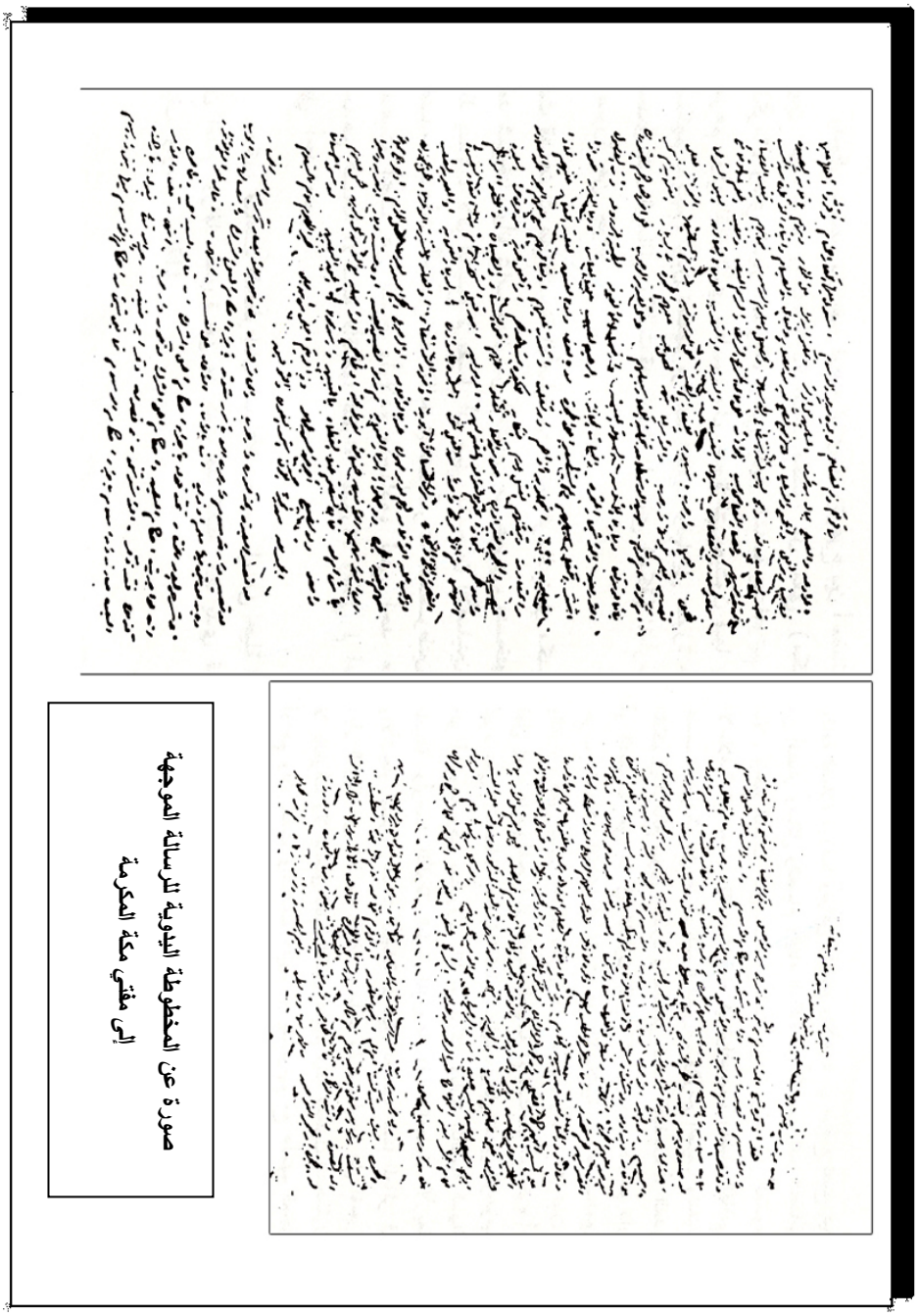

صورة عن المخطوطة البلوية للرسالة الموجهة
إلى مفتي مكة المكرمة

(٣) الاضطهاد الديني للأمة الشركسية في الوطن الأم

الاضطهاد الديني في عهد القياصرة الروس وهي المرحلة الممتدة عام ١٨٦٤ إلى عام ١٩١٧

استمرت مقاومة الشراكسة للجيوش الروسية حتى بداية ١٩٦٤/٥/٢١ وتم خلال هذه الفترة محاولات إعادة تنصير الشراكسة، كما قامت قوات القوزاق المدعومة من القوات الروسية بهدم المساجد، ودور العبادة في القرى والمدن، واجبروا أكثر من مليوني شخص على (الهجرة القسرية) إلى الدولة العثمانية ابتداء من عام ١٨٦٤ وحتى عام ١٩١٢ *، ولم يبق في الوطن الأم سوى ((٤٦٠٠٠) شركسي (حسب سجلات الروس) وهم الذين تمكنوا من الإفلات من التهجير القسري، وبقوا في مناطقهم تحت حكم الاستعمار الروسي حتى قيام الثورة البلشفية الروسية عام ١٩١٧ وتوقف انتشار الاسلام في بلاد الشراكسة منذ عام ١٣٢٣هـ وهو تاريخ صدور مرسوم روسي في عهد القياصرة يدعو إلى التسامح الديني، حيث تدافق على اثره دخول أعداد كبيرة من الشراكسة إلى الإسلام وخاصة قبيلة (الأبخاز) الأمر الذي أرعب رجال الكنيسة، فقاموا بتأسيس جمعية دينية في بلاد القفقاس، هدفها توزيع نشرات تبشيرية لمناهضة انتشار الإسلام... كما تراجعت حكومة القيصر عن التسامح الديني واعادت تحريم ممارسة أي دين غير النصرانية الارثوذكسية في روسيا عامة وفي بلاد القفقاس خاصة، ومارست السلطات الروسية المحلية سياسة الاضطهاد الديني من جديد في بلاد القفقاس عامة وبين الشعوب

* في عام ١٩١٤ قبل اعلان الحرب العالمية الاولى حضر من القفقاس حوالي اثني عشر شخصا ليدرسوا في جامع الازهر وبعد قضاء عدة سنوات في الدراسة في القاهرة عاد البعض منهم إلى بلادهم وبقي الاخرون يعيشون في رواق الاتراك في مدرسة محمد بك ابو الذهب والحبانية حتى نهاية الحرب ثم عادوا إلى بلادهم وقاموا بتدريس اللغة العربية والدين.

الشركسية خاصة فلم يعودوا قادرين على ممارسة العبادات علنا حتى سقوط حكم القياصرة الروس على يد قادة الثورة البلشفية عام ١٩١٧م.

الاضطهاد الديني في زمن الاتحاد السوفيتي الشيوعي وامتدت هذه المرحلة من عام ١٩١٧ وهو العام الذي قامت فيه الثورة البلشفية وحتى تاريخ انهيار الاتحاد السوفيتي عام.

وبدراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية فيما بعد الثورة البلشفية مباشرة نستنتج بأن قادة الثورة عامة انتهجوا سياسة مضللة في تعاملهم مع (الإسلام والمسلمين) في روسيا عامة والقفقاس خاصة ووجهوا بيانا سياسيا دينيا إلى جميع المسلمين القاطنين في روسيا كان نصه:

"إلى مسلمي روسيا، تتر الفولجا، والقرم، والقرغيز، والتركستان، وأذربيجان والشيشان، وسكان المرتفعات في القفقاس من (الشراكسة)، وإلى جميع من هدمت مساجدهم ومعابدهم، والذين نقضت معتقداتهم وعاداتهم القومية من قبل القياصرة والبغاة الروس".

"**اعلموا ان عقائدكم ومؤسساتكم الوطنية والثقافية هي من الآن حرة ومصونة إلى الأبد، وهذا من حقكم، واعلموا ان حقوقكم كغيرها من حقوق شعوب روسيا، هي تحت حماية الثورة واعضائها الاقوياء والقائمين بها من ممثلين العمال والجيش والفلاحين**" [٤٦].

كما أصدر بعض القادة من البلاشفة بيانات أخرى تحتوي على وعود كثيرة جاء فيما ما يلي:

"**إلى شعوب القوقاس وسكان المرتفعات الاحرار.. اعلموا ان النظام السوفيتي والجيش الاحمر يعملان لتحرير القوميات المضطهدة فقط**".

وأما ستالين فقد قال بصفته معتمدا للقوميات: "لقد قيل أن اعداء النظام السوفييت يقومون بنشر الاشاعات الكاذبة، ويقولون إن الحكومة السوفييتية ألغت الشريعة المحمدية"! (٤٧)

وهكذا كان طعام السوفييت الجدد في بداية عهدهم، يسايرون المسلمين ويحاولون استمالتهم ويعدونهم بإرجاع ما اغتصبه القياصرة منهم، من حرية ومساواة وأوطان، وتجنبوا الدعاية ضد الإسلام، وفي خضم تلك الأحداث أعلن القفقاس الشمالي توحده وأعلن قيام الجمهورية الاولى لعموم شمال القفقاس) في ١٩١٨/٥/١، إثر انعقاد الجمعية الوطنية التي تألفت من (١٠٨) مندوبين عن مختلف الاقاليم، في القفقاس وأعلن استقلال القفقاس، وكان اول بند هو المطالبة بإعادة الأراضي الواسعة المستلبة، والتي اعلنت ملكا للحكومة القيصرية، والتي قدرت مساحتها بـــ ٢٧٥ألف كم٢.

واعترفت الدولة العثمانية بالجمهورية الفتية، كما اعترف البلاشفة بها في أول أيام ثورتهم، وصراعهم ضد الروس البيض، وقد حاربت الجمهورية الفتية بكل قواها للدفاع عن استقلالها، وتمكنت من إخراج الفرقة البريطانية رقم (١٥) عبر ممر دربند، وفي ٢٠ يناير عام ١٩٢٠ قررت الحكومة السوفياتية تأييد تشكيل جمهورية شمال القوقاس مؤلفة من سبع قوميات قفقاسية إسلامية منها الشيشان وانكوش والآستين والقبرطاي والأديغي، وشركسيا تحت اسم (الجمهورية الجبلية الاشتراكية السوفياتية وعاصمتها فلادي قفقاس).(٤٨)

وفي نفس العام أي في عام ١٩٢٠ تشكلت الحكومة الشورية للجمهورية الأديغية، وعقدت الجمعية الدينية الاسلامية المشكلة من ممثلي (٢٥٠) من رجال العلم والدين والأئمة وهم من جميع القبائل الشركسية في (الجمهورية) وعقدت هذه الجمعية خلال الاعوام من ١٩٢٠-١٩٢٥ خمس مؤتمرات بهدف الدعوة إلى دين محمد (ص) الخالص من البدع، ومن أجل ان يتفق العلماء على الحق وأن يتحدوا

في العبادات الدينية من غير اختلاف، **وفي المؤتمر الخامس والأخير ظهر للمسلمين الذين حضروه تعصبات المشايخ الادعياء القدامى وأكاذيبهم الملفقة وشاهد العوام بأعينهم أنهم ليسوا على شيء من الدين وفي ختام المؤتمر أجابوا على خمسة عشر تساؤلا بالاستناد إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة، والخمسة عشر تساؤلا المطروحة على المؤتمر هي:** [٤٩]

في عام ١٩٢٦ نشرت الجمعية الدينية المذكورة خلاصة ما توصل إليها علماء الدين في إفتاء وتفسير وتنقيح للخمسة عشر موضوعا المطروحة للنقاش، والإجابة عن كل تساؤل على النحو التالي:

السؤال الأول : **هل حصل في عهد النبي (ص) للدين كمال أم لا؟**

الإجابة : أظهرت الآية الخامسة من السورة الخامسة أن الدين قد كمل في عهد النبي وعلى لسانه، ولا حاجة للمسلمين على زيادة ما ليس من الدين فيه، ومن لم يفهم بهذا فليس عليه.

السؤال الثاني : **ما المقرر في الجمعة والخطبة؟**

الإجابة : كما يفهم من (٩) آية من (٦٢) سورة أي سورة الجمعة وكما يفهم من أحاديث البخاري ومسلم بأنه يجب على المسلمين ان يحضروا في القرى الإسلامية جامعا واحدا ويصلوا ركعتين فرضا للجمعة وأن يخطب الخطيب بلسان القوم.

السؤال الثالث : **ما المقرر في صلاة التراويح؟**

الإجابة : على ما روي عن عائشة في البخاري ومسلم يجب ان يصلي المسلمون التراويح ثماني ركعات لا غير.

السؤال الرابع : **ما المقرر في مسح النعل والجورب؟**

الإجابة : جواز الصلاة في النعل والجورب الطاهرين الممسوحين كما روي عن النبي (ص) في ابن القيم وزاد المعاد وغيرهما من الكتب الصحيحة.

السؤال الخامس : **ما المقرر في مدة السفر والجمع بين الصلاتين؟**

الإجابة : كما في آية (١٠٢– من ٥ سورة) وكما فهم من منطوق الأحاديث الصحيحة يجوز للمسافر قصر الصلاة في مسافة ثمانية عشر (فرسخا) فصاعدا وان يمد المسح ثلاثة أيام ولياليها ويجوز الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر.

السؤال السادس : **ما المقرر في العشر والزكاة؟**

الإجابة : كما في (الآية ٦٠ من ٩ سورة) يدفعهما إلى المساكين واليتامى وللقرية إذن في انتخاب العامل ليتصرف فيهما بالدفع إليهم.

السؤال السابع : **ما المقرر في جلود الاضاحي وصدقة الفطر؟**

الإجابة : إنهما على ما في كتاب البخاري ومسلم للفقراء والمساكين واليتامى لا كما قال الأفندية المتشيخون الأكالون عليها.

السؤال الثامن : **ما المقرر في التضحية بالشاة عن اهل البيت؟**

الإجابة : كما في رواية ابن ماجة وسنن ابن داود تجزيء التضحية بالشاة الواحدة عن أهل البيت.

السؤال التاسع : **ما المقرر في الاحتفال بإدارة الدور على الميت؟ (والمعروف عند الشراكسة باسم ديور).**

الاجابة : فما كان الافندية المتصوفون المبطلون داموا في الماضي على أخذ القدر من ثلث مال الميت وأخذ أثوابه على غسله فالقرآن مع الفقه ينكره تمام الانكار وأنهم استغنوا بأنصباء الفقراء.

السؤال العاشر : **ما المقرر في تلقين الميت وتلاوة القرآن له على أجر وضيافته؟**

الاجابة : إن منكرا ونكيرا يدخلان القبر إذا مات أحد وقبر فيقعدانه ويسألانه عن كذا وكذا، فمن خرافات الإسرائيلية. يجب علينا تركها ورائنا ظهريا. والسؤال للروح فهو الحق.

السؤال الحادي عشر : **ما المقرر في الطب بالأدعية؟**

الإجابة : إن النبي (ص) كان إذا مرض يستشفي من الأطباء ويستعمل الأدوية ويأمر المرضى بالذهاب إليهم، فما يقوله الأفندية المتشيخون أن الطب بالأدعية هو الشفاء والدواء لا غير فمن الكذب على الدين والنبي (ص).

السؤال الثاني عشر : **ما المقرر في وظيفة الأفندية؟**

الإجابة : أن يعظ الأئمة في المساجد وأن ينصحوا بالقرآن والسنة لا بغيرهما.

السؤال الثالث عشر : **ما المقرر في زوجة المفقود وزوجة الغائب؟**

الإجابة : كما في مسلم وكما في رواية الصحابة فلزوجة المفقود ان تسكن بيته أربع سنين إن شاءت من غير معارضة

من اهل البيت لها. وأما زوجة الغائب فلها الانتظار سنة واحدة ثم لها الخيار في الزواج بالاستئذان من المحكمة العامة أو القاضي.

السؤال الرابع عشر : ما المقرر في مسألة الطلاق؟

الإجابة : إن المهر في النكاح كما يفهم من (الآية ٣٦ من ٤ سورة) وكما في حديث مسلم رأته الجمعية في الاكتفاء بما فيهما.

السؤال الخامس عشر : ما المقرر في حقوق المرأة في الشرع؟

الإجابة : كما في (الآية ٢٢٨- من سورة البقرة) تساوي المرأة للذكر في الانتخاب والتعليم والتنفيذ والاستخدام في المحاكم والوظائف ولا يقدر أحد على المخالفة لهذا الرأي بدليل.

السؤال السادس عشر : ما عرضه (مدين أفندي) على الجمعية من الشكر للحكومة بأسماء المجتمعين المسلمين؟

الإجابة : إن الحكومة الشورية التي أذنت لنا في المراجعة والمذاكرة فيما لم يكن إذن فيه وفي عقد الجمعيات له من مصالح الأفندية والدين من الملك المستبد الظالم في عهده نشكر لها شكرا زائدا. وما قررته الجمعية من المسائل فقد أجمعوا كلهم عليها ومن أجل ذلكم أمروا في الإسراع في تنفيذه مع اجتهاد.

فأعضاء اللجنة الذين وقعوا على الافتاء هم:

١- القاضي زابت افندي الإدريس
٢- القاضي إبراهيم افندي البرنقوي
٣- من الأفندية جانخوت الحاتقوي
٤- القاضي حاجبكر الوظى
٥- القاضي إدريس الدولي
٦- القاضي محمت الصومني
٧- القاضي مصوست النابوقي
٨- القاضي نوح المرتقوي
٩- من الكتاب يعقوب الخوادي
١٠- من الكتاب احمد النابوقي
١١- القاضي إسميل القود إينيت
١٢- من المندوبين مجيد الحاتغوغي
١٣- القاضي غورظ الحاج الشمغخوي
١٤- القاضي شق غبلظقو
١٥- القاضي حاتغوظقو ادمي
١٦- القاضي كاتب الجوبطي
١٧- القاضي يدج التقي.

واستمرت الجمهورية فاعلة حتى عام ١٩٢٨ حيث وجه قادة البلاشفة جيشهم الأحمر إلى بلاد القفقاس بمحاربة المتطوعين المدافعين عن الجمهورية القفقاسية الإسلامية وانتهت بانتصار الجيش الاحمر واحتلال بلاد القفقاس احتلالا عسكريا جديدا وعلى جثث الالاف من الشعوب القفقاسية الاسلامية بعد نفاد ذخيرتهم والمؤونة.

وبانتصار الجيش الأحمر بدأ الاضطهاد الديني والهجوم الواسع على الإسلام والمسلمين تحت شعار (الثورة الثقافية) ولعبت رابطة الشبيبة الشيوعية دورا رئيسيا في هذا الهجوم الثقافي، وتضمن الهجوم محاولة تفسير الإسلام حسب مفاهيم الشيوعية المادية، وحاولوا تحليل (القرآن الكريم) حسب اهوائهم وأصدروا بيانا تضمن هجوما على القرآن الكريم خلاصته: "لو تمعن الفرد ودرس القرآن لوجد أنه خلق عربي نصف متمدن واستعمله اسيادهم الاقطاعيون والسلاطين

والامراء منهم، وافراد الطبقات الوسطى لخدمة مصالحهم الخاصة. وانه يكاد يكون من المتعذر ان يبرهن الفرد ان (محمدا صلى الله عليه وسلم) كان المؤلف الوحيد لهذا الكتاب القديم الذي ادى خدمة إلى السلاطين والأمراء والأسياد الاقطاعيين. وادعوا بأن (القرآن الكريم) قد طرأ عليه تغيير بعد وفاة (النبي عليه الصلاة والسلام) أكثر من مرة" وقالوا أيضاً: "ان العقائد الواردة فيه إنما تعكس حالة الملك الخاص والرأسمال التجاري وأنه يخلق في الإنسان الطاعة والعبودية ويقتل فيه روح المبادرة وكل ميل لتحسين نفسه... ويشجع على عدم المساواة وخضوع الفقير للغني ويمنع الاحتجاج ضد اعمال الاستغلال".

وقالوا ايضا: "أن (الإله) الذي يقدسه المسلمون، إنما هو الجبار الرهيب المتكبر الذي يطلب الطاعة العمياء له (والعياذ بالله). وهذا ما شب عليه السلاطين والملوك والنبلاء والتجار وعلينا ان ننشئ جيلا جديدا يعتمد على القوة وروح المبادرة، ويقدم أرواحه ضحايا في سبيل خلق حياة جديدة.

وأما ستالين فقد قال إن النضال ضد الدين في الاتحاد السوفييتي موجه قبل كل شي ضد الإسلام، وان سكان المقاطعات الشرقية والجنوبية من الإمبراطورية السوفيتية لا تفرق بين الدين والقومية، ومحاربة الدين في كل البلاد هي في الوقت ذاته نضال ضد القومية والتقاليد الدينية والتقاليد المحلية.

وهكذا بدأ الاضطهاد الديني في أوائل عهد الشيوعيين متمثلا بتدمير المساجد واعدام رجال الدين الإسلامي، وحرق الكتب الدينية، واعتقال كل من كان يضبط وهو يمارس العبادات من صلاة وصيام... كما منع تدريس الشريعة الإسلامية في المدارس والمعاهد العلمية طوال فترة الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفييتي بحجة ان الدين هو افيون الشعوب [٤٨].

بدأ الاضطهاد ضد الدين الاسلامي وأئمته عام ١٩٢٨ بعد البدء باجراءات "الوسائل الطارئة" في الأرياف والتي دعت إلى تسليم الحبوب من قبل ملاكي الأراضي وأئمة الدين إلى الدولة وخلال الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٤ بدأت حملة منظمة شرسة لمحو الدين الإسلامي والقضاء على أئمته. وكانت هذه الحملة على عدة مراحل متتابعة.

ففي المرحلة الاولى أغلقت المطابع التي تطبع المنشورات الدينية أو المعادية للسوفيت واستبدال الاحرف العربية حيثما كانت تستعمل بالاحرف اللاتينية أو الروسية.

وكانت منظمة "الملحدين الذين لا إله لهم" ومنظمة الكومسومول وغيرهما من منظمات الحزب الشيوعي تقوم بمهام تنظيم المقاومة والدعاية ضد الأديان.

وفي المرحلة الثانية وضعت المحاذير على ممارسة الطقوس الدينية.

اما في المرحلة الثالثة فقت تمت ممارسة الضغط الإداري على أئمة الدين المحليين وعلى المساجد والمدارس الدينية.

وعندما اشترك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١ في الحرب العالمية الثانية تبدلت السياسة السوفيتية تجاه الأديان بهدف التأثير على السكان وكسب ودهم وحثّهم على دعم النظام المتضعضع، فسمح بفتح بعض الكنائس والمساجد وتوقفت الحكومة عن تعذيب المؤمنين واعلن عام ١٩٤٤ عفواً دينياً عاماً وخفت العراقيل والعقبات التي كانت تحول دون تعليم الدين. **وفي عام ١٩٤٦ سمح لأول فوج برئاسة المفتي عبد الرحمن رسولوف بالحج إلى مكة بعد منع استمر سنوات عديدة. وأنشئت عام ١٩٤١ أربع مديريات روحية اسلامية وهي:**

١- المركز الاسلامي في روسيا الأوروبية وفي سيبريا ومركزه مدينة بشكيريا. ولغته الرسمية التترية.

٢- المركز الاسلامي لأهل السنة في آسيا الوسطى وفي كازاخستان ومركزه مدينة طشقند في اوزبكستان. وهو اكبر المراكز الاسلامية وأكثرها أهمية ولغته الرسمية الاوزبكية.

٣- المركز الاسلامي السني الشيعي لما وراء القوقاز ومركزه مدينة باكو في جمهورية اذربيجان.

٤- المركز الاسلامي لأهل السنة في شمال القوقاز ومركزه مدينة بونياكس في جمهورية داغستان. [٤٩].

وبعد انتهاء الحرب، وتركيز السلطات الشيوعية لسلطتها الدكتاتورية، تخلت عن سياسة التساهل واللين مع الأديان. ولما كان الاسلام قد أظهر بعد وجوده الرسمي لمدة خمس عشرة سنة بأنه يحوز على قوة روحية قوية جدا تفوق كثيرا قوة الاديان الاخرى قررت السلطات الشيوعية في عهد خروشيف محاربة الاديان عامة والوقوف بشكل خاص ضد الدين الاسلامي، وشنت حملة منظمة تشبه الحملة التي وجهت إليه قبل حرب العالمية الثانية وشملت:

أولا: تنظيم حملة عقائدية إلحادية واسعة ضد الاسلام، ويمكننا ان نقسم الحجج التي استخدمتها الدعاية الشيوعية ضد الاسلام إلى مجموعتين:

أ) الادعاء بأن الاديان أفيون الشعوب، تلهي الجماهير الكادحة عن الكفاح الثوري وتدخل في روحها الخضوع العبودي، وهي ايدولوجية رجعية ضد العلم، وعائقة امام التقدم، وأداة بيد الطبقات المستغلة وعقائد خيالية فهي اذن ضد الماركسية وتعيق مجيء الاشتراكية.

ب) مهاجمة الاسلام بتقديم حجج إلحادية ومغرضة منها:

١- **حجج تستهدف دفن الاسلام:** بالإدعاء بأن الاسلام دين فرضه بالقوة الغزاة العرب على أجداد المسلمين السوفيت في آسيا الوسطى،

والسلاطين العثمانيين في القوقاز الغربي، وشاهات إيران فيما وراء القوقاز.

٢- **حجج تتعلق بطابع الإسلام المعادي للمجتمع:** بالادعاء بأن الاسلام أشد دين رجعي ومحافظ في العالم. وأنه دين يذل المرأة ويخضع الشباب لسلطة أصحاب اللحى البيضاء التعسفية والطغيانية. وأن شعائر الإسلام وبخاصة الختان وصيام رمضان إنما هي تصرفات بربرية ومضرة بالصحة، كما ان الصلوات الخمس تصرفات ضد المجتمع تجلب الضرر لمردود عمل الجماهير الكادحة.. الخ.

٣- **حجج تتعلق بأخلاق الاسلام الدينية:** بالادعاء بأن الاسلام يمحق روح المبادرة وأنه دين يحشو في ذهن البشر روح الخنوع والتعصب، وان اخلاق الاسلام تتعارض مع الأخلاق الاشتراكية والسوفيتية الجديدة.

٤- **حجج موجهة ضد الثقافة الاسلامية:** بالادعاء بأن الفن الاسلامي جامد متحجر في أشكاله العتيقة البالية وأن أدبه التقليدي يخلد التقليد البالي في العصور الاقطاعية، وأن التقاليد الثقافية الاسلامية تشكل عوائق امام تطوير ثقافة سوفيتية.

وبعد سقوط (خروشيف) دخلت العلاقات بين الحكومة السوفيتية والأديان وبشكل خاص المسلمين بمرحلة جديدة؛ إذ خف الهجوم العنيف على الدين الاسلامي. وابتداء من عام ١٩٧٨ بوشر بفتح بعض المساجد، وقد تسارع ذلك بعد ان اعتمد (غورباتشوف) سياسة البرويستريكا والغلاسنوست فباشر المسلمون بناء وفتح المساجد في مختلف المدن والقرى، كما فتحت مدارس لتعليم اللغة العربية، ونشأت حركات سياسية واجتماعية اسلامية العقيدة. وبات حتى أعضاء الحزب المخضرمين يعلنون ايمانهم بالعقيدة الاسلامية ويستنكرون الممارسات الشيوعية السابقة في اضطهاد الدين التي أدت إلى نفور واستنكار الجماهير لها.

(٤) مرحلة عودة حرية ممارسة الدين الاسلامي للأمة الشركسية في الوطن الأم ١٩٩٠-٢٠٠٨.

ربما كان ما قاله إمام جامع (مايكوب الكبير) يوم افتتح الجامع في ٢٠٠٠/١١/٢٤ حول اوضاع الدين الاسلامي في الوطن الام منذ الحكم الشيوعي وحتى تاريخه حيث قال: [٥١]

"لقد تعرض الإسلام في منطقة قفقاسيا إلى نكبات خطيرة مع استلام الحكم الشيوعي الالحادي السلطة أوائل العشرينات من القرن الماضي. ومن ذلك التاريخ ونتيجة الحرب التي شنها الشيوعيون على الاديان وخاصة الدين الاسلامي، وما رافق ذلك من قتل وسجن وتعذيب ونفي إلى اقاصي سيبيريا للسكان، وبالأخص علماء الدين والأئمة منهم، تراجع الحضور الديني في بلاد الشركس بشكل كبير جدا، وانتشر بدل ذلك تيار الجو الإلحادي الذي كانت تبشر به وتعمل من أجله السلطة الرسمية، واستمر الوضع على هذا الحال لحين سقوط الحكم السوفيتي في القرن الماضي.

وفي السنوات القليلة التي اعقبت هذا السقوط، باعتبار أن تأثير التيار الإلحادي الشيوعي لم ينته دفعة واحدة، ولكن وبمشيئة الله وتوفيقه، وبعد أن استقرت الاوضاع لاحقا، بدأت براعم أغصان الشجرة التي اعتقدوا أنها يبست وماتت تتفتح من جديد، وأخذ العديد من الناس يتوقون ويحنّون إلى القصص والحكايا التي كانوا يسمعونها من آبائهم واجدادهم عن الدين الاسلامي، "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون". صدق الله العظيم.

وهكذا، فإن التربة عادت صالحة الآن، والأمر لم يعد يحتاج سوى للدعاة الأكفاء، البعيدين عن التطرف والمغالاة في تفسير وتطبيق أمور الشريعة الاسلامية السمحة، والعارفين بنفسية وعادات وتقاليد الشعب الشركسي، وذلك من اجل توعية الجمهور الشركسي وإرشاده إلى تعاليم الدين الإسلامي من جديد.

وحول مستقبل الادارة الدينية في (الاديغي) قال:

ربما كانت الإدارة الدينية الحالية من أحسن الادارات التي تعاقبت على البلاد منذ عشر سنوات، كونها نظيفة اليد ومنفتحة العقل.

وهناك مسؤوليات كبيرة ملقاة على عاتق هذه اللجنة تتطلع ان يعينها الله على التصدي لها ومن أهمها:

- إعادة ثقة الناس بالإدارة الدينية نفسها، لا سيما وأن الثقة كانت قد تدهورت كثيرا في السنوات السابقة.
- إعادة رسم صورة الدين الاسلامي الحنيف للناس بالشكل الصحيح، وإعادة الثقة بها بعد ان تم تشويهها على مدى السنوات الطويلة الماضية.
- استقطاب جيل الشباب الحائر والتائه معا والذي اضطرب مؤشر بوصلته الفكرية تحت وطأة المخدرات والانحلال والبطالة.
- توحيد طاقات الشعب الذي تشتت قواه وتبعثرت هنا وهناك، وايقاظه من رقدته التي طالت.
- تفويت الفرصة على المذاهب الهدامة والعقائد المنحرفة والتي تهدف إلى شرذمة طاقات الشعب وتوسيع شقة الخلاف بين ابنائه، وذلك عن طريق كشفها وتعريتها امام الجمهور.
- تكثيف الدورات وحلقات الدرس الديني لغاية تثقيف الناس بكافة اطيافهم بأمور الدين، وسيكون الصيف القادم حافلا بمثل هذه الدورات والنشاطات بإذن الله.

وكذلك سمحت الحكومة الروسية بإنشاء بعض المساجد في المدن الرئيسية وبعض القرى كما سمحوا بممارسة الشعائر الدينية وحرية القيام بالعبادات دون خوف كما أوفدت حكومات الجمهوريات الشركسية الثلاث (كبارينا – بلغاريا وقراشي تشرلبسيا والاديغي) بعض الشباب الشركسي إلى بعض البلاد العربية

والإسلامية لدراسة اللغة العربية والشريعة الاسلامية بهدف تأهيلهم ليصبحوا أئمة مساجد ورجال دين وإن كان عددهم قليلاً.

وفي الفترة ما بعد عام ٢٠٠٠ حصل سكان الجمهوريات القفقاسية الثلاث التي يقطنها الغالبية الشركسية في الوطن الأم، على حرية كبيرة في ممارسة شعائر الدين الاسلامي وفي بناء المساجد وإنشاء دور إفتاء وتشكيل مجالس لرعاية الشؤون الدينية في كل جمهورية.

ففي جمهورية (كباردينا بلقاريا) مثلا، كان عدد المساجد فيها في مطلع التسعينات من القرن الماضي مسجدين فقط، فارتفع عددها في عام ٢٠٠٠ إلى تسعة مساجد، كما تم إنشاء دار للإفتاء واصبح الشيخ (شفيع) أحد خريجي كلية الشريعة من الجامعة الأردنية في منتصف التسعينات مفتي جمهورية (قباردينو) كما تم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الشركسية بفرعيها (القبردينية والاديغي).

والشراكسة اليوم في الوطن الأم هم جميعا (سنيون) ويتبعون المذهب الحنفي ولا وجود للمذاهب الاخرى عامة والمذهب الوهابي خاصة بالرغم من المحاولات العديدة لنشر الوهابية فيها، كما حدث في الشيشان ويشرف على الشؤون الدينية مجلس الأئمة في جمهورية (القبردي)، والمجلس الروحي الإسلامي في (تشركسيا) ولا يوجد مجلس مختص لإدارة الشؤون الدينية في (الأديغية)، وكذلك فإن أكثر من مجلة دينية متخصصة تصدر في كل جمهورية من جمهوريات قفقاسيا الشمالية بالإضافة إلى صدور جريدة دينية واحدة في كل جمهورية [٥٠].

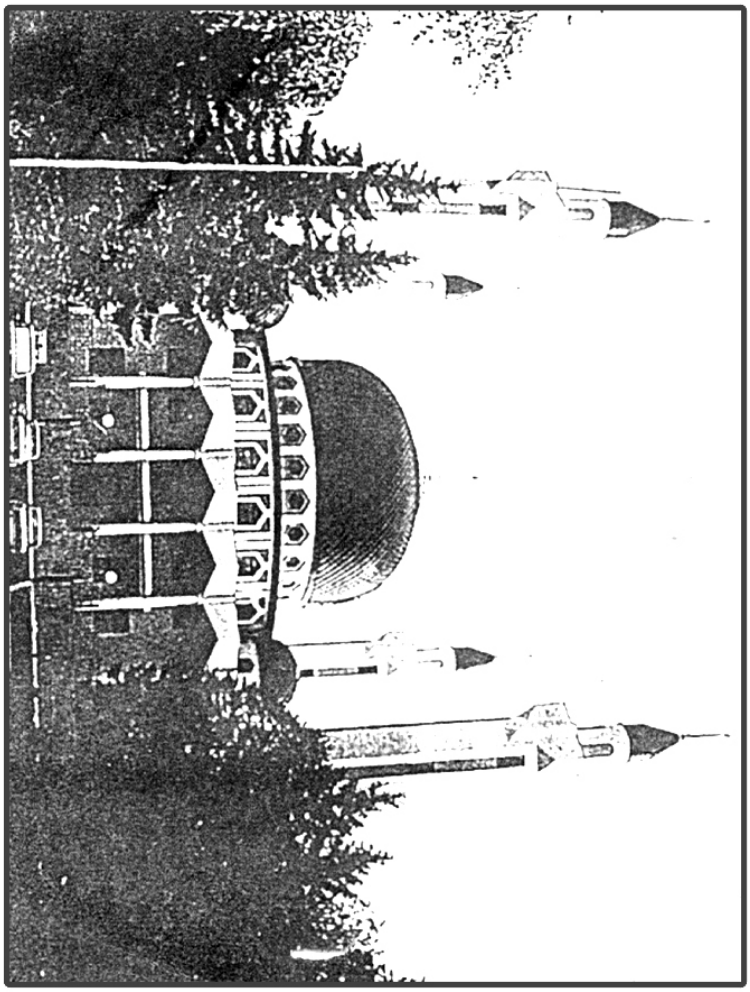

جامع مايكوب الكبير

ومن ابرز ملامح النهضة الدينية التي حدثت في الجمهوريات الحكم الذاتي الذي يعيش فيه الشراكسة في الوطن الام حتى عام ٢٠٠٦ يمكن تلخيصها في الملامح التالية:

أولا: قيام بعض رجال الدين بالتعاون مع بعض الكتاب بإصدار مجموعة من الكتب الدينية باللغة الشركسية منها:

١) كتاب الصلاة.
٢) ترجمة معاني سورة ياسين.
٣) كتاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام.
٤) كتاب حول أركان الاسلام.
٥) خطب الجمعة (٢٠٠) صفحة وكتيب يضم (٦٠) خطبة.

ثانيا: قام (خواج) بانهاء مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الشركسية* بعد ١٢ سنة من دراسة القرآن الكريم من خلال كتب التفاسير وكتب علماء الدين الإسلامي في الزمن المعاصر، أمثال الشيخ القرضاوي والطنطاوي وجودت سعيد تسي، وعلماء الاسلام الاوائل مثل الغزالي بالاستعانة بالشيخ (مصطفى بول) والذي يتقن اللغة الروسية والشركسية وهو من الذين يشهد لهم بحسن الخلق والتدين.

واستغرق هذا العمل ثلاث سنوات، ثم قام بالاستعانة بالاستاذ (نالوا زاور) الاستاذ في دائرة بحث اللغات والفلكلور الشركسي، حيث عمل معه على صياغة ما تم ترجمته من القرآن الكريم، بواسطة استخدام اللغة الادبية الشركسية إلى جانب النص العربي المرفق مع كل آية.

* تم الحصول على هذه المعلومات من الاستاذ محمد خير خواج شيخ مسجد بالقرب من نالتشك خلال زيارة لجمهورية كباردينا بلغاريا عام ٢٠٠٦.

ثالثاً: ظاهرة اقبال الشباب الشركسي على المساجد وعلى الثقافة الاسلامية، إلا أنه من المؤسف أن هذه الثقافة (أي الإسلامية) متوفرة فقط باللغة الروسية، وهي في معظمها تحمل بين طياتها اغلاطا فاحشة؛ إما بسبب (غرض في نفس يعقوب)، او بسبب الجهل وغياب الدافع الذاتي للتدقيق في معلومات المؤلفات الاسلامية باللغة الروسية وعلى سبيل المثال ترجمت كلمة (الاشهاد) على أنها تعني رجال الدين المسيحي الذين يتلقون اعترافات المخطئين من وراء ستار ويغفرون لهم، وهذه ترجمة خاطئة، وهناك الكثير من الاخطاء على شاكلة ذلك. واستطاع (خواج) ان يكسب ثقة الشباب فكثيرا ما يجلس معهم مفسرا لهم البعد المقصود من الآيات القرآنية والتخفيف عليهم من خلال الاستشهاد بأقوال أئمة المذاهب الإسلامية غير المتشددة مثل مذهب الامام أبو حنيفة، كما حاول أن يفسر لهم الكثير من دعوات الدين الإسلامي مثل الدعوة للجهاد وأنها لا تعني فقط قتال الكافر وإنما الجهاد أنواع منه الجهاد بالنفس والدعوة في سبيل الله عز وجل من أجل نشر الدين الإسلامي كما يحاول إبعادهم بقدر المستطاع عن الاتيان بأعمال لا تتناسب والظروف التي تمر بالقفقاس حاليا والدعوة لنشر الإسلام سلميا وبالاقناع ومن خلال الجهد الإعلامي والتثقيفي حتى لا يترك للمتطرفين الروس فرصة لضرب شعوب القفقاس الاخرى من جديد وتدمير مقوماتها متخذين (من الإسلام وانتشاره بواسطة الجهاد) ذريعة لتحقيق مآربهم.

رابعا: قيام الصحف بنشر المقالات الدينية وكذلك قيام الاذاعات المحلية والتلفزيون المحلي ايضا بتقديم وعظ وارشاد وتثقيف بشكل مستمر، ولو أن ساعات البث الاسبوعي لا تفي بالمطلوب بعد. *

* محمد خير خداج، نائب المفتي العام لجمهورية قبردينا بلغاريا. ويعتبر أحد الرواد الاوائل الذين عادوا برفقة عائلاتهم إلى الوطن الام سنة ١٩٧٧ وهو من شراكسة الجولان السورية وهاجر للأردن في عقد الخمسينات من القرن العشرين وعمل في البدء مشرفا على انتاج التحف الشركسية، وفي عام ١٩٨٩ انتقل مع عائلته ليعيش في جمهورية كباردنيا بلقاريا.

خامسا: الإقبال على بناء مساجد جديدة بدعم من الأخوة الشراكسة في بلاد المهجر، نذكر منهم: مسجد قرية بنجقواي في جمهورية الأديغي الذي بناه الحاج حسني شومان صوبر من شراكسة الأردن والذي تم افتتاحه يوم ١٩٩٦/٩/٢٩.

كان أول المتحدثين يوم الافتتاح هو السيد "بسونقوه عيسى" رئيس بلدية "بنجقواي" الذي قال في كلمته:

منذ مدة طويلة، وأهالي هذه البلدة، ينتظرون بناء مسجد، وسبق أن فكر أهالي البلدة في بناء مسجد أكثر من مرة، في ظل النظام السابق ولكن كما تعلمون، فإن هذا النظام لم يكن يهتم بالأمور الدينية، حيث سبق أن قاموا بهدم جميع المساجد في مناطق الاديغي، ومن ضمنها هذه البلدة.

ولكن مع المتغيرات الأخيرة في الاتحاد السوفيتي، أصبحت الحرية الدينية متاحة، فتداعى شيوخ البلدة، وفكروا في طريقة لبناء المسجد، وجمعوا في سبيل ذلك مبلغ ٩٥ ألف روبل، ولكن هذا المبلغ، أصبح لا يساوي شيئا يذكر ولا تزيد قيمته عن بضعة دولارات، ولكن الله سبحانه وتعالى، قدر لهذا العمل الكبير أن يتم على يد المحسن الحاج حسني شوماف صوبر، الذي تعهد ببناء المسجد ودفع جميع تكاليفه من جيبه الخاص، ووفى بوعده، وها انتم ترون أمامكم المسجد الذي قام بإنجازه.

وأضاف السيد عيسى:-

كما تعلمون فإن الوعي الديني في هذه المنطقة أصبح شبه معدوم، مثلها مثل سائر المناطق الأخرى، التي رزحت تحت نير القمع الديني عشرات السنين، وأصبحت الأمور الدينية لا تشغل سوى كبار السن منا، وهذا لا يكفي، فنأمل من المسجد الجديد أن يؤدي دوره على الوجه الأكمل، لنشر الدين الإسلامي الصحيح وغرسه في عقول أبنائنا *

* مجلة الاخاء، الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير العدد (١٠٠) ص: ٢٢.

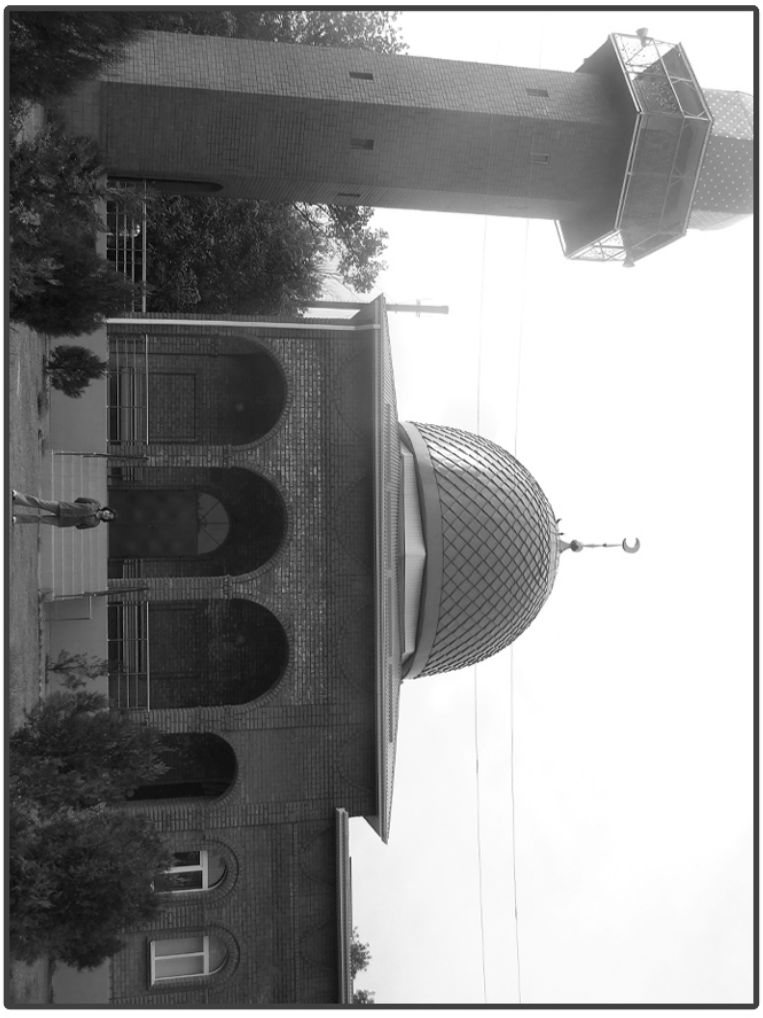

"مسجد الحاج حسني شوماف صور في بنجقواي/ الأديغي"

الملحق رقم (١)

نص الرسالة الموجهة من شيوخ وعلماء الأمة الشركسية في الوطن الأم إلى أصحاب الفضيلة في كل من مفتي مكة المكرمة ومفتي الديار المصرية في القاهرة، ومفتي بلاد الشام.

عندما تأكد قادة زعماء الشراكسة ومعهم عامة الشعب بأن سلطات روسية القيصرية عرضت في عام ١٨٦١ على الشراكسة الذين بقوا على قيد الحياة ثلاثة خيارات وعليهم اختيار واحد منها، (إما الاستسلام والرحيل إلى تركيا أو الهلاك والإبادة الجماعية) أو إعادة تنصيرهم.

وقع الشراكسة في صراع نفسي ديني واحتار بعضهم بين حبه لوطنه الذي نما وترعرع بين أحضانه، وبين حبه لدينه واعتزازه بكرامته، فكتبوا إلى مفتي مكة المكرمة، ومفتي الديار المصرية، ومفتي الديار الشامية، يستفتونهم في أمرهم، وفي القلق الذي ينتابهم وفي الحيرة التي يعيشون فيها بين تمسكهم بدينهم، وبين تعلقهم بوطنهم الغالي.

وفيما يلي صورة عن إحدى الرسائل، وكانت قد كتبت إلى مفتي (مكة) المكرمة عام ١٨٦٣.

"بإقامة الصلاة فروضا نوافل والجمع والأعياد في موضع تصح فيه من أمصار وقبائل والصيام وإيتاء الزكاة من اكتسب قدر النصاب مالا، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، وتحصيل العلوم الإسلامية فيما بينهم، وتقلب القضاء في تراضيهم، وقضاء القاضي بحسب الحوادث على ما في الشرع الشريف والرسم الحنيف، وتنفيذ الحكم في الوقائع سوى الحدود والقصاص، ففيهما التعذيب أو الفدية أو التعذيب على ما في القانون غير الشرعي، فهل دارهم دار حرب باستيلاء الكفار، أم بقيت على الإسلامية بدوام المسلمين والقرار، فعلى تقدير الحكم بكونها دار حرب، والأمر كما تبين، فهل يجب عليهم الهجرة إلى الديار العثمانية، أم تستحب، أم تكره، أم تحرم حين الاستطاعة بتخلية الكفار سبيلهم، وعلى تقدير الوجوب فلو أخروها وهم يعتذرون، بأنا لو تركنا ديارنا المأنوسة السهلة المعيشة، وارضنا المألوفة الطيبة المزروعة ذات الفصول الأربعة والأشجار المثمرة والنبات المجانة المرعية، لصعب علينا المعاش في ديار الغربة حتى إذا سد الكفار

سبيلهم ولم يستطيعوا على الهجرة لا بالعرف ولا بالعنق لغلبة الكفار عليهم، فماذا يفعلون ، أيتحملون أذاهم، وإن ثقلت واشتدت عليهم، أو يقاتلونهم مع علمهم العجز عن المصادمة والمقاومة، وتيقنهم القتل وعدم النكاية للكفرة بمشاهدتهم أن أهل قرية من قرى تلك البلدة قصدوا الهجرة بغير إذن ورضا من الكفار فقتلوا كلهم حتى النساء والصبيان، وأتلفوا اموالهم وأملاكهم، فبماذا يحكم على هؤلاء المقتولين المرحومين؟ أمن قبيل الشهداء أم من إلقاء النفس إلى التهلكة، ثم إذا خرج واحد من أهل تلك البلدة بالإذن إلى الديار العثمانية او المصرية لطلب العلم أو الحج أو التجارة وترك هنالك أبويه أو أخوته الأشقاء أو اهله وعشيرته الأقرباء، فهل يجوز له أو يجب عليه الإقامة وهم لا يرضون عنه بالإقامة، أو الرجوع إليهم أحسن بعدما حصل المرام، أو خرج جماعة منهم بغية الهجرة، ووصلوا إلى الديار العثمانية ثم ندموا لضيق المعيشة أو وحشة ديار الغربة، ورجعوا إلى إخوانهم المؤمنين هنالك لفرط محبة أوطانهم الأصلية مع الأمن على الدين، فهل عليهم بأس أم لا، فإن كشفتم عنا الغطاء بالتبيين وأرشدتمونا إلى الحق اليقين لا ننسى إحسانكم وأملا ولا يضيع أجر من احسن عملا وذا لديك أجلى من أبن جلى خير الكلام ما تم بالسلام الحمد لله، من ممد الكون أستمد العون والتوفيق". التوقيع (شيوخ الأمة الشركسية).

وكان جواب مفتي مكة آنذاك قائلا [1]: "لا تصير البلدة المذكورة دار حرب والحالة هذه لما في تنوير الأبصار وشرحه الدر المختار، لا تصير دار الإسلام دار حرب إلا بأمور ثلاثة بإجراء أحكام أهل الشرك وباتصالها بدار الحرب وبأن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي أمنا بالأمان الأول على نفسه" (انتهى) وقال طوالع الأنوار في شرح الدر المختار تحت قوله بإجراء أحكام أهل الشرك أن قال السيد أحمد وظاهره أنه لو أجريت أحكام المسلمين وأحكام أهل الشرك لا تكون دار حرب (انتهى) قلت والأمر كذلك فقد ذكر (الاسترشني) في فصوله ذكر أبو ضيفه (رحمه الله تعالى) يقول بأن هذه البلدة صارت دار سلام بإجراء أحكام الإسلام فما بقي شيء من أحكام دار الإسلام فيها تبقى دار الإسلام على ما عرف أن الحكم إذا ثبت

بعلة فما بقي شيء من العلة يبقى الحكم ببقائه. هكذا ذكر شيخ الإسلام أبو بكر في شرح سير الأصيل وذكر أيضا في موضع آخر أن دار الاسلام لا تصير دار حرب إذا بقي شيء من أحكام الإسلام وإن زالت غلبة أهل الإسلام وذكر صدر الإسلام أبو أسير في سير الأصل أن دار الإسلام لا تصير دار حرب ما لم يبطل جميع ما به صارت دار الإسلام ولا تجب عليهم الهجرة إلى الديار العثمانية والحالة هذه نعم لو أرادوها لإصلاح دينهم فيندب لهم الخروج ويثابون عليه، ففي الحديث الشريف (من فر بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد) صلى الله عليه وسلم أجمعين، وفي التفسير الأحمدي الآيات (إن في بدء الإسلام كانت الهجرة البتة واجبة سواء قدر على إقامة دينه أولا، ولا شك في نسخه وفي هذا الزمان إن لم يتمكن من إقامة دينه بسبب أيدي الظلمة أو الكفرة تفرض عليهم الهجرة (انتهى). ومثله في فتاوى شيخنا العلامة نقلا عن درج البيان، وأما هؤلاء المقتولين فهم شهداء، وأما من خرج لطلب العلم ونحو ما ذكر فلا يجب عليهم الرجوع إلا أن أحتاج إليه أبواه. وقال في نقل المختار نقلا عن تبين المحارم، وإن كان غائبا يصلهم أي ذوي رحمة بالمكتوب إليهم فإن قدروا على المسير إليهم كان أفضل وإن كان الوالدان لا يكفي المكتوب إن أرادا بحثه، وكان إن احتاجه إلى خدمته والأخ الكبير كالأب بعده وكذا الجد وإن علا والأخت الكبيرة والخالة كالأم في الصلة وقيل العم مثل الأب وما عدا هؤلاء تكفي صلتهم بالمكتوب أو الهدية (انتهى) ومن خرج من البلد المذكور وضاقت عليه المعيشة أو لم يضق عليه فليس عليه بأس في الرجوع مع الأمن على دينه والله سبحانه وتعالى أعلم. أمر برقمه خادم الشريعة المنهاج عبد الرحمن عبدالله السراج الحنفي مفتي مكة المكرمة حالا كان الله لهما حامدا ومصليا ومسلما.

روى أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل أعرابي فقال يا رسول الله أين الهجرة؟ إليك حيث كنت أم إلى أرض معلومة أو إلى قوم خاصة أم إذا مت انقطعت. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أين السائل عن الهجرة؟ قال: ها أنا يا رسول الله قال إذا قمت إلى الصلاة وآتيت الزكاة فأنت مهاجر، وإن مت بالحد خدمة بالحضرمة (يعني أرضا باليمامة) وفي رواية له الهجرة ان تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم أنت مهاجر). التوقيع (مفتي مكة المكرمة).

ولا شك بأن ردود مفتي الديار الشامية، ومفتي الديار المصرية تطابق رد مفتي (مكة) لأن المصدر الذي استقى منه كل واحد منهما هو المصدر نفسه الذي استقى منه مفتي الديار الحجازية وهو القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وتفاسيرها المختلفة.

صورة منسوخة عن الرسالة الأصلية بخط يد المرحوم ناظم قاسم قرون: (كما هو مبين في الصورة المرفقة)

ذكر المرحوم ناظم قاسم قرون في كتابه سيف من سيوف الله المنشور في عمان عام ١٩٨٦ بدعم من الجمعية الخيرية الشركسية (الفرع النسائي)... ذكر بأنه كان قد عثر على النسخة الأصلية من هاتين الرسالتين في مكتبة أحد شيوخنا الشراكسة في عمان، وهو شاب دون سن العشرين من عمره، فنسختهما بخط اليد، لأن الشيخ لم يقبل أن يتنازل عن النسختين الأصليتين، وعندما بدأ بإعداد الكتاب تذكر المخطوطتين، فذهب يبحث عن الشيخ وأولاده وأحفاده، لعله يجد عند أحدهم النسخة الأصلية ليقدمها للقراء مصورة، ولم يعثر على أحد منهم فاضطر لتقديم صورة عن ما كان نسخ في عقد الأربعينيات من القرن العشرين ويلاحظ بأن الردود لم تحض الشراكسة على الهجرة بصورة صريحة، فإن شيوخ الأمم القفقاسية المسلمة بصورة عامة، وشيوخ الشركس بصورة خاصة، أصروا على أفضلية الهجرة، لإنقاذ ذرياتهم من التنصر في المستقبل، وإبعادهم عن حكم الدولة الروسية القيصيرية العدوة كما أن عملاء الدولة العثمانية تغلغلوا بين قبائل الشركس وقبائلهم، وأخذوا يدعونهم للهجرة في كل مناسبة بدعايات باطنها مصلحة الدولة العثمانية التي بينت الاستفادة من هؤلاء الأبرياء الشجعان، في إخماد الحركات الثورية التي بدأت تنتشر في الولايات العثمانية وظاهرها دعوة الشركسي للمبادرة إلى إنقاذ دينهم ومستقبل أولادهم من الكفر الذي ستنشره الدولة الروسية المنتصرة.

مراجع ومصادر الفصل الثالث من الجزء الثاني من المجلد الأول

١) دغوظ، فؤاد يحيى، العادات والقوانين الشركسية، وتاريخها، دراسة علمية الجمعية الخيرية الشركسية عمان عام ١٩٨٩.
٢) مولر، ماكس، نشوء العادات والعقائد الدينية لدى الشعوب القديمة، اقتباس آبه زاو – موسوعة تاريخ القفقاس والجركس دمشق عام ١٩٩٦، ص٣١٧-٣١٨.
٣) برقوق، اسماعيل، قفقاس في التاريخ منشورة في الاستانية عام ١٩٥٨ (باللغة التركية) ونقل بعض موضوعاته إلى اللغة العربية محمد جمال أبه زاو وضمنها في كتابه موسوعة تاريخ القفقاس الجركسي ص: ٣٣٧.
٤) م. لوف، مؤرخ انجليزي، كتب عن الآلهة التي كان يعبدها الاديغة (الشراكس) منذ القدم ونقل عند أبه – زاو ص٣٢.
٥) يزبك، باتريك، اساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، مصدر سابق، ص: ١٧-١٨٠.
٦) حداغالة، اسكر، موسوعة للامم نارت – جزء (٤) ١٩٧٠، ص: ٨٠.
٧) المصدر نفسه، جزء (٧) عام ١٩٧١، ص:١٠٦.
٨) ايليا جيليني، ١٩٦٩، وهان ١٩٦٨ الآلهة عند الشراكسة .
٩) الرحالة توكاريف، رحالة روس، ونشر بحثا عام ١٩٦٨ عن الآلهة لدى الشراكسة، ص٢٤٧.
١٠) حاداغالة، مصدر سابق، الجزء (١) عام ١٩٦٨، ص١٠٩-١١٣.
١١) المصدر نفسه، الجزء (٧) ١٩٧١ص: ١٠٧.
١٢) المصدر نفسه، الجزء (١) ١٩٦٨ ، ص: ٨٦- ١٠٣.

١٣) نويمان، رحالة انجليزي زار بلاد الاديغة عام ١٨٤٠، وكتب عن اوضاع الشراكسة والهتهم – ص١٠٨– ١٠٩.
١٤) شتيدت، بودن، رحالة المانية زارت بلاد الاديغة عام ١٨٤٨ وكتبت عن احوال الشراكسة والهتهم، ص: ٢٠١.
١٥) المصدر نفسه، ص: ٢٠٢.
١٦) دانيليفسكي، رحالة ايطالي زار بلاد الاديغة عام ١٨٤٧ وكتب عن اوضاع الشراكسة الاديغة: ص: ٩٤.
١٧) تروبيزكوي، رحالة تجوّل في شمال القفقاس وعاش بين قبائل الشابسوغ لأكثر من عام، وكتب عن عاداتهم وآلهتهم، ص: ١٠٩.
١٨) نويمان، مصدر سابق، ص١٠٩.
١٩) تروبيزكوي، دبودن، مصدران سابقان، ص: ١٨٠–١٨١.
٢٠) توكاريف، مصدر سابق، ص: ٢٤١–٢٤٧.
٢١) مونتير دوبويس، رحالة تجوّل في بلاد الاديغة عام ١٨٤٢، وكتب عن عاداتهم ومجتمعهم وآلهتهم عدة اجزاء، ص: ٧٩.
٢٢) شتيدت، بودن، مصدر سابق، ص: ٢٠١–٢٠٢.
٢٣) نويمان – مصدر سابق عام ١٨٤٠، ص: ١٠٨–١٠٩.
٢٤) توكاريف – مصدر سابق، ص: ٢٤٦.
٢٥) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد السادس، مصدر سابق، ص: ٣٤٢.
٢٦) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٤١–٤٢.
٢٧) المصدر نفسه، ص: ٤٣.
٢٨) ناشخوا، جودت، ص:٨٥.
٢٩) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٤٤.

٣٠) مورجان، (مؤرخ فرنسي) كتب عن تاريخ القوقاز، ص: ٢١٨.
٣١) كيليجان وبيتفيسن، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، مترجم إلى اللغة العربية، عام ١٩٧٠.
٣٢) ابه زاو، مصدر سابق، ص: ٣٣٦.
٣٣) س. ل كويل قوجي، C. L Quelquejay في كتابه البنية الاجتماعية والسياسية والدينية في القفقاس الشمالي في القرن السادس عشر ترجمة نياز باتوقة مكتبة الجمعية الخيرية الشركسية ص: ١٣٩.
٣٤) المصدر نفسه، ص: ١٣٩-١٤١.
٣٥) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ١٥٥.
٣٦) ناشخوا، جودت، مصدر سابق، ص٩١.
٣٧) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ١٥٦.
٣٨) الشيشاني، احمد، مصدر سابق، ص: ٧٩.
٣٩) برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٩٦-٩٧.
٤٠) المصدر نفسه، ص: ٩٧.
٤١) كندوقوف، موسى، جنرال شيشاني، مذكرات موسى كندوقوف، عام ١٨٦٥، ص: ١٠٥.
٤٢) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٩٩-١٠١.
٤٣) المصدر نفسه، ص: ٩٧-٩٨.
٤٤) رسلان، مخوص، تاريخ حرب القفقاس ونتائجها من أحداث ومظالم، ترجمة واعداد احمد اسماعيل، دمشق، عام ١٩٩٥، ص: ٤٠-٤١.
٤٥) قردن، ناظم قاسم، سيف من سيوف الله، عمان، ١٩٨٦ ص: ١١٧-١١٩
٤٦) المصدر نفسه، ص: ١١٩-١٢١.

٤٧) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٢٩١-٢٩٢.

٤٨) المصدر نفسه، ص: ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦.

٤٩) الآصني، داوود، كتاب الجمعية الاسلامية في الحكومة الشورية لجمهورية الاديغية عام ١٩٢٥، ص: ٣٤-٣٦.

٥٠) جموخة، امجد، مصدر سابق، ص١٥٠.

٥١) لبزو، داود احمد، لقاء مع امام جامعة مايكوب.

٥٢) طاش، نهاد، مجلة الاخاء الشركسية، مصدر سابق، العدد (١١١)، إصدار شهر كانون اول، ٢٠٠٠، ص: ٣-٥.

الفصل الرابع

العادات والتقاليد والأعراف القومية

(أديغة – خابزة) لدى الأمة الشركسية

نشأة الاديغة الخابزة المتمثلة في (العادات والتقاليد والأعراف القومية الشركسية وتطورها:

عندما ظهر بني البشر على وجه الأرض لم تكن لديه أية قواعد ونظم تنظم حياتهم وتحدد أسلوب معيشتهم، إلى أن أصبحت لديهم لغة للتفاهم فيما بينهم، ثم بدأوا يضعون ويحددون بعض النظم والقواعد لحياتهم اليومية وهي التي أصبحت فيما بعد تسمى عادات وأعراف يتقيدون بها، وتعود هذه العادات وتلك التقاليد إلى العصور الحجرية ويؤكد المؤرخون بأنها ارتبطت في البداية بالمعتقدات الدينية القديمة كما ارتبطت بسلوك (الامهات) اللواتي تولين الحكم والقيادة (آنذاك) كما كان الانسان الشركسي ينتسب إلى عشيرة الأم وليس إلى عشيرة الأب، فكانت العادة أن ينتقل الرجل إلى بيت الزوجة، كما كان الأرث ينتقل إلى عشيرة الأم (ونستدل على هذه الحقائق من التراث الشركسي القديم عامة ومن أساطير النارتيين خاصة)، ثم تحولت السلطة إلى مجالس الامهات وهي التي كانت تضع مجموعة العادات والتقاليد والتي سرعان ما تتحول إلى مجموعة أنظمة وقواعد وقوانين تنظم حياتهم.

وفي العهد البرونزي تحولت السلطة إلى الأب، فأصبح لكل عشيرة رئيسا (تحمادة) ومن مجموع العشائر تكونت القبائل وهي التي استوطنت شمال قفقاسيا وتغيرت العادات التي كانت سائدة في عهد (سلطة الامهات) خاصة ما يتعلق منها بالزواج والميراث، وأدوار كل من الرجل والمرأة، كما ظهرت عادات تتعلق بدفن الموتى، كما كان أهم التقاليد (آنذاك) أن المرأة لها زوج واحد وأن الرجال كانوا يتزوجون اكثر من امرأة، كما كانت التقاليد تمنع الزواج من الأقارب والجيران وكان لا بد لهم من البحث عن الزوجة في القرى والقبائل الأخرى، ومن هنا ظهرت عادة (الكواسة) وهي عادة (الزواج بالفروسية) بخطف الفتاة عندما يرفض

الأهل تزويج ابنتهم من شاب قادم من قبيلة أخرى ومن مكان بعيد وهي العادة التي وضعت لها القواعد والأسس وبما يتمشى مع حدود الأدب والشرف، وبما يتناسب مع المبادئ الاخلاقية المرتبطة بالفروسية. وفي تلك العصور ايضا وضعت العديد من العادات وموروست مجموعات كثيرة من التقاليد والتي تتعلق بتنظيم الحياة العامة، وتحديد العلاقات بين الرجل والمرأة، وبين الرئيس والمرؤوس، وبين الأمير (بشه) والرعية من الاحرار مثل (اوزدن) والتابعين لهم وهم (الفلاحين) وفي مرحلة لاحقة (العبيد – بشل).

أما بالنسبة للعادات المتعلقة بالمعتقدات الدينية فإنها بدأت مع بداية عبادة المظاهر الطبيعية وكان الشراكسة يعتقدون بوجود إله أكبر اسمه (تحة) وكان من ابرز آلهتهم إله البرق (تحه شيبله) وإن أبرقت المساء وأرعدت كان ذلك فالا حسنا ودليل رضا (إله البرق) فإذا انتصروا في الحرب قاموا بتقديم الاكباش السمينة قربانا له وإذا اصاب البرق مواشيهم، يقوم الرعاة بتعليق الحيوان الذي قتله البرق على شجرة أو عامود ويذبحون عجلا فداء لماشيته، ويطعمونه لأهل القرية في حفلات يتخللها أناشيد المديح والتقرب من (إله البرق)، وكانت العادة ان لا يبكي احدٌ أبدا حتى لا يغضب منه (الإله) وإله آخر هو إله الروح (تحه – بسه) كما كانوا يصيدون شجرة اسمها (كادوش) يتعبدون في ظلها، ويقال انه كان لكل عائلة شجرة مقدسة، فإذا نوى شخص القيام بعمل هام كان يذهب إلى الشجرة المقدسة ويدعو طالبا منها التوفيق والنجاح فإن نجح يقيم حفلة تحتها ويعلق على أعضائها المأكولات، وإن عاد مخذولا حقد عليها وقام بقطعها وحرقها، ويتخذ شجرة أخرى للعبادة.

أما بالنسبة (للموتى) فكانت العادة ان تفرغ احشاؤهم وعرضهم على الناس لمدة اسبوع، إن كان من علية القوم وتجلس بجانبه زوجته (بدون بكاء)، كما تقف عند رأسه فتاة شابه تهش الذباب والحشرات. وبعد انتهاء مراسم العزاء كانوا يدفنون الموتى بكامل ملابسهم مع أسلحته وقسما من اشيائهم الثمينة ويقيمون على القبر (تل ترابي) يسمى (كورغان) وكلما كان التل كبيرا كان مقام الميت كبيرا.[١]

وفي عهد انتشار المسيحية في بلاد القفقاس عامة ومنطقة (الشراكسة – الأديغة) خاصة في زمن حكم الامبراطور (جوستنيان) البيزنطي في الفترة ما بين ٥٢٧ و ٥٦٥) كان الشراكسة يسمونه (جوستين) ولقب بالفارس الانتي أي الفارس (الاديغة) فظهر بين الشراكسة رهبان ورجال دين (شوجن). وسموا يوم (الاحد) يوم الله أي (تحه – مافه) ويوم الجمعة يوم (مريم) أي مريم (مافه) فظهرت عادات جديدة تتناسب مع الديانة المسيحية، فمثلا عند وفاة شخص ما كان يوضع مقص مفتوح فوق بطنه، وتضع المرأة بعد انتهائها من عجن العجين إشارة صليب (+) فوق العجينة، ولتجديد الصداقة بين شخصين تخاصما كانا يذهبان إلى المعابد الجبلية في بلاد القبرطاي واسمها (الجولات) لتجديد الصداقة بينهما، وايضا فإن عادة عدم الزواج من الأقارب قد يعود إلى تعاليم السيد المسيح... وهكذا.

وفي عام ١٧١٧ أمر خانات القرم بقتل رجال الدين المسيحي الشراكسة، وحرق كتبهم الدينية والعلمية او التاريخية [٢] وفي عام ١٧٨٠ انتشر الدين الاسلامي في شمال قفقاسيا عامة وفي بلاد القبرطاي خاصة، باستثناء مجموعة صغيرة كانت تعيش في منطقة (مز – دوج) ومعناه الغابة (الأصم) او (الاطرم) وسمي الشراكسة الذين ظلوا مسيحيين سكان الغابة (الاصم) أي الذين لم يسمعوا الدعوة للدين الاسلامي.

وفي الفترة ما بين (١٦٨٤-١٧٥٠) ظهر المفكر والفيلسوف الشركسي الكبير (قازنوقه جباغي) في منطقة القبرطاي، وكان من طبقة العمال الذين يعملون في خدمة الامير (البشه) فأحبه الامير ومنحه الحربة وتبناه فأرسله إلى منطقة (البلقر) وهو في الرابع من عمره ليعيش في كنف أحد النبلاء "الاتالق" وتحت إشراف مباشر من قبل شخص يتميز بكل الصفات الجيدة من علم ودين وخلق، فكان لهذا النبيل الاثر الاكبر في بناء شخصية (جباغي) في هذه المرحلة المبكرة من عمره فعاد إلى قبيلة القبرطاي وهو فارس ملم بمبادئ الدين الاسلامي، وأصبح ذو شهرة عظيمة وهو ما زال في سن الخامسة عشرة من عمره وتكونت شخصيته الفذة من مرافقته للأمير "حتوقشوقوة" وحضوره مجالس واجتماعات النبلاء والامراء.

واستطاع اقناع الامراء بوضع قواعد لتهذيب بعض العادات القديمة والتي لم تعد تتناسب مع مبادئ الدين الاسلامي. ومن هذه القواعد التي وضعها (جباغي) هي:

- الدعوة لإنهاء الطبقية في المجتمع الشركسي عامة ولدى القبرطاي خاصة.
- احترام المرأة وإيقاف تعدد الزوجات.
- احترام واعتبار العمل شرف والوسيلة الوحيدة للكسب الحلال وكل من لا يعمل فهو ليس بإنسان شريف.
- لا فرق بين ما يتم كسبه عن طريق النهب والسلب وما يتم كسبه عن طريق السرقة وكلاهما حرام.
- إن ما تقوله الاغلبية هي الحقيقة وما تفعله الاغلبية هي العادة.

وقام (جباغي) وبعد اقناع الامراء بوضع قواعد لتهذيب بعض العادات القديمة والضارة بالمجتمع وكان على الجميع مراعاة هذه القواعد.

وفيما يلي بعض هذه القواعد الجديدة التي وضعها (جباغي):

- احترام المرأة ولا يجوز القيام بعادة الخطيفة بدون موافقة الفتاة.
- لا يجوز تناول المشروبات الروحية والقيام بأعمال مشينة تزعج المواطنين.
- على الصغار احترام الكبار.
- الدفاع عن الوطن واجب مقدس على جميع المواطنين دون استثناء، ومن يتخلف عن هذا الواجب يحتقر من قبل المجتمع.
- الاتحاد والتعاون هما من اسباب القوة، فعلى الجميع السعي للاتحاد والتعاون.
- على أمراء ونبلاء القبردي التخلص من غرورهم والانفتاح على المجتمعات الاخرى، وبناء الصداقات مع زعماء هذه المجتمعات وعليهم ان يعلموا ان مصير شعوب شمال القفقاس مصير واحد.

كما ركز (جباغي) على اهمية التمسك بالعادات وان مخالفة تلك العادات والقيام بأعمال منافية لها هو (عيب كبير) وقد رسخ في نفوس الشعب الشركسي مفهوم العيب (حينابه) وحفره في عقولهم، وأصبح لهذه الكلمة مفعول كبير جدا، وبدأ ينشر أفكاره في منطقة القبرطاي وفي جميع المناطق الشركسية الاخرى في شمال القفقاس مقدما الامثلة والحكم التي تعبر عن القيم الشجاعة والرجولة نذكر منها:

- كل عمل له قيمة، ولكن على الانسان ان يختار عملا يتقنه.
- لا تدر ظهرك لعدوك مهما صغر.
- لا تقم بعمل وأعصابك ثائرة حيث أنك ستكون بدون أي منطق في هذه الحالة.
- لا تتهرب من الحقيقة وقل الحقيقة حتى وإن ادت إلى موتك.

- احترام العادات والتقاليد واحترام بعضنا بعضا ضرورة.
- لا تنجرف خلف اهوائك مثل أوراق الشجر الجافة التي تتقاذفها الرياح.
- كونوا دائما بجانب الخير والصدق فإن ما لم يمنحه الخير لن يعطيه الشر.
- فكر وتكلم، وانظر جيدا واجلس، وتأكد دائما من موطىء قدميك.
- الكبار أعمدة البيت واحترامهم واجب.
- إن نهاية الأشرار دائما الهلاك.
- لا حدود زمنية للصداقة الحقيقة.
- إن النبل في جوهر الإنسان وليس في اسمه.

وكانت آخر اقوال (جباغي) وهو على فراش الموت:

- عليكم احترام النساء.
- يجب انهاء جميع قضايا القتل خارج المحاكم ومعاقبة القاتل من قبل القضاء ونبذ عادة الثأر.
- يجب ان لا يستبيح الاقوياء حقوق الضعفاء.
- يجب ان تعرفوا اعداءكم جيدا.

وكانت لأفكار الفيلسوف (جباغي) الفضل الأول والأخير لتنقيح العادات القديمة، وتكييفها بما يتناسب مع مبادئ الدين الاسلامي الحنيف اولا، وبما يتماشى مع روح العصر الذي كان سائدا أواخر القرن الثامن عشر ثانيا، ثم بما يتوافق مع الروح القتالية التي كانت تتطلبها الحروب التي كان يشنها جنود التتار وقياصرة الروس ثالثا.

فمن هو قازانوقوه جباغى

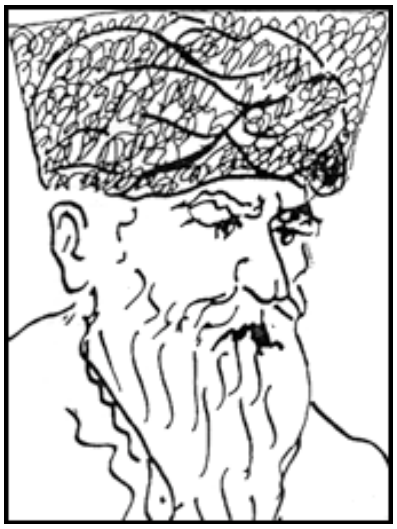

قازانوقوه جباغى

هو الحكيم والفيلسوف الشركسي الذي عرف بسعة أفقه، وعمق تفكيره، بحيث تمكن من حل معضلات كثيرة جابهت الحكام عامة والناس خاصة، وتناول مختلف شؤون الحياة، وأمن الوطن القومي حيث كان (قازانوقوه) يعالج كل ما يستشار به بتأن وروية ويعمل دون تحيز أو محاباة، فيخرج بأحكامه العادلة التي أرضت الجميع (الرابح منهم والخاسر) محاولا في ذلك ترسيخ المبادئ القومية، وتدعيم روح التسامح، وإحلال الوئام محل الحقد والبغضاء، ولعلنا نلاحظ فيما نقل إلينا من أحكامه وحكمه ملامح من شخصيته الفذة، حيث كان قادرا على الاقناع وعلى نزع فتيل الشر في أحلك الظروف. وإخماد نار الثأر بين العائلات والقبائل، مستثيرا في النفس النزعات القومية وكان (لقازانوقوه) نظرة شمولية ادى إلى اكتساب المحبة والتقدير العام فقربه الامراء والحكام وأحبه عامة الشعب. كما نال تقدير كافة شعوب القفقاس من شراكسة وشيشان وانجوش وبلقر وقرشيه.

وعمل خلال حياته مع عدد كبير من حكام القبردي مثل الأمير (أرسلان قيتوقه) والأمير (حتوخجوقة) وقد اسند إليه منصب القاضي العام في منطقة القبردي، وعندما مرض (قازانوقوه) وأحس بدنو أجله طلب إعادته إلى قريته على ضفاف نهر (شروج) حيث أمضى معظم أيام حياته وأوصى بدفنه على تلة فيها كانت مكانه المفضل للاستجمام والراحة، وطلب ان يقيموا له نصبا فوق قبره.

ونفذت وصية الحكيم، إلا أن الشعب الذي أحبه اصر على تخليده في أكثر من موقع حيث اقيم له نصب تذكاري في المكان الذي عمل فيه مع الامير (حتوخجوقوه) في قرية "زيقوه" اليوم.

وأقيم له نصب ثالث على تلة تدعى (أوشحة تسج) حيث كان يعقد عليها الاجتماع العام لكافة قبائل القبردي.

أما النصب الرابع فقد اقيم في قرية (قانجة) حيث كانت تقع على مفترق طرق.

كل ذلك ليكون "قازانوقوه جباغي" قريبا بأفكاره ومثله من الشعب الذي أحبه.

ولعلنا ننصف "قازانوقوه" حين نقول أن خلوده في ذاكرة الشعب الشركسي يعود أولا وأخيرا إلى شخصية (قازانوقوة) نفسه وإلى مصداقيته في التعامل وأمانته في خدمة شعبه وإلى إنسانيته التي تركت بصماتها على وجه الزمن. [٣]

العادات الشركسية من وجهة نظر الكاتب الشركسي (دغوظ) فيقول:

"بأن الشركس ما زالوا حتى يومنا هذا يملكون عادات جميلة جدا، وانه يمكن القول دون ارتكاب خطأ كبير، بأنها من أجمل الاعراف والتقاليد المعروفة في العالم أجمع، وذلك لأن قيمنا كلها منبثقة من الأجمل والأحسن وهادفة نحو الأجمل والأفضل".[٤]

وأضاف قائلا: "فإن عند الشركس عادات وقيم عالية وجميلة جدا مرتبطة بالاخلاق وآداب السلوك والاجتماع والحفلات والولائم والدعوات، واحترام الكبار، والاهتمام بالصغار، وتقدير المرأة، واستقبال الضيف، والمحافظة على الشجاعة، وإتقان العمل، وإحقاق الحق، والقيام بالواجب، وغير ذلك من الصفات الحميدة التي تشعر المرء بفخر الانتماء إلى الشركس والقفقاسيين دون غرور أو استهتار.

وبما ان الالتزام بالحق والصدق من العادات القفقاسية الاصيلة، فدعونا نتقيد بهما ونقول بصراحة ووضوح بأنه لا شيء في الدنيا بدون محاسن ومساوىء

ولا يوجد أحد أو شيء كامل في الحياة الفانية، وإن عاداتنا وأعرافنا هي كذلك فيها الجيد وفيها السيّىء، ومن الجدير بنا ان نحتفظ بالجيد ونتجنب السيء.

كما قال: "ان العادات الشركسية ليست من صنعنا بل هو أثر من تراث الماضي، ولن نقبل لأحد أن يستهتر بها، اننا نحترمها ويجب ان نحييها ونحافظ عليها، وعلينا ان نتعاون جميعا بما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وأن نجمع ما كان وما زال موجودا منها ونكتبها وندونها ونتعلمها، ونصدرها في كتب بلغتنا وباللغات الاخرى، وذلك دين على رقابنا تجاه شعبنا وأصلنا، ويجب علينا ان نعي ذلك وان نسعى إلى تحقيقه وانجازه بدقة وبأسرع ما يمكن".

واختتم "دغوظ" قوله "من المناسب ان نختار الامور الجيدة من عاداتنا التي ما تزال حية بيننا حتى الان وننقي ما يتفق مع عصرنا ونؤلف منها مجموعة منتقاة او نخبة مختارة، ونضيف إليها ما يمكن ان يكون لائقا ومفيدا للحاضر والمستقبل، وذلك بالاهتداء بعاداتنا التي تعلمنا التعاون وترشدنا إلى التشاور واتفاق الكلمة وتدعونا إلى الاتحاد، حتى نضع منظومة جديدة من الاعراف والقوانين لشعبنا ووطننا أي – القفقاس والقفقاسيين – وذلك هو رأينا". (٤)

واعطى (دغوظ) تعريفا عاما لمفهوم الخابزة بقوله: والخابزة هي القواعد الخاصة بتنظيم الحياة والمجتمع، فهي تشمل مختلف النواحي وتقوم بترتيبها وتتدخل فيها، وبكلمة أخرى فإن لكل امر نظامه وقاعدته المعينة، وتحرص "الخابزة" على ربط هذه القواعد ببعضها والتنسيق بينها، بحيث تستند إحداها على الأخرى، وتنبثق عنها وتؤثر عليها، منطلقة كلها من مبدأ واحد ومتجهة لهدف تحقيق هدف عام (٤).

وأما (رايا مامخيغ) والتي تعتبر افضل من كتبت عن العادات الشركسية القديمة وعن نشأتها وتطورها وتطبيقها في الوطن الأم. حيث تقول بأن: (أديغا نيميس) و (أديغا خابزة) هما في المضمون شيء واحد، وبحسب تصورنا فإنها ما

هي إلا مجموع النظم والعادات التي يتقيد بها الشراكسة في حياتهم وتصرفاتهم، كما تقول لقد أوجد الشراكسة مجموعة هذه العادات الشائقة والمعمقة والمدروسة بكل عناية لتحيط بكل جوانب المجتمع بشكل مذهل، وبكل جوانب الحياة والنشاطات، وتأخذ بالاعتبار التعقيدات والعلاقات المتبادلة في الأسرة والمجتمع وحتى على مستوى الدولة.

لقد لعبت (الاديغا خابزة) دورا هاما في حياة الشراكسة، ومع ذلك فقد انتقلت من جيل إلى آخر شفهيا، على الرغم من ان الشراكسة كانوا يبدون اهتماما كبيرا بالثقافة والعلوم وحب المعرفة للحياة الانسانية (٥).

وتعرف (مامخيغ) (الاديغا نيميس) بأنها مجموعة العادات والتقاليد (إتيكيت)، وكلمة إتيكيت مشتقة من الكلمة اليونانية ethos ethika وهي تعني العادات. وللتعريف العلمي للحدود الاخلاقية للاتيكيت نسوق قول ارسطو طاليس الذي تضمن:

"يعتبر الفلاسفة ان الاتيكيت تشكل بطريقة عفوية من خلال العلاقات الاجتماعية للناس، وقد ظهر نتيجة الفصل بين انشطة النظريات الدينية والتطبيقات المادية في الحياة، وكان على الاتيكيت ان يحل المشاكل ذات الطابع المهني العملي الاخلاقي التي تواجه الناس في حياتهم، كيف يجب ان نتصرف؟ ما الجيد وما الذي يعتبر شيئا ما مهم للإنسان وما الغاية من حياته؟"

أما في قاموس الكلمات الاجنبية في اللغة الروسية فقد ورد أن الاتيكيت هو: "... النظام الموضوع بدقة حول طريقة التعامل خلال العهود الاقرب **إلينا كما نجد كلمة إتيكيت في (قاموس الاتيكيت):** "بإنها مشتقة من الكلمة الفرنسية، etiguette وهي مجموعة قواعد السلوك المرتبطة بظاهر العلاقات وفيما يخص التعامل مع الناس والتعامل مع الوسط المحيط، واسلوب القاء التحية، وكيف تتصرف في الاماكن العامة، وكيف تتحرك وماذا ترتدي..." أي إن الاتيكيت هو

مجموعة جزئيات السلوك الظاهري في المجتمع الذي يشكل (الثقافة الخاصة بالسلوك).

ومن وجهة نظر أخرى، فإن كلمة (نمس) ربما كانت مشتقة من الكلمة العربية (ناموس) وانها تعني الجدارة والسمعة الحسنة والقدوة والاحترام، وعند الشراكسة تستعمل هذه الكلمة لإعطاء تصور عن شخصية المرء، ويقولون بأنه شخص (لبق مربى بحسب الاصول)، ويعمل بما يقتضيه الناموس، ومؤخراً صار غالبا ما يقال وللأسف شاع تعبير "إنسان بلا ناموس أو قيم".

وكما قال المثل الشركسي القديم: "حيث لا يوجد الناموس لا توجد السعادة أيضاً (٥).

المصطلحات القومية التي تعبر عن مفهوم العادات والتقاليد الشركسية

نستنتج مما تقدم بأن الشراكسة منذ عهد الاجداد يستخدمون (أربعة) مصطلحات قومية للتعبير عن مجموعة العادات والتقاليد والاعراف والقيم القومية الشركسية وهي:

المصطلح الاول: هو أديغة خابزة أي العادات الشركسية

ويمكن تعريفها، بأنها الاعراف والقيم والمعتقدات والاتجاهات التي تنظم سلوك الشعوب الشركسية منذ القدم وتوضع لها قواعد لتنظيم الامور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والفنية... إلخ لتصبح مع مر الزمان في قوة القانون والدستور (غير المكتوب). وان هذه القواعد هي نتائج جميع القضايا المتعلقة بحياة الناس على اختلافهم رجالا ونساء كبارا وصغارا، حكاما ومحكومين، مثقفين وغير مثقفين. كما هي التي تنظم العلاقات بين الزوج والزوجة، والابناء والآباء، والكبار والصغار كما أنها تنظم المراسم المتعلقة بالزواج او الولادة او الموت كما تحدد اسلوب تربية الاولاد وتوزيع الادوار الاجتماعية بين الرجال والنساء.

المصطلح الثاني: هو اديغة "تمس أو ناموس"

وهي مجموعة العادات والتقاليد التي تتعلق (بالاتيكيت) وهي العادات التي تتعلق بآداب التعامل مع المرأة والاكبر سنا ومع الضيف، وهي الآداب التي تتضمن قيماً اخلاقية منها احترام كبير للآخرين، ومن العار ان يوصف الشخص الشركسي بأنه بلا (ناموس) أي لا قيم له. أما الشخص الذي يتمتع بعادات مرتبطة (بالناموس) فهو شخص لبق تمت تربيته حسب (الاصول).

المصطلح الثالث فهو: اديغة نابه

وتعني حرفيا (الوجدان والضمير أو الشرف الشركسي) ويفسر ذلك بأن الوجدان كتصنيف اخلاقي ليس صفة لفئة معينة من الناس بل لكامل الأمة، ولذلك لا يزال حتى يومنا هذا يستعمل لدى الشراكسة تعابير: (ضمير الامة والشعب والقبيلة أو العشيرة) (بلا شرف، بلا ضمير، عديم الوجدان).

وكلمة (نابه) وبحسب ورودها في النص يمكن ان تعني (ضميرا او وجدانا أو شرفا) ويقال: "ذو ضمير، انساني، اخلاقي، مستقيم) وفي التعابير القديمة المستعملة لدى الشيوخ وكبار السن يقال:

"لنأمل ان يكون لقاؤنا في العالم الآخر بأصفى (ضميرا ونية) وان نلقى الله (بوجوه بيضاء) فإذا ما تصرف احد ما بشكل غير لائق يقول الشركسي: يا للعار يا للفضيحة التي جلبتها. وإذا ما وقع احد ما في موقف حرج وشعر بالخجل فيقال عنه: إن هذا الشخص فقد الاحترام والاعتبار وأصيب بالعار واسودّ وجهه ونال الخزي وافتضح امره.

لقد أولى الشراكسة منذ القدم اهتماما جديا لهذا الرقي من الصفات الانسانية كأمور وجدانية وكانت صفة احمرار الوجه (خجلا) هي صفة محمودة إذا ما حدث وتصرف المرء بشكل شائن والانسان الذي يحمر وجهه خجلا يكون قد اعترف

بتصرف ما كان يجب عليه عدم القيام به، ومثل هذا الشخص مؤهل لأن يرفع من مستوى اخلاقياته ويطورها ويرقى بنفسه روحيا.

لقد كان الشراكسة يثقون بالرجل صاحب الوجدان والضمير الحي، ذلك أن الضمير هو الذي يراقب الانسان، وهو الذي يذكره بالتزاماته تجاه الاخرين.

وكثيراً ما نسمع في اللغة الشركسية تعابير مثل: "بحسب ما يراه ضميرك، إذا سمح لك ضميرك، ضميرك يتحمل بقدر ما تسمح انت".

المصطلح الرابع: اديغة– له أو (أديغال) ومعناها (رجل شركسي بحق وحقيقة)

ويجب أن يتصف الرجل الشركسي الذي يستحق هذا اللقب أن يكون:

- كامل الرجولة، شجاع، مقدام، جريء.
- يتمتع بروح معنوية عالية معطاء قادر على التضحية في سبيل الوطن والآخرين.
- لديه حكمة قادرة على معالجة الامور بموضوعية وتجرد.
- قادر على التصرف بلباقة وكياسة وأدب مع النساء أولا ومع الاكبر سنا ثانياً.

وخلاصة القول، فإن الرجل الشركسي الذي يطبق العادات والتقاليد والاعراف التي تفرزها (الاديغة خابزة) وكذلك الذي يحافظ على (الاديغة نابه) بضميره الحي وبمحافظته على الشرف وبقدر تمتعه بالقيم الاخلاقية فإنه رجل يستحق ان يكون (اديغة – له) بمعنى انه رجل شركسي بحق وحقيقة [٥].

*** حقائق تاريخية حول العادات الشركسية**

نستنتج من استعراض نشأة وتطور العادات والتقاليد الشركسية الحقائق التاريخية التالية:

الحقيقة الاولى: ان اجداد الشراكسة وضعوا القواعد لتنظيم حياتهم اليومية والتي اصبحت فيما بعد عادات وتقاليد كما كانت السلطة بيد الامهات ابتداء من العصور الحجرية، ثم تغيرت هذه العادات وخاصة ما يتعلق منها بالزواج والميراث وادوار كل من الرجل والمرأة بعد ان تحولت السلطة إلى الاباء في العصر البرونزي في الالفية الثالثة قبل الميلاد.*

الحقيقة الثانية: ظهرت العادات المتعلقة بالمعتقدات والفكر الديني مع بدء عبادة المظاهر الطبيعية مثل عبادة ظاهرة (البرق) وعبادة إله اسمه (شبله تحه)؛ أي اله (البرق) وغيرها من عشرات بل المئات من آلهة المظاهر الطبيعية.

الحقيقة الثالثة: تغيرت وتبدلت العادات والتقاليد القومية الشركسية بعد اعتناق اجداد الشراكسة للديانة المسيحية في عهد الامبراطور البيزنطي (جوستنيان) في منتصف القرن السادس الميلادي، فتخلى أجداد الشراكسة عن بعض العادات والتقاليد التي تتعارض مع تعاليم الدين المسيحي واضافوا عادات وتقاليد اخرى تتوافق مع تعاليم هذا الدين.

الحقيقة الرابعة: عندما انتشر الدين الاسلامي في بلاد شمال القفقاس، واعتنق اجداد الشراكسة الدين الاسلامي الحنيف ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى القرن الثامن عشر وبالتحديد حتى عام (١٧١٧) وهو العام الذي قام به خانات القرم بالقضاء على رجال الدين المسيحي في بلاد الشراكسة عامة وفي بلاد القبرطاي خاصة* تغيرت بعض العادات الشركسية التي تتعارض مع تعاليم الدين الأسلامي.

---

* لمزيد من البيانات حول ما كتب عن العادات والتقاليد المرتبطة بعملية الزواج يرجى الرجوع إلى قائمة المراجع والمصادر الخاصة بهذا الفصل.

* تشير الوثائق التاريخية بأن انتشار الدين الاسلامي في بلاد الاديغة وبين الشراكسة الغربيين القاطنين في مناطق الكوبان تأخر حتى منتصف القرن التاسع عشر وخاصة بين قبائل الشابسوغ والناتخوج والابزاخ.

الحقيقة الخامسة: ربما كان آخر تنقيح ومراجعة للعادات والتقاليد الشركسية القومية قد تمت على يد المفكر والفيلسوف الشركسي (قازنوقة جباغي) الذي عاش في الفترة من (١٦٨٤-١٧٥٠) حيث استطاع اقناع الامراء تهذيب بعض العادات القديمة والتي لم تعد تتناسب مع مبادئ الدين الاسلامي اولا، وضرورة انتهاء الطبقية في المجتمع الشركسي ثانياً.

الحقيقة السادسة: العادات والتقاليد الشركسية من وجهة نظر الرحالة والكتّاب الاجانب

ربما كان خير وصف للعادات والتقاليد الشركسية التي كانت سائدة في المجتمعات الشركسية في الوطن الام عامة ولدى قبيلة القبرطاي خاصة... هو وصف الجنرال الروسي [٦] (ايفان فيدروفيتش بيرغ) الذي رصد خلال عشر سنوات من حياته (١٨٣٠-١٨٤٠) المجتمع الشركسي حيث كتب واصفا حياة الشراكسة بقوله: "... **إن الطاعة العمياء للأهل، واحترام الكبير وللطاعنين في السن معمول بهما لدى هذا الشعب بمنتهى الدقة وإن الابن لا يبيح لنفسه الجلوس بحضرة والده، أو أن يجلس الابن الاصغر بحضور الاخ الأكبر سنا، وهم لا يتكلمون مع الأكبر سنا بحضور الغرباء، كما ان صغار السن المتواجدين بحضرة من هم أكبر سنا لا يتكلمون بصوت عال ابدأ، ولا يبتسمون، وعليهم فقط الرد عندما يطرح عليهم أي سؤال، وتفرض العادات على الأصغر الوقوف عند ظهور كبار السن رجالا أم نساء، حتى لو كان القادم أقل منزلة اجتماعية، ويمكن الجلوس فقط بعد ان يتوجه الشخص الذي وقفوا احتراما له بقوله (ف. تسه) ومعناها (اجلسوا) ولا يمكن هنا أبدا تجاهل هذه التقاليد، وهم متعصبون جدا للحفاظ على هذه العادات الصعبة.**

كما قال "... إن الشراكسة في حياتهم الخاصة ليسوا سيئين أبدا، ولا ينقصهم التفكير السوي، وهم مضيافون وأذكياء، معتدلون ومتواضعون في طعامهم وتعاطيهم للشراب، مخلصون في صداقتهم، شجعان، مقدامون في الحروب...".

واستطرد قائلا: ... وبحسب العادات المتداولة منذ القدم ليس للأمراء ان يقوموا بتربية ابنائهم في منازلهم أو بإشرافهم، وعليهم ما أمكن باكرا (ليس بعيدا عن زمن الولادة) إرسالهم ليتربوا في بيت آخر، أي بيت النبلاء (الاوزدن) ويبذلون قصارى جهده من أجل الحصول على هذا الشرف. والمنزل الذي يقع عليه اختيار تربية الأمير يعتبر ذلك ثقة كبيرة وشرفاً كبيراً لتلك الاسرة.

ويدعى المربي المختار في تلك الحالة (اتالق)، وعليه ان يعلم الشركسي ويطعم (المربي) حتى يحين موعد إعادته إلى أهله، وهو غالبا عند بلوغه سن الرجولة وبعد ان تكون تربيته قد تمت.

وتتضمن التربية المذكورة التدريب على مختلف الرياضات العضلية المجهدة، والتي تؤدي إلى القوة الجسدية والمهارة في ركوب الخيل وأساليب الإغارة والقتال العسكري والرمي بالقوس والبندقية والمسدس وغيرها، كما أن التربية تشمل أسلوب الحديث والمناقشة والمعالجة مما يساعده على التحدث في الاجتماعات واللقاءات العامة.

ولهذا الغرض يقوم المربي (الاتالق) بتدريب المربي لديه (القان) على كل ما يقوّي لديه البنية او الذكاء، مستعملا احيانا بعض الحيل للتوصل إلى ذلك.

وعندما يبلغ المربي سن الشباب، أو كما يقول الشراكسة أصبح مستوعبا لفنون القتال، يعيده مربوه لأهله وذويه بوجود والده وجميع أقاربه، حيث تقام وليمة فاخرة (يؤكل فيها نوع من الحبوب) وتهدى إلى المربي (الاتالق) هدايا قيمة من الاسلحة والمواشي والجياد.

ويبقى المربي طوال حياته مجال احترام من قبل أسرة الشاب الذي تربى لديه، ويتعاملون معه كفرد من العائلة.

أما اطفال الاسر العادية فيتربون في كنف أسرهم أو أسر مشابهة لهم اجتماعيا، ويتدربون على الحراثة وليس على فنون القتال، وهذا بسبب النظرة السياسية والاجتماعية حيث يجب أن لا يشكل هؤلاء عند كبرهم خطرا على الأمراء الذين يرغبون بإبقائهم بمنزلهم كتابعين لهم (بشل).

وأما بنات الامراء فيتربين ايضا في بيوت أخرى، وتتولى تربيتهن نساء الـــ (أوزدن) من النبلاء، حيث يخضعونهن إلى الطاعة العمياء، ويعلمونهن الخياطة والتطريز بخيوط الذهب والفضة وغيرها من الاعمال اليدوية، ولا يسمح لهن بالتحدث إلى الغرباء بل مع الاهل فقط، وذلك لا يعني انهن يعشن حياة الرهبنة، وإذا ما اضطررن للرد على سؤال أحد الغرباء فإنهن تأدبا يقمن بذلك وقد استدرن بنصف دورة تقريبا وعيونهن مسبلة للاسفل.

ويلتقي الشباب من كلا الجنسين باستثناء سلالة الأمراء، ويتم ذلك في كافة التجمعات وبحضور الأهل، ويقضون اوقاتهم في الرقص وبممارسة الألعاب المختلفة، وهم بذلك يتعارفون من خلال طقوس القرية الذاتية.

ويستطرد قائلا: "لا تتمتع الفتيات الشركسيات فقط بشهرة الجمال الخلاب الموروث عن أسلافهن، بل إن لديهن ميزة هامة تنبع من المعطيات الروحية لهذا الشعب، ونحن نتكلم هنا عن عادة الاحترام والتقدير الفائق الذي يكنه الشراكسة للمرأة ويتمثل هذا الاحترام من توقف القتال فورا وانهاء سفك الدماء، ان قامت امرأة مكشوفة الرأس برمي نفسها بين فارسين يقتتلان خاصة إذا كانت المرأة متقدمة في السن أو من أسرة مشهورة.

وكذلك يكفي أي مطارد ان يأوي أو يختبئ لدى امرأة حتى يصبح من المحرم المساس به، وكذلك لا يمكن ايقاع أية عقوبة به أو انتقام وخاصة القتل

بوجود امرأة، وان كان من المتعارف عليه في أوساط الشراكسة أنه من العار اللجوء إلى حماية المرأة، ولذلك لا يلجأ إليها إلا في حالات نادرة.

وكذلك فإن كتابات الداعية السياسي الانجليزي الاصل (جيم بل) حول العادات الشركسية عامة وعادات كرم الضيافة خاصة خلال عيشه في المجتمع الشركسي في منطقة القبرطاي وتشركيسيا عام ١٨٣٧-١٨٣٩.. يقول في إحدى كتاباته:

"لقد ادهشني عدد الأشخاص ذوي الطلعة الجميلة، إن تقاطيع وجوههم الرائعة وقاماتهم المديدة، والصدور العريضة، والاكتاف المتينة مع خصور نحيلة، واقدام متوسطة الحجم، كل ذلك يضاف إلى العيون المشبعة بالحيوية بشكل مدهش...".

"... في أثناء وجودك هناك يمكنك القول بكل ثقة إن هؤلاء الرجال هم خير عطاء قدمته هذه الأرض...".

بعدها يتابع جيم بل:

"... إنهم لا يستعملون أية ألقاب عند التخاطب حتى إن التابعين يخاطبون مرؤوسيهم بأسمائهم المباشرة، **وإنما لا تجري مخالفة التقاليد باحترام الكبار في السن والمستوى...**".

"**... لقد نسيت التذكير حول الشرف الرائع الذي منحني إياه مضيفي مساء البارحة، فبعد الصلاة (وبحضور عدد من الشهود بمن فيهم مترجمي) توجه صاحب الدار من عند المذكورين باتجاه منزله حيث قام أحمد (أي المضيف صاحب الدار) شخصيا بالتضحية (بعجل صغير) من أجل توطيد الصداقة الاخوية بيننا، وقال لي: "عليك ان تعتبر نفسك منذ الآن فردا من أفراد العائلة التي على كل منا احترامها وحمايتها**".

ويتذكر بيل منزلا آخر كان يحل فيه ضيفا بقوله:

"... لقد استقبلني الاخ الأكبر لمضيفي بمنتهى الحفاوة القلبية وخاطبني باحترام كبير ولباقة مميزة قائلا:

"سوف نعتبر ان لدينا أما وابا آخراً منذ الازل"، وقد قبلت منه هذا القول مع بعض التحوير المعنوي، ثم طلب مني (محمد) ان نتبادل ملابسنا كي أصبح أكثر شبها بالشراكسة، وهكذا قام بحشر أكتافه العريضة ذات العضلات في معطفي الأنيق، بينما سعدت أنا كثيرا لشعوري بالارتياح الكبير وأنا ارتدي ملابسه الواسعة علي والمصنوعة من الجوخ الغامق، وكانت موشاة بالذهب والفضة عند الاكمام وخيطت على صدرها جيوب صغيرة للرصاص..

... أما عن غذائنا اليومي أو بالأحرى (أغذيتنا) فقد غطت على عشائنا البارحة، لقد حاولت لفترة طويلة ان أحصي عدد أصناف الطعام وكنت أخطئ في كل مرة، وقد قال لي خادمي فيما بعد إني لم أر إلا جزءا يسيرا منها فقط بعد أن تأكدوا أننا "تغدينا" من فترة وجيزة فلم يقدموا الباقي. وقد لبينا دعوة العشاء مجاراة للعادات وتذوقت بعض اصناف الطعام حيث لم يكن بالامكان رفض هذا الشرف...

وقد أكد (خادمي) الذي كان يرافقني أنه رأى صفوفا من الطعام على إحدى الموائد كأنها في تنظيم عسكري، وقد عد في إحدى المآدب (اثنين وأربعين صنفا)، بينما تكونت أخرى من خمسة وأربعين، ولقد تساءلت إن كانت مضيفة المنزل قد حاولت جمع المعلومات عن عدد الاصناف التي قدمتها جارتها...

ومما أثار دهشة (بيل) ايضا المشهد التالي الذي يذكره بكل إعجاب:

"... في الطريق خرج لاستقبالنا أحد الزعماء مرتديا درعا من الزرد، وكان مظهره عسكريا تماما، وسبقه مرافقوه للقائنا ثم ما لبث ان انضم إلينا شاب كان قد لاحظته سابقا حيث كان مميزا حتى عن مماثليه ببنيته القوية وبحيوية، فقام هذا الشاب باستعراض مهارته أمامنا من فن قيادة الخيول وشهر السلاح في كافة حالات الركوب ورفع غطاء السلاح وإطلاق النار على قبعة ملقاة على الأرض،

إضافة إلى استعراض براعات أخرى كالقفز من السرج مع تعمر السلاح في وقت واحد أو خطف السيوف من اغمادها..." [٧].

وكذلك فإن "بويكو" يقول في مقدمة كتابه (الخداع في القفقاس):

"... إن كلاسيكيي الأدب الروسي قد فنّدوا الاكاذيب بمؤلفاتهم الرائعة عن الصفات التي لا تنسى للقفقاسيين، ومن هؤلاء الكتاب أملات بيك، بستوجيف، مارلينسكي، كازبيتش، بيلا، متسيري، م، يو لير منتوف وآخرون".

ويمضي مؤلف (الخداع في القفقاس) أكثر من ذلك، حيث إنه وبكل صراحة يمتدح شعبا بأكمله وليس أشخاصا محددين بقوله:

"... كم أحب طبيعة الشرف البدائية لديهم، خذ الشركسي وتمحص فيه كإنسان، كم هو محب لعائلته، متدين ولا يعرف الكفر او الالحاد على الرغم من المناسك القاسية لديانته، كم هو واع ومتفهم ومتواضع في متطلباته وحياته! إنه يؤمن بالصداقة ويحترم الحياة الروحية، كما يحترم كبار السن ويجل والديه، وأما عن الشجاعة فماذا يمكن القول وهي معروفة للجميع، كما انه ينصاع مغمض العينين لتقاليده القديمة التي تعتبر بمثابة القانون، وعندما يدعوه الواجب الاجتماعي العام للتطوع فإنه يندفع بكل قواه هاجرا كل شيء، متناسيا عداوته وحتى ثأره وسفك الدماء الحاصل". [٨]

وفي عام ١٨٣٣ كتب العالم المشهور (فريدريك) وهو جغرافي وعالم طبيعة وآثار عن مشاهداته في بلاد الشراكسة قائلا: "... إن الوضع الحالي للشراكسة يثير في الذاكرة صور الحضارة في أيامها الأولى في ممالك ألمانيا وفرنسا، حيث المظاهر الاقطاعية والنبلاء وأرستقراطيات العصور الوسطى والبطولات لدى وجهاء اليونان القديمة. كما ان الروح القبلية نامية للغاية وهي أقوى مما كانت عليه في المانيا وفرنسا، ويشكل الأمراء ونبلاء الريف والمحررون وفلاحو الأراضي والاقنان طبقات المجتمع الشركسي الخمس.

ويتابع قائلا:

"إن سكان السواحل من الشراكسة طوال القامة، ذوو أجسام متناسقة وأنيقة، وهم يحرصون دائما على الحفاظ على هذا الجمال بشد خصورهم بالقشط الجلدية، ومشيتهم خفيفة ورشيقة، برؤوس متطاولة وعيون داكنة، أما أنوفهم فهي دقيقة وجميلة، وعظام الفك طويلة وحسنة التوضع..." . "... من أكبر الاساءات في المجتمع الشركسي الزواج غير المتكافئ اجتماعيا". "... وكما كانت الحال لدى (إسبارطة القديمة)، فإن المتزوج من الرجال لا يظهر امام الاخرين بصحبة زوجه ابدا، وهو يقابلها منفردا فقط، أما الحديث مع الزوج عن أمور تخص الزوجة فهو من قلة الادب والعيب. وإنما مع تقدم الاشخاص في السن يمكن ان يخف التقيد بذلك وبنسب محدودة..".

كما يصف المآكل ونظام الحياة ومزاجهم وشدة تحملهم غير الطبيعية والصبر والجلد وعدم التذمر خلال اعمالهم.

وكذلك فإن جورجيو انتريانو الرحالة والجغرافي الايطالي وعالم دراسة تاريخ الشعوب: "إن هؤلاء الزيخ (التسمية القديمة للشراكسة) جميلو الطلعة بغالبيتهم وممشوقو القوام، وقد تصادف في القاهرة في (مصر) اناسا متميزين بضخامة اجسادهم من المماليك والأمراء وهم بغالبيتهم كما يقال من هذه القبائل، ويمكن ذكر الشيء نفسه عن نسائهم اللواتي يعتبرن في تلك البلاد اكثر الناس إكراما للضيف حتى بالنسبة للغرباء.

ويكتب انتريانو عن المستوى الاخلاقي للشراكسة قائلا: "إن لديهم اعتقادا بأنه لا يجوز اعتبار أي انسان عريقا إذا ما وجدت مسموعيات عن قيامه بعمل شائن في وقت ما، حتى لو كان لدى هذا الإنسان سلالة عريقة ومن نسل القيصر نفسه".

وهم لا يرغبون في ان يمارس اتباعهم اية اعمال تجارية باستثناء بيع منتجاتهم الخاصة، كما يقولون بأن واجب الانسان العريق ان يقود قومه فقط ويدافع عنهم، إضافة إلى ممارسته رياضة الصيد والتمارين القتالية. (١٠)

وصف موجز لأهم العادات والتقاليد القومية الشركسية

وفيما يلي وصف موجز لأهم العادات والأعراف والتقاليد والقيم الشركسية التي تشكل مبادئ دستورية يلتزم بها الامراء والنبلاء واعيان القوم قبل عامة الشعب كما يطبقها الصغار قبل الكبار، ويتمسك بها كل من الرجال والنساء على حد سواء كما يطبقها الاغنياء قبل الفقراء.. وخلاصة القول بأن مجتمع الشراكسة اينما كانوا يلتزمون بها التزاما حرفيا منذ عصر الاجداد وحتى يومنا الحاضر *

ويمكن ايجازها في (احدى عشرة) مجموعة من العادات والتقاليد والاعراف وهي على النحو التالي:

المجموعة الاولى: العادات والتقاليد المرتبطة باحترام المرأة الشركسية

قال الانثربولوجي رادكليف بروان: إذا كانت المرأة في الغرب تتمتع بحرية أكبر فالمرأة الشركسية تحظى باحترام أوسع.

والدارس للعادات الشركسية المتعلقة باحترام المرأة وحقوقها في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم أو في بلاد المهجر يجد بأن أبرز هذه العادات هي:

* تؤكد الدراسات والابحاث المتعلقة بالتحولات التي حدثت في درجة تمسك الشراكسة في الوطن الام بأن أهل القرى في الوطن الام ما زالوا يتمسكون بها، أما سكان المدن الكبيرة فإن درجة تمسكهم بها اقل، وكذلك فإن الشراكسة (الاديغة) من الجيل الاول والثاني في بلاد المهجر متمسكين بها بدرجة جيدة خاصة الذين يسكنون قرى شركسية في تركيا وسوريا والأردن وفلسطين وبدرجة متوسطة للاجيال الأخرى.

١- تقديم المرأة على الرجل في المجالس عامة.
٢- وقوف الرجال إن كانوا جالسين عند مرور امرأة في الطريق العام او في أي مكان آخر.
٣- التحدث مع المرأة بأدب واستخدام تعابير خاصة تدل على الاحترام الشديد والتبجيل لها. وكانت العادة اذا تشاجر رجلان وحضرت امرأة ورمت منديلها يتم ايقاف الشجار حالا، ومن عاداتهم ايضا تحريم القتل تحت سقف بيتها أو بحضورها.
٤- احترام بل تحريم المساس بأي شخص أصبح دخيلا على امرأة مهما كان ذنبه أو جريمته التي ارتكبها.
٥- التوقف عن الحديث والوقوف عندما تبادر المرأة بالتحية، فالعادة أن المرأة هي التي تمد يدها للمصافحة.
٦- إن صادف رجل وهو على ظهر جواده، فلا يجوز له الاقتراب من المرأة بالجواد بل عليه الترجل عن الجواد والاقتراب منها ممسكا باللجام، ثم يلقي عليها التحية، ويرافقها ماشيا بضع خطوات ثم يتابع طريقه إن لم تكن بحاجة لمساعدتها.
٧- على الرجل الماشي إن صادف امرأة في طريقه ان يدعها تمر عن يمينه (لأنه يحمل سلاحه بالجانب الايسر).
٨- احتراما للمرأة جرت العادة ان لا يتجادل الرجال او يتخاصموا او يتعاركوا بحضور امرأة، بل إن العادة أن يتوقف عن كل ذلك عندما تظهر امرأة او تطلب منهم ذلك.
٩- مراعاة حسن مظهر الرجال عند زيارة او مقابلة امرأة (خاصة الجارات أو القريبات منه) كأن يظهر أمامها حافيا أو أشعث الشعر أو في ملابسه الداخلي... الخ.

١٠- تقديم العون والمساعدة للمرأة إن طلبت ذلك أم لم تطلب، خاصة إذا صدف أن كانت تقوم بجهد بدني أو عمل من أعمال الرجال مثل التحطيب أو حمل شيء ثقيل.

١١- ضرب المرأة من المحرمات في (الناموس) الشركسي وليس من الرجولة أيضا إهانة امرأة أو التحدث معها بألفاظ نابيه، وكل من يفعل ذلك كان يحاكم ويحاسب أمام مجلس الكبار (التحمادة) كما كان ينبذ من المجتمع.

١٢- من المحرمات حسب العادات الشركسية قتل امرأة (اية امرأة) وأكبر دليل على ذلك الحادثة التي ذكرها (جون بادلي) وخلاصتها بأن المقاتلين الشركس كانوا يحاصرون موقعا روسيا ويطلقون النار عليه تمهيدا لاقتحامه، وحدث أن مرت أمامهم زوجة قائد الموقع، فتوقفوا عن اطلاق النار، وتراجعوا عن الموقع لأنه من أكبر العيوب والنقائص اطلاق النار على امرأة.

١٣- ومن عادة الاوانس الجركسيات أن لا يحتجبن ما دمن غير متزوجات ويخالطن الرجال ويجلسن في مجالسهم ويرقصن معهم ويشاركن الرجال في أحوال كثيرة وكل هذا في دائرة الحشمة الوقار.

١٤- من عادة الشراكسة تعظيم النساء عامة والعرائس والاوانس منهن خاصة، ونستدل على ذلك من حرص الجميع على مناداة العروسة بـــ (كواشه نيسه) يعني العروسة السيدة، والوالدات المسنات بـــ (كواشه نان) يعني السيدة الجدة، والرجال بـــ (زي ويس حن) يعني الذي "افندية" والأولاد الذكور بـــ "دينه – نف" يعني نور العيون. كما كانت العروس تنادي اخت (الحمى) بأسماء مستعارة تعبر عن مشاعرها الخاصة تجاهها مثل: "دشه" الذهب "أديغة"، الشمس "الف"، الضوء "داخة"، وحلوتي، وغير ذلك.

وبحسب المبدأ نفسه كانت الكنة تنادي أخت الزوج: بالرشيقة أو الخفيفة الحركة، يا ذات البشرة البيضاء، يا ذات الوجه الوضاء. (وكأن البياض أحد اهم معالم الجمال لدى الشراكسة)، ولذلك كان اسم بيضاء البشرة، البيضاء، يستعمل كثيرا كأسماء مستعارة.

وايضا كلمة الرشيقة، سريعة الحركة، العذبة.. والمقصود هنا الجاذبية والنعومة واللطف، وكانت تستعمل كذلك كلمات مثل (فاتنة العينين وذهبية العينين أو سوداء العينين وذات العينين الحور) وغيرها او بيضاء الوجه أو الحسناء ذات العيون الكستنائية.

كما كان يختار لشقيق الزوج أسماء بحسب المبدأ ذاته: مثل الفارس، شاب نارتي، فارس مقدام، بطل... الخ.

اما والدا الزوج فعليها ان تناديهما بالجد والجدة او (تحمادة) للجد أو "وكواشة" للجدة أو الحماية ولا يجوز ذكر اسمائهم الحقيقية أمام الآخرين من داخل العائلة أو خارجها.

ومن الاحداث والوقائع النادرة التي نستدل منها مدى قوة وتأثير العادات هي الرواية التالية: "حدث أن كانت امرأة شركسية تتلو القرآن حتى وصلت إلى موضع وردت فيه كلمة (حسن) وتلعثمت ثم قرأت (قرضاصاواتسوك) عوضا عن (قرضا حسنا) مع العلم ان المسلم لا يسمح له بتغير الفاظ القرآن وإلا اعتبر ذلك خطيئة كبيرة، وبالنسبة لهذه المرأة فقد كان (حسن) اسم شقيق زوجها الذي لا يسمح لها حسب العادات بلفظ اسمه الحقيقي وهكذا فقد غيرت اسمه عامدة مفضلة تحمل إثم تغيير القرآن على إثم الانحراف عن العادات الشركسية.*

* وردت هذه الرواية على لسان بعض المعمريين من شراكسة الأردن.

تلك هي (مظاهر احترام المرأة الشركسية وحقوقها) حسب العادات والتقاليد الشركسية وبالمقابل فإن العادات تلزمها طاعة الوالدين طاعة عمياء وكذلك طاعة زوجها إن كانت متزوجة، وتقديم كل ما يلزم من خدمات لإسعاد الزوج، وأن تكون زوجة مثالية وأماً وفية وأن تقوم بكل متطلبات الحياة الزوجية والأسرية.

كما ان الامثلة الشركسية تؤكد على اهمية دور المرأة الشركسية عامة والزوجة خاصة، ومن هذه الامثال المأثورة *

- دار لا امرأة فيها كأرض بلا نبات.
- الحظ يأتي مع الزوجة الصالحة.
- المرأة الفاجرة تجعل زوجها يخرف "يصاب بلوثة عقلية" قبل الأوان.
- انظر إلى الام وتزوج الابنة.

المجموعة الثانية: العادات والتقاليد المرتبطة باحترام كبار السن من الجنسين

ربما كان أفضل وصف للعادات المرتبطة بكبار السن هو ما قاله بعض الكتاب الروس والألمان حول مبدأ احترام الكبار لدى الشراكسة ونقتبس منه بعض الفقرات التي أوردها الكاتب الشركسي في الوطن الأم (ب. خ.) بغجنوقة *.

ويقول مؤرخ القرن التاسع عشر الروسي المعروف برونيشكي بأنه "لا يحق للفتى الجلوس أمام والده فقط، كما لا يحق له الجلوس بحضرة أخيه الأكبر أيضا، ولا يحق له مشاركة الكبار في أحاديثهم، وإذا ما كانوا في مجلس للكبار فعليهم ان لا يرفعوا أصواتهم في الحديث، أو الضحك، كما عليهم الاجابة بتواضع عن اسئلة الكبار".

* وردت هذه الواقعة في كتاب باتري اوزبك – اساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، مصدر سابق، ص:٥٩.

* ترجمها إلى اللغة العربية بتصرف (راضي بوتخ) ونشرها في مجلة الواحة الصادرة عن الجمعية الخيرية الشركسية بعمان، العدد (٣) لعام ١٩٨٠.

ويقول العالم الالماني "كوخ" بهذا الصدد: "في الوقت الذي لم تكن فيه الحكومة الالمانية، وللأسف، تعير المسنين اهتماما كافيا، هؤلاء الذين يعتمدون في حياتهم على الشباب بشكل رئيسي، نجد أن شيوخ الشراكسة كانوا يتمتعون باحترام عام وكامل، ولم تكن الاساءة لهم تقابل باحتقار المجتمع فقط، بل وكان المسيء يعرض نفسه إلى عقاب يقرر في اجتماع عام وحسب اساءته".

واما ضابط الجيش الروسي "ترناو"، والذي كان في اسر الكباردينيين لمدة عامين (١٨٣٦-١٨٣٨) يقول في كتابه (الاديغة):

"للعمر عند الجبليين (الاديغة) مكانة سامية، وعلى الشاب، وبغض النظر عن نسبه وأصالته القيام احتراما لكل مسن ولو لم يكن يعرفه، وعليه ان يخلي له مجلسا ويقدمه له، ولا يجلس حتى يأذن له بذلك، كما ان عليه المحافظة على الصمت والهدوء امامه والاجابة عن اسئلته باختصار واحترام. وان كل ما يعمله الشاب في خدمة ذوي الشعور البيضاء تزيده شرفا وعلوا، ونجد أيضا انه حتى المسنين غير المقتدرين غير معفيين من هذه القاعدة".

واما الكاتبة الشركسية من الوطن الأم (مامخيغ) فتقول: "يولي الشركسي اهتماما خاصا بالكبار مثل: الأكبر في العائلة والأكبر في العشيرة، والأكبر في المجموعة وقد يكون الأكبر في السن أو في المنصب.

ومن المفيد ملاحظة ان كلمة (كبير) تستعمل في اللغة الشركسية بصيغة المفرد غالبا، مع التعدد في المفاهيم، وهذا يعني بالنسبة للشركسي أن كل كبير من الأهل أو غيرهم أو من الاقرباء أو المعارف أو حتى من غير المعارف له كل الحق بالاحترام، وعلى الشركسي أن يستمع للأكبر بشكل خاص وإلى أي ملاحظة يبديها ويتقبلها كمعلومة، وأن يتقدم له بالشكر".

وتقول ايضا: "ومنذ وقت ليس بالبعيد كان لا يمكن ان نرى فتى أو فتاة شابة عبر عن رأيه أو مشاعره بشكل غير لائق، أو ان يتصرف بشكل غير مناسب، أو لا يتمتع بالمظهر المقبول، فقد كان أحد الكبار يدنو منه حتما ويحييه ثم يتعرف إليه من أية أسرة أو أية عشيرة هو، ثم يعبر له عن رأيه حول تصرفه، وما كان الشباب في تلك الحالة ليعترضوا، بل كانوا يصغون بكل انتباه حتى نهاية حديثه، ثم يعتذرون منه ويشكرونه على ملاحظته ويتوارون بأقصى سرعة".

وربما كان أحد مظاهر سوء (التربية) او انعدامها هو اعتراض الأصغر سنا على ملاحظات الاكبر، أو إبداء أي شكل من أشكال عدم الرضا لملاحظاته.

كما يجب أن نلاحظ ان آداب المخاطبة عند الشراكسة تتضمن صيغة الجمع ولا توجد مفردات خاصة بالكبار، أي يؤخذ بالاعتبار ايضا تغير لهجة ونبرة الحديث وغيرها من الأساليب اللغوية الأخرى المعبرة عن الفكرة المطلوبة مثل:

(الوقفة، النظرة، ترادف الكلمات المستعملة، وتيرة الصوت)، وإليكم مثلا كيف يعامل الأكبر سنا وفقا للعادات الشركسية:

- لا يمر احد قاطعا الطريق من أمامه ولا بأية حال، بل يتوقف الأصغر سنا حتى يعبر الأكبر سنا طريقه.
- لا يقاطع حديثه أبدا ولا يتكلم أحد بصوت مرتفع بحضور الكبار، ولا يثار أي ضجيج ولا يتمادون في المزاح، أو العراك أو الجدال أمامه فذلك كله غير وارد نهائيا بوجود الكبار.
- للأكبر سنا أفضل الأماكن على مائدة الطعام وفي أي المجالس ووسائل المواصلات.
- لا ينادي على الأكبر سنا في الطريق لسؤاله عن شيء ما، بل يسير خلفه وكذلك لا يتجاوزه.

- يخصص للأكبر سنا المقاعد الأمامية وهي ابعد زاوية عن الباب وفي أثناء المسير يرافقه الاصغر سنا، وعادة يمشون معه وفق الترتيب التالي:
- إذا ما كان المرافق واحدا فإنه يمشي عن يسار الأكبر ويبقي له الطرف الايمن خالياً، أما إذا كانوا ثلاثة فإن الأكبر يمشي في الوسط وعن يساره من يليه في السن والأصغر عن يمينه، وكان هذا ملائما من حيث انه إذا ما دعت الحاجة إلى تكليف أصغرهم بأمر ما وبقي اثنان، لم يكن ثمة حاجة إلى تبادل الأماكن في السير.
- وإذا ما سأل احد الكبار في الطريق من هو أصغر منه عن مكان ما، فلا يجوز الإشارة بالإصبع او الشرح، بل كانوا يقومون بمرافقته إلى حيث يريد ويتابعون سيرهم، ولكن حتى الكبار في السن كانوا يتوجهون بمظاهر الاحترام عند لقائهم أشخاصا معتبرين اجتماعيا كأبطال للأمة والذين هم قدوة للآخرين كافة.

ويكتب عن مثل ذلك "ت. م. كيراشبيف" في روايته (ابنة الشابسوغ) قائلا:

... لاح له في الطريق بمواجهته فارس ما، وتبين له أنه فلاح عجوز، وعندما اقترب كل منهما من الآخر توقف العجوز وترجل عن جواده، وتوجه إليه ماشيا جارا جواده خلفه، معبرا بذلك عن احترامه للضيف الذي يبدو أنه قد عرفه، وأسرع الضيف إليه أيضا قائلا له:

وصولا ميمونا (حاتخه محمد)، بادر العجوز، فرد الضيف: أطال الله في عمرك.

وكان (حاتخه محمد) نجما مشهورا لدى الشابسوغ، قائدا لمجموعة مقاتلة، وقد نظم الشعراء من الأغاني والأساطير حول بطولاته وشجاعته.

وبعد تلك التحية قام (الشيخ) بكل احترام بمساعدة الضيف على امتطاء حصانه، ممسكا اللجام بإحدى يديه والركاب بالأخرى، وتقديرا للضيف المجيد قام (العجوز) بالالتفاف ومرافقة الضيف سائرا عن يساره.

وبعد مضي بعض الوقت أوقف (حاتخه محمد) جواده وشكر العجوز لما أبداه له من الاحترام، وطلب منه متابعة طريقه إلى حيث كان يبغي...

- استشارة الكبار في السن في العائلة الواحدة والأخذ برأيهم، وعدم ازعاجهم، والقيام بخدمتهم شخصيا مثل قص الاظافر وتمشيط الشعر، وإطعام الكبير في السن ومرافقته في نزهة خارج المنزل وحتى النوم معه ليلا في غرفته او حتى في فراشه ان كانت صحته تسمح بذلك.
- وفي موائد الطعام يخصص للاكبر سنا أفضل الطعام خاصة قطع اللحم أو الدجاج.. ولا يبدأ الطعام إلا بعد أن يسمح بذلك الاكبر سنا على المائدة.
- لا يقوم أحد من الابناء أو الاحفاد بالتدخين أمامه وبحضوره وقد يصبح عمر الابن ستين عاما ولم يقم بالتدخين امام والده.
- إن دخل احد كبار السن مكانا او مجلسا تعطى له الصدارة، وكان أحد ابنائه أو احفاده مشاركين في الحفلة ينسحبون فورا ويقفون بالصفوف الخلفية خاصة في حفلات الرقص الشركسي.
- من مظاهر احترام الكبار، الحادثة التي اوردها احد المسنين من شراكسة المهجر في تركيا الحادثة التالية:

"لاحظ احد الشبان ابنه في اثناء لعبه وقد اقترب من حافة منحدر خطير وتعلق به خشية السقوط، وعلى بعد خطوات توقف بعض كبار السن دون ان ينتبهوا إلى ذلك، فما كان من الأب إلا ان اقترب من الطفل ووطأ بقدمه على قميصه مانعا إياه من السقوط إنقاذا لحياته، دون ان يهرع لحمله بين يديه بوجود المسنين".

المجموعة الثالثة: العادات المرتبطة بالتربية القومية الشركسية

ربما كانت العادات المرتبطة بالتربية القومية لدى الشراكسة من العادات التي اعطت خصائص مميزة للشخصية القومية الشركسية من الجنسين... إن الانظمة التربوية التي كانت سائدة في المجتمعات الشركسية منذ عصر فجر التاريخ وفي العصر الحديث كانت انظمة تنفرد بها الأمة الشركسية منذ عصر الاجداد... وان أحدا من المؤرخين لم يذكر بأن شعبا أو قوماً من الاقوام القديمة كان لديها انظمة تربوية مشابهة للانظمة التي كانت سائدة لدى الأمة الشركسية وان كان اليونانيون في عهد (اسبارطة) يتبعون نظاما تربويا مشابها للنظام التربوي الشركسي المسمى (تربية الاتالق) إلا أن الدولة هي التي كانت تقوم بتربية اطفال في اسبارطة وليس الاشخاص او العائلات كما هو الحال في النظام التربوي الشركسي.

وللوقوف على العادات المرتبطة بالنظام التربوي القومي الشركسي قمنا بمراجعة بعض الدراسات التي قام بها بعض المهتمين من الباحثين الشراكسة منهم دراسة (يخول) ولخص لنا المراسم المرتبطة بتربية الطفل منذ الولادة وحتى نهاية السنة الاولى من عمره.

وبتحليل هذه الدراسة توصلنا إلى أن الشراكسة كانوا يولون المراسم المرتبطة بكل مرحلة من المراحل العمرية منذ السنة الاولى من ولادة الطفل والتي تضمنت اربعة انواع من المراسم وهي على النحو التالي: [١١]

(١) مراسم مرحلة الولادة: وتتم في الشهور الستة الأولى وهي المرحلة التي يتم فيها وضع الطفل في (الكوشة) أي سرير الطفل الخشب الهزاز.

(٢) مراسم اطعام الطفل: وتبدأ بعد ستة أو سبعة أشهر من عمر الطفل حيث يتم فيها تقديم طعام اضافي للطفل مع حليب الرضاعة وعندما يصبح عمره سنة يقدم له طعام الكبار تقريبا.

(٣) مراسم مشي الطفل، وفيها يتم تفصيل لباس أحمر جميل ويزين بألوان مزركشة بهدف الهاء الناظر للطفل بهذه الزركشة وابعاد عين الحسد عنه.

(٤) مراسم مرحلة قص شعر الطفل: وكانت العادة قص شعر الطفل لأول مرة وعلى (الصفر) باحتفال خاص عندما يبلغ عمره سنة... وتقديم الطعام للحاضرين في هذا الاحتفال.

* عادة إرضاع الطفل من نساء شركسيات من جيران الأم أو من اقربائهن بهدف توسيع صلة الاخوة بين ابناء الشراكسة.
* عادة تربية ابناء الامراء والنبلاء [١٢] عند مربين من الدوق او النبلاء ويسمون (الاتالق) والطفل الربيب يسمى (قان) .
* عادة ابعاد الطفل عن والده، وعدم مداعبته ولا يأكل معه حتى طفولته المتأخرة وتركه مع أمه ومع المربين بالنسبة لأبناء الأمراء [١٢].
* عادة تربية الفتيات على السلوك الذي يجب ان يسلكوه بعد زواجها وعلى الاسلوب الذي يجب ان تتبعه في تعاملها مع الحماة والحماية وكبار السن في أسرة الزوج. [١٤]

المجموعة الرابعة: العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج عند الشراكسة

ربما كان (الزواج) من أكثر مكونات حياة الشراكسة في الوطن الام او في بلاد المهجر تنظيما وانضباطا وفق احكام العادات والتقاليد وبما يتماشى مع تعاليم الدين الاسلامي الحنيف وربما كان الشاعر الروسي (مينتوف) افضل من وصف بعض العادات المتعلقة بالاعراس في رواية، له حيث كان شاهد عيان وقد دوّن ذلك بأسلوبه الشاعري قائلا: يقرأ، "الملا" آيات من القرآن قبل كل شيء، ثم تقدم الهدايا للعروسين واقربائهما جميعا، ثم يأكل الناس ويشربون (البوزا) ويقصد بها (الباخسمة) ويبدأ استعراض العاب الفرسان بشخص قذر يرتدي اسمالا من الملابس، فيمتطي حصانا أعرج ويقوم بحركات مضحكة يسلي بها الناس، حتى إذا

جاء المساء بدأ في القاعة شيء يشبه أن يكون حفلة رقص، ثم يأخذ رجل عجوز بالضرب على الاوتار الثلاثة من آلة موسيقية، فينهض الشباب والصبايا ويصطفون صفين متقابلين ويصفقون، ثم يتقدم إلى وسطهم فتاة وفتى يتناشدان بصوت رتيب ما يخطر على بالهما من أبيات يرددها الناس بعدهما كأنهم جوقة" ويتابع (مينتوف) روايته قائلا: "عرف الزواج بالخطف عند كثير من الشعوب ومنهم (الامرنيد) في امريكا الشمالية حيث تخطف العشائر زوجاتهم، ويتم ذلك في حفلات صاخبة يشارك فيها رجال العشيرة التي خطفت منهم الزوجة، وهذا النوع من الزواج يوافق عليه المجتمع شريطة ان لا يكون للخاطف علاقة سابقة بالزوجة المخطوفة قبل زواجهما.

وهذا ما يحدث عند الشراكسة في القفقاس حيث الزواج بالخطف وفق شروط وقواعد اخلاقية صارمة *

وفيما يلي تحليل لأهم العادات والتقاليد المرتبطة بكل خطوة من خطوات مراحل الزواج في المجتمعات الشركسية في كل مكان وزمان. *

العادات المتبعة بتعارف الشاب بالفتاة الشركسية:

وفيها يتم التعارف بين الشاب والفتاة وتسمى مرحلة (البسة – لوخ) وترجمتها الحرفية (البحث عن الروح) إلا ان معناها الحقيقي هو البحث عن شريك أو شريكة حياة وهي بمثابة البحث عن الروح.

* لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب (بطل من هذا الزمان) لميخائيل ليرمنتوف ترجمة سامي الدروبي، موسكو، عام ١٩٨٤ ص: ٢٥-٢٦.

* لمزيد من المعلومات حول العادات والتقاليد المرتبطة بالزواج يمكن الرجوع لما كتبه كل من فؤاد دوغوط، مصطفى حسن شركس، احمد الربابعة، شورا نغموقة، رايا بي ماخميغ .

ويتم التعارف عادة في (بيت) الفتاة حيث تسمح العادات الشركسية بأن يزور أي شاب شركسي أي (بيت) شركسي والالتقاء مع أية فتاة بحضور شقيقتها الصغرى أو إحدى صديقاتها وأحيانا بحضور الأخ الأصغر (وليس الأخ الأكبر) لأن العادة أن لا يحضر مثل هذه اللقاءات (الأب أو الأم او الأخ الأكبر... الخ).

وإذا تم التعارف وأصبح هناك نوع من الاعجاب المتبادل تصبح الفتاة بمثابة خطيبة أو (قشن) غير رسمي وبعد تكرار الزيارات بمعرفة اهل الفتاة (وليس بالضرورة ان تتم بموافقتهم او رضاهم) لأن من أكبر العيوب في المجتمع الشركسي أن يلجأ أي فرد من أفراد عائلة الفتاة إلى منع أو استقبال أو رفض زيارة أي شاب شركسي لأي فتاة شركسية، مهما كان مستوى الشاب الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي.*

العادات المرتبطة بإتمام الخطوة الثانية

وفيها يتم اتفاق الشاب مع الفتاة على إتمام الزواج بإحدى الطريقتين التاليتين: **الأولى:** الطريقة التقليدية وفيها يقوم أهل الشاب بإرسال اثنين او ثلاثة من وجهاء الشراكسة أو من كبار العائلة أو الأصدقاء إلى اهل الفتاة (القشن) لطلب يدها رسميا من والدها إن كانت الفتاة على ثقة بأن أهلها سيوافقون على زواجها من ذلك الشاب (البسلوخ) وكانت العادة في هذه الحالة أن يقوم أحد أفراد (الجاهة) وكانت العادة في هذه الحالة أن يقوم أحد أفراد (الجاهة) بتعليق (الكراوخة) أي المسدس الشخصي للخطيب التقدم لخطبة الفتاة ويفهم أهل الفتاة بتقصد الجاهة وطلبهم، فإن وافق الأهل تبدأ مراسم الزواج (بالأسلوب الذي سيرد لاحقا)، أما إذا كان الأهل جميعا أو احد أفراده له موقف او معترض على الخطيب، يلجأ كل من الشاب

* ظلت هذه العادة مطبقة في الوطن الأم، وفي بلاد المهجر حتى منتصف القرن العشرين، إلا أنها تغيرت وتحولت اللقاءات في الجمعيات "الاندية" أو المؤسسات الشركسية وليس في البيوت.

والفتاة إلى إتمام الزواج وفق عادة (الكواسة) **ومعناها اتفاق بين الشاب والفتاة على اتمام الزواج عن طريق انتقال الفتاة سرا وبدون علم الشخص المعترض عليه من أسرة الفتاة وأحيانا من أسرة الشاب** برفقة امرأة أو فتاة محرّمة على الشاب (البسلوخ) (أي الخطيب) مع أحد أصدقائه إلى بيت وجيه من الوجهاء الشراكسة أو لبيت كبير عائلة الشاب. وبمجرد دخول الفتاة (القشن) لبيت مضيفها، تصبح ضيفة وجب حمايتها ورعايتها من قبل (الوجيه) وأهله أو من قبل كبير العائلة. وتنتهي هنا مهمة (البسلوخ) أي الخطيب ويحرم عليه دخول ذلك البيت حتى اتمام مراسم عقد النكاح وفق أحكام الشريعة الاسلامية. وهذه العملية هي ما يطلق عليها خطأ (بالخطيفة) فهي عملية لا علاقة لها (بالخطف) إطلاقا لأن كل شيء يتم برضا وموافقة الشاب والفتاة وفي حدود العرف والعادات الشركسية.

ومن أهم مظاهر أو شروط الزواج عن طريق (الكواسة) هي:

- موافقة الفتاة الصريحة ومعاهدة (الخطيب) أي (بسلوخ) عن عدم تراجعهما مهما اشتدت معارضة الاهل.
- أن لا ترافق عملية انتقال الفتاة إلى بيت الضيافة المؤقتة والتي تسمى بـــ (القانة) إلى إكراه أو تضليل أو اساءة للفتاة.
- أن لا تتم عملية (الكواسة) مع (الخطيب) وحده بل يجب ان يرافقه فيها (نساء او اصدقاء) يكونون بمثابة (الأخوات او الأخوة له).
- إبلاغ أهل الفتاة من مجرد وصولها إلى بيت (المضيف) مع إعلامهم بأن مراسيم عقد النكاح ستتم لاحقا، وإبلاغهم عن تاريخ وموعد عقد القران، فإن لم يحضر أحد من طرف أهل الفتاة يصبح من حق الفتاة توكيل أحد الأقارب أو الاصدقاء لإتمام عملية عقد القران.

وإذا بحثنا في التاريخ القديم او الحديث لعمليات (الكواسة) لن تجد حالات عادت فيها الفتاة لأهلها دون اتمام الزواج إلا ما ندر، خاصة إن كان هدف الفتاة من

(الكواسة) هو التخلص من قرار الأهل تزويجها لشخص ما وهي لا ترغب في الزواج منه.. وهي حالات نادرة جدا، وتعود الفتاة في مثل هذه الحالة لأهلها في حال تعهدهم بعدم اكراهها على الزواج من شخص هي لا ترغب فيه أو تحبه.

وأما بالنسبة للعادات المرتبطة بخطف (الفتاة) بالقوة او الاكراه فإنها اصبحت منسوخة وغير منطقية في الوطن الام وفي بلاد المهجر، وهي عادات كانت تطبق قديماً في احدى الحالتين التاليتين:

الحالة الأولى: في حال قيام الفتاة باحتقار الشاب أو رفضها وتحديها له.

الحالة الثانية: رفض الأهل للشاب كعريس لابنتهم لأي سبب كان في حين ان الفتاة موافقة وانها تحب الشاب وترغب بالزواج منه.

ففي هاتين الحالتين كانت تتم عملية خطف الفتاة باستخدام القوة والعنف في الحالة الاولى، وباستخدام الرجولة والفروسية في الحالة الثانية، وكان للخطف بهذا الاسلوب شروط وتقاليد صارمة منها:

١) ان يتم الخطف بواسطة الخيل.

٢) وجوب مرافقة الاصدقاء المقربين للشاب الخاطف، وان لا يتم الخطف من قبل الشاب وحده.

٣) عدم المساس بالفتاة بأي اذى جسدي وان حدث فهو عار يحاسب عليه الخاطف.

٤) وضع الفتاة لدى احد (التحمادات) من كبار السن كأمانة الى حين اتمام مراسم الزواج.

٥) قيام اصدقاء الشاب الخاطف بالتطوع لمساعدة الشاب الخاطف، وذلك بدراسة الطرق المؤدية إلى قرية (العروس) وأيتها يسلكون في ذهابهم، وايابهم؟ وهل هي قريبة تقوى الخيل على قطعها دفعة واحدة، أو بعيدة تحتاج إلى تبديلها؟ وعن مراكز الكمين لمنع تقدم المطاردين، وعدد

المدافعين، وعند من سيضعون (العروس)، ومن يستجيرون به، فاذا ما فرغوا من ذلك كله، امتطوا ظهور جيادهم، وخرجوا من قريتهم خلسة، وذهبوا في الساعة المتفق عليها من الليل، فيتقدم العريس ويحمل العروس التي تكون بانتظاره على ظهر حصانه، ثم يقف ورفاقه الشجعان على حدود القرية ويطلقون العيارات النارية الثلاثة المتفق عليها بين القبائل، ايذانا لشباب القرية عن بإتمام عملية (خطف عروس)، فيهب الفرسان من نومهم ويلبسون عدة القتال، ويسرجون ويلجمون خيولهم في دقائق معدودة ويلحقون بالخاطفين وعندما يقتربون من (الكمين) المنصوب لإعاقة اللاحقين، ينذرهم بإطلاق عيار ناري عليهم، وتقضي التقاليد عند ذلك بوجوب الانصياع لهذا الانذار وعدم اجتياز هذه الكمين، والتفتيش عن غيرها، ولكن قد يحدث (ونادرا ما يحدث ذلك) من تأخذه العصبية من بين هؤلاء المهاجمين، فيصر على اقتحام الكمين، فينذرهم الكمين ثانية، ولكن بأسلوب آخر، وهو قتل جواد المغير بعيار ناري، فإن لم يعودوا عملا بالتقاليد المتعارف عليها، وأصر أحدهم على اقتحام الكمين فيحق للكمين آنذاك ان يدافع عن نفسه ويقتل (المهاجم) ولا يطالب أبدا بدمه، وما دام قد أنذره اولا، وقتل جواده ثانيا. واذا وقع اختلاف وسوء تفاهم في ذلك، عرضه الطرفان على مجلس التحمادات ليحكموا بينهم، وحكمهم هو القول الفصل، وعلى الجميع ان يتقبلوه بدون اعتراض.*

العادات المرتبطة بإتمام الخطوة الثالثة من مراحل الزواج وهي:

(انتقال العروس) لبيت العريس بعد عقد النكاح وتسمى (فزشة):

* لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب التربية الجركسية، مصطفى حسن شركسي، المنشور في عمان، الاردن في ١٢/٦/ ١٩٥٨ ص: ١٦-١٧.

من العادات المتبعة في حال اتمام عقد النكاح في بيت الوجيه (المضيف) بعد عملية (الكواسة): يتم نقل العروس إلى بيت العريس أو إلى بيت اهله باحتفال يسمى (فزشه) يشارك فيه أهل العريس وأصدقاؤه ومعارفه من الجنسين وتشبه عادة الفاردة أو (الزفة) عند العرب ومن شروط اتمام زفة (الفزشه) أن:

* لا يشارك العريس في الزفة ولا يسمح له بذلك.
* لا يشارك اهل العروس عامة والكبار منهم خاصة بمراسم (فزشه)، ومن حق أصدقاء وصديقات (العروس) منع خروجها من بيت أهلها ان كان عقد النكاح في بيت اهلها ما لم يقم اهل العريس بدفع مبلغ من المال إرضاء للشباب من الجنسين من اصدقاء العروس (حيث يتظاهرون) بأنهم غير راضين على زواج جارتهم او صديقتهم دون موافقتهم أو دون علمهم ويتم إقامة حفل غداء أو عشاء بقيمة المبلغ المدفوع وهي التي تسمى (غتكبشة) ومعناه دفع فدية أو غرامة حتى يسمحوا للعروس بالخروج من بيت اهلها.
* من حق خال (العروس) طلب مسدس أو (قامة) من اهل العريس قبل خروجها من البيت وهي عادة موجودة حتى وقتنا الحاضر.
* في حال كانت العروس من قرية او مدينة ثانية فإن شباب قريتها يضعون الحواجز على الطريق الذي تمر فيه الزفة بهدف تعطيلها خاصة إن كان شباب قرية العروس غير راضين على هذه الزيجة ولا يسمحوا بمرور الزفة ما لم يدفعوا (فدية).
* يخرج العريس (الشاوة) من بيته قبل وصول موكب العروس، ويحل ضيفا على أحد اصدقائه المقربين ويسمى (شاوا قوت) أي (شبين العريس) ولا يسمح للعريس بالعودة إلى بيته إلا ليلا وبعد انتهاء مراسم حفلات (الجوك) الراقصة ويغادره صباحا باكرا ولا يراه احد من الابوين او الكبار في عائلته.

العادات المتبعة في اتمام الخطوة الرابعة:

وفيها تبدأ مراسم الاحتفالات في مكان تواجد العروس (في بيت الاهل) وكذلك في مكان تواجد العريس في بيت الصديق الذي يستضيف العريس (الشاوه – قوت) ففي بيت اهل العريس تقام كل ليلة تقريبا الحفلات الراقصة بمشاركة الفتيات والشباب وتسمى (الجوك) أو (الفنطزية) واحيانا تستمر الحفلة حتى طلوع الشمس.

ومن اهم وأبرز القواعد والأتيكيت المتبعة في هذه الحفلات هي:

- يسمح لجميع أبناء الشراكسة من نفس القرية أو من أية قرية أخرى حضور حفلات (الجوك) ولا يجوز الاعتراض على حضور احد منهم.
- لا يسمح بحضور حفلات الجوك الشباب من الأعراق غير الشركسية.
- يشارك في حفلات (الجوك) كل من الفتيات والشباب أو كبار السن من الرجال ولا يسمح للمرأة الشركسية المتزوجة المشاركة بالرقص وإن كان يسمح لها الحضور ومشاهدة الرقص من بعيد ومن خلف حلبة الرقص.
- في حال حضور كبار السن من الاباء أو الاجداد فتكون لهم أولوية الرقص كما أن الابناء او احفادهم ينسحبون من حلبة الرقص احتراما لآبائهم أو اجدادهم وحتى لإخوانهم الاكبر سناً.
- تبدأ وتنتهي حفلات (الجوك) برقصة من قبل احد الشباب الحاضرين من الاصدقاء او الاقرباء من اهل العريس ويسمى (حاتياقوة).
- من أهداف إقامة حفلات (الجوك) اتاحة الفرصة للشباب من الجنسين للتعارف قبل أو بعد الحفلة برضى وموافقة الطرفين ودون أي نوع من الضغط أو الاكراه وهو ما يعرف بعادة (بسلوخ) ومعناها غير المباشر (الباحث عن شريك الحياة) أو الباحث عن خطيبة (قشن).

بالإضافة إلى ما تقدم من مراسم وقواعد حفلات (الجوك) التي تستمر أحيانا لأكثر من اسبوع هناك عادات أخرى تمارس خلال فترة العرس منها:

- قيام مجموعة من صديقات وقريبات وأصدقاء أهل (العريس) دعوة فتيات من مناطق أخرى قريبة أو بعيدة من اهل العريس للمشاركة بحفلات الرقص ويتم إحضارهن مشيا على الاقدام إن كن يسكن في منطقة قريبة أو بالعربات إن كن يسكن مناطق بعيدة، كما يتم إعادتهن برفقة نفس المجموعة إلى اهلهن في نفس الليلة، أما بالنسبة للشباب فالدعوة مفتوحة للمشاركة بحفلات الرقص (الجوك) كما سبق ذكره.
- من العادات المحببة عند الشراكسة قيام مجموعة من الشباب والفتيات من أصدقاء العريس (بالسطو) على عش او حظيرة الدجاج أو الحبش الخاص بأهل العريس وجيرانهم واقربائهم ومسك عدد من الطيور والدواجن وجلبها إلى بيت العريس أو إلى بيت أحد الاصدقاء لقيام الفتيات بطبخها وتقديمها في حفل عشاء او غداء في اليوم التالي لعملية (السطو المشروع) بحكم العادات الشركسية.

واما بالنسبة لمراسم الاحتفال في بيت الصديق الذي يستضيف (الشاواة) أي العريس ويسمى (شاواقوت) فهي تشبه ما يتم في بيت اهل العريس مع بعض الاضافات منها:

- تنظم حفلات ساهرة لا يتخللها الرقص وإنما يتم فيها ممارسة بعض الالعاب المسلية منها ما يسمى (أجوتيوه) وهي عبارة عن لعبة تبدأ بقيام (عريف الحفل) بالضرب على (كف) أحد الحضور، وهذا بدوره يختار فتاة لتجيير الضربة لها، والفتاة (تجير الضربة) لأحد الشباب وقد يكون (البسلوخ) للانتقام من الضارب الأول، خاصة وإن كانت الضربة قوية وشديدة ... وهكذا يستمر اللعب.

- يخصص مقعد يسمى (لوج) ومن يجلس عليه من الشباب يصبح (ملكا) في تلك الليلة ويختار إحدى الفتيات للجلوس معه على اللوج لتصبح (ملكة) تلك الليلة، ومن قواعد هذه اللعبة هو: اعطاء الحق لكل من (الملك والملكة) إصدار أحكام مختلفة على الحضور، وعلى من صدر بحقه أي حكم عليه تنفيذه حسب قواعد هذه اللعبة، والأحكام قد تتضمن القيام بالغناء أو الرقص أو القاء نكتة، او القيام بأي عمل او جهد بدني، وفي نهاية تلك الليلة تقوم المحكمة المؤلفة من الرجال الأكبر سنا من المشاركين بالحفلة بإصدار حكم على الشاب الذي مثل دور الملك بالتكفير عن أحكامه الجائرة بإحضار (حلويات أو صدر كنافة) أو اقامة حفل عشاء لجميع الحضور في اليوم التالي لصدور الحكم عليه، كما يتم كذلك قيام الشاب الذي قام بدور الملك تكريم الفتاة التي قامت بدور الملكة بإهدائها هدية شخصية ثمينة.

العادات المرتبطة باتمام مراسم الخطوة الخامسة

وهي (الونيشة) وفيها يتم تقديم العروس إلى (الحماية) وإلى كبار السن من النساء في عائلة (العريس)، وتتضمن هذه المراسم الخطوات التالية:

- يجتمع أهل العريس من كبار السن من النساء في البيت الذي أقيمت فيه احتفالات العرس.

يتم تقديم (العروس) إلى (الحماية) التي تكون جالسة في غرفة مع السيدات الأكبر سنا من عائلة العريس واقربائه حيث تقوم اثنتان من الاصغر سنا (قيادة) العروس من يديها ونقلها إلى الغرفة التي تجلس فيها (الحماية) وخلال مرورها تقوم سيدات ورجال من أهل (العريس) بنثر قطع من النقود وحلوى على (مكوب العروس) ويقوم الاطفال والصبية بالتقاط قطع النقود والحلوى كما تمر العروس من فوق (جاعد خاروف) أو قطعة قماش التي تتنافس على خطفها والحصول عليها صديقات العروس.

بمجرد بدء مراسم (الونيشة) يتم تنافس الشباب وهم على ظهر الجياد بالدخول إلى أقرب مكان لتواجد المشاركين بالحفل لاختطاف (الدبأة) كما هو مبين في الشكل المرفق المصنوعة باليد من الجوز والبندق على شكل (تاج) وفي العادة تقوم إحدى فتيات

او نساء من اهل العروس تسليم (ده تش بأة) للفارس الذي يصل اولا حيث يختطف الدبأة ويقوم بالخروج من البيت وينطلق بأقصى سرعة، وعلى الفرسان الآخرين اللحاق به، وفي العادة يعود الفارس الذي استطاع الفوز (بالدبأة) إلى مكان الاحتفال مباهيا بإنجازه وتقديم الدبأة إلى (القشن) أي الخطيبة إن وجدت.

- تعتبر حفلة (الونيشة) يوم تنقيط للعروس فيقوم كل من حضر هذه الحفلة بتقديم هدايا للعروس كل حسب إمكانياته ومقدرته المادية ودرجة القرابة من اهل العريس.
- في نهاية يوم (الونيشة) تقام وليمة كبيرة للحاضرين ايذانا بانتهاء المراسم الرسمية للزواج.

العادات المرتبطة بالخطوة السادسة وهي (الشاوا – شيش)

وفيها يقوم أصدقاء (العريس) بإعادة العريس إلى (بيت) الاهل في (عراضة) كبيرة وتكون مشيا على الاقدام (إن كان مكانه قريبا) أو بالحافلات إن كان بعيدا وتتضمن المراسم الخطوات التالية:

- يتم تقديم أحد أصدقاء (العريس) على والد وكبار السن بديلا عن (العريس) أولا وللتأكد بأنهم يعرفون ابنهم (العريس) وكل ذلك على سبيل المزاح.
- يرفض الاب ومن معه من الكبار العريس البديل، ويقولون أين ابننا ماذا فعلتم بابننا نريده الآن، ومن ثم يتم تقديم العريس الحقيقي إلى الوالد وإلى الحضور من كبار السن، وأثناء دخول العريس لبيته يقوم أصدقاؤه بوخزه (بالدبابيس) لاختبار مقدرته على تحمل (الأذى) من وخز الابر. وتقام في هذه المناسبة حفل تقدم فيه (الباخسمة) وهي شراب مصنوع من الدقيق والعسل ويتم تخميرها وتصبح مسكرا حيث يتم تدوير (الباخسمة) بين الشباب والرجال الحاضرين للشرب منها، ويقوم البعض بإلقاء قطع من النقود داخل الوعاء بهدف طرطشة شاربها وكذلك بهدف جمع نقود تكفي لإقامة حفل عشاء للشباب من اصدقاء العريس فيما بعد.

العادات المرتبطة باتمام الخطوة السابعة وهو (لج – غاشخة)

وفيها يتم دعوة كبار السن من الرجال من أهل العريس واقربائهم واصدقائهم إلى وليمة كبيرة تذبح فيها (خرفان) وتكون خاتمة مراسم الاحتفال بالعرس.

عادات ومراسم ما بعد انتهاء حفلات (العرس)

يجد الدارس للعادات الشركسية (الحقيقية) في مرحلة ما بعد انتهاء (مراسم العرس) وبدء الحياة الزوجية في (بيته) أو (بيت) اهله يجد بأن عادات (صارمة) تطبق على حياة كل من (العريس والعروس) وكذلك على الأب والأم ومن أهم هذه العادات هي:

- لا يجوز للعروس ان تكلم الحماية أو الحماة لفترة قد تطول لأكثر من سنة خاصة الحماة، وذلك تعبيرا عن احترامها لهما... ويتم التفاهم فيما بينهم وتخاطب العروس مع الحماية او الحماة بالاشارات او بالكتابة.
- لا يجوز للحماة ان يرى عروسة ابنه لفترة من الزمان قد تصل لأكثر من سنة... وإلى ان يتم تقديمها له في احتفال عائلي مقابل إهدائها هدية ثمينة ويسمى هذا الاحتفال بـــ (تيحبشة).
- لا يجوز للحماة ان يشاهد (العريس والعروس) معا في البيت لمدة من الزمن وإلى حين انجاب طفلهما الاول.
- لا تقوم العروس بالجلوس على سفرة (الحماة والحماية) وإنما تقوم بتناول الطعام مع الأصغر سنا من أفراد العائلة.
- لا يقوم الأب بحمل او ملاطفة أبنائه في حضور الجد.
- لا تنادي العروس (حماتها أو حماها وأحيانا أخوة الزوج – العريس) بأسمائهم الحقيقية وإنما تطلق عليهم جميعا أسماء مستعارة فيها نوع من التحبب والتعظيم.

- إذا ذكر اسم الحماة أو الحماية، وكذلك اسم الزوج بأية مناسبة (تقف) العروس من مكان جلوسها احتراما لذكر اسمائهم الحقيقية.
- جرت العادة ان لا ينادي على (العروس) باسمها الحقيقي من قبل الحماة أو الحماية وفي العادة أن تطلق الحماية اسم (مستعار) على العروس أو ينادونها (عروسة) أو عروستنا... "دي – نسة".

العادات المرتبطة بتعارف اهل العروسين:

جرت العادة ان يقوم والد العريس ووالدها بدعوة والد العروسة والكبار في السن من اهل العروس من الجنسين لحفل غداء او عشاء بهدف التعارف او بهدف انهاء أي خلاف كان قد حدث نتيجة خروج ابنتهم من البيت دون علمهم وفقا لعادة (الكواسة).

العادات المرتبطة بمراسم الزيارة الأولى للعروس من أهلها:

في العادة أن تقوم (العروس) بزيارة إلى أهلها بعد سنة تقريبا من زواجها... ومن أهم المراسم التي تطبق في هذه الزيارة هي:

- تحمل العروس معها هدية لكل فرد من عائلتها صغيرا وكبيرا وكذلك هدية للكبار في السن من الجنسين خاصة الأكثر قرابة لاهلها.
- ترافق (العروس) في زيارتها بعض افراد عائلة زوج العريس من النساء.
- يقام حفل غداء او عشاء على شرف المرافقات للعروس.
- تقيم العروسة في بيت أهلها مدة اسبوع او اكثر ثم تعود إلى بيتها محملة بالهدايا مماثلة للهدايا التي حملتها معها عند عودتها لأهلها.

وبانتهاء مراسيم هذه الخطوة تصبح الحياة طبيعية في بيت العروسين.

وأما بالنسبة للعادات التي تنظم علاقة الزوج بالزوجة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- يقيّم الرجل الشركسي – كزوج – من خلال علاقته بشكل رئيسي مع زوجته ومن خلال المحافظة على شرفه وعفته وأخلاقه وإخلاصه لأسرته وزوجته وإحساسه بالواجب تجاهها، وأنه رأس العائلة والمدافع عن شرف زوجته وجدارته بأسرته متعلقة بمدى محافظته على سمعة زوجته.
- الشركسي المربي وفق التقاليد، لا يقوم ابدا امام الملأ وبوجود الغرباء وكبار السن من أقربائه بالتحدث عن علاقته الزوجية، ولن يذكرها ابدا في حديثه، أو يعبر عن تعاطفه معها في أثناء مرضها، ولا يتحدث عن تعبها وإرهاقها ولا يمتدحها مهما كانت تستحق ذلك، كما أنه لا يمدح أطفاله أمام الغرباء، فكل ذلك ليس من صميم العادات الشركسية.

وأن الحياة المشتركة بين الزوجين بكل دعة ووفاق، وحدها تنبئ عن حب الزوج واحترامه لزوجته، وأنه لن يفرط بها ابدا، كل ذلك بلا أية كلمة مباشرة وكل شيء يجب ان يكون مفهوما من تلقاء نفسه وبطريقة غير مباشرة.

وكذلك فهو لا يمدحها ولا يذمها ولا يدلي بأي معلومة تخصها، وأيضا لا يصرح لها بحبه بلا مناسبة، وأن افضل اساليبه في التعبير عن مشاعره هو تصرفاته وطريقة تعامله معها.

ترتبط سمعة الرجل الشركسي بسمعة زوجته ويتبين هذا من الأمثال الشعبية القديمة (إن الرجل الجيد إنما تصنعه زوجته) ومثال آخر (إذا ساءت سمعة الرجل بسبب زوجته، فلا يمكن لقريته ان تحسنها، أما إذا ساءت سمعته بسبب قريته، فبإمكان زوجته ان تحسنها) ومثال ثالث (بإمكان الزوجة الصالحة أن تحسن من سمعة زوجها التي ساءت بسبب اصدقاء السوء).

إلا ان (جباغى) الفيلسوف الشركسي الذي وضع قواعد وأسس (الأديغة خابزة) المعاصرة في القرن الثامن عشر لفت انتباه الناس إلى دور الزوج في تطوير علاقته بزوجته في رفع سوية علاقتهما بقوله: (إن الزوج تكونه زوجته والزوجة يكونها زوجها) كما قال: (إن من لا يمد يده لمساعدة امرأة ليس زوجا حقيقيا) ودعا الازواج إلى التفاهم والاحترام المتبادل وحذر قائلا: (كلما كنت معاديا لزوجتك، كان هناك إمكانية أن تعادي العالم).

المجموعة الخامسة: العادات المرتبطة بقواعد الرقص القومي الشركسي

أشارت ل. غ. ناغايتسييفا [٢٣] إلى مجموعة من القواعد التي تنظم الرقص الشركسي (القافا) الذي يشارك فيه كل الشباب والشابات برقصات مزدوجة او رقصات جماعية مثل:

القاعدة الاولى: لا يفترض بالشاب ان يلامس الفتاة، بل عليه ان يرقص على بعد ذراع منها دون ان يلامس حتى ملابسها، ومن الكبائر عند الشراكسة لمس الفتاة (باليد او الجسم او الرجل)، وإن حدث ذلك بدون قصد يحق للفتاة مقاضاة الشاب لعدم قدرته السيطرة على حركاته خلال الرقص، وأما إذا شعرت بأنه يقصد ذلك فيحق لها التوقف عن الرقص ومغادرة الحلبة، كما يحق لها مقاضاته أمام (مجلس التحامدات) من كبار السن.

القاعدة الثانية: على الشاب ان يتصرف خلال الرقصة بكل عنفوان محاولاً ان يظهر انه راقص جيد، وان يحافظ على سلاحه وملابسه، وأن يدرك خفايا الرقص وحركاته وتفصيلاته بعيدا عن الفتاة. كما هو مبين في الصورة المرفقة.

القاعدة الثالثة: على الفتاة ان تلتزم خلال الرقص بالجدية والتواضع، مسدلة أهدابها وان تردد حركة الشاب إذا استجابت لدعوته في الرقص، حتى لو كان الشاب ممن لا ينال إعجابها فإنها لن تظهر هذه المشاعر ابدا خلال الرقص.

لقطة لشاب وشابة تبين رجولة الشاب أمام الفتاة بما يتفق مع آداب الرقص الشركسي.

اما الكاتب (خان جيري) فيقول حول قواعد وآداب (الإتيكيت) بأن "الراقصون يستطيعون التكلم مع مراقصيهم من الفتيات بحرية، وتستطيع الفتيات ان يجبن بلا أي وجل وطبعا مع الالتزام بالسلوك المهذب وبلا أية قهقهة أو استعمال تعابير مناقضة لطبيعتهن الانثوية او تسيء لسمعتهن، وبالحد الأقصى من الاعتبارات التي تمليها القوانين الاجتماعية العامة.

كما أن الكاتب الشركسي المعروف (تيمبوت كيراشييف) الذي يلم بالثقافة الشركسية بشكل جيد جدا يقول: (... وسريعا كالسهم انطلق من اوساط الرجال شاب متناسق القوام داعيا للرقص معه الفتاة واسمها (نفيسة) وكانت الهرمونيكا (الأكورديون) تعزف ألحان الرقص الشركسي المعروفة، وضجت اكثر أصوات التصفيق وآلات النقر الخشبية، وعلى ما يبدو فقد كان الشاب (أنزور) راقصا مشهورا، فأخذت تعلو من اوساط شباب (الجوك) أصوات محببة، وتأجج كل شيء بشكل ملحوظ، وكانت (نفيسة) تتبع راقصها حول حلبة (الجوك) بكل سلاسة، ولكن وبصورة مفاجئة وبدا وكأن قلبها قد تحول عن الشاب فابتعدت الراقصة نحو وسط الحلقة شامخة برأسها نحو الأعلى بكل كبرياء، ولم تلق إليه حتى نظرة، أما (أنزور) الشاب الذي ابتعدت عنه حبيبته فقد قام دون أن يرحم ساقيه بالاندفاع نحوها مباغتا إياها، ولكنها لم تعره أي اهتمام، وتابعت تحليقها حول الحلبة بكل كبرياء فما كان من الراقص (انزور) الذي ابدى استياءه وغيرته من هذه الفتاة العنيدة إلا انه ابتعد عنها راسما (عدة حلقات في وسط الجوك)، ثم انطلق طائرا نحوها مرة ثانية وكأنه يقول لها: انظري ايتها المتعالية أي شاب انا متابعا الرقص واثقا من نفسه، فاردا ذراعيه حول الفتاة وكأنه يحميها.

وكان قلب الشاب (انزور) يخفق من الحب، وكان وبلا كلل يدور راقصا حولها مندفعا كذئب هائج، ولكن قلب الفتاة لم يرق حيث كانت مهتمة برقصتها فقط وغير مبالية وتابعت بكل عناد طيرانها كحمامة، فاردة ذراعيها كأجنحة طائرة حتى اصبح الموقف وكأنهما باتا (غريبين) وتجمد الدم في عروقهما نتيجة خلافهما الصامت يتابعان الرقص منفصلين عن بعضهما بعض.

لكن (نفيسة) التي كانت تريد ان تختبر مشاعر العاشق (انزور) الذي يراقصها، اندفعت فجأة نحوه بكل دلال وترحاب وما كان من (انزور) ألا ان تدفقت الدماء من جديد في أرجاء جسمه حتى أبدع في الرقص الرجولي فأثبت لنفسيته المتمردة بأنه (يحبها) ... وهكذا تنتهي الرقصة بابتسامة رومانسية ونظرة اعجاب من (نفيسة) .. [٢٣].

واما اهم آداب الرقص التي تفرضها العادات المتعلقة بالرقص فيمكن تلخيصها على النحو التالي:

- يدخل الشاب إلى حلبة الرقص أولا، ثم تتبعه الفتاة التي لها دور في الرقص، وجرت العادة ألا ترفض أية فتاة الرقص مع أي شاب طالما دورها في الرقص، وقد يحدث أحيانا أن تعطي الفتاة صاحبة الدور، دورها لفتاة أخرى إن لم ترغب في الرقص من الشاب المتواجد على الحلبة او ان الشاب هي (بسلوخ) لإحدى الفتيات في الحلبة.
- من آداب الرقص ان لا يترك الشاب الحلبة او التوقف عن الرقص ما دامت الفتاة في حلبة الرقص وإن حصل ذلك يحق للفتاة التي تركت في حلبة الرقص مقاضاة الشاب الذي فعل ذلك امام (مجلس التحامدات) أي مجلس الحكماء من الكبار والحكم عليه بإقامة حفلة ترضية لها ولصديقاتها أو إهدائها هدية ثمينة إلخ.

- الأصل في الرقص ان تكون مواجهة ولا يجوز ان يعطى (الشاب أو الشابة) الظهر للآخر عند الرقص في الحلبة إلا اذا كانت طبيعة الرقصة تتطلب ذلك.
- لا يجوز للشاب ترك حلبة الرقص او التوقف عن الرقص طالما الفتاة في الحلبة، كما لا يجوز خروجه من الحلبة قبل الفتاة، وان حدث يحق للفتاة مقاضاة الشاب على فعلته التي تعتبر اهانة للفتاة وعدم احترام لها.
- لا يجوز لعازف الاوكرديون او اية آلة موسيقية التوقف عن العزف خلال قيام الشاب والفتاة بالرقص وان حدث عليهما مقاضاة العازف.

المجموعات السادسة: العادات والتقاليد المتعلقة بالضيافة عند الشراكسة

الضيافة لدى الشراكسة قديمة جدا وتعود إلى العصور الأولى من نشأتهم، وتطورت مع مرور الزمن وتغيرت بعض قواعدها واصولها، ولإلقاء الضوء على مدى تمييز الشراكسة بهذه العادة لا بد من استعراض اقوال بعض الرحالة والكتاب الأجانب نقتبس منها. (٢٠)

- قال الكاتب المعروف "جورجيو انتربانو" في القرن الرابع عشر "من عادات الشراكسة.. كرم الضيافة، واستقبال أي انسان بمنتهى الحفاوة".
- اما "جوفاني لوكا" فيؤكد على كرم الضيافة عند الشراكسة بقوله "ليس في العالم كله من هو اكثر منهم لطفا وسعادة عند استقبالهم للغرباء".
- و"ستاليست" ذكر قبل مائتي عام: (إن من أهم عادات الشراكسة هو كرم الضيافة).
- اما (شورا نوغوموقه) فقد قال في أوائل القرن التاسع عشر "إن كرم الضيافة الذي اشتهر به الشراكسة تاريخيا سيبقى في الأذهان وعلى الرغم من كل النوائب والتبدلات السياسية التي حاقت بهم فإن هذه الصفة الخيرة لم تضعف إلى الآن".

- كما قال (غاردانوف): "إن حق الإنسان الغريب تماما، في أن يكون ضيفا في أي منزل، والتزام صاحب المنزل في أن يقدم له كل ما يريحه وكل ما في إمكانياته، تلك هي الميزة الأساسية في عادة كرم الضيافة لدى أديغا".
- فأما (خان جيري) من تشركيسيا فإنه يؤكد بأن عابر السبيل المتعب والمنهك عطشا وجوعا يجد ملجأ مضيافا له أينما اتجه في بلاد الشراكسة، وسيقابله صاحب المنزل بكل بشاشة من دون ان يعرفه ابدا، ودون ان يسأله من هو ومن أين أتى ولماذا قدم؟
- وكذلك فإن الكاتب الروسي (ن. ديروفن) يؤكد في كتابه (الشراكسة) الصادر في كراسندار عام ١٩٢٧ "بأن كرم الضيافة منتشر جدا وبشكل واسع لدى الشراكسة ويكون واحدا من اهم الصفات الخيرة لدى هذا الشعب، لقد كان الضيف عند الشراكسة شبه مقدس خاصة لدى صاحب المنزل الذي عليه ان يستضيفه ويحميه من أي ازعاج، وكان مستعدا للتضحية بحياته من أجل ضيفه حتى وإن تبين له أن ذلك الضيف كان قد ارتكب إثما او حتى مطلوبا بثأر له"، ثم يتابع قائلا: "... إن أي شركسي مسافر يتوقف أين يشاء متى داهمه الليل وإن كان يفضل أن يتوقف عند من يعرفهم إضافة إلى أن يكونوا من الذين بإمكانهم استقبال الضيوف دون أن يسبب لهم ذلك أي إرهاق أو صعوبة. ويستطرد قائلا: وبمجرد أن يسمع صاحب المنزل بوصول ضيف إلى قرب منزله يهرع إليه ويمسك بركاب فرسه وهو ينزل عن صهوة جواده ولا يوجد بنظر أي شركسي ما يمكن ان يعتبر مهينا لصاحب المنزل ما دام يقدم للضيف مهما كان الفرق بينهما كبيرا في الطبقة الاجتماعية، وبمجرد أن ينزل الضيف عن حصانه، يقوم صاحب الدار بأخذ سلاحه منه مدخلا إياه إلى مقر الضيافة، ويقوده إلى مكانه الذي فرش بالسجاد والوسائد، وهو في أكثر الأماكن احتراما

وهي زاوية الغرفة (الأبعد عن الباب)، ويقوم قبل إجلاسه بأخذ ما تبقى من سلاحه ويعلقه على الجدار او يأخذه إلى داخل المنزل.

- وأما (نيومان) فإنه يخبرنا (نقلا عن أرخانجيلو لامبيرتي) الذي ساح في غرب القفقاس في القرن التاسع عشر "ليس هناك في كل هذا العالم... شعب، يرحب بالغريب أفضل من هؤلاء فهم يخدمون الضيف بأنفسهم ثلاثة أيام كما يخدمه أولادهم وبناتهم حاسري الرأس يغسلون (أقدامه) بينما تغسل نساؤهم ثيابه.

لا شك بأن كرم الضيافة هي عادة اجتماعية مرتبطة بدرجة أو بأخرى بأنها من الخصائص القومية الشركسية، ويتعامل الشراكسة مع هذه العادة بوصفها من أرقى العادات الأنسانية، وبقيت هذه العادة القديمة على حالتها الأولى دون أن يطرأ عليها تغيرات جوهرية رغم ما أصاب الأمة الشركسية من المصائب والمحن في مختلف الأزمان والعصور، إذ لا يزالون يعتبرون كل مسافر يحل ضيفا في أي بيت يستحق كل عناية وتقدير، ويجب على المضيف أن يستقبل ضيفه بكل حفاوة ويعامله بما يستحق من الإكرام، ويقدم إليه أحسن وأفضل ما عنده من طعام وشراب، وإذا رحل عنه وجب عليه ان يرافقه ويحميه من كل اعتداء طارئ.

وفيما يلي أهم القواعد والنظم التي تضبط العلاقة بين الضيف ومضيفه وكذلك أهم الواجبات والحقوق لكل من الضيف (حاشة) والمضيف (البسم).

- من حق الضيف اختيار مضيفه في أول زيارة له، وكل عائلة ملزمة بالقيام بواجب الضيافة إن وقع اختيار الزائر عليها، وكانت القاعدة إن كان الضيف (شركسيا) ضرورة اختيار (هاتشئيش) (مضافة) لعائلة من نفس طبقته الاجتماعية.
- المضيف مسؤول أمام كل الناس عن سلامة ضيفه، ومن لم يدفع عن ضيفه ضررا ما حتى ولو كان مجرد إزعاج، تجري محاكمته ومعاقبته لأنه يتوجب على المضيف حسب العادات التضحية بروحه دفاعا عن ضيفه.

- لا يسمح للضيف دخول بيت مضيفه، بل كان يستقبل في (المضافة) حيث يجد العناية اللازمة، كما يحصل على الحماية اللازمة.
- وحالما يقدم الضيف نفسه مهما كان مستواه وحتى ولو كان مجرما أو عدوا للعائلة أو عبدا على المضيف قبوله وتكريمه وحمايته.

وروت (رايا مامكيغ) **في كتابها لمحات عن العادات الشركسية** رواية تؤكد مدى التزام الشراكسة بآداب وقواعد الضيافة مهما كانت صفة الضيف أو الزائر، وملخصها على النحو التالي:

بينما كان رب عائلة في أحد الأيام يمارس بعض الأعمال في ساحة داره، دخل شاب غريب هارب يبحث عن ملجأ، فأخفاه رب الدار في بيته، وبعد قليل وصل بعض شبان القرية ممتطين خيولهم وسألوا الرجل: هل رأيت شابا هاربا؟ إننا نبحث عنه لنقتله فقد (اغتال ابنك) فأجابهم الرجل بأنه لم ير أحدا، وهكذا ابتعدوا لمواصلة البحث، أما الرجل فقد أكرم الشاب دون أن يبدو عليه انه يعرف بما حدث، ودون ان يلحظ الشاب منه أي شيء. وبعد أن هدأت غضبة فرسان القرية جهز الرجل لضيفه الشاب جوادا وزادا وقاده ليلا على موضع آمن خارج القرية وتركه ينصرف، وهكذا فقد حمى قاتل ابنه التزاما منه بتقاليد الضيافة الشركسية، وان كان فعل عكس ذلك فإنه يتعرض لمحاكمة صارمة.

- يعامل الضيف بأجل احترام وتقدير، ويجلس في مكان الصدارة الذي لا يشاركه فيه أحد، وقد كتب (بيل) عن تقليد إعطاء الضيف مكان الصدارة دون ان يعرف مكانة هذه العادة في التقاليد بقوله:

لقد قامت صداقة عميقة بيني وبين ذلك الشاب النبيل ومع ذلك لم أفلح في جعله يجلس في المضافة إلى جانبي، وحتى في غياب الآخرين إلى هذا الحد اعتادوا احترام الغريب الاجنبي (الضيف).

- ويسمح للجيران بدعوة الضيف بعد إعلام مضيفه وأخذ موافقته على ذلك. وبالمقابل لا يحق للضيف قضاء الليل عند شخص آخر أو قبول دعوته بدون إذن المضيف الذي هو في ضيافته وهكذا فإن حرية الضيف محدودة ضمن قواعد واصول الـــ (بيسيم) أي المضيف. وكذلك سلوكه تنظمه تلك العلاقة، والمثل القائل (الضيف أسير مضيفه) يمكن ان نسمعه اينما كان.
- إن القواعد التي تحكم صلة الضيف بمضيفه تمتد آثارها إلى المستقبل فعلى الضيف إن عاد يوما ما إلى زيارة القرية نفسها عليه أن ينزل عند نفس المضيف السابق (ولا يجوز تبديل المضيف) وكل سلوك مخالف لذلك يعد إخلالا بأصول (بيسيم حاتشئة) وخروجا على العرف الاجتماعي.
- وإذا حدث رغم ذلك ان اختار الضيف مضيفا آخر، فيجب على المضيف الجديد تقديم (كفارة) وذلك بإقامة حفلة، حيث تكون تكاليف الحفلة هي الغرامة المفروضة عليه، ولا ينجو المضيف بحد ذاته من التغريم، ولكن تغريم الضيف يختلف من حالة لأخرى حسبما يقرر مجلس المسنين (تحاماتة) الذين يكون المضيف القديم قد دعاهم للاجتماع، وفي الكثير من القرى الشركسية ما زالت هذه الإجراءات محترمة كوسيلة لضمان عدم انتهاك العادات المتعلقة بالضيافة.
- إذا دخل أحد ما المضافة (هاتشئيش) أو (غرفة الضيوف في هذه الأيام) فعلى جميع الموجودين القيام بما فيهم (التحاماته) وهو كبير القوم ولو كان الداخل أصغر سناً.
- إن الداخل للمضافة لا يجلس حتى يطلب الضيف (أو أحد الكبار) منه الجلوس، وإن دخل كبير في السن أخلى له الصغير مكانه للجلوس وكذلك فإن تم تقديم شراب للموجودين اثناء تكلم أحدهم، فلا يبدأ أحد بالشرب حتى ينتهي المتحدث من كلامه.

- لا يسمح للأصغر سنا بالشرب اثناء وجود (التحاماته) وإذا تناول التحاماته شرابا ما، فعلى الأصغر سنا الوقوف له.
- إذا أراد أحد ما مغادرة غرفة المضافة فعليه ألا يدير ظهره أثناء الخروج للضيف أو للتحاماته، بل يرجع إلى الوراء حتى الباب ثم يغادر.
- إذا أراد أحد مغادرة المضافة فعليه استئذان الضيف، وإن لم يكن هناك ضيف فعليه استئذان الأكبر سنا بين الموجودين والذي يقوم مقام (التحاماته).
- مدة الضيافة حسب الأعراف الشركسية قديما هي ثلاثة أيام، أما إذا طال مكوث الضيف أكثر من ذلك فإن دوره كضيف ينتهي ويعامل كأحد أفراد العائلة، وهذا ما أكدته (ماريا) بقولها: إن الضيف يجب ان يبقى ضيفاً من يومين إلى ثلاثة وعليه بعد ذلك ان يشارك في أعمال مضيفه، ومن المعتاد عليه اليوم في القرى الشركسية مشاركة الضيف في أعمال مضيفيه بعد ثلاثة أيام من قدومه.
- لا يجوز مبادرة الضيف فور وصوله بسؤاله من أين جاء ومتى يذهب، ولكن طريقة تعليقه القامشة (السوط) على الجدار تدل على ما إذا كان سيتابع السفر بعد مكوث قصير أو أنه ينوي البقاء طويلا: (فإن علق سوطه من آخره بحيث يتدلى بكامله للأسفل، فإن هذا يدل على أنه لن يطيل المكوث، أما إن علقه من منتصفه فإن هذا يدل على أنه ينوي قضاء وقت أطول).
- إن إجابة الضيف عن السؤال المألوف للمضيف المتعلق بعشيرته والفرع الذي ينحدر منه تدل ما إذا كان الضيف شركسيا أم لا، كما تعطى فكرة عن الطبقة التي ينتمي إليها إن كان شركسيا.
- يجتمع بالضيف عشية وصوله للمضافة برجال القرية للترحيب به ويسهر معه الرجال المعادلين له في السن لفترة أطول، بينما يغادر الآخرون بعد الترحيب به، أما إذا كان الضيف ذا مكانة اجتماعية (تحاماته)، فإن جميع رجال القرية أو

المنطقة يأتون في نفس المساء وعلى أبعد تقدير في صباح اليوم التالي للترحيب به.

- ليس للضيف حقوق فقط، بل عليه واجبات ايضا إذ يتوقع الجالسون ان يسمعوا منه ما جد من أخبار وأمور في المناطق التي جاء منها أو مر بها، ويتطور الأمر إلى حوار يشارك فيه الجميع، وحسب العادة قد يتطور الأمر إلى سرد قصص والحديث عن البطولات التي قدمها المقاتلون في الماضي.
- من حق الضيف ليلة وصوله أن يقرر متى يود النوم للاستراحة من عناء السفر، واعتبارا من الليلة الثانية قد تمتد السهرات إلى ساعات متأخرة من الليل.
- إذا كان المضيف ميسورا فلا بد ان يهدي ضيفه يوم رحيله فرسا أو سيفا او ما شابه ذلك من أنواع الهدايا ويعتبرون ذلك من متطلبات الضيافة الحقيقية.

بالإضافة إلى ما تقدم من واجبات الضيافة قديما، فإن بعض كتاب الشراكسة في المهجر لخصوا واجبات أخرى للضيافة نذكر منها:

- الضيف شخص مقدس لا يساء إليه وتأتي معه السعادة والخير ومن الامثال التي تقال بهذا الصدد: "يأتي الخير مع قدوم الضيف".
- عادة اكرام الضيف تعم وتشمل جميع الشراكسة. ويثبت هذا المثل القائل "افقر الشراكسة مضياف كأغناهم".
- من واجب الفقير اكرام الضيف بما لديه ويطعم جياده ويجد لها المأوى والراحة ولا عيب من أن يأخذ من جاره ما يحتاج ضيفه ان لم يجد لديه ما يكفي لواجبات الضيافة، ويعتبر ضيف احد من أهل القرية ضيفاً على القرية بأكملها.
- يُسأل الضيف اولا عن صحته ثم عن الاخبار التي يعرفها.

- يتحاشى الشراكسة سؤال الضيف عن خاصياته أو سبب ضيافته أو أي شيء من المحتمل احراجه بها. ويمنع خلال الثلاث أيام الاولى السؤال عن من يكون وإلى أين ذاهب أو من أين آت.
- وبعد انتهاء ثلاثة ايام، وتقديم كل ما يجب تقديمه للضيف من مراسيم وواجبات الضيافة يستطيع المضيف ان يسأل ما يشغل ضيفه وبما يستطيع مساعدته به ويعتبر أن من واجبات المضيف المقدسة السعي لتلبية مطلب الضيف الذي جاء من أجله.
- واجب كل شركسي دعوة أي شخص يرى أنه من المحتمل ان يكون بحاجة إلى مأوى ومأكل. واي غريب يدخل قرية يسمع من كل فرد فيها الكلمة المعروفة (تفضل) وهو يدعوك بكل صدق لاستضافتك.
- لا فرق في الضيف كبيرا كان أم صغيرا، غنيا ام فقيرا، رجلا أم امرأة، عدواً او صديقاً. والأمثلة التالية تدل على ذلك:

١) لا يوجد ضيف شاب.

٢) لا يوجد ضيف زائد.

٣) لئن جاءك عدوك ضيفا فهو صديق.

- واكثر الضيوف تكريما أكثرهم بعدا عن وطنهم، ويتضح هذا من قولهم "اغلى من الضيف هو الضيف الغريب".
- وهذا يفسر الحفاوة التي كان يلقاها الرحالة في بلاد الشراكسة، مما حدا بالرحالة أن يكتبوا عنها كثيراً.
- تكون أبواب المضافة مفتوحة ليل نهار ويستطيع أي عابر أن يدخل ويتصرف داخلها كما يشاء دون السؤال او الاستئذان من صاحب البيت، والضيف القادم ليلا يدخل هذا البيت دون ان يلاحظه أحد من أصحابه، لذا كانت العادة دائما عند الشراكسة ان يقوم رب البيت بتفقد مضافته قبل

الذهاب إلى الفراش كل ليلة، وفي بعض الأحيان كان يعرف بوجود الضيف بواسطة مربط الخيل الملحق بالمضافة.

- كان من الواجب الاحتفاظ بمؤونة دائمة لأي ضيف من الممكن حضوره في أي لحظة، وتوجد أمثلة بهذا الصدد:
- قد يأتيك ضيف، فتموّن، ولا تقل قد طال انتظاره فتأكل مؤنته.

مواصفات وخصائص المضافة (الحاشيش)

إن الاهتمام الخاص براحة الضيوف والعناية بهم قد اقتضى ان يتواجد لدى الشراكسة مكان خاص في كل منزل يدعى (المضافة وهاتشئيش) حيث كانت تبنى في أكثر الأماكن ملاءمة في الحوش، أي بعيدا عن (الدار) واقرب إلى باب الحوش، ويوجد بالقرب منها عادة مربط للخيول حتى يبقى الضيف مطمئنا على جواده، وكانت المضافة أكثر الأماكن تجهيزاً وراحة في المنزل، وكان يتواجد فيها مناضد (طاولات) الطعام ثلاثية القوائم وتسمى بالشركسية (آنة)، وسريرا ومجموعة من الأغطية إضافة إلى السجاد والحصر، كما تعلق على الجدران بعض الأسلحة والأدوات الموسيقية.

وجرت العادة ان تبنى "المضافة" على مستوى القرية على اطراف بيوت القرية وليس وسطها وبين البيوت، والحكمة من ذلك هو عدم تقييد حرية تحرك النساء داخل القرية لممارسة أعمالهن اليومية ولعدم اضطرارهن للتوقف من السير إلى ان يمر الضيف أو القادمين للمضافة من الرجال حسب العادات الشركسية، ويروي لنا (باتري اوزبك) في كتابه (أساطير النارتيين) القصة التالية:

لقد (سافر مرة فلاح شركسي مع ابنته بالباص إلى المدينة وعند الوصول غادر كلاهما السيارة واتخذا طريقهما لزيارة أقارب لهما وسار الوالد في المقدمة والفتاة حسب الأصول خلفه، وكان الوالد يحادثها أثناء الطريق في مختلف الأمور ودون ان يلتفت إلى ابنته، وعند وصوله دار اقاربه التفت خلفه، فلم يجد أثرا لابنته،

وحاول ان يجد تفسيرا لاختفاء ابنته، وبعد ان طال انتظاره دون ان تأتي الفتاة عاد إلى محطة الباصات ليجدها "واقفة هناك دون حراك" إذ كان عليها حسب التقاليد الشركسية ان تفسح الطريق للرجال المارين وما أكثرهم في المحطة) [٢١].

أهمية المضافة ودورها الثقافي والاجتماعي والتربوي:

تعود أهمية المضافات (المجالس) إلى كونها تلعب دوراً على المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي، كما أنها تستخدم كملتقى لمختلف شرائح وطبقات مجتمع القرية او المدينة ولها دور تربوي بارز تحل محل المدرسة في تثقيف وتربية جيل الشباب من الأبناء والاحفاد.

وفيما يلي أهم الأدوار التي كانت المجالس تلعبها في المجتمعات الشركسية منذ القدم: [٢٢]

١) المحافظة على التراث الشركسي وديمومته، واستمراريته ونقله من جيل إلى جيل من خلال سرد القصص والأساطير عامة، وأساطير النارتيين خاصة، وكذلك من إلقاء الأشعار القومية والشعبية وأشعار الرثاء والحزن (الفيزة).

٢) كان يتم في جلسات المضافة (هاتشئيش) سرد القصص والحكايات القديمة المعروفة، وإن كان الضيف نفسه مغنيا متجولا فإنه يتحف الحضور بما عنده، فتحفظ القصائد مباشرة عن ناظمها، ويتم تداولها وتصبح من الأدب الشعبي، وبالتالي فإن هذه المجالس كانت أمكنة لتعلم التاريخ والآداب والفنون، لذلك فليس من العجب ان تبقى تواريخ وتفاصيل احداث جرت قديما وعلى مر الزمان محفوظة في أذهان الناس بسبب تناقلها من جيل إلى جيل في مثل هذه المجالس.

٣) المحافظة على التقاليد ونقلها من جيل إلى جيل مع الإضافة أو الحذف حسب متطلبات كل عصر أو زمان.

٤) قيام المضافات عبر العصور مقام المدرسة من حيث نقل المعارف وتربية الأجيال من خلال الأنشطة الثقافية التي كانت تمارس في المضافات.

٥) قيام المضافات (المجالس) بوظيفة المنتدى الثقافي حيث كان يتم فيها مناقشة الأحداث اليومية، وكذلك متابعة الأحداث الجارية في المناطق الأخرى، كما كان يتم فيها معالجة المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بالإضافة إلى تبادل المعلومات والخبرات، خاصة مع الضيوف الأجانب الزائرين للقرية.

المجموعة السابعة: العادات والمراسم المتعلقة بآداب المائدة والولائم

يقول المثل الشركسي في "الاعتدال في الأكل والشراب والكلام دليل على حسن التربية" والشراكسة شديدي الاهتمام بالآداب والمراسم المتعلقة بموائد الطعام عامة والولائم التي يحضرها ضيوف كبار السن خاصة...

ومن أهم المراسم والقواعد المرتبطة بعادات تنظيم موائد الطعام خاصة وموائد الولائم في حضور ضيوف وكبار السن خاصة هي:

*** المراسم المرتبطة بتنظيم الجلوس على الموائد.**

١- تقسم موائد الطعام الشركسية إلى قسمين غير متساويين، حيث يخصص القسم الأول لكبار السن وللضيوف والقسم الآخر فيخصص للمدعويين الاصغر سنا وللحاضرين من أهل المضيف، كما يتم ترتيب الجلوس بحسب السن والمكانة والمركز الاجتماعي.

٢- يجلس (التحمادة) والاكبر سنا من الضيوف على المائدة أولا، ثم الاصغر سنا.

٣- يكون مكان جلوس (التحمادة) في وسط المائدة وعلى يمينه الضيف الأكبر سنا، وبجانبه الضيوف الآخرون وأما المضيف فيجلس في الجهة المقابلة للتحمادة والضيف.

٤- يقف ابناء المضيف من الشباب حول المائدة ويبعد قليلا عنها للمساعدة في توزيع الطعام وتقسيم اللحمة وغيرها من انواع المساعدة التي تتطلبها واجبات الضيافة، أما الفتيات من بنات المضيف او قريباته من الفتيات فيقمن بإحضار الطعام أولاً بأول (حيث من العادات الشركسية عدم احضار جميع اصناف الطعام التي المائدة دفعة واحدة) والهدف هو تقديم طعام ساخن وطازج.

*** المراسم المتعلقة (بالتحمادة) على الموائد**

(التحمادة) هو الشخص الأكبر سنا والأكثر خبرة والقادر على التعامل مع مختلف طبائع الموجودين، ويمتلك طلاقة اللسان بلغة قومه، مُلما بالإتيكيت الشركسي وآداب الموائد ويعرف كيف يدير الجلسة وأحاديثها بكل لباقة.

وعلى عاتق التحمادة كانت تقع مهمة ليست بالبسيطة، ألا وهي إدارة وتنظيم سير توزيع الطعام على أفضل وجه، وكان عليه أن يأخذ بالاعتبار عادات وتقاليد الضيوف من القوميات الأخرى.

إضافة إلى ذلك على (التحمادة) أن يمتلك عددا آخر من الصفات الضرورية اللازمة لهذه المهمة، منها أن يعرف العادات المحلية بشكل جيد بحيث لا تصدر عنه أي اساءة او إزعاج لأي من ضيوف مائدة الطعام، وأن يعرف ماهية (الخواخة) أي رفع (النخب) التي يتوجب عليه ان يعرفها، وليس بإمكان (التحمادة) ان يغادر مائدة الطعام، ومن ثم يعود إليها إلا للضرورة القصوى، وعموما فإن أهم واجباته كان عدم الإسراف في تقديم الشراب، والاهتمام الجيد بالضيوف، وتقديم الاحترام الذي تمليه العادات، ولا يجوز لأي من الجالسين ان يرفع نخبا بلا إذن (التحمادة)، حيث أن من مظاهر الاحترام التي تفرضها آداب مائدة الطعام تتطلب

الوقوف في أثناء رفع (الانخاب) على شرف الأكبر سنا او الضيوف، أما مضمون الانخاب وتسلسلها فكان يحددها اعمار الموجودين، والمكانة الاجتماعية، ومدى قرابتهم من صاحب الدار، وغير ذلك.

إن الاتيكيت الشركسي على مائدة الطعام يعبر عن مظاهر مدهشة ودقيقة من العلاقات المتبادلة قد لا تكون ملحوظة من قبل الغرباء، واحيانا غير مفهومة ابدا بالنسبة إليهم، وخاصة عدم السماح للشباب الذين يقومون على خدمة المائدة بالجلوس مع الآخرين حتى بعد انتهاء الأعمال الموكلة إليهم، وبالرغم من طلب المضيف قائلا: "ليذهبوا فيرتاحوا او ليجلسوا معنا" هذا ما يقوله الضيوف غالبا إلا ان المضيف لا يقبل ذلك، حيث إن الهدف من تواجد الشباب حول المائدة هو اكسابهم العديد من العادات والاعراف ويتعلمون آداب المائدة من الكبار، ويوسعون معارفهم بسماعهم أحاديث الأكبر سنا وخبراتهم وقصصهم وأغانيهم وطريقة مزاحهم.

مراسم توزيع الطعام على المدعويين الجالسين على المائدة

من أكثر المراسم والعادات المرتبطة بآداب الموائد الشركسية هي المراسم المتعلقة بتوزيع الطعام وتقسيمها وتقديمها للتحمادة والضيوف.. ومن هذه المراسم هي:

* يوضع امام اكثر الضيوف مكانة او التحمادة، لحم الكتف ثم يتم توزيع باقي أجزاء الذبيحة بحسب سن المدعويين، وقد اعتبر لحم الكتف التالي بالأهمية والقيمة المعنوية بعد (الجزء الايمن من رأس الذبيحة)، ومن ثم يأتي دور لحم عظام الحوض، ثم لحم الصدر فيليه لحم الفخذ، ومن ثم لحم الضلوع وعظام الظهر.

أما القطع الأقل شأنا من الذبيحة فتوضع امام الأصغر سنا على المائدة، مثل الرقبة، وفقرات الصدر، ثم لحم ما قبل الكتف، ويليه عظام الكتف، وبعدها عظام الساق، ويقوم على خدمة مائدة الطعام اثنان من الشباب يدعيان مقدمي الطعام والشراب، وعلى عاتقهما يقع الاهتمام بكل الأمور على طاولة الطعام، وفي أثناء تنظيف المائدة من امام الضيوف والانتباه إلى من يجب ابدال طعامه، وأي صنف من الطعام قد حان دوره وكذلك الشراب، وعلى الشباب الذين يقومون بالخدمة مهمة المراقبة الدقيقة لإشارات وإيماءات (وجه التحمادة وتعابير وجهه) إضافة للضيف، وإدراك ما الذي يجب عمله أولاً بأول.

ولذلك لم يكن أي شاب يصلح لمهمة كهذه، وكانوا يمرنون الفتية ويعلمونهم الدقة والانتباه لحركات الكبار، والسرعة في الأداء والحركة، وكان وجود مثل هؤلاء الشباب حول المائدة كفيلا ان يكون كل شيء خلال المأدبة ضمن الحدود، فلا يتم الإفراط في الشراب أو غيره، حيث ان ذلك لم يكن محبذا.

وقبيل الانتهاء من الطعام يتم عادة جلب نصف رأس الذبيحة الايمن، وهي عادة من رأس الخراف او الماعز الذي تم نحرها على شرف الضيف، وهناك العديد من التساؤلات المتعلقة بهذه العادة مثل متى يجب ان يقدم رأس الخروف أو الجدي؟ أي نصف رأس يجب تقديمه؟ أمام من يجب وضعه؟ كيف يجب ان يقدم؟ من الذي يجب عليه تقسيمه وتوزيعه؟ وكم جزءاً يجب تقسيمه ولمن تقدم الاجزاء؟ وكيف يجب ان تعامل هذه الأجزاء من قبل الضيوف؟ ماذا يجب ان نفعله بقسم الرأس الآخر؟

للاجابة عن مثل هذه التساؤلات يمكن ذكر اهم المراسم المتعلقة بتقديم وتوزيع الطعام عامة ورأس الخروف خاصة وعلى النحو التالي:

* يقوم بتقديم رأس الخروف الأيمن الأكبر سنا من الضيوف، ولكنه على الغالب يعتذر ويطلب من صاحب الدار ان يقوم بذلك، وتتم القسمة على الشكل التالي:

يقص إذن الخروف بواسطة سكين حادة وتقدم لأصغر الجالسين، أو إلى احد الشباب الذين يقومون بتقديم الطعام، ثم يفصل الجزء الخلفي من الرأس وحتى العينين ويقدمه إلى أكبر الضيوف سنا، ثم يأخذ الجزء الامامي من الرأس حتى الانف فيعطيه من يليه في المجلس، ويترك لنفسه الجزء الأوسط من نصف رأس الخروف والذي يحوي العين.

أي ان نصف رأس الخروف يقسم إلى أربعة اجزاء فقط، ولكل منها معنى ومغزى، ويتم استعمال السكين لقطع الأذن أما باقي الأجزاء فيتم فصلها باليدين.

* يرافق تقديم كل قطعة بكلمات ترحيب وثناء ومديح للشخص الذي تقدم إليه، وكان على الذين ينالون ميزة الحصول على إحدى هذه القطع الوقوف ومد اليدين ضامين كفيهما إلى بعضهما، ثم يجلس بعد ان يأخذ الجزء المخصص له.

* لالقاء الضوء على أهمية الجانب الايمن لرأس الخاروف تحدثنا الكاتبة (مامخيغ) نقلا عن (ب. خ بفاجتكوف) حادثة جرت مع أحد (البلقار) وهم من اصل تركي ويعيشون مع الشراكسة في جمهورية (كباردينا بلقاريا) في الوطن الام بقولها "عندما حل أحد "البلقار" ضيفا لدى عائلة شركسية، لفت انتباهه أن جزء رأس الخروف الذي وضع امامه كان الجزء الايسر، فما كان منه إلا ان قال مبديا انزعاجه "أنا لست من اليسار، لست قليل الاحترام، لقد اتيتكم وأنا على اليمين، محترما اجلبوا لي الجزء الايمن من رأس الخروف، فما كان من صاحب البيت، السيء الحظ، الذي كان قد تصرف بالجزء الايمن من رأس الخروف إلا ان ذبح خروفا آخر، وكان على الضيوف المرافقين كافة الانتظار حتى تم طهوه، وتقديم الجزء الايمن من رأس الخروف للضيف البلقاري".[٢٤]

فهذه الحادثة تدل على مدى أهمية الجزء الايمن من الرأس وعلى مدى التقيد بهذا التقليد الذي يمارس منذ عهد اجداد الشراكسة [٢٤].

المجموعة الثامنة: بعض العادات والتقاليد المرتبطة بالعلاقات والمناسبات الاجتماعية

يمارس الشراكسة منذ عصر الاجداد حتى يومنا الحاضر عشرات العادات والتقاليد التي تنظم العلاقات الاجتماعية نذكر منها:

*** العادات المتعلقة بالتهاني والتبريك او التعزية او المواساة... الخ**

ربما كان افضل من كتب عن مثل هذه العادات هو الكاتب الشركسي (بغاجنكوف) في مقالة له بعنوان: (المرجعية الفكرية لتعابير التمني في اللغة الشركسية)[٢٧] وتوصل فيها "بأنه يوجد في اتيكيت التخاطب كم كبير من الصيغ التقليدية المخصصة للتعبير عن التمني والشكر والامتنان او التحيات، أو التعبير عن التعاطف والمباركة بحدث سعيد، ولقاء استلام هدية، او ابداء اهتمام خاص وتقدير مميز واحترام زائد وغير ذلك كما وجدت في اتيكيت اللغة الشركسية صيغٌ تقليدية للتعبير عن كل احداث الحياة السعيدة منها والحزينة. ويقال مثلا لقاء الشكر على الطعام: (ليضاعف الله لكم طعامكم) (ليضاعف الله لكم مخزون الطعام) وعندما يقدم ماء الشرب على المائدة لأحد الضيوف يقال لمن قدمه (لتكن محبوبا مثل هذا الماء)، أو (اطال الله عمرك)، أو (لتعش طويلا)، وعندما يشتري احد ما ماشية او طيورا يباركون له قائلين: (ليتكاثر ويتضاعف ما اشتريته)، وعند المرور بقرب من يقوم بجمع محصوله الزراعي يقولون: (لتأكله بالعافية)، وعندما يقتضي الأمر مواساة شخص ما تكون حالته المرضية في وضع سيىء جدا: (نتمنى لك الخير وتمام العافية). وعند دخول العروس منزل الزوجية كانوا يتمنون لكل اسرة العريس بقولهم (لتجلب قدمها السعادة إلى داركم). أما لأهل العروس فيقال لهم:

"ليكن الاثر او الذكرى الذي تركته ابنتكم ذكرى سعيدة" وهذا القول محاولة لتخفيف وطأة الوداع على الأهل.

وفي حالات الوفاة اعتاد الشراكسة ان يقولوا لأهل المتوفى عبارة تعني: "أن لا يحل عليكم مصيبة أكبر تنسيكم هذه المصيبة".

وعندما يكون المتوفى شابا كانوا يقولون: (ليضف الباقي من عمره إلى حياتكم أو "البقية بحياتكم") اما اذا كان المتوفى شيخا كبيرا في العمر فكانوا يقولون في العزاء (ليغفر له الله ذنوبه) "الله يغفر له ويجعله من اهل الجنة".

وعندما يولد للاسرة طفل جديد كانوا يتمنون له بقوة البنية وصحة الجسم، اما في حال الانتقال إلى سكن جديد فكانوا يباركون له بالقول: (ليمنحك الله السكينة والهدوء في بيتك الجديد) أو (ليمنحك الله الصحة في بيتك الجديد).

ويلاحظ بالطبع ان الشراكسة يتمنون السعادة والنجاح للآخر عند أي حدث مهما كان صغيرا في الحياة.

والشراكسة منذ عصر الاجداد كانوا يهتمون بالعادات المرتبطة بالتهاني في كل موقف او حدث من احداث الحياة، وانهم كانوا يستخدمون صيغة الجمع في التعبير عن التهاني أو المواساة مثل: تقبلوا تهنئتنا، تقبلوا منا، تقبلوا باسم الاسرة. كما كانوا يرفضون التهاني او المواساة عبارة الرجاء من الله، او التوسل إلى الله. لتحقيق السعادة او الصحة او النجاح. بقولهم: ليزودك الله سعادة.. او بارك الله لك تحملك.. او نسأل الله العلي القدير أن يكون مأواه الجنة، في حالة التعزية.. الخ.

*** العادات المرتبطة بإلقاء السلام والتحية**

تقول (مامخيغ) تتضمن اللغة الشركسية العديد من الكلمات والجمل التعبيرية المستعملة في القاء التحية والتي تختلف بحسب الحالات والاوقات. ونحن نعتقد ان هذا التعدد يعتبر مظهرا من مظاهر تطور اللغة نفسها والثقافة الاجتماعية.

اشكال وصيغ التحية وتنقسم إلى فئتين هما:

الأولى: بحسب اوقات بإلقاء التحية او السلام مثل:

ليكن صباحك سعيدا – (صباح الخير) – نهارا سعيدا – مساء الخير.

والثانية: حسب طبيعة العمل

فلكل نوع عمل او مهنة تحية خاصة بها من حراثة وحصاد وجني المحصول، فمثلا يقال: ليكن حصادك مباركا او غلالا مباركاً، ومن التعابير المستحبة في القاء التحية منذ القدم تعبيران تقليديان هما: كيف الحال... وكيفك.. بالإضافة إلى تعابير مثل: ما الاخبار وما هو الجديد لديكم.. فالجواب يكون حسب مقتضيات الامور مثل: اخبار حسنة.. او اخبار غير سارة.. او لا توجد اية اخبار..الخ.

وليس من عادة الشراكسة الاطالة في القاء التحية وتحويلها إلى قصة.. او طرح مشاكل. وانما يجب ان تكون التحية قصيرة وخاطفة

كما جرت العادة ان يستخدم كلمة (السلام) ... وكلمة (مرحبة) بين الاصدقاء والمقربين والمتعادلين في الوضع الاجتماعي والسن.

وعند القاء التحية المسائية أو ليلا قبيل النوم يتمنى الناس بعضهم لبعض (نتمنى لك ليلة طيبة)، وغالبا ما تستعمل تعابير مثل (ليكن صباحك سعيدا) – (لتكن ليلتك هادئة ولطيفة)، أما الاهل فإنهم يخاطبون اطفالهم: (لتكن أحلامكم سعيدة) – وللمغادرين في سفر ما يقولون (نتمنى لك طريقاً أو سفراً سعيدا) أو (ليكن الله معك لأجل قضاء اوقات طيبة). وغالبا ما يجيب المغادر (ليرض الله عنك) أو (ليسمع

الله منك) أو (اتمنى لك العافية) أو (ليهدنا الله إلى الخير) وهي هنا بما يقابل تعبير (إلى اللقاء) في اللغات الاخرى [٢٨].

العادات المرتبطة بآداب التعارف

جرت العادة ان يقوم (الصديق المشترك) بمبادرة التعارف بين اثنين او اكثر من الاشخاص، معرفا كلا منهم باسمه واسم والده واسم عائلته، وإذا ما دعت الضرورة يذكر الحالة الاجتماعية، ويتم تسلسل التعريف بحسب كبر السن والحالة الاجتماعية وبحسب وجود نسوة بين الحضور.

اما الشكل واللهجة المطلوبة في مديح المعرفين في أثناء تقديمهم فتتعلق بكل حالة على حدة، وبحسب الهدف من التعارف فمثلا عند زيارة مجموعة من أقرباء العائلة بعد زواج الابن او الابنة فعلى الشخص المكلف بمهمة التعريف ذكر اسم العائلة أولاً ثم اسم الاب والكنية وصلة القرابة بالعائلة، وفي هذه الحالة ليس من المناسب ذكر الحالة الاجتماعية.

أما إذا حصل لقاء على طاولة غداء او مائدة مع أشخاص ليسوا من الأقارب وإنما من الغرباء الذين يمثلون مرجعيات مختلفة، وكان من بينهم اشخاص لا يعرفون بعضهم، فمن اللازم في هذه الحالة ذكر الحالة الاجتماعية والمركز الوظيفي بعد ذكر اسم العائلة أولاً ثم الاسم واسم الأب. وأحيانا وبحسب ما يراه صاحب الدار القائم بالتعريف يمكن اضافة بعض صفات الإطراء والمديح دون ذكر مستوى قرابته.

العادات المرتبطة بآداب المصافحة واللقاء

*** عادة مصافحة المعارف والاقرباء**

عند لقاء المعارف وتعبيرا عن تعاطف كل منهما مع الآخر فيتصافحان وقد أمسك كل منهما يد الآخر بكلتا يديه مع الاحتفاظ بها لفترة أطول، مع ذكر بعض

التعابير المتعارف عليها في الاتيكيت (أحييك) (كيف الحال)، (السلام)، (كيف تعيش) (كيف الصحة).

*** عادة مصافحة الغرباء**

فتتم بالمصافحة باليد اليمنى فقط، مع الإشارة إلى عدم الشد بعنف على اليد وانما الشد باعتدال، لأن عدم الشد نهائيا يعتبر ايضا إشارة غير مرغوب فيها، وينطبق الشيء نفسه على العناق لدى إظهار مشاعر الحفاوة عند اللقاء.

عادة لقاء الاقارب والأهل:

جرت العادة عند الشراكسة ان يتم اللقاء (بالعناق) ثلاث مرات مع وضع الرأس على كتف الايمن الآخر ووضع اليد اليمنى خلف ظهر المحتفى به.. وليس من عادات الشراكسة التقبيل للرجال او النساء. وكذلك فإن مصافحة المرأة لا تتم إلا اذا هي بادرت بمد يدها للسلام.

*** آداب التخاطب والتحدث**

ومن جميل عادات الجراكسة ان لا يذكروا الاسم الاول فقط بدون اسم العائلة مثال ذلك: اذا كان أحدهم اسمه "عمر" مثلا من عائلة "ينال" فيجب ان ينادى بـــ (ينالوقه عمر) أي ابن ينال. و "قة" معناها (ابن) وقد اصطلحوا على ذلك للدلالة على أصولهم وانسابهم. وبما أن الشراكسة يعرفون عائلاتهم حق المعرفة، ويعرفون فروعها المختلفة فلا تفوتهم معرفة المنشأ بمجرد ذكر لقب العائلة وهذه ميزة يحافظون عليها ليومنا هذا. أما العائلات النبيلة التي منهم "البشي" و "الورق" فلا حاجة لأفرادها الحاملين لألقاب (التشريف) ان يذكروها مع أسمائهم لأنهم يعرفون بمجرد ذكر اسمائهم متصلة بعائلاتهم فقط، فمثلاً: إذا ذكر اسم (زانحواتوقه باسلان) يعلم في الحال ان "باسلان" هذا أمير ابن أمير، وكذلك ليس من عادات التخاطب المناداة بصوت عالٍ ومن مكان بعيد.. وانما من الواجب التخاطب من على قرب.

وكذلك من آداب التخاطب:

- الأكبر سنا هو الذي يبدأ بالحديث اولا.
- يقف الاصغر سنا عند مخاطبة التحمادة او الاكبر سنا له.
- تتم المخاطبة بدون رفع الاصوات.
- من آداب المخاطبة والمحادثة ان لا تستخدم الإشارات حركات الايدي خاصة مع الاكبر سنا.

العادات المرتبطة بمكانة واحترام الجهة اليمنى لدى الشراكسة

منذ القدم اعتبر الشراكسة "المكان الايمن" أكثر احتراما وقدرا من المكان (الجهة) الايسر فمثلا يتم تحديد مكان الأكبر سنا وقدرا في الجهة اليمنى دائما، ويجلس الضيف على يمين صاحب الدار الأكبر في السن أو (من ينوب مكانه من كبار السن في العشيرة) وعندما يسير شخصان في الطريق فإن الأكبر سنا يلزم الجانب الايمن ويسير الأصغر عن يساره متأخرا قليلا عنه. أما التقدم عنه فهو تعبير عن انعدام الاحترام للكبير سناً.

*** عادة تناول الاشياء واستلامها من الكبار سنا باليد اليمنى**

إن استلام او تسليم أي شيء للأكبر سنا او مكانة يجب ان يتم باليد اليمنى ومد اليد اليسرى للأكبر دليل عدم احترام وسوء تربية.

*** عادة دخول المنزل بالقدم اليمنى**

كان دخول المنزل يتم بالقدم اليمنى، اعتقاداً منهم أنه يجلب السعادة، أما إذا خطا أحدهم ودخل إلى دار بقدمه اليسرى، فهذا دليل شؤم موجه لأصحاب البيت والمقيمين فيه. ولذلك كانت العادة دخول العروس إلى دار الزوجية بالقدم اليمنى اولا.

وكذلك فإن دخول الضيف بقدمه اليمنى هي إشارة إلى أنه يحمل خيرا إلى منزل مضيفه.

*** عادة تقديم النصف الايمن من رأس الخروف**

وفي ولائم الاعياد والمناسبات، يضعون أمام اكبر الجميع سنا (التحمادة) الجانب الايمن من رأس الذبيحة (خروف – ماعز) أما الجانب الايسر من الرأس فلا يوضع على المائدة بل يرمى خارج الدار. (كما سبق ذكره).

*** تفاؤل الشراكسة بكل حدث يبدأ او يتم باليمين**

كانوا يعتقدون أنه إذا حك المرء كفه الأيمن فهذا فأل بأنه سيستلم هدية او نقودا، أما اذا حكته كفه اليسرى فإنه سيفقد شيئا ما او يتضرر. وإذا حكه الجانب الايمن من وجهه او غمزت عينه اليمنى فعليه ان يتوقع امرا حسنا، أما اذا حصل العكس فيتوقع شراً، وعندما تطن الاذن اليمنى يتوقع الانباء السعيدة، أما إذا طنت الاذن اليسرى فيتوقع انباء سيئة ومزعجة.

*** عادة تربية الاطفال على استخدام اليد والقدم اليمنى**

كانوا يعلمون الاطفال ان يضعوا أقدامهم في احذيتهم بدءا من اليمنى فاليسرى، ونزع الحذاء يكون بدءا من اليسرى، وإذا ما لاحظ الشراكسة أن الطفل يستعمل يده اليسرى أكثر من اليمنى، قاموا بتوبيخه عدة مرات، فإذا ما تبين ان التنبيه عديم الفائدة، كانوا يضربونه ضربا خفيفا على اليد اليسرى إذا ما مدها لتناول شيء ما، فإذا ما اعيتهم الحيلة في ذلك، كانوا يلجأون إلى جرح أحد أصابع اليد اليسرى جرحا خفيفا، ثم يضمدونها ويربطونها إلى كفه بشكل جيد إلى أن يعتاد الطفل استعمال يده اليمنى، وبهذا كانوا يدربونه على استعمال اليد اليمنى في الأمور الصعبة الحياتية عامة.

المرجعية الدينية لتفضيل اليمنى على اليسرى عند الشراكسة

يؤكد (مامخيغ) بأن المفهوم الرمزي لدى الشراكسة المتعلق بالجهة اليمنى له مرجعيته الدينية، فالشراكسة يؤمنون أنه وبحسب القرآن والعقيدة الإسلامية يتواجد لدى كل إنسان ملاك على كتفه الايمن يقوم بتسجيل اعماله الصالحة كلها، وعلى كتفه الأيسر ملاك يسجل الاعمال السيئة كلها، حيث سيتم موازنتها يوم القيامة فمن رجحت كفة ميزان حسناته ذهب إلى الجنة والعكس يذهب إلى النار وكذلك فإن الموازنة بين الحسنات في الجهة اليمنى والسيئات في الجهة اليسرى، الموجودة في الديانات السماوية الثلاث الاسلامية والمسيحية واليهودية وغيرها من الديانات القديمة الاخرى، ترتبط مع أصل الأفكار الانسانية حول بدء الخليقة، وحول الصراع الأبدي بين الخير والشر، وحول وجود عالمين روحي ومادي.

اما المفهوم الرمزي التشاؤمي للجهة اليسرى لدى الشراكسة فإنها تتمثل في الاستخدامات التالية:

- الفارس الذي يحمل نبأ سيئا مثل نبأ وفاة، كان يسرع منطلقا بالقدم اليسرى وكانوا يخبرون الفارس الذي يحمل نبأ سيئا يهمز حصانه بيده اليسرى ويمسك المقود اللجام باليمنى، بينما في الاحوال العادية يكون العكس، وحامل النبأ السيّئ كان ينزل من على صهوة جواده بوضع قدمه اليسرى على الأرض اولا.

ومن العادات التي كانت متبعة بعد العودة من دفن (الموتى) إلى منزل الأهل أن يقوم من يرغب في قول شيء لأهل المتوفى أن يرفع يده اليسرى ممسكا شحمة الأذن اليسرى ويقول (أحسن الله عزاءكم)، وأما رفع اليد اليمنى مقام اليد اليسرى فهو غير محبب لأن رفع اليمنى للدلالة على الفرح والسرور.

المجموعة التاسعة: عادات ومراسم المآتم لدى الشراكسة (الحداغة)

مارس قدماء الشراكسة واجدادهم مجموعة من الطقوس والعادات في حالات الوفاة منذ عهد الفكر الديني الوثني قبل الآلاف السنين، منها:

- تفريغ احشاء الميت وعرضه لمدة اسبوع بكامل ملابسه على الناس.
- جلوس زوجة المتوفى (الكبرى) عند رأسه بدون بكاء كما يقف بجواره اثنان من اقربائه من كبار السن بجواره فيما تقوم فتاة بعملية (كش) الذباب من على وجهه بمنديل من الحرير.
- دفن الميت بكامل ملابسه وزينته وقسما من ممتلكاته الثمينة.
- ربط الحصان على القبر، وتركه يدور حوله ثلاث مرات ثم قطع أذنه اليمنى ورميها داخل القبر.
- عرض ملابس المتوفى وأسلحته وجواده بكامل تجهيزاته قبل دفنه بعدة أيام.
- ذبح الذبائح وإقامة الولائم للميت، وتسمى (حده اوس).
- تقديم العاب استعراضية على الخيول بعد الدفن واطلاق السهام في الهواء.

واما العادات التي كانت تتم في الفترة التي كان الشراكسة فيها مسيحيين هو وضع مقص مفتوح (على شكل صليب) على بطن الميت اعتقادا منهم بأن ذلك يساعد على عدم انتفاخ الجثة، وظلت هذه العادة مستخدمة حتى بعد اعتناقهم الإسلام.

وأما العادات والمراسم التي كانت تمارس بعد دخولهم الإسلام في حال حدوث وفاة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- جرت العادة أن تقام صلاة الجنازة في المقبرة وليس في المسجد.

- يعود جميع من شاركوا في الجنازة إلى بيت المتوفى والوقوف في صف أو نصف دائرة ويقومون بالدعاء للمتوفى بشكل جماعي وهي المراسم التي تسمى بالشركسية (دوة) أي الدعاء الجماعي.
- من العادات المتعارف عليها عدم جواز القيام بأية زيارة للاقارب او الاصدقاء بعد المشاركة بالجنازة، واعتبارها نذر شؤوم لأهل الشخص الذي تمت زيارته.
- قيام أهل المتوفى وأصدقاؤهم من الجنسين بتلاوة القرآن في العزاء ويتم فيها ختم القرآن.
- مدة العزاء عند الشراكسة أسبوع كامل، كما أن العزاء يكون مفتوحا صباحا ومساءً *.
- من العادات التي يلتزم بها الشراكسة هو الدعاء للميت وقراءة الفاتحة عند دخول شخص أو مجموعة من الأشخاص لبيت العزاء، حيث يقف الأكبر سنا من المعزين بقوله: (آمين) وهو يعني أن يقف جميع من في العزاء ورفع الأيدي والدعاء للمتوفي ثم قراءة الفاتحة، وأحيانا يكون الدعاء علنا حيث يقوم الجميع بقول (آمين) بعد كل دعاء.
- لا يجوز لأهل المتوفى مغادرة بيت العزاء خلال فترة العزاء والذهاب لأي مكان لتناول الطعام وإنما يقوم الأقرباء والأصدقاء المقربين والجيران بإحضار الطعام إلى بيت العزاء يوميا.

* لم تعد الكثير من العائلات الشركسية في بلاد المهجر التقيد بالسبعة أيام ويكتفون بثلاثة ايام كما أصبح العزاء في فترة المساء فقط للرجال والصباح للنساء.

- تقدم خلال فترات الصباح او المساء (اللقم) للموجودين في بيت العزاء وهي اكلة شركسية مصنوعة من (العجين المحلى) مقطع بشكل قطع مستطيلة صغيرة ويتم قليها بالزيت.
- يفتح بيت العزاء ايام الاثنين والخميس من كل اسبوع لمدة اربعين يوما لاستقبال النساء المعزيات اما عزاء الرجال فهي سبعة ايام فقط.
- تتم دعوى الاهل من النساء والرجال في اليوم الاربعين من تاريخ الوفاة لقراءة القرآن وعمل ختمة للقرآن ويقدم خلالهم طعام الغداء.

المجموعة العاشرة: العادات المرتبطة (بالخواخة) عامة "رفع الانخاب"

يقول (جموخة) بأن الانخاب (الخواخوة) بدأت كتعبير عن تعويذات (سحرية) والتوسل لإطلاق القوى الخفية، أو لاسترضاء الآلهة. وكانت صناعة الطقوس المعقدة تسبق وتترافق مع المناسبات والفعاليات الاجتماعية. كما كان قوم (النارتيين) يرفعون الانخاب في مناسبات عديدة منها أنخاب للقمر، والحراثة، وتوالد القطيع، والموسم الزراعي الوفير، والحياة الزوجية. الخ كما كانت العادة أن ترفع الأنخاب تضرعا إلى إله الغابات (فر– تحه) قبل الخروج للصيد [1].

وكذلك فإن (يخول) يقول في مقال له بعنوان (الخواخوة – الأدعية الشركسية، نشأتها، وتطورها) بأن الانسان كان يضطر قديما لاعطاء تفسيرات للعديد من الظواهر الطبيعية ولكثير من الأمور التي تعترضه في حياته.

فمثلا كان يعتقد بأن المرض يأتي من الأرواح الشريرة، فيعمد إلى طرد هذه الأرواح بالنفخ على المريض مع ترديد بعض الادعية.

كما يجدون في الرقص فوائد جسمانية ونفسية يقومون بالرقص في كثير من المناسبات، مرددين بعض الأدعية، وكذلك إذا سمع أحدهم صوت الرعد كان يقوم بترديد بعض الادعية التي يتقي بها شراً.

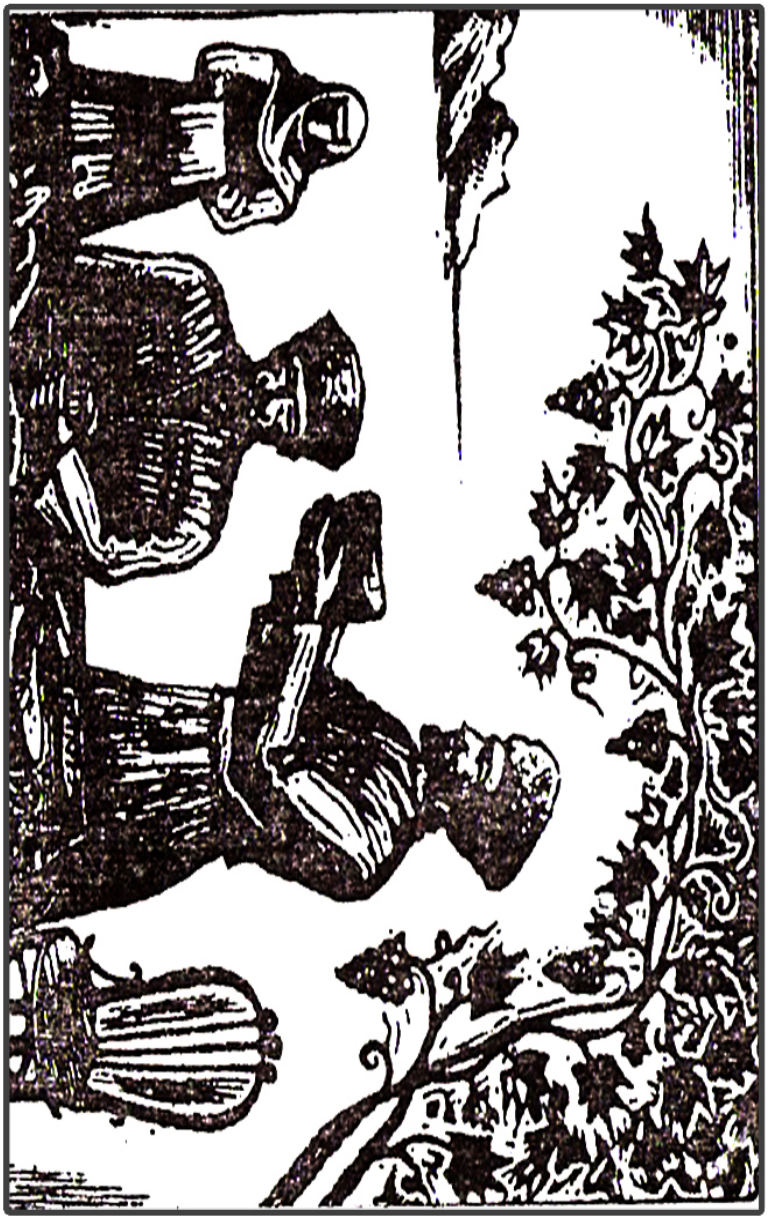

صور تمثل اسلوب رفع الانخاب (الخواخة) عند الأمة الشركسية في الوطن الأم

بالبحث في تاريخ (الخواخوة) منذ عصر الأجداد وجد بأنه يتكون من نوعين من (الأنخاب) **فالأول**، الأنخاب التي تلقى في الولائم ويخاطب فيها أحد الآلهة التي كان يعبدها الجراكسة. **والثاني**، يعتقد بأنه أكثر قدما، ويتألف من مجموعة من الأنخاب هي أقرب إلى الرغبات أكثر منها توسلات للآلهة فعلى سبيل المثال:

إذا انحبس المطر كانت هناك أدعية معروفة يتم التقرب بها من (إله المطر) وانطبق هذا على الشراكسة عندما كانوا متأثرين بالمعتقدات المجوسية (الوثنية) حيث كانوا يعتقدون أن لكل شيء (إلها) يتحكم فيه، فكان للمطر عندهم إلها، وللريح والرعد والجمال والغلال آلهة، حتى بلغ عددها بالمئات إن لم يكن بالآلاف، وكانوا يتقربون إلى هذه الآلهة بالأدعية المتعلقة بكل منها.

*** أنواع الخوخوة:**

نشأت "الخواخوة" واصبحت من طقوس المناسبات المختلفة مثل مناسبات الاعراس حيث كانت هناك "خواخوة" تتعلق بالعريس وأخرى تتعلق بالعروس. و"خواخوة" خاصة بالطفل في يوم وضعه في (الجوشه) السرير، وأخرى في يوم تعليمه المشي، وخواخوه عند تجهيز سكة المحراث، وعند الخروج إلى العمل، وعند الخروج إلى العمل، وعند دخول البيت الجديد، وعلى مآدب الأكل والشراب وعند ولادة قمر جديد.

حيث كانت العادة أن يقدم نخب "ولادة القمر الجديد" بقولهم:

القمر الجديد الذي طلع
لينشر نوره علينا
ليته يكون لطيفا معنا
ليته يكون صحيحا معافى
ويأتينا بالجو المفيد

والحظ السعيد في أوله.

ليته يبقينا سالمين وصالحين!

نتمنى ونصلي

لأن تفتح الحرب والقتال

الطريق إلى السلام والانسجام [٣٢]

ومع مرور الزمن تطورت عادة (الخواخوة) وبما يتناسب مع تطور وتغيير الحياة الاجتماعية والعقيدة الدينية، فمثلا لم يعد هناك مجال لتوجيه الدعاء إلى الآلهة المتعددة بعد انتشار الأديان السماوية التي تحرم الاعتقاد بتعدد الالهة.

كما أن تغير مظاهر الحياة الاجتماعية الشركسية ألغى الكثير من المناسبات التي مر ذكرها، وأصبح تداول "الخواخوة" مقتصرا وبشكل مبسّط على المآدب والمآتم والأعراس واستقبال الضيوف وتوديعهم.

وفي العصور اللاحقة أصبحت (الخواخوة) وسيلة تربوية، إرشادية مهمة، تشكل شخصية الفرد وتعطيه الثقة بالنفس وتنمي فيه ملكة الخطابة وتساعد على روح الود والمحبة بين أفراد المجتمع.

ولم يكن بين الشراكسة من كبار السن، من لا يتقنها بدرجات متفاوتة والشخص الذي يقول (الخواخوة) كان في الغالب، من كبار السن ممن لديهم تجربة كبيرة في حياتهم ويتميزون بقوة لغتهم وفصاحتهم وغزارة الألفاظ والمعاني التي يحفظونها.

والخواخوة القوية المشهورة كانت تنتقل بالتواتر من داخل المحيط القريب ثم البعيد ويتم ترديدها في المناسبات ذات الصلة بنفس المناسبة.

وقد وصلنا الكثير منها، بعد ان تم توثيقها في الوطن الأم في قفقاسيا.

كما أن هناك "خواخوات" مشهورة ارتبطت بأسماء واضعيها وذلك لقوتها وشهرتها ونذكر من أصحاب (الخواخوات) المشهورة في أوائل القرن العشرين: لا

شي اغتوقوي، بيتشميرزي باشا، فيلشيفوي سيجاجي، وجميعهم كانوا فنانين وموسيقيين وشعراء أيضا.[٣٢]

وتشير الوقائع بأن ما من شركسي من كبار السن في بلاد المهجر لم يكن يملك القدرة في قول (الخواخوة) بكلمات ملائمة لجميع المناسبات الاجتماعية، خاصة وان عادة (الخواخوة) كانت جزءا من التراث الشعبي الشركسي في بلاد المهجر التي يتواجد فيها الشراكسة في قرى ومدن وتجمعات ذات اغلبية شركسية في كل من تركيا والأردن وسوريا وفلسطين وفي بعض مناطق الولايات المتحدة الامريكية مثل ولاية نيوجرسي، وأناهايم في كالفورنيا، وفي المانيا خاصة في مدينة ميونخ.

*** طقوس رفع الانخاب (الخواخوة)* على الموائد:** [٢٥]

يطبق الشراكسة حتى يومنا الحاضر الطقوس والمراسم المتعلقة بعادة (الخواخوة) ورفع الانخاب بالمناسبات الاجتماعية والولائم.. وتتلخص بالطقوس والمراسم التالية:

- يبدأ (بالخواخوة) ورفع النخب (التحمادة) او الاكبر سنا على المائدة ويكون (شرب النخب) على شرف اكبر الضيوف سنا في حال وجود ضيوف أو على شرف المضيف.
- يبقى (التحمادة) جالسا في مكانه ومعه اكبر الضيوف سنا ويتكلم وهو جالس بينما يقف جميع الجالسين على المائدة إلى ان ينهي (التحمادة الخواخوة).

* (الخواخوة) عند الشراكسة هو عبارة عن الحديث او الكلام الذي يقوله الاكبر سنا على المائدة او في حفل جماعي، وتتضمن (الخواخوة) فضائل ومحاسن وكرم الضيف ان كان النخب باسمه، وعن المضيف كان النخب على شرف المضيف، وحسب العادات لا يجوز البدء بتناول الطعام ما لم تبدأ طقوس (الخواخوة)

- لا يجوز لأي شخص على المائدة تناول الطعام او الشراب خلال عملية الخواخوة كما لا يجوز بأي حديث جانبي على المائدة.
- يبدأ تناول الطعام بعد انتهاء طقوس (الخواخوة) بدعوة من التحمادة او الاكبر سنا.
- بعد فترة من انتهاء (الخواخوة) الأول يطلب اكبر الضيوف سنا من (التحمادة) السماح له (برفع نخب) ردا على (الخواخوة) الأول ويرفعها وهو جالس ان كان كبير سن كما يبقى (التحمادة) جالسا في مكانه بينما يبقى الآخرون وقوفا خلال عملية (الخواخوة).
- هكذا يتم تبادل رفع الانخاب من قبل الضيوف والمضيف وبحسب ترتيب السن أو المكانة ويكون المضيف آخر من يقوم بعملية (الخواخوة) إلا أن مراسمها تنتهي برفع نخب التحمادة، ويباشر الضيوف الذين ينهضون عن المائدة بإبداء تحياتهم الطيبة لصاحب الدار قائلاً (ليكثر الله من خيراتك وليتضاعف لديك الخبز والملح) فيجيب صاحب البيت (هنيئا لكم ما أكلتم وشربتم).[٢٦].
- في حال ما تطلب الأمر ان يجري خلال رفع الانخاب طرق الاقداح، فإن الأصغر سنا يبقي كأسه أدنى مستوى من كأس الاكبر سنا.*

* كانت العادة عند القيام بـــ (الخواخوة) رفع كؤوس فيها المشروب الشركسي (الباخسمة) وهو شراب مصنوع من الدخن Millet (البوزة) مع نوع آخر من الشراب ممزوج بالعسل ولا يشربون (نبيذ) العنب او الذرة. وفي العصر الحديث أصبح شراب الانخاب (مع الاسف) هو نوع من أنواع المشروبات الكحولية في الوطن الام. اما الشراكسة في البلاد العربية والدول الاسلامية فمنهم من لا يرفعون (انخاب) وانما يقومون بطقوس (الخواخوة) دون تناول المشروبات الروحية. وقد يرفعون ماء او مشروبات غازية بدلاً من الباخسمة او المشروب.

المجموعة الأخيرة: عادات اجتماعية متفرقة

* من العادات الاجتماعية المتعارف عليها بأنه لم يكن الانسان الشركسي يهدي سلاحه أو (قلبقه) (طاقيته) كما كان حريصا كل الحرص ان يضعه في مكان مناسب، والويل ان قام باسقاط قلبق شخص ما على الأرض أو أحد رماه على الأرض.. لأنه يمثل رمزاً لشرف الرجل الشركسي.
* لم تكن تسمح العادات الشركسية ان يسكن او يقيم الصهر في بيت اهل الزوجة مهما كانت الظروف والاسباب.
* جرت العادة ان لا يستعمل الشراكسة أية القاب عند التخاطب حتى إن التابعين (البشل) كانوا يخاطبون مرؤوسيهم بأسمائهم المباشرة، مع عدم مخالفة التقاليد باحترام الكبار في السن والمكانة..
* من العادات الشركسية ان لا يتباهى الشخص ببطولاته او انجازاته عامة وامام والده خاصة.

والكاتب الشركسي (ت. م كيراشييف) يقدم لنا في روايته (الفارس الوحيد) وصفا لإحدى المواقف التي تعبر عن مدى تمسك الشراكسة بهذه العادة قائلاً:

"... وصلت إلى مسامع الأب الأنباء عن الأعمال البطولية التي قام بها ابنه عندما كان الوطن يتعرض للخطر، ولا شك ان تلك الانباء كانت سارة جدا بالنسبة للاب، ولكنه لم يبد في تصرفاته الظاهرة للعيان أي مظهر من مظاهر السرور والاعجاب، ومع ان الابن كان في ريعان الشباب، فقد تفهم ذلك تماما وتصرف بشكل مناسب، وادرك انه من غير اللائق بالنسبة للرجل الشركسي التباهي امام والده بأعماله البطولية، ولكن وفي إحدى المرات وبعد انتصاره على الجميع من في مبارياته الرياضية، لم يتمالك نفسه وروى كيف هزمهم في مختلف أنواع الرياضات، وفورا وجه إليه والده ملاحظة قائلا يا بني: "**إن من يتفاخر بالبطولات الصغيرة لن يحقق الكبيرة منها ابدا**".

عادات (الشابشة) وهي الحفلات التي تقام للشاب الذي يجرح في الحرب أو الذي يصاب بكسر في احد اعضاء جسمه.

وفيها يقوم الشباب من الجنسين بزيارة المصاب في بيته وتنظيم حفل هادئ بهدف (الترفيه عنه) وتخفيف آلام الإصابه ومن أهم مراسم (الشابشة) هو تنظيم ألعاب خفيفة يشارك فيها الشباب من الجنسين، ومن هذه الالعاب لعبة "أوباواة" حيث تقوم إحدى الفتيات بصنع (قرص دائري من الخبز أو الكعك) القاسي وفي منتصفه (تفاحة) أو أي فاكهة أخرى دائرية الشكل ويعلق (القرص) في سقف البيت بحبل... وتبدأ اللعبة بوقوف اثنين من الشباب متقابلين وبينهما القرص المتدلي من السقف (واليدين مشبكتين وراء ظهريهما)، ويتم أرجحة القرص مثل تأرجح (بندول الساعة)، وعلى كل من الشابين قضم قطعة من القرص في كل حركة... والشاب الذي يصل إلى (التفاحة) يفوز باللعبة، وتنتهي اللعبة في وسط من المرح والسرور والابتهاج.

العادات والتقاليد والطقوس التي (نسخت) او تغيرت مع تغيير المعتقدات الدينية والنظم الاجتماعية... الخ.

يجد الدارس للعادات الشركسية وتقاليدها واعرافها وطقوسها التي كان يمارسها قدماء الشراكسة واجدادهم منذ الاف السنين حدوث (نسخ) او تغير أو تعديل او إضافة أو الغاء، ومن أهم العادات التي نسخت بالكامل أو تغيرت مع مرور الزمان هي:

١) نسخ عادة قتل المسنين

يقول (مخوص) يولد الإنسان طفلا صغيرا ويربى ويهدهد حتى يكبر، فإذا أصبح مسنا اعادوه إلى المهد وكالطفل هدهدوه، واعتنوا به وإن لم يمت أخذوه إلى جبل وتركوه، وحده هناك.

ومن القصص التي وردت في اساطير النارتيين، بأنه حدث في إحدى المرات أن حمل النارتي (بادينقو) والده على ظهره، وذهب به إلى الجبل ليرميه حسب العادة القديمة، وزلت قدمه أثناء الصعود، فوقع فضحك والده، ولم يفهم (بادينقو)، كيف يضحك ابوه بدلا من ان يحزن، فسأله ما الذي اضحكك، فأجاب الوالد: يا بني، قبل سنوات طوال، وبينما كنت احمل والدي، في نفس هذا المكان، زلت قدمي في نفس هذا الطريق، فضحك والدي، ولم افهم ذلك في حينه، والان فهمت، لماذا ضحك، وإنني اعرف الآن، ان ابنك ايضا، سيحملك إلى هنا ويقتلك، لذلك اضحك!! [٢٩] ونسخت هذه العادة بعد تلك الحادثة*.

٢) **نسخ عادة قيام قاتل الزوج بزواج امرأة (عدوه) حتى ولو كان متزوجا.**

٣) **الغاء من عادات نساء الجراكسة قديماً هو قيامهن بتصغير اقدامهن** بوضعها منذ الصغر في احذية ضيقة ليعقن نموها ولتصبح شكلها صغيرة وجميلة، كما كن يلبسن مشدات في الوسط ليصبحن نحيلات الخصور ممشوقات الجسم.

٤) **الغاء عادة الخياطة حول صدور الفتيات**

كانت العادة أن يخاط حول صدور الفتيات غلاف من الجلد قبل تجاوزهن السابعة من عمرهن كي يمنعن نمو الصدر ويكسبّن الجسم قواما ممشوقا. وعندما تتزوج الفتاة كان على الزوج ليلة الزفاف ان يقطع خيوط الغلاف الجلدي المخاط

* ذكر الباحث (يخول) في مجلة الاخاء، العدد (١١١) اصدار كانون اول عام ٢٠٠٠ رواية حول هذه العادة ملخصها: " عندما وصل والده (شاتان قوة) إلى سن الشيخوخة، حمله كي يلقي به عن الجبل المخصص للتخلص من كبار السن (كعادة النارتيين القدماء) وعندما القى السلة التي حمل بها والده، تعلقت بأغصان شجرة، فلما نظر الابن رأى والده يضحك، فسأله عن سبب ضحكه في مثل هذا الوضع الحرج، فأجابه لأنك سوف تلقى نفس هذا المصير عندما تكبر وسوف يلقي بك ابنك كما فعلت بي، وكما سبق ان فعلت انا مع أبي. (فالروايتان إن اختلفتا في الأحداث فإن المغزى والعبرة واحدة).

حول صدرها (بالقامة) دون ان يؤذي صدرها او يحز في الغلاف نفسه، فإذا ما اخطأ اثناء ذلك واصاب جسمها او الغلاف الجلدي بجرح او خدش اعتبر ذلك عارا عظيما. وبعد ازالة الغلاف كان يبدأ صدر المرأة بالنمو السريع، ويتضخم ثدياها بسرعة فائقة حتى يكتمل نموهما وهذه العادة القديمة بقيت متبعة حتى تهجير الشراكسة عام ١٨٦٤.

٥) نسخ عادة الثأر من جميع افراد عائلة القاتل

كانت العادة عند حدوث قتل او اغتيال متعمد وغدراً بأن تقوم عائلة المغدور بالانتقام من كل فرد من ذوي عائلة وعشيرة القاتل صغيراً وكبيراً، أي أن اولاد القتيل كانوا يثأرون له واحدا واحداً دون تميز.

واذا اراد القاتل الخلاص من الانتقام من قبل اقارب القتيل كان عليه ان يأخذ بنفسه او بواسطة احد اصدقائه ولدا ذكرا من بيت المقتول أو عائلته ويتخذه (قان) اي (ربيبا) وأن يعنى بتربيته كأحد اولاده او احسن منه، ثم يكسوه بأحسن ما عنده من الملابس ويهديه خير ما يملكه من الخيل والاسلحة، ثم يرده إلى بيت ابيه بكل حفاوة واكرام وبمراسم خاصة وفي هذه الحالة كان يعتبر هذا الغلام (المربي) مقابل دم ابيه القتيل.

٦) نسخ العادات المرتبطة (بالخطف) بالاكراه او القوة

تغيرت العادات المتعلقة (بالكمين) للخاطفين وقتل الحصان، او قتل المهاجمين (في بعض الحالات) إلى عادة وضع عوائق على الطريق الذي يسلكه الخاطف واصدقاؤه وطلب فدية ان تمكنوا من اللحاق بهم... الخ.

وأما (الكواسة) بالطرق السلمية والشرعية ما زالت مطبقة حتى يومنا الحاضر في الوطن الأم وفي بلاد المهجر بشكل قليل جداً.

٨) **نسخ جميع الطقوس والعادات الوثنية** التي كانت تطبق في حالة حدوث وفاة بعد اعتناقهم الديانة المسيحية ومن بعدها الدين الاسلامي الحنيف ولم يعد من تلك العادات الوثنية اية عادة اطلاقا باستثناء (حدة اوس) وهي اقامة الولائم بعد الدفن مع بعض التعديلات عليها، فالولائم تقام في الوقت الحاضر بعد (الاربعين) يوما من الوفاة، اما عادة التمثيل بإطعام الميت من قبل الاهل فقد نسخت واستبدل بها إطعام الفقراء والمساكين.

٩) **نسخ عادة قيام الزوجة بزيارة قبر الزوج مدة اربعين يوما** والجلوس على القبر عدة ساعات يوميا، وكانت تسمى عادة (الجلوس على القبر) بل العكس، فإن العادة وحسب الشريعة الاسلامية بأن الزوجة تبقى في المنزل ولا تخرج اطلاقا إلا في حالات المرض او الضرورة القصوى حتى انتهاء مدة (العدة) وهي ثلاثة اشهر.

١٠) **نسخ عادة (الديور) وهي العادة التي ادخلها الشيوخ (المولا)** الاتراك إلى بلاد الشراكسة في الوطن الام وكانت هذه العادة متمثلة بمفهوم (شراء ذنوب وخطايا الشخص المتوفى) من قبل الحاضرين في الجنازة.. حيث كان يطلب (المولا) من أهل المتوفى وضع مبلغ من المال داخل (صرة) والقيام بتمرير هذه الصرة من شخص إلى شخص آخر من الاشخاص العائدين من الجنازة الذين كان يصطفون في ساحة منزل المتوفى.. وكانت مراسم (الديور) تتمثل بتمرير (الصرة) التي تحتوي على نقود من يد (المولا) أولا إلى الشخص الذين يقف على يمينه قائلا (هل تقبل شراء ذنوب وخطايا المتوفى) فيجيب الشخص المتلقي للصرة (نعم قبلت ذلك) ... وهذا يمرر (الصرة) بدوره للشخص الذي

يليه... وهكذا إلى ان تعود الصرة (للمولا) او الشيخ فتصبح الصرة بما فيها من اموال من حق (المولا) أو (الشيخ) *.

١١) **نسخ عادة انتقال الزوج إلى بيت الزوجة** وكذلك توريث اهل الزوجة بعد انتهاء سلطة الام وانتقال السلطة لدى قدماء الشراكسة إلى الاباء.

١٢) **الغاء العادات المرتبطة بالطبقية بعد انتهاء عهد سيطرة الامراء** (البشي) والنبلاء (الاوزدن) والرؤساء (التحمادات) خاصة ما يتعلق منها بالاتباع (البشل) والخدم (ونه – وَت) وكذلك عادات منع التزاوج بين انسال الامراء والنبلاء والامراء وبين الفئات الاخرى من طبقات الشعب.

حاضر ومستقبل العادات والتقاليد والاعراف (الخابزة) الشركسية في الوطن الام وفي بلاد المهجر

ان من اكثر القضايا القومية التي تشغل بال المفكرين والمهتمين بالدراسات القومية الشركسية والتراث القومي داخل الوطن الام وخارجه في بلاد الشتات هو حاضر ومستقبل العادات القومية الشركسية (الخابزة) التي يعود تاريخ بعضها إلى آلاف السنين، والبعض الآخر إلى اكثر من ثلاثمائة سنة ومن اكثر الباحثين والباحثات الشراكسة الذين يبدون تخوفا كبيرا على حاضر ومستقبل العادات الشركسية (أديغا – خابزة) هي الكاتبة الشركسية (رايا مامخيغ) التي قدمت دراسة في كتابها (لمحات عن العادات والتقاليد الشركسية) ونقتبس منها الفقرات التالية:

"أما فيما يخصنا نحن (الأديغا) فقد آن الوقت من زمن للتوقف والتمعن: هل نحن اليوم فعلا شراكسة مقارنة (بالاديغاخابزة) والتقاليد الشركسية، نحن الذين ساد

* ظلت هذه العادة مطبقة حتى الخمسينات من القرن العشرين في بلاد المهجر.. بالدول العربية وانا شخصيا شاهدت تطبيق هذه العادة في الأردن.

الزي الوطني الخاص بنا منطقة شمال القفقاس كلها، بما في ذلك جورجيا ولدى قوزاق نهر تيرك وكوبان ؟!

وتقول أيضا: "يجب ان نملك الشجاعة للاعتراف: كلا للاسف لقد فقدنا الكثير ولا زلنا نفقده مع الزمن، ولهذا أسبابه طبعا منها ما هو موضوعي ومنها الذاتي، ولكن السبب الاساسي يعود إلينا، وإلى التربية البيتية والأسرة الشركسية".

وتستطرد (مامخيغ) قائلة:

"...الناموس الشركسي هو فخرنا القومي والذي لا يعرفه إلا القليلون في أيامنا هذه: أي مواصفات اخلاقية يفترض وجودها لدى الشباب والفتيات؟ وما حدود السلوك المرسومة لكل نواحي الحياة والنشاط الاجتماعي والإنساني؟ "

"إلا أن الصفات القومية والشخصية الوطنية تختفي رويدا رويدا عند افتقاد اللغة القومية، وتختفي معها الثقافة الوطنية والتاريخ ايضا.

فما الذي سيمحو آثامنا؟

"بعد ثورة أكتوبر اعجبنا كلنا بـــ "الاتحاد الابدي للجمهوريات الحرة"، و"الاخ الأكبر العظيم والصداقة الأممية"، ولم يتعمق الكثيرون منا في مغزى الكلمات (قومية في الشكل واشتراكية في المحتوى)".

"وبغرض تربية الأجيال الشابة، بذلت أجهزة الراديو والتلفزة الروسية المركزية، جهودها وأصبحنا نمارس عادة التخاطب باللغة الروسية وبالأغاني والحكايا والثقافة الروسية، والأدب والتاريخ الروسي، حتى إننا في وقت ما كدنا ننسى اننا شراكسة، ونخجل إن تذكرنا ذلك.

وقالت أيضا: وحين استيقظنا في (البيروسترويكا) وجدنا انفسنا، **اننا لم نصبح روسا بعد ولكننا لم نعد اديغا، وأي أديغا نحن؟** إذا كان شبابنا وخاصة في المدن لا يكتبون ولا يقرؤون ولا يؤلفون بلغتهم الأم؟ ويمكنهم التعرف على مؤلفات

الكتاب الشراكسة والشعراء والنقاد فقط من خلال اللغة الروسية (بعد الترجمة)، حتى تاريخ الشعب الشركسي لا يصل إليهم باللغة الروسية.

ثم تساءلت قائلة: "من الواضح ضمن هذه الظروف في أي حال هو مستوى معرفتهم بالأديغا خابزة والناموس الشركسي".

ومما يدعو للحزن والشفقة والسخرية ان نرى العديد من الشباب المثقف (إلى حد ما) يتحدثون مفاخرين بالصفات القومية (للأديغا) التي تذكرها مؤلفات الكتاب الأوربيين دون أن يخجله أنه هو نفسه لا يمتلك هذه الصفات. وللأسف فإن العديد من كبار السن ابتعدوا ايضا عن الاهتمام بتربية الشباب وحتى بالنسبة للمقربين منهم متماشين مع واقع الحال.. (إن الزمن الحاضر هكذا ومن غير الواقعي أن تخالف هذا الواقع).

نعم. إن الزمن الحالي صعب، وأصبح الناس اكثر جلافة ومادية وأنانية، أما الرومانسية وحب الجمال فقد اندحرا امام أفضلية المصلحة الشخصية وحب الذات، ويضيع اثر الصداقة الحقيقية والإخلاص للواجب، وما كان شائعا كونه مفخرة سكان القفقاس (احترام كبار السن) مهدد بالانقراض.

من المعروف ان كل أمة لها فكرها القومي الخاص وهو في أساس صفاتها القومية، وهذا ما يجب أخذه بالاعتبار عند تربية الاجيال الناشئة، وإذا لم نغذ في الشباب الناشئ فكره الوطني والقومي الخاص فمن الممكن ان يتربى طبيعيا بأفكار قومية أخرى، وسيعيش غريباً بتفكيره، ومفتقدا لقوميته، وليس علينا ان نذهب بعيدا لنحصل على مثال عما يحدث لشبابنا اليوم فحياتنا اليومية وسلوك شبابنا خير دليل على ما نقول.

فليس من النادر ان تسمع في أيامنا هذه احكاما مثل: "... من له الحق في ايامنا هذه، أيام العهد الديمقراطي ان يلزمنا بتدريس اطفالنا بلغة الاديغا؟!" اليست هذه إشارة الخطر؟ خاصة عندما تصدر من رئيس مجموعة تدريسية تمارس منذ زمن تعليم وتربية الاجيال الناشئة لبلدة كاملة؟! إن منافساتنا بخصوص مواضيع ممارسة العادات قد أماطت اللثام عن الكثير من الضياع وخير دليل على ذلك هو ما قالته إحدى شابات في القبرطاي قبل إقدامها على الزواج: "**سوف ابدأ حياتي الزوجية بأن أوقف زوجي عند حده قبل كل شي**" ويمكن التكهن ايضا أنها اخذت بالحسبان اهل زوجها وحددت لهم مكانتهم...

نعم لقد وصلنا إلى هذا الحد من تجاهل العادات الشركسية متجاهلين الاسس الوطنية، وبالنتيجة وعوضا عن تكون مجموعة متصادقة من مختلف القوميات تكونت أجيال من الناس (مسلوخة) من مميزاتها القومية.

وتختتم (مامخيغ) مخاوفها من اندثار واختفاء العادات والتقاليد الشركسية بقولها:

"**واليوم عندما تؤثر المسألة المعاشية على طريقة تفكير الناس بشكل رهيب، وتقضي على تصوراتهم السابقة عن الحدود الاخلاقية، نرى أنه من الضروري العودة بشكل خاص إلى أفضل ما في عاداتنا القومية وتقاليدنا، وأن ندعوها لتساعدنا في تربية اجيالنا القادمة**".

كما تقول: طبعا يجب التعامل مع هذا الموضوع بشكل موضوعي، والأخذ بالاعتبار الخصائص الزمنية والمتطلبات المعاشية والاخلاقية لمجتمعنا الحالي.

ونحن ندرك أن ليس كل ما تحويه العادات الشركسية يمكن الأخذ به حالياً ونطبقها في حياتنا الحاضرة، بل نوافق على هذه، وندع ذاك بحسب الواقع، وإنما المهم هو دراسة هذه العادات بعمق وتحليلها بشكل موضوعي ومبدع، وتحديد الغاية الاخلاقية من كل منها، والمتماشية مع التراث الفكري الانساني.[٣٠]

وكذلك فإن (ينال إيبار) يقول في كتابه (لمحات عن عادات الابخاز): (إن المحافظة على العادات لا تتم عن طريق تعليبها كما هو الحال بالنسبة للأصنام المقدسة، وإنما فقط من خلال الحياة اليومية وسلوك الناس، إن التقاليد تعيش وتؤثر باستمرارها فقط في المجتمعات الإنسانية، وإذا توقفنا عن الأخذ بهذه التقاليد ولو لجيل واحد فقط، فقدت للأبد بدون أي امل بإعادة بعثها في المستقبل).[٣١]

وفي بلاد المهجر فإن العديد من الكتاب والمختصين بقضايا القومية الشركسية يبدون قلقا شديدا حول حاضر ومستقبل العادات والتقاليد الشركسية، خاصة شراكسة المهجر في الدول العربية وتركيا.

*** العوامل الداخلية والخارجية التي لها علاقة على درجة تطبيق العادات والتقاليد وعلى مستوى الحفاظ على التراث القومي الشركسي**

يستنتج الدارس عن كل ما كتب حول حاضر ومستقبل (الاديغا خابزة) في الوطن الام وفي دول الشتات في المهجر عامة وفي الدول العربية وتركيا خاصة. بأن العادات والتقاليد القومية الشركسية مطبقة في الوطن الام، وفي بلاد المهجر، إلا ان تطبيقها يختلف باختلاف العوامل التالية:

العامل الأول: مكان السكن والإقامة الدائمة:

سكان القرى والمدن الصغيرة ذات الاغلبية الشركسية ما زالوا يطبقون العادات الشركسية بشكل جيد ويحافظون على التقاليد القديمة دون تبديل او تغيير، اما سكان المدن الكبيرة فإنهم اصبحوا اقل التزاما بالعادات والتقاليد.. وان هذه العادات تأثرت بعادات وتقاليد المجتمعات غير الشركسية الذين يعيشون في الوطن الأم إلا أن الشراكسة الذين يعيشون في المدن الكبيرة في بلاد المهجر هم اكثر تأثرا منهم في الوطن الام.

العامل الثاني: العمر

الشراكسة الاكبر سنا اكثر تمسكا بالعادات والتقاليد الشركسية القومية من الاصغر سنا في كل من الوطن الام وفي بلاد المهجر.

العامل الثالث: نوع التجمعات الشركسية وطبيعتها في الوطن الأم وبلاد المهجر

تشير الدراسات بأن الشراكسة الذين يعيشون في مجتمعات شبه مغلقة داخل المدن الكبيرة ذات الاغلبية غير الشركسية في الوطن الام او في بلاد المهجر اكثر حفاظا على العادات والتقاليد من الشراكسة الذين يعيشون في المجتمعات المحلية غير الشركسية. وحكمهم هو نفس حكم الذين يعيشون في القرى او المدن الشركسية.. فكل ما كانت البيئة الشركسية هي الغالبة في أي مجتمع، كان التمسك بالعادات أفضل كما هو الحال لدى الشراكسة الذين يعيشون في كل من ولايتي نيوجرس في باترسون واناهايم في كالفورنيا، وكذلك بالنسبة لشراكسة دمشق الذين كانوا يعيشون في حي المهاجرين، وشراكسة الاردن الذين كانوا يعيشون في كل من مناطق الشابسوغ وجبل عمان القديم والمهاجرين، فإن محافظتهم على العادات كانت اكثر بكثير من الذين عاشوا في اماكن متفرقة في المدن الاردنية.

العامل الرابع: وهو عامل الزمن من حيث قرب وبعد وقت الهجرة من الوطن الام

من الواضح جدا بأن عامل المدة التي مرت على هجرة الشراكسة من الوطن الام وعلى مدة تواجدهم في بلاد المهجر، له اثر كبير على القدرة في المحافظة أو التمسك بالعادات والتقاليد الشركسية مثلما حدث مع شراكسة مصر في عهد ملوك الشراكسة الذين انتقلوا بطريقة وأخرى من الوطن الام إلى الديار المصرية ابتداء من القرنين الثاني الثالث عشر بعد الميلاد الذين تشتتوا ايضا (بعد مذبحة القلعة في عام (١٨١١م) في كل من السودان وليبيا، وسوريا والعراق. حيث لم يعد للعادات والتقاليد الشركسية بين هذه الفئة من شراكسة الشتات وجود، وإن كان جيل الاحفاد يتذكرون بعض العادات التي كان يمارسها الاجداد، وأنهم معتزون

بانتمائهم للأمة الشركسية، وكذلك الأمر بالنسبة لأحفاد الشراكسة الذين هجروا وطردوا من الوطن الام قبل انتهاء حرب الإبادة والدمار الروسية او بعد انتهائها مباشرة فإن هؤلاء الاحفاد أقل تمسكا بالعادات والتقاليد من أحفاد الشراكسة الذين هاجروا في مراحل زمنية لاحقة، أي ان عامل الزمن يؤثر تأثيرا سلبيا على درجة التمسك بالعادات والتقاليد في حال غياب او في حال عدم توفر العوامل الأخرى سابقة الذكر.

العامل الخامس: درجة تقبل الانظمة السياسية للشراكسة في بلاد المهجر

نستنتج من الخبرات التي مرت بها الشعوب والمجتمعات الشركسية في بلاد المهجر بأن الانظمة السياسية المطبقة في تلك البلاد كانت لها ادوار سلبية وأخرى ايجابية كبيرة على درجة ممارسة الشراكسة لعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم القومي... والأمثلة (السلبية) على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي:

المثال الاول: تمسك الشراكسة في تركيا في عهد العثمانيين كان أكثر بكثير من تمسكهم فيها في عهد (كمال اتاتورك) الذي حارب القومية الشركسية واصدر الانظمة والقوانين التي تحرم على الشراكسة التحدث بلغتهم وممارسة عاداتهم والاحتفاظ بتراثهم القومي حتى وصل الامر من التطرف بأن اصدر قانونا يحرم استخدام اسماء العائلات الشركسية وتغييرها إلى اسماء تركية.

المثال الثاني: كان تمسك الشراكسة في سوريا في عهد العثمانيين أكثر بكثير من الفترات اللاحقة التي تم فيها الغاء المدارس الشركسية وجريدة (مارجَ)، وتغيير اسماء مؤسسات المجتمع الشركسي من جمعيات خيرية تعاونية قومية شركسية إلى جمعيات المقاصد الخيرية وحذف (اسم الشركسية منها).

المثال الثالث: ظل الشراكسة في الديار المصرية حتى انتهاء حكم دولة الشراكسة فيها وبدأ حكم العثمانيين فيها وكذلك تاريخ بدء حكم (الالبانيين) في عهد محمد علي الكبير اصبح ممارسة العادات الشركسية وتقاليدها من المحرمات بحكم مقاومة العثمانيين أولا ، وتخلص محمد علي الكبير من المصريين من اصول شركسية ثانيا، حيث تم القضاء التام على هذه العادات وتلك التقاليد ولم يعد لها وجود في تاريخ مصر المعاصر.

وأما الأمثلة الايجابية على علاقة التمسك بالعادات والتقاليد بالانظمة السياسية والايدولوجيات في بلاد المهجر فهي ايضا كثيرة تذكر منها:

المثال الاول: استمر تمسك الشراكسة في الاردن بالعادات والتقاليد لفترات اطول من غيرها من المجتمعات في الدول العربية الأخرى بفضل دعم وتشجيع نظام الحكم الهاشمي في الأردن، وأن هذا الدعم ساهم كثيرا في الحفاظ على التقاليد وفي المحافظة على الفلكلور القومي الشركسي مثل (الرقص) حتى اصبح هذا الفلكلور جزءاً من فلكلور الشعب الأردني، وكذلك بقاء تماسك المجتمعات الشركسية وتطور مؤسساتها الشركسية وتزايد اعدادها، وتزايد اعداد المؤسسات التعليمية التي تهتم بتدريس اللغة الشركسية وتعليم الفلكلور الشركسي عامة والرقص الشركسي خاصة، ويوجد في الأردن اليوم ثلاث فرق فلكلورية على مستوى فني عال جدا، كل ذلك بفضل وتشجيع السلطات الأردنية عامة والشعبية خاصة، وبفضل دعم الاسرة الهاشمية الحاكمة في الأردن ابتداء في عهد الملك عبدالله المؤسس لامارة شرق الاردن في عام ١٩٢١ ومروراً بعهدي الملك طلال بن عبدالله، والملك حسين بن طلال في الفترة من ١٩٥٢ – ١٩٩٩ وحاليا في عهد الملك عبدالله الثاني الذي سار على درب الاباء والاجداد في دعم وتشجيع شراكسة الأردن على التمسك بعاداتهم وممارسة فلكلورهم والحفاظ على هويتهم القومية الشركسية.

المثال الثاني: ان الشراكسة في الدول التي تتعامل مع الشراكسة في بلادها (كأقليات إثنية)، مثل الولايات المتحدة الامريكية، واسرائيل، والدول الاوروبية عامة، وفي المانيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا خاصة... اكثر قدرة على التمسك بعاداتهم وتقاليدهم ولديهم الحرية الكاملة للاحتفاظ بهويتهم القومية، من خلال منظمات ومؤسسات المجتمع المدني فيها إلا ان قلة اعداد الشراكسة في هذه البلاد، وصغر حجم المجتمعات الشركسية فيها تؤثر تأثيرا سلبيا على استمرار تطبيق وممارسة العادات والتقاليد الشركسية فيها.

مراجع ومصادر الفصل الرابع من الجزء الثاني في المجلد الأول

١) آبه – زاو، مصدر سابق، ص:٢١٠.
٢) نغموقة، مصدر سابق، ص:١٨٠.
٣) خوانقوه نادية حربي، خالدون، قازانوقة جباغي، مجلة نارت، العدد (٥٥) السنة (٢٤)، ١٩٩٥.
٤) دغوظ، فؤاد يجي، محاضرة حول الاديغة خابزة في الجمعية الشركسية في عمان ١٩٨٩/٧/٨ ص: ١-٩.
٥) مامخيغ، رايا عادل، لمحة عن العادات الشركسية، نشر باللغة الروسية في نالتشك في جمهورية كباردنيا بلقاريا، عام ١٩٩٣: وترجمه إلى اللغة العربية، نزيه جلاحج، دمشق عام ٢٠٠٥، ص: ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨.
٦) بيرغ، ايفان فيدروفيتش (رحالة روسي) حياة الشراكسة في شمال القفقاس (١٨٣٠-١٨٤٠).
٧) بل، جيم (رحالة انجليزي) كتب عن عادات الشراكسة وحياتهم الاجتماعية بعد أن تجول في بلاد القبرطاي وتشيركسيا أعوام ١٩٣٧-١٨٣٩.
٨) س. ب بويكو، الخداع في القفقاس، ونقلت عنه (مامخيغ) في كتابها لمحات عن العادات الشركسية، مصدر سابق.
٩) دي مونبير، فردريك، جغرافي وعالم طبيعة ومختص في الاثار، عاش في الاوساط الشركسية عام ١٨٣٣ وكتب عن حياة الشراكسة وعاداتهم وتقاليدهم في شيء من التفصيل.
١٠) انتريانو، جورجيو، تاريخ الزيخ (أجداد الشراكسة) عام ١٨٣٢.

١١) يخول، عاطف سعيد طاس، مقالة بعنوان سنة حلوة .... يا جميلة (من التراث الشركسي) دراسة منشورة في مجلة الاخاء، الصادرة عن فرع جميعة وادي السير.
١٢) جنكات، محمد خير، دراسة حول النظام التربوي مجلة الواحة عدد (١٣) السنة الثانية لعام ١٩٧٦ ص: ٨-٩.
١٣) برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، منشور باللغة التركية ترجمة عصام حتك، عمان ١٩٨٧، ص: ٨٧-٨٨.
١٤) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٨٩.
١٥) المصدر نفسه، ص: ٩٠.
١٦) شركس، مصطفى، التربية الشركسية، مصدر سابق، ص: ٩.
١٧) باولي ، جون، كتاب احتلال القفقاس، ونقلت عنه رايا مامخيغ في كتابها لمحات عن العادات الشركسية.
١٨) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٩٠.
١٩) المراجع الخاصة بالعادات المتعلقة بالزواج.
٢٠) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص١٣١-١٣٥.
٢١) اوزبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ٧٥.
٢٢) المصدر نفسه، ص: ٧٣.
٢٣) ل. غ. باغايتسييفا، العلاقات بين الشباب والفتيات في المجتمعات الشركسية، ص: ٩٦-٩٨.
٢٤) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ١٤٢-١٤٣.
٢٥) ن. دوبروفين، الشراكسة، كورسندار عام ١٩٢٧.
٢٦) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ١٤٣.

٢٧) ب. خ، بغاجنكوف، المرجعية الفكرية لتعابير التمني في اللغة الشركسية المنشور باللغة الشركسية في الاديغية.
٢٨) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ١٢١- ١٢٢- ١٢٤.
٢٩) مخوص، ارسلان، مصدر سابق.
٣٠) مامخيغ، ريا، مصدر سابق، ص: ١٩-٢١.
٣١) ايبار، ينال، لمحات عن عادات الابخاز، ص: ٢٠.
٣٢) جموخة، امجد، مصدر سابق، ص: ١٩٧ – ١٩٨.
٣٣) يخول، عاطف الحاج طاس، مجلة الاخاء، الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، الأردن، العدد (١٢٢) اصدار شهر حزيران ٢٠٠٥، ص: ١٤.
٣٤) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٣١-٣٣. (نقلا عن كتابات جيم بل، الرحالة الانجليزي الذي تجول في بلاد القبرطاي وتشركيسبا في الاعوام ١٩٣٧-١٩٣٩، مصدر سابق.

الفصل الخامس

الصفات والخصائص القومية المميزة

لشخصية الإنسان الشركسي

(١) الصفات ((القومية)) المميزة لشخصية الرجل الشركسي ((اديغة له)):

يؤكد علماء الانثروبولوجيا عامة والمختصون منهم بعلم دراسة الاجناس خاصة، بأن الرجل الشركسي كان يتصف بصفات قومية محددة ويمتلك خصائص نفسية وعقلية واخلاقية واجتماعية ومدنية ميزته عن غيره من الرجال في عصره، وان العشرات من علماء التاريخ واختصاص دراسة الاقوام، وكذلك العشرات من الادباء والشعراء والمؤرخين والرحالة تحدثوا دون تحفظ عن الصفات والخصائص والمزايا والخصال الحميدة التي كان يتحلى بها ((الرجل الشركسي)) منذ القدم مما جعل الشراكسة قوماً يتميزون برجولة رجاله ورزانة وجمال نسائه.

وفيما يلي أهم الصفات القومية التي تميز شخصية ((الرجل الشركسي – الاديغا – له)).

الصفة الاولى: الشجاعة والرجولة والمروءة:

ان من أهم الصفات القومية التي تميز شخصية الرجل الشركسي هي الشجاعة – ونستدل على ذلك من اقوال وكتابات العشرات من علماء الاجناس والمختصين في دراسة الشعوب القومية، كما هو مبين في الاقتباسات التالية:

كتب العالم المجري المختص بدراسة ثقافة الشعوب "جان شارل دي بس" عام ١٨٢٩ في أثناء جولاته.

"على الرغم من ان الشراكسة شعب كبير، شجاع ومقدام وصامد، إلا أن الاوروبيين يعرفون القليل عنهم، لذلك لن يكون من قبيل الإطالة إضافة بعض الملاحظات عن صفات هذا الشعب وهذا ما سأفعله، واستطرد قائلا:

"... لقد ذكر اسلافي من الكتّاب والرحالة أن كلمة شركسي مأخوذة من مقطعين في اللغة التترية نصفها يعني ((طريق)) ونصفها الآخر يعني ((قاطعا)) ولكنهم لم يفكروا بأخذ معنى الكلمة من الصفات الحقيقية لهذا الشعب ويقول مستدركا:

"ويجب الانتباه إلى ان معنى مقطعي الكلمة باللغة الفارسية هو (ذات شخصية ورجولة فائقة او محارب شرس) ومن هنا نستنتج ان ((الفُرس)) هم من أعطوا التسمية الحالية للشراكسة، وأنا آمل ان علماء دراسة ثقافات الشعوب سوف يجدون الأصل العلمي واللغوي العادل المتناسب مع نظرتهم للموضوع" [١].

ثم يتابع قائلا:

وأما القس الايطالي (جوفاني لوكا) قاد مهمة تبشيرية إلى القرم في القرن الثامن عشر ونقتبس هنا مقاطع من كتابه:

"... وفي تلك الغابات كان واحد من الاديغا يجبر عشرين تتريا على الفرار من أمامه.. إنهم يحترمون الكبار كثيرا... أهم شراب لدى هذا الشعب هو الماء المغلي مع العسل والمضاف إليه دقيق (البروسا) حيث يترك لفترة عشرة أيام لتخمر[٢] **وكذلك فإن ((مارتن برونوفسكي)) الدبلوماسي البولوني يتحدث في كتابه ((منطقة بيتيغورسك وسكانها)) الصادر في كيلين عام ١٥٩٥ باللغة اللاتينية والذي صدرت منه عدة طبعات وترجم إلى عدد من اللغات، عن القبرطاي وصفات الشراكسة كالشجاعة والبراعة العسكرية والكرم والنبالة.** [٣]

وأما "دورتيلي" فإنه يبرز المزايا القتالية للشراكسة بقوله: "... إنهم /يقصد التتار/ يهابون الذهاب إلى تشركيسيا حيث يتواجد هناك شعب مقاتل للغاية" كما يقول:

"... إن الشراكسة يفخرون بأصولهم ودمائهم النبيلة، ويكن لهم الاتراك احتراما بالغا ويدعونهم (تشيركيسي سباغا) اي الفرسان الشراكسة النبلاء.[٤]

واما "جورج انتريانو" من جنوا في ايطاليا كتب حول اصول الشراكسة في عام ١٥٠٢، ونقتبس منها الفقرات التي تتحدث عن شجاعة الشراكسة وشهامتهم ورجولتهم فيقول:

"وحين ينامون في فراشهم يتوسدون دروعهم المصنوعة من الحلقات الحديدية المتصلة ويضعون باقي اسلحتهم على جوانبهم لكي تكون في متناول يدهم اذا قاموا من نومهم فجأة، وفراشهم مصنوع من الجلد المملوء بالقش.

"... واما مساكنهم فمصنوعة من الخشب والقصب اذ من العار عندهم ان يحيط سيد او امير بيته بسور عال، او حائط مرتفع، او يبني لنفسه بيتا من الحجر، لأنهم يعتبرون ذلك دليلا على جُبنه وضعفه، وانه عاجز عن حماية نفسه، ولا تجد في طول البلاد الشركسية وعرضها سورا أو حصنا، فيسكنون تلك البيوت الخشبية البسيطة".

"... وأما القلاع والحصون القديمة الباقية في بلادهم فلا يستعملها إلا بعض الفلاحين لايواء الحيوانات أو حفظ الغلة فيها وغير ذلك، والنبلاء منهم يخجلون من الاختباء فيها، وهؤلاء يصنعون السهام بأيديهم وهم على ظهور خيلهم ويتقنون صناعتها كل الاتقان حتى انه يمكن القول بأنه لا مثيل لها في أقطار المجاورة لبلادهم".

ويقول أيضا:

"... وانهم يحلقون شعر صدورهم كلما ارادوا خوض معركة لأنهم يعتبرون من العار ان يجد العدو شعرا على صدورهم، وفي الحرب يقذفون على بيوت اعدائهم المصنوعة من الخشب والقش مصنوعة من الخشب.

ويختتم كلامه بقوله:

"ومما لا شك فيه ان مقدرتهم الحربية عظيمة حتى ان فئة قليلة منهم تكفي لقهر جيش من التتر، لأنهم أمهر منهم بكثير في الأمور الحربية، ويساعدهم على ذلك جودة أسلحتهم الدفاعية، فهي الخوذة الحديدية للرأس التي هي على النمط ((البونتي)) أي البحر الاسود، ولها حزام عنقي يربطها بالفك الاسفل وتشبه الخوذ التي تراها بالتماثيل القديمة[٥].

وتقول (ماميخغ) بأنه كان من الصفات المتعلقة بالشجاعة، هو كتم مشاعر الألم، وقالت بأن أحد الشباب كان مصابا بجرح قاتل كان يبذل اقصى جهده وقواه لكي لا يصدر أنينا بحضور والده، مع أن كل من شاهده كان يدرك ان قواه على حافة الانهيار، ولكنه يبدي تماسكه ورباطة جأشه امام والده ويتكلم بكل هدوء، وأما الأب الذي تفهم وضع ابنه فقد سارع في الخروج. كما تقول (ماميخغ) بأن التاريخ نقل لنا جمالية ورجولة وشهامة الرجال الشراكسة وإخلاصهم لوطنهم وقلقهم المستمر حول مصير شعبهم، وإن هذه الصفات القومية للرجل الشركسي قد انتشرت بعيدا وأثارت اهتماما كبيرا لدى الاوساط التقدمية في أوروبا.

وقال الحسن بن عبدالله العباسي في كتابه "آثار الاول في ترتيب الدول" عند ذكره لأجناس البشر (والوفاء والحنو في الجركس والألفة ايضا)، كما قال العلامة "جودت باشا" جبت ارضهم طولا وعرضا فوجدتها نظيفة طاهرة من جميع الادران ووجدتهم قوما عقلاء قابلين للحضارة والمدنية وذوي شجاعة وجسارة صادقين في أقوالهم ثابتين فيها لا يتكلمون بالكذب أصلا، ولا يحلفون ايمانا كاذبة.

وكان من علامة شجاعة الرجل عند الشراكسة القدماء أن يحلق شعر صدره حتى لا يكون حاجزا بينه وبين سلاح خصمه، ومن يتركه يعد جبانا يخاف الموت كما كان المقاتلون الشجعان يُكافأون بجعل مكانهم في الصفوف الامامية للجيش ليكونوا الدرع الواقي لباقي المقاتلين. كما كان من العار أن يظهر المقاتل الشركسي جبنا أو خوفا او فر من ساحة المعركة، حيث كان من نصيبه الاحتقار والازدراء كما كانوا يلبسونه ((قبعة قذرة ويركبونه جوادا أجرب)) ويعرضونه أمام الجماهير، وهم يلاحقونه بالتصفيق والتشهير والاستهزاء كما كان تفرض عليه غرامة بقيمة (ثورين) على الأقل.

الصفة الثانية: صفة اللباقة في التعامل مع الكبار والجنس الآخر:

يقول العالم المجري (جان شارل) "... إذا ما صادف فارس شركسي امرأة راجلة في طريقه فإنه يترجل ويعرض عليها جواده، وإذا رفضت فإنه يبقى ماشيا إلى جوارها حتى تصل إلى منزلها".

ويقول "انتريانو" "الشراكسة لبقون مؤدبون للغاية في تعاملهم، وعندما يتحدث أحدهم إلى من هو أكبر منه لقبا فإنه يحمل قبعته بيده، وان هذه اللباقة لم تكن لباقة آنية وانما هي من الصفات المتأصلة في المواقف التي تتطلب ذلك".

الصفة الثالثة: وتتعلق بالمميزات الجسمية التي يتميز بها الرجل الشركسي

كتب الداعية السياسي الانكليزي "جيم بل" الذي مثل أكثر اوساط البرجوازية الانكليزية عدائية للشراكسة، والذي سره الاستيلاء على شواطئ البحر الاسود في أعوام ١٨٣٧-١٨٣٩ بما فيها تشركيسيا:

"... لقد أدهشني عدد الأشخاص ذوي الطلعة الجميلة في عداد المجتمعين، وفي تقاطيع وجهوهم الرائعة وقاماتهم المديدة، والصدور العريضة، والأكتاف المتينة مع خصور نحيلة، وأقدام متوسطة الحجم، كل ذلك يضاف إلى العيون المشبعة بالحيوية بشكل مدهش.." واستطرد قائلا: "... **في أثناء وجودك هناك يمكنك القول بكل ثقة إن هؤلاء الرجال هم خير عطاء قدمته هذه الأرض...**" [٦]

كما اعترف الدبلوماسي الرحالة ((ابري – دي – لاموتر)) الذي تجول في بلاد الشراكسة في القرن الثامن عشر بأنه تعلم من الشراكسة طريقة التطعيم ضد مرض الجدري وقال: "... لقد لاحظت ان جميع الشراكسة جميلو الوجوه ولا يحمل أي منهم بقايا مرض الجدري، ولقد قررت ان أوجه سؤالا: ألا يوجد سر ما في حماية أنفسهم من البشاعة التي يخلفها هذا المرض عدو الجمال لدى غيرهم من الشعوب؟ وقد اجابوني بثقة أن التطعيم يعطي من يحتاج إليه" ولذا قررت ان اشاهد هذه العملية بنفسي إن امكن وسألت في كل القرى التي زرتها عن الحالات التي

عولجت بهذه الطريقة حتى وجدت حالة لطفلة في الرابعة اجريت لها هذه العملية، وبعدها طلبت منهم تعليمي سر ذلك".[٧] ويتابع في الوصف قائلا: "إن سكان السواحل من الشراكسة طوال القامة، ذوو اجسام متناسقة وانيقة، وهم يحرصون دائما على الحفاظ على هذا الجمال بشد خصورهم بالقشط الجلدية، ومشيتهم خفيفة ورشيقة، برؤوس متطاولة وعيون داكنة، أما انوفهم فهي دقيقة، وجميلة، وعظام الفك طويلة وحسنة المظهر..". "... ومن أكبر الاساءات في المجتمع الشركسي الزواج غير المتكافئ اجتماعيا".

وأما الجغرافي العربي المسعودي يقول: "إن لهذا الشعب اخلاقا حميدة، ولا يوجد اي شعب آخر من الشعوب التي تقطن في هذه الأرجاء أو في الأقاليم الأخرى من عنده من الكمال الجسماني والكمال الاخلاقي واللون الصافي..! مثل هذا الشعب اطلاقا، ولا يوجد اي مكان آخر في العالم مثل هؤلاء الناس في رشاقة أجسامهم وتناسق اضلاعهم ونحافة خصورهم وتناسب اضلاعهم.." وهو يريد ان يقرر حقيقة انتربولوجية عرفت في العصر الحديث وهي أن الشراكسة هم من اصل العرق الأبيض المعروف بالعرق القفقاسي. [٨]

وأما ((انتريانو)) الرحالة والجغرافي الايطالي وعالم دراسة تاريخ الشعوب "إن هؤلاء الزيخ ((التسمية القديمة للشراكسة)) جميلو الطلعة بغالبيتهم وممشوقو القوام، وقد تصادف في القاهرة اناسا متميزون بضخامة اجسادهم من المماليك والأمراء وهم بغالبيتهم كما يقال من هذه القبائل، ويمكن ذكر الشيء نفسه عن نسائهم اللواتي يعتبرن في تلك البلاد اكثر الناس إكراما للضيف حتى بالنسبة للغرباء".[٩]

كما قال (آتيك): "بأن الاقوام القليلة العدد، والمتثبتة في غابات وجبال القفقاس قد حافظت على لغاتها واشكالها الجسدية وصفاتها القومية بشكل سليم، وانه من الصعب جدا العثور على جماعات مختلفة من الناس محتفظة بمقومات بقائها

على رقعة صغيرة مثل القفقاس، في أي مكان في العالم خارج القفقاس، فإن القفقاس، في الواقع نسيج وحده".

وقال "ابو الثناء محمود الأمشاطي" المتوفى سنة ٨٩٩هـ في كتابه "القول السديد": (انهم أصحاب قدود وقوة وشدة، وبأس وعصبية، دأبهم المغالبة، وفيهم غلظة وجبروت وكبر وخيلاء، لا يرون لأحد عليهم فضلا، ويزعمون أنهم مستحقو كل شيء من المكرمات ولا يستحق ذلك أحد غيرهم ولهم شجاعة، وقوة على الحرب، ولهم الصدمة الأولى لا يقاومهم فيها أحد.. وصالحهم صالح لا نظير له وطالحهم طالح لا مثيل له، وألوانهم مختلفة، فالأبيض المشرب بحمرة يكون ذكيا فهما عاقلا ذا رأي وحكمة، والأشقر لا نظير له في الشرور والخلاف وقليل الخير والمعروف أما الاسمر فيكون شجاعا كبير الهمة مقداما..."[١٠]

ويقول فريد وجدي نقلا عن ابن خلدون والبدري: "الجركس جيل من الناس يسكنون حوالي جبال القوقاس، وهم معدودون أكمل بني آدم خلقة، وأحسنهم وجوها، واشجعهم قلبا، وأشدهم للشدائد مقاومة" ثم ذكر بعض أحوالهم التاريخية والجغرافية في نحو صفحتين.

وقال البستاني في دائرة المعارف الاسلامية (١٠-٤٤٠) هم طوال القامات، عراض المنكبين، نحاف الجسوم، صغار اليدين والرجلين، حداد النظر لهم هيبة وبأس، وسائمة وخيول، وأسلحة مشهورة، وقد قال فيهم بعض واصفيهم: هم أعلى الناس همة وأشجعهم وأجملهم" [١١].

وربط الشراكسة كمال الجسم وجماله بجمال الاخلاق ورزانة الادب، وقالوا "ان جمال الجسد هبة من الله وان ما يجعل الانسان جميلا هو سلوكه النبيل واخلاقه الحميدة.

الصفة الرابعة: الاعتزاز بالنفس:

الشراكسة شديدو الاعتزاز بالنفس، وكان يصعب عليهم التسامح إذا ما لحقتهم إهانة أو مُست كرامتهم ومن عاداتهم سرعة الانتقام لكرامتهم بكل الوسائل الممكنة مهما كانت الظروف كما انهم يتصفون بالتواضع وعدم المغالاة في سلوكهم، حتى اصبحت من الصفات المتأصلة في شخصية الشراكسة عامة والامراء خاصة كما كانوا يعاشرون بقية طبقات الشعب ويعاملونهم على قدم المساواة ويأخذونهم باللين واللطف، دون ان يظهروا في حديثهم أو معاملتهم أي نوع من الكبرياء أو عجرفة أو غطرسة، لذلك كان الشعب يحبهم إلى درجة التقديس.

وكان الامير مهما كبر شأنه وكثر ماله يسكن بيتا لا يختلف كثيرا عن بيوت عامة الشعب والنبلاء، وكذلك طعامه لا يختلف عن طعام غيره، ويكتفي في أكثر الاحيان بقطعة من اللحم المسلوق مع قرص من عجينة الدخن (باستا Pasta) وشراب (البوزا Busa) المحلى بالعسل. (١٢)

وكان بعض الامراء يحصل على ما يكفيه من الأموال والحاجيات الضرورية لمعيشتهم من اتباعهم دون مقابل، وبالمقابل فإن الأمير لم يكن يبخل على التابعين له بشيء، فإذا رأى احد التابعين مثلا عند سيده كسوة جميلة أو سلاحا جيدا فله أن يطلبه لنفسه، وكان الأمير لا يرد طلبه أو يبخل عليه.

كما انهم كانوا يتحلون بصفة عدم المغالاة في لبسهم او التباهي في غناهم حتى لا يجرحون مشاعر الذين لا يستطيعون مجاراتهم، وكان اكثر الامراء لا يُحلّون سلاحهم أو تزيين خيولهم بالذهب والفضة، مراعاة لشعور الناس، وأما المسكن، فلكل بيته الخاص، ولا يزيد الغني على الفقير إلا بغرف الضيافة. أما المأكل فقلما تجد شيئا عند الغني ليس عند الفقير منه.

الصفة الخامسة: حب العمل والنشاط الدائم:

لا شك ان نظام التربية الشركسية ساعد على غرس صفات حميدة وجعلت منهم أمة تحب العمل والنشاط حتى اصبح معروفا منذ اقدم العصور ذلك المثل المضروب فيهم وهو:

(الآنت * الذي لا يعرف الكلل ولا الملل)

فكان رجال الشراكسة يهملون مظاهرهم الخارجية ولا يعتنون بهندامهم وكثيرا ما يأتي احدهم إلى (الاندية والمجالس) دون ان يغير ملابس العمل التي يعلوها غبار المهنة التي يعمل بها، وما كان يلام في المجتمعات من يحضرها دون استعداد سابق أو تأنق زائد. كما كان يحترمون الرجل العامل النشط اما الرجل الكسول او الاتكالي فكان ينتقده عامة الناس والفتيات خاصة [١٣].

الصفة السادسة: الاخلاق الحميدة والادب الجم للرجل الشركسي:

كتب ((انتريانو)) عن المستوى الاخلاقي للشراكسة قائلاً: "ان لديهم اعتقادا بأنه لا يجوز اعتبار أي انسان عريقا إذا ما وجدت مسموعات عن قيامه بعمل شائن في وقت ما، حتى لو كان لدى هذا الانسان سلالة عريقة ومن نسل القيصر نفسه".

أولت القبائل الشركسية اهتماما خاصا للشكل الظاهري المتعلق بالهيئة والجسم الممشوق والتناسق، وقد اعتبر الشحم الزائد المتراكم في الجسم دليلا على ان صاحبه من العامة وليس دليل ارستقراطية، وبالمفهوم الشركسي فإن الصحة البدنية لا تساوي شيئا بغير الصحة المعنوية ((الأخلاق والأدب)) وإن الجمال الجسدي هبة من الله ولا يجب استخدامه واستغلاله في العلاقات الاجتماعية وما يجعل الانسان جميلا هو سلوكه واخلاقياته قبل كل شيء. والانسان الحقيقي فقط هو

* "الآنت" اسم اطلق على اجداد الشراكسة في العصور القديمة.

الجدير بحمل هذا التصور، وكانت العادة ان يحترم الذي يعيش من عرق جبينه ويعمل باستمرار ولا يعيش عالة على أهله وعشيرته.

الصفة السابعة: الاخلاص والوفاء والانتماء

لقد أحاطت ((الأديغا نيميس)) بكل العادات المتعلقة بالحياة وبنشاط الرجل الشركسي، وبحسب هذه التقاليد فإن الرجل الشركسي يجب أن يكون مخلصا ووفيا لقومه، وأن يكون وطنيا حقا وجاهزا لخدمة قومه بصدق واخلاص، كما يجب عليه ان يمتلك الرجولة والعزم والثبات المعنوي والبداهة والحس الذاتي والاخلاص للواجب والمسؤولية، وان يكون مستعدا دائما للتضحية في سبيل الله والقوم والوطن.

الصفة الثامنة: البر بالوالدين:

الرجل ابن والديه، وبهذا الخصوص تقيم صفاته الانسانية من خلال حالة والديه المادية والمعنوية ومن مدى اهتمامه بهما ومدى انتباهه إلى حاجتهما وعنايته بهما، ومراقبة وضعهما الصحي ومتطلباتهما اليومية وهي من معايير الحكم عليه ان كان بارا لوالديه، وهو بذلك يعطي مثالا حيا عما يجب ان تكون عليه علاقاته مع الاهل من اب وام وزوجة وابناء وهكذا تنتقل من جيل إلى جيل فكرة احترام الكبار في العائلة والاهتمام بهم ورعايتهم.

الصفة التاسعة: الحفاظ على العهد

لقد كان من اهم ما أكدت عليه أل (الأديغانيمس) توافق كلام وأفعال الرجل، وكان اعطاء الوعد وعدم تنفيذه غير مقبول بأي شكل من الاشكال في المجتمعات الشركسية قديما وحديثا، وكانوا يرفضون التعامل مع مثل ذلك الشخص لا يقبلونه فيهم وينظرون إليه بأنه شخص لا يمكن الاعتماد عليه في اللحظات الحرجة، ولهذا فإن من أهم معيار التقييم وفق ((الاتيكيت)) الشركسي "بأن الرجل الشركسي الحقيقي هو الشخص القادر على الوفاء بعهوده في كل زمان ومكان وتحت اية ظرف او حالة".

الصفة العاشرة: متانة الصداقة وقدسية التآخي:

إن قواعد "الأديغا نيميس" تؤكد على متانة علاقات الصداقة بين الرجال في المجتمعات الشركسية، حيث تتصف هذه العلاقات بأنها الأكثر متانة وعمقا واخلاصا، وإذا لم يكن بالإمكان الوثوق بصداقة رجل ما فإنه يكون غير محترم اجتماعيا، والصديق المعتمد (وفق معايير تلك الايام) أقرب الناس إليك، وبمثابة أخيك وإن لم يكن بالدم فبالروح، وانك تتقاسم معه الأفراح والاتراح وصعوبات الحياة ومسراتها والصديق يصارح صديقه بالحقيقة مهما كانت مؤلمة، ويحاول دائما أن يتفهم ويدرك وضع ومزاج الصديق ويغفر له تصرفاته وفاء للصداقة وان الرجل يكون مستعدا للتضحية حتى بحياته، وان إنقاذ حياة صديق له يعتبر شرفا كبيرا ومثل هذه الصداقات كانت تمتد إلى عائلات الصديقين وخاصة أبناءهم وإذا ما توفي أحد الصديقين، فإن من بقي حيا منهما يأخذ على عاتقه وحتى نهاية عمره الاهتمام بعائلة صديقه المتوفى وخاصة رعاية وتنشئة أطفاله.

فتقول "مامخيغ" بأن الصداقة في القفقاس تسمى "كوناك" وهو من مرتبة الاخ، ويقدمون كل ما لديهم فداء هذا الصديق حتى الحياة نفسها(١٧).

كما أكد مؤرخون ورحالة زاروا بلاد الشراكسة بأن عادة "قسم الاخوة" ادت إلى تعاضد وتكاتف الشراكسة في كل المراحل الزمنية، وهو القسم الذين يتم بعد ان يتقدم من بين صفوف الجماعة التي تتسم بالاخوة رجل ينعقد الرأي على احترامه، بينما تتقدم سيدة من بين الجماعة الاخرى وتعرض على الرجل صدرها ويختتم هذا الحفل بالقسم على القرآن.

الصفة الحادية عشرة: الحفاظ على حرمة الجيرة وحق الجوار

من المعايير الحقيقية "للاديغا خابزة" هو مدى المحافظة على حق الجوار واعتبار الجار قبل الدار ومن الأمثلة التي تدل على أهمية الجار المثل الشركسي القائل: "إن جارك القريب أفضل من قريبك البعيد" وكذلك "من يعيش بجوارك يمت

لك بالقربى أكثر من أهلك البعيدين" فإنك تجد جارك عندما تحتاجه وتقاسمه أحزانك وافراحك في الحياة وربما كان المثل الشركسي القائل "**حافظ على جارك مثل محافظتك على قميصك الداخلي الابيض**" **هو أكبر دليل على مدى اهتمام الشراكسة بالجار.**

الصفة الثانية عشرة: الصراحة في القول:

الرجل الشركسي صريح في كلامه لا يعرف المهادنة أو المسايرة في المواقف التي تتطلب ذلك، كما أنه لا يعرف الكذب ويقول ما يعتقده صحيحا ولو ادى ذلك إلى أسوأ المواقف. كما أن صراحة الرجل الشركسي صراحة مبدأية وليست انتقائية، فهو صريح في كلامه أمام أكبر المسؤولين مثل ما هو صريح امام اقرانه وزملائه.. إلا أنه يجاهر بصراحته بأدب وبدون استفزاز.. وسكان المجتمعات المعاصرة في بلاد المهجر، يعرفون هذه الصفة في الرجل الشركسي ويتقبلونه بصدر رحب بقولهم ((انها صراحة الشركسي)).

الصفة الثالثة عشرة: النزاهة والاستقامة:

ففي أساطيرنا ورواياتنا القديمة بأن الشراكسة منذ القدم كانوا لا يعرفون للغش والخداع معنى ان من عاداتهم المتأصلة كانت صفة النزاهة في معاملاتهم بدون غش وخداع وعكس ذلك فهو عار يلاحقه مدى الحياة.

الصفة الرابعة عشرة: الطاعة واحترام الكبار والنساء

الطاعة اولا، ثم احترام الكبار والنساء ثانيا، هما من الصفات المميزة لشخصية الانسان الشركسي... وخير دليل على ذلك ما كتبه الجنرال الروسي (ايفان فيدروفيتش بيرغ) الذي رصد خلال عشر سنوات من حياته (١٨٣٠-١٨٤٠) المجتمع الشركسي.

"... إن الإطاعة العمياء للأهل، واحترام الكبير للطاعنين في السن معمول بهما لدى هذا الشعب بمنتهى الدقة، إن الابن لا يبيح لنفسه الجلوس بحضرة والده، او ان يجلس الابن الاصغر بحضور الاخ الأكبر سنا، وهم لا يتكلمون مع الاكبر سنا بحضور الغرباء، كما ان صغار السن المتواجدين بحضرة من هم أكبر سنا لا يتكلمون بصوت عال ابدا، ولا يبتسمون، وعليهم فقط الرد عندما يطرح عليهم اي سؤال، وتفرض العادات على الاصغر الوقوف عند ظهور كبار السن رجالا ام نساء حتى لو كان القادم اقل منزلة اجتماعية، ويمكن الجلوس فقط بعد أن يتوجه الشخص الذي وقف احتراما له: بقوله ((تيس)) اي اجلس، وكذلك لا يمكن هنا ابدا تجاهل هذه التقاليد، وهم متعصبون جدا للحفاظ على هذه العادات الصعبة... [١٤].

الصفة الخامسة عشرة: حب التعاون والتطوع لمساعدة الآخرين

ومن العادات المتأصلة في نفوس رجال الجراكسة سنة التعاون فهم يتعاونون ماديا ومعنويا واجتماعيا. وبذلك تقل الفروق بين طبقاتهم.

ومن مظاهر التعاون الجميلة عندهم هو تطوع الشباب والرجال في عملية تسمى (شَهَ – حَاخُ) لإنجاز عمل لأحدهم لا يستطيع إنجازه في اسابيع مثل بناء بيت أو حرث أرض، أو حصاد زرع، أو درس بيدر، أو جلب ما يحتاج إليه من حطب. وقد يكون غير قادر على القيام بهذا العمل، لأنه ينقصه بعض مستلزماته من آلة وما شابه ذلك. ففي مثل هذه الحالات، صاحب العمل، في مكان العمل حفلة غداء، تشترك في تحضيرها واعدادها قبل يوم العمل الجارات، وهكذا يقومون بالعمل دون ان يشعروا بتعب أو ملل، وعند الانتهاء منه يعودون إلى بيوتهم على أنغام موسيقاهم الجركسية، وأغانيهم الحماسية، ورقصاتهم الرياضية، ويتمنون من صميم قلوبهم أن يدوم العمل الجدي على هذا الشكل المبهج المفرح، وأن لا ينقطع أبدا وبذلك ينجز صاحب العمل عمله، وما خسر إلا قليلا، لأن الأكل قد شاركت بتحضيره جارات زوجة صاحب البيت، فكل واحدة منهن تبرعت بأكلة من عندها.

الصفة السادسة عشرة: اجارة المستجير او المستنجد:

من عادات الرجل الشركسي ان يحمي من لجأ إليه طالبا الحماية ولو كان ذلك عدوا له، ومن الاحداث التي تروى في التاريخ الشركسي، بأن احد الاشخاص التجأ إلى بيت أحد النبلاء بعد ان قتل شخصا آخر، فأكرمه وحماه وحافظ عليه علما بأن النبيل كان يعلم بأن الشخص الذي قتله المستجير هو "ابنه".. وبالرغم من ذلك لم يمسه بأذى طوال بقائه في بيته.

الصفة السابعة عشرة: الكرم والنبل

تحدث اكثر من رحالة وعالم اجتماع عن صفات كرم القفقاسيين عامة والنبل عند الشراكسة خاصة فيقول (انتريانو): ((عموما يوجد لديهم عادات كرم وسعادة كبيرة باستقبال الضيوف، ويسمي صاحب البيت ضيفه "كوناك" إلى الصديق الأخ، وعندما يغادر الضيف يصاحب المضيف "الكوناك" الغريب، ويقوم بحراسته في طريقه، وإن اقتضى الامر يقدم المضيف حياته ثمنا لذلك كما لو كان أقرب الناس إليه)). [١٦]

اما ((بيل جيم)) فيؤكد على أن كرم الضيافة صفة متأصلة في الرجل الشركسي ويذكر لنا ما شاهده بنفسه من ضيفه الشركسي قائلا:

".. لقد نسيت أن أذكر الشرف الرائع الذي منحني إياه مضيفي مساء البارحة، فبعد الصلاة ((وبحضور عدد من الشهود بمن فيهم مترجمي)) قام صاحب الدار شخصيا بالتضحية بعجل صغير من أجل توطيد الصداقة الاخوية بيننا، وقال لي عليك ان تعتبر نفسك الآن فردا من أفراد العائلة التي على كل منا احترامها وحمايتها".

ويصف "بيل" كرم منزل آخر كان يحل فيه ضيفا بقوله:

"... لقد استقبلني الأخ الأكبر لمضيفي بمنتهى الحفاوة القلبية وخاطبني باحترام كبير ولباقة مميزة وقال لي:

"سوف نعتبر أن لدينا أخاً منذ الأزل"، وقد قبلت منه هذا القول مع بعض التحوير المعنوي، ثم طلب مني ان نتبادل ملابسنا كي أصبح اكثر شبها بالشراكسة، وهكذا قام بحشر اكتافه العريضة ذات العضلات في معطفي الانيق، بينما سعدت أنا كثيرا لشعوري بالارتياح الكبير وأنا ارتدي ملابسه الواسعة علي والمصنوعة من الجوخ الغامق، وكانت موشاة بالذهب والفضة عند الاكمام وخيطت على صدرها جيوب صغيرة للرصاص". (١٥)

واما عن الكرم المقرون بالنبل لدى الشراكسة فيقول ((انتريانو)) "انهم يقدرون النبالة عاليا، وهم يهدون الغير كل ما يملكون ما عدا الحصان والسلاح والجزمة فهذه لا يجوز إهداؤها ابدا، ففي هذه الملكية يكمن الحرص كله، وهم يتنازلون في الكثير من الاحيان عن كل ممتلكاتهم مقابل حصان اعجبهم، وليس لديهم ما هو اغلى من حصان جيد". ولا يرضى اشرافهم ان تربي الخدم الجياد الاصيلة، وإذ ما حصل ان ولد لأحد تابعيهم مهر ما يقومون بأخذه بمجرد أن يكبر مقدمين له ثورا بدلا عنه، وهذا ما يفيد الخدم وليس الحصان".

كما أكد ((انتريانو)) على عادة الكرم الشركسي بقوله ((... انها من عادات الشراكسة، كرم الضيافة واستقبال أي غريب بمنتهى الحفاوة)).

والشراكسة من شدة تمسكهم بعادات الكرم والعطاء بسخاء، فإن الدارس للمجتمعات الشركسية عامة وفي العهود الاقطاعية خاصة يجد بأنهم كثيرا ما كانوا يهبون ما لديهم من متاع ومقتنيات بسخاء ما عدا أسلحتهم وخيلهم كما كانوا يبالغون في اهداء ملابسهم الخاصة، ولذلك كان النبلاء، وحتى الامراء منهم يرتدون ملابس "اردأ" من ملابس غيرهم من الاتباع. ويعتبرون رفض طلبهم عارا عظيما وبخلا لا مثيل له وجرت العادة أن يهدوا سائر ملابسهم الجديدة لأول سائل ويأخذون منه ملابسه القديمة التي يرتديها، وفي أكثر الاحيان يستبدلون الملابس (رثة) بالقمصان

الحريرية الحمراء الزاهية بالرغم من حبهم الشديد ورغبتهم في الاحتفاظ بها إلا أنهم يخشون ان يقال عنهم بخلاء.

ويقول ((جيوفاني لوكا)) حول مدى تأصل صفة الكرم والسخاء والعطاء الشركسي للآخرين، سواء كان ضيفا غريبا او ضيفا محليا بقوله: "لا يوجد في العالم شعب أكثر لطفا وأكثر سرورا وترحيبا بالغرباء من هذا الشعب".

الصفة الثامنة عشرة: المحافظة على الشرف والكرامة:

إن رمز الحياة لدى الشراكسة ((أفردا وشعبا)) هو الشرف. وأن الهدف المهم لديهم هو حماية هذا الشرف. وان الوقوع في "الأسر" لدى الاعداء كان يعتبر أكبر اهانة وأن الموت لديهم أفضل من العيش بدون شرف، ومن هذا المنطلق فإن وصمة العار لا تزول عن صاحبها حتى بعد موته.

وكان من المفاخر التي يتغنى بها الشراكسة منذ القدم هي حماية العرض والمحافظة على الشرف وصيانة الكرامة، وبلغوا في ذلك شأنا عظيما لم ينافسهم فيه الكثيرون، ولهم في ذلك أقوال مأثورة منها: ((الأرواح رخيصة في سبيل الكرامة)).

لذلك فكل شركسي كان يضحي بروحه فداء لشرفه ولا يتحمل الاحتقار قطعا، وكل من يتهاون في حفظ الشرف او صيانة الكرامة كان يطرد من القبيلة وتنزع منه الالقاب التشريفية ان كان حاملا لاحداها، كما كان الشعراء ينظمون في حقه الاغاني المشينة وتتغنى بها فتيات القبيلة أعواما وسنين وتصب عليه اللعنات ويصبح اسمه محاطاً بالسخرية والازدراء.

(٢) الصفات السلبية في شخصية الرجل الشركسي:

ربما كان أول من حاول الكتابة في وصف الصفات والخصائص السلبية لشخصية الانسان الشركسي هو احد الكتاب من أصل شركسي في الأردن وهو "محمد خير عيسى" في مقالة له تحت عنوان ((جولة في اعماق الانسان الشركسي))

وهي المقالة التي تعبر عن وجهة نظر فردية تكونت لديه من خبراته الشخصية المحدودة وملاحظاته الخاصة وليس بالضرورة أن تكون صحيحة حيث كتب قائلا:

"سأحاول بجهد المقل أن أطرح الموضوع بالشكل الذي يتراءى لي متأكدا بأنني لن اوفي الموضوع حقه كما انني آمل ان يكون هذا بداية لحوار شامل يتحقق من خلاله التعرف الاكمل على هذا المجال؟

"... ولا بد لي قبل ان أبدأ حديثي ان اؤكد بأنني لن أكون نغمة اخرى في فرقة الصدح والتزمير بحمد الجنس الشركسي الذي ساد سنوات طويلة كما ان ألواني لن تكون مضيئة ودافئة بقدر ما ستكون قاتمة وباردة، وذلك ليس لأنني أود هذا، بل لأن الحقيقة هي التي تفرض نفسها...".

"... لأنني لا أؤمن بأسطورة تفوق عرق على آخر ((والعرق الشركسي)) كان ولا يزال كأي عرق آخر فيه من جوانب القوة، بقدر ما فيه من الجوانب الضعيفة، وقد يحدث لأي عرق أن يكتشف جوانب قوته فيعززها ويستفيد منها فتصبح له بين الامم سطوة وسلطان، كما يمكن لعرق آخر ان يهمل هذه الجوانب فيفسح لجوانب الضعف ان تلعب دورها عن طريق المؤسسات التربوية وبعض العادات التي لا تتفق مع الاسلوب التربوي العلمي الصحيح، فتصاب الأمة بالكثير من الاورام الاجتماعية التي تنعكس بدورها على حياة كل فرد من أفراد هذه الامة.

ويتابع (عيسى) تحليله قائلا:

"الانسان الشركسي صلب الخَلق والخُلق، محارب محترف يعيش على الرعي والغزو وتكاد وسائل المعيشة الاخرى كالزراعة والصناعة لا تأخذ أي نصيب من حياته، وهو متهور اكثر من كونه شجاعا، عنيد إلى حد ركوب الرأس، يسترخص حياته في سبيل اتفه الاسباب احيانا، وهو عاطفي اكثر منه، ليست له استراتيجيه او تكتيك في المعارك، يدخل القتال دون ان يملك سوى حماسته وسلاحه، انه امي يحفظ الاشعار او يقولها احيانا وهي في اغلبها "مراثي" وهو مع

ذلك صاحب نخوة وعزة نفس، وعاداته وتقاليده تقوم مقام القانون في الدول وكانت تؤدى دورها بفعالية في تلك الظروف القاسية حيث كانت انعكاساتها.

"... وبصرف النظر عن بعض العادات التي كانت ولا تزال مثالا في الحكمة والجمال فإن العادات التي كانت تحدد الاساليب التربوية والعلاقات بين الكبار والصغار قد اضرت بالفرد اكثر مما افادته. وتعدى الامر مجال احترام الصغير للكبير إلى درجة تلاشي شخصية وقيمة الاول في سبيل الثاني، والحقيقة ان الشيء الذي ساد: **هو دكتاتورية الكبار امام الصغار ودكتاتورية القوي امام الضعيف.** والكلمة الاولى والاخيرة للاب أو القوى او الزعيم ولقد كان الفرد في ذاك الوقت شيئا لا كائنا، انسانا بلا رأي بلا هوية وماذا ادى هذا الاسلوب؟؟ لقد ادى إلى انطواء الانسان الشركسي وتشرنقه كما ادى إلى تراجع للحرية الفردية وحرية التعبير عن الرأي واخراج قطاع الشباب من ساحة العمل الاجتماعي والحياتي الذي هو القطاع التي تعول عليه اية امه في بناء صرحها.

"أما المرأة فلا حاجة لي ان اتطرق إلى الدور الذي تلعبه ابدا فهي لم يتعد دورها انجاب الاطفال وهي وان كانت تخرج إلى الحقول احيانا فإنها كانت تفعل ما تفعل لأنه اريد لها ذلك وليس لأنها أرادت هي ذلك، انها كانت انسانة من الدرجة الثانية".

ويتابع عيسى قائلا:

"انه مما يؤسف له فعلا أن الشركسي دخل القرن العشرين بعقلية قبلية عشائرية. دخل القرن العشرين وهو لا يزال راكبا صهوة جواده وبنفسية الرجل الذي اصبح القتال لديه غاية بدل الوسيلة، وبنفسية الرجل الذي يعذب لصوت السلاح ويتشوق لرؤية الدم دخل القرن العشرين وهو لا يعرف القراءة او الكتابة ولكن لا يمكن ان نضع اللوم كله عليه، فهو ربما لم يكن له مناص من هذا الأمر،

لقد قدر له ان يصرف حياته في القتال فقط. لم يستطع ان يجد وقتا لالتقاط انفاسه ليتفرغ إلى العلم والعمل، ومرة اخرى اقول ان افتقاده للعلم كان شر كارثة عليه.

ثم تحدث عن الانسان الشركسي بعد الهجرة قائلا: "وهكذا فإننا نجد ان الشركسي قد عاش نوعين من الغربة. غربة عن الوطن وغربة عن المحيط، ونتيجة لكل ذلك فإن الاطار الذي احاط بالصورة الشركسية هنا كان اطارا من التحدي والرفض، تحدى البيئة، تحدى المجتمع الآخر، تحدى القبائل الشركسية الاخرى وبالتالي رفضه لها كلها، وكل ذلك ادى إلى تكريس وتعميق صورة الانسان الشركسي العدواني الانطوائي.

اما اذا سلطنا الاضواء على القواعد التربوية المتمثلة في العادات والتقاليد فإنها في سني الهجرة الاولى لم تتغير ايضا وظلت تؤدى دورها بنفس الفاعلية والقوة، وذلك لأن المجتمع الشركسي ظل مغلقا – كما قلنا – وعلى هذا فإن حكم الكبار لم تخف وطأته وظلت كل السموم التربوية التي مر ذكرها تفعل فعلها في افساد الانسان الشركسي. وسارت عجلة الزمان، وبدأ غبار المعارك يهدأ شيئا فشيئا واصبحت العداوات تتخذ اشكالا اكثر لينا وذلك نتيجة انبعاث السلطة الحكومية في الساحة. كما ان الزراعة بدأت تشكل القاسم المشترك الأعظم في حياة الأفراد وافتتحت المدارس ودارت عجلة التقدم بسرعة وإن كان حظ الفرد الشركسي منها ضئيلا، لقد كان الأب يفتقر إلى الأيدي العاملة ولم يكن التعليم قد أصبح مهما بالنسبة له بعد، وهكذا فقد ظل الإنسان الشركسي في الأغلب موظفا في خدمة الذين أصابهم قدر من العلم، وكانوا قلة معظمهم لم يستقر على مقاعد الدراسة سنوات تزيد على أصابع اليد الواحدة ومرة أخرى ظل الإنسان الشركسي أميّا.

ويتابع ((عيسى)) تحليله قائلا: "اما الإنسان الحديث، إنسان هذا الجيل فقد ترك الزراعة ودخل المدارس وأبصر كمية اكبر من نور العلم وانفتح على العالم والمجتمع وربما امتلأت جيوبه، ولكن يا للأسف لم يصمد كفرد ولا كمجتمع، لقد

كان انسانا هشا انسانا لا يملك قوة ذاتية، واذا اضيف ذلك إلى كونه اقلية فإنه كان لا بد ان يفقد هويته وهذا ما حدث بالفعل لم يعد يمتلك من مقومات وجوده كأنسان شركسي أي شيء وإن ظل شيء فهو القليل جدا، لقد كانت التيارات الخارجية قوية جدا وكانت مناعته ضعيفة جدا".

ثم قال: "ومرة أخرى غياب العلم كسلاح عن ساحة المعركة من ايام ما قبل الهجرة هو الذي ادى إلى هذه الكارثة، فلو دخل العلم البيت الشركسي القديم لتغيرت كثيراً من العادات التربوية ((السيئة)) التي ظلت تفبرك لنا الانسان الشركسي صاحب الطموح الميت الكسول، المتهور الانطوائي الذي يعوّض عن نقصه بالثرثرة ومهاجمة الآخرين، صاحب الانتصارات الوهمية والتعلق بقيم ساذجة".

واختتم عيسى مقاله الذي بث فيه أفكاره السوداوية بقوله:

"والان هل انتهى الانسان والمجتمع الشركسي؟؟

أليس هناك أي شعاع من الضوء في حياة هذا المجتمع؟؟

إن الجواب على هذين السؤالين فيه إطالة وفيه خروج عن الموضوع وربما يتسنى الحديث عنهما في وقت آخر [*].

إنني لا أتفق مع الكاتب ((عيسى)) في كثير من شطحاته ونظرته التشاؤمية التي لا تعتمد على البحث العلمي بقدر ما يعتمد على ملاحظاته وخبراته الشخصية المحلية.

[*] لمزيد من الايضاح حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى النص الاصلي لمقالة محمد خير عيسى من شراكسة الاردن بعنوان: ((جولة في اعماق الانسان الشركسي)) المنشورة في مجلة (نارت) العدد (٥٤) السنة (٢٣) شهر نيسان عام ١٩٩٤، اصدار الجمعية الخيرية الشركسية في عمان.

ونظرا لحساسية الخوض في دراسة الصفات السلبية لشخصية الانسان الشركسي الذي عاش في عصر غير عصرنا، وفي مجتمع غير مجتمعنا المعاصر.. مجتمع لا يوجد لدينا عنه المعلومات والدراسات الكافية حتى نستنتج منها الاسباب والعوامل التي ادت بالامة الشركسية إلى تبني نظام تربوي صارم وحياة اجتماعية شبه مغلقة، ولذلك كان لا بد من الرجوع إلى ما كتب عن الشخصية الشركسية، والبحث في اقوال الرحالة، والمؤرخين، وعلماء الاجناس حتى نكوّن فكرة عن البيئات الداخلية والخارجية التي ساهمت في تكوين بعض السمات السلبية؛ توصلت لبعض المعلومات والبيانات التي تؤكد بأن الانسان الشركسي يتصف ببعض الصفات السلبية بقدر اقل بكثير عن الصفات الايجابية التي تميز فيها شخصية الرجل الشركسي كما أشرنا إليها في الفقرات السابقة:

وفيما يلي خلاصة لأهم هذه الصفات السلبية التي توصلت إليها:

الصفة السلبية الاولى: انغلاق الانسان الشركسي وشدة تمسكه بآرائه:

ربما كانت الصفات السلبية الواضحة في شخصية الانسان الشركسي عامة والرجال منهم خاصة هي الانغلاق على نفسه وعلى مجتمعه وعدم الانفتاح عبر العصور على المجتمعات والامم الخارجية ومع الامم والشعوب التي استوطنت بلاده.

وكذلك فإن الشركسي شديد الاعتداد بنفسه والتمسك بآرائه وليس من السهل التخلي على آرائه وافكاره التي يؤمن بها؛ أي أنه شخص ليس من السهل عليه التكيف السريع مع الثقافات الاخرى.

الصفة السلبية الثانية هي: حدة الطباع والسمة العصبية للانسان الشركسي:

ربما كانت البيئة المناخية التي كان يعيش بها الشركسي والأحداث الاجتماعية والحروب التي مر بها كانت اسبابا قوية ليصبح الشركسي صاحب مزاج وطبع حاد، كما ان التقاليد التي تمنع الفتية والشباب الاصغر سنا من التعبير

عن آرائهم وافكارهم امام الكبار في كل من البيت والمجالس الاجتماعية قد ساهمت بطريقة غير مباشرة في تكوين شخصية تتسم بالعصبية وعدم قدرة البعض التعبير عن نفسه إن اتيحت له الفرصة بدون تشنج.

الصفة السلبية الثالثة: الخجل والحياء الزائد:

ربما كان من الصفات التي تصل إلى درجة صفة سلبية هو شعور بعض الشراكسة بالخجل والحياء في المواقف الاجتماعية المختلفة خاصة في حضور النساء... ولا شك بأن هذه الصفة السلبية قد نشأت وتكونت نتيجة العادات التي لا تسمح للصغار والشباب من التحدث او التعبير عن انفسهم في مجتمع الكبار حيث تفرض العادات ان لا يتحدث الاصغر سنا بحضور ووجود الاكبر سنا إلا اذا طلب منه ذلك، ونادرا ما يطلب منه ذلك. كما ان هذه العادة كانت تطبق داخل الاسرة الواحدة فالاب أو الاخ الاكبر هو الذي يشارك في الحديث عند التزاور او حدوث مناسبة اجتماعية او عائلية.

الصفة السلبية الرابعة هي: الفردية والميل للانعزال:

الانسان الشركسي في غالبه فردي النزعة، ونسبة منهم يميلون لحياة العزلة وغير منفتحين اجتماعيا وربما كان منشأ هذه الصفة السلبية هو النظام التربوي الذي كان مطبقا منذ عهد الاجداد وهو النظام الذي يبعد الاطفال منذ الصغر عن مجتمع الكبار من اباء واجداد كما كان يتم تربية ابناء الامراء والنبلاء من قبل "الاتالق" وابناء عامة الشعب من قبل الامهات والاخوة الاكبر، فالنظام التربوي القومي لدى الشراكسة له فوائد كبيرة جدا في اكساب الابناء صفات ايجابية كثيرة جدا، إلا انه هو السبب في إكساب الصفة الفردية والميل للانعزال. ولذلك نجده كفرد يبدع ويتفوق في عمله إلا انه غالبا ما يفشل في العمل ضمن فريق او عمل جماعي.

الصفة السلبية الخامسة هي الجدية الزائدة في التعامل مع الآخرين:

ربما كانت هذه الصفة من الصفات الواضحة في المجتمعات الشركسية قديما وحديثا، فالشراكسة جديون اكثر من اللازم في المواقف والاحداث التي لا تتطلب ذلك كما انهم قليلو المزاح والهزار مع الاصدقاء المقربين، وهذه الصفة تحول دون توسيع نطاق الصداقة فنجد صداقة الانسان الشركسي قليلة إلا أن صداقتهم تكون ابدية ولها قدسية لدى الشراكسة، والمثل القائل "ربما كان لك أخ لم تلده امك" هو المثل الذي ينطبق على صداقة الشراكسة.

سادسا: صفات سلبية ثانوية اخرى منها:

الانسان الشركسي تكون طموحاته محدودة في مختلف مجالات الحياة مثل: الدراسة والعمل وينتج عن هذه الصفة صفة ثانوية مرافقة لها وهو ان الانسان الشركسي لا يحب المنافسة وإن تفوق الآخرين عليه لا يثيره كثيرا؛ لذلك نجد الشباب الشركسي، وبالرغم من تمتعهم بالذكاء فإن المتفوقين منهم في الدراسة العلمية مثلا قليلون. كما أن الذين يصلون إلى مراكز وظيفية عليا قليلون ايضا بالرغم من اخلاصهم في العمل وتفانيهم في اداء واجبهم الوظيفي.

(٣) الادوار الرئيسية للرجل في المجتمع الشركسي:

يجد الدارس لتاريخ الامة الشركسية بأن (الرجل الشركسي) كانت له ادوار إيجابية في تسعة مجالات منذ عصر الاجداد والاباء وحتى القرن التاسع عشر في الوطن الام، هي على النحو التالي:

الدور الأول: تكوين أسرة والحفاظ على شرف العائلة وكرامتها وتأمين حاجياتها من مأكل وملبس ومأوى وأثاث وادوات منزلية.

الدور الثاني: بناء الاقتصاد الوطني للامة الشركسية من خلال مشاركته في الفلاحة والزراعة وتربية الحيوانات والطيور وفي الاعمال التجارية والاعمال الصناعية، خاصة في الحرف والصناعات اليدوية والصناعات الاولية.

الدور الثالث: الدفاع عن الارض والعرض وحماية الوطن من الغزاة والمعتدين، وربما كان هذا الدور دورا اساسيا للانسان الشركسي منذ تعرض بلاد الاجداد للاعتداء ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن العشرين بعد الميلاد، حيث لم يكن لدى الشراكسة جيش نظامي محترف ومتفرغ، وانما كان كل انسان شركسي بالغ يعتبر مجنداً للدفاع عن الوطن في أي وقت يتعرض فيه لخطر الاحتلال، وكان لكل شركسي دور محدد في فترات الحروب، وان هذا الدور كان يختلف بحسب الطبقة او الفئة التي كان ينتمي إليها المواطن الشركسي، فالامراء والنبلاء والاحرار هم القادة والمقاتلون الاساسيون، وكان الفلاحون والتابعون يساعدونهم على تقديم الخدمات "اللوجستيكية". كما كانوا يقومون بأعمال الحراسة وغيرها من الأعمال العسكرية.

الدور الرابع: المشاركة في الاجتماعات الشعبية والمجالس القومية التي كانت تعقد بشكل دوري لتسيير الامور الحياتية للمجتمع الشركسي اولا، ولاتخاذ القرارات الوطنية والقومية المصيرية مثل اعلان الحرب او اعلان التعبئة لصد هجوم وتعيين القادة العسكريين في حالات السلم ثانياً، وكانت هذه المجالس بمثابة برلمانات شعبية يتم فيها إقرار السياسة الداخلية والخارجية للأمة الشركسية.

الدور الخامس: حضور مجالس (المضافات) وهي المجالس التي كانت تلقى فيها القصائد الشعرية الشعبية والرثائية وتسرد فيها القصص والاساطير، ويتم فيها الاستماع لأخبار المجتمع وتتناقل فيها الاخبار مع الشعوب والاقوام الاخرى، كما كانت هذه المجالس بمثابة مدارس مفتوحة لتعليم الكبار والصغار بأسلوب غير مباشر فهي بمثابة السجل التاريخي الذي حافظ على استمرارية الثقافة القومية وعلى العادات والتقاليد والأعراف القومية الشركسية في زمن لم يكن فيه كتابة ولا وسائل لتسجيل الأحداث والوقائع والتراث.

الدور السادس: المساهمة في الحفاظ على التراث القومي والثقافة القومية الشركسية والعمل على نقلها من جيل إلى آخر في زمن لم تكن اللغة الشركسية لغة كتابة، وفي عصر لم تكن فيه أية وسيلة من وسائل التوثيق، فاعتمد اجداد الشراكسة والاباء على ((حفظ)) الاحداث والوقائع التاريخية في الذاكرة ونقلها من جيل إلى جيل، والمحافظة على التراث القومي والثقافة الوطنية بنقلها للاجيال، جيلا بعد جيل.

وبفضل هذه المساهمة الجماعية للانسان الشركسي ادى إلى بناء تراث شعبي ثقافي وفلكلور قومي يندر ان يعز نظيره لدى أي شعب من الشعوب والقوميات القديمة، حتى وصلت بعض أنواع الفلكلور القومي الشركسي إلى مستوى العالمية.

الدور السابع: الحفاظ على العادات والتقاليد والأعراف الشركسية ونقلها من جيل إلى جيل وعلى مدى أكثر من سبعة آلاف سنة، وكذلك مراجعة وتنقيح وتعديل ونسخ بعض العادات التي لم تعد تتناسب مع المعتقدات والفكر الديني الذي كان يؤمن به أجداد الشراكسة وآباؤهم من وثنية ومجوسية ومسيحية، واخيرا الاسلامية، وكان الدور البارز للانسان الشركسي من أجداد وآباء وابناء هي المحافظة على الجيد من العادات والعمل على نقلها من جيل إلى جيل بالرغم من انها لم تكن مدونة، كما أنها لم تكتب خلال الفترة الممتدة من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

الدور الثامن: المساهمة في الحفاظ على ((الادب القومي الشركسي)) والعمل على تطويره على مر العصور. حيث لعب الالاف من أدباء الامة الشركسية على مر العصور في تكوين التراث الادبي القومي الشركسي، والذي كان له طابع خاص مميز، يمكن تمييزه عن غيره من ادبيات الشعوب والقوميات القوقازية وان لم يرق إلى المستوى العالمي، إلا أنه أدب له طابع مميز يتكون من الفروع الادبية التالية:

- أدب أساطير النارتيين.
- أدب فقه اللغة.
- أدب المسرح والتمثيل.
- أدب الشعر والنثر، والقصائد العاطفية، وقصائد الرثاء.
- أدب التراث الشعبي والأمثال والحكم.

كما كان لبعض الفلاسفة والحكماء الشراكسة دور اولي في بناء علم الفلك عند الشراكسة القدامى، وظهر بعض الحكماء الذين وصلوا إلى درجة الفلاسفة مثل الحكيم الشركسي ((قازانوقة جباغي)) والذي يعتبر ابو الحكمة الشركسية ويشبهونه بالفيلسوف الصيني (كونفوشيوس) في وعده الناس إلى التحلي بالأخلاق وإلى وضع مفاهيم أساسية تحدد اسلوب تعامل الناس مع بعضهم البعض وكذلك وضع قواعد للعادات والتقاليد تصل إلى مستوى التشريع القانوني. وهو صاحب ((قانون الاضداد)) كما بحث في سر الشمس والقمر وفي مفهوم الباطن والظاهر كما درس دوافع الخوف والقلق وفي ظاهرتي الشر والخير وفي السعادة والشقاء..الخ.

الدور التاسع والاخير هو مجال التربية والتعليم، لم يكن الرجل الشركسي كأب له دور مباشر في تربية أطفاله وابنائه، وإنما ترك هذا الدور للمرأة (الام) في مرحلة الطفولة المبكرة ثم اسند دور التربية والتدريب ((للاتالق)) بالنسبة لأبناء الامراء والنبلاء، أما تربية عامة الناس فكانت الأسرة تقوم بها بطريقة التقليد والمحاكاة، أما دور الرجل الشركسي في ((التربية)) فكان يتم في المجالس وفي المضافات كما كان له دور في تدريب الابناء على مهارات المهن، وتعليمه الحرف اليدوية المناسبة.

(٤) الصفات القومية المميزة لشخصية المرأة الشركسية:

*** شخصية المرأة الشركسية من وجهة نظر العلماء والمؤرخين والرحالة.**

لم يكن (الرجل) الشركسي الوحيد الذي أشاد علماء الاجناس والرحالة والمؤرخون المختصون بالأقوام القديمة بصفاته القومية وخصائصه النفسية والاجتماعية والاخلاقية والجسمية، وإنما أيضا تغنّوا بأخلاق المرأة الشركسية وبجمالها وحيويتها وإخلاصها وتفانيها واعتدادها بنفسها واعتزازها بأنوثتها.

وكان الفيلسوف الالماني المشهور والمختص بعلم دراسة الشعوب يوغان غوتفيلد غيردر من اوائل الذين كتبوا عن المرأة الشركسية، قائلاً: "... اما الشركسيات فالكل يعرف جمالهن ويقر لهن بجمال الحواجب السوداء الحريرية الدقيقة، وعيونهن السوداء التي تشع كالنار، وجباههن الناصعة الملساء، ووجوههن المدورة ذات الشفاه الناعمة... إنه لمن قبيل السعادة أن اوروبا ليست بعيدة عن هذا الجمال الاخاذ. إن الكثيرين من سكان اوروبا قد عاشوا في وقت من الاوقات بين مناطق البحر الاسود وبحر قزوين او عبروا من هناك، وعلى أية حال فإن الاوروبيين ليسوا بعيدين عن هؤلاء السكان.." .

كما وصفهن رحالة الماني آخر بقوله: "ان الناظر للفتاة الشركسية يجد روعة أجسادهن والليونة الفائقة لخصورهن.. كل الفتيات كن جميلات وبعضهن كن فائقات الجمال. أيديهن كانت رائعة الجمال ايضا. أما البريق الذي في أعينهن الواسعة المكحلة على الطريقة الشرقية فلا تستطيع ريشة أي رسام التعبير عنه. لقد رأيت الشركسيات عن قرب للمرة الاولى، واعترف أني وجدت فيهن كل ما قرأته وسمعته. أما شعورهن فكانت مقسمة إلى ثلاث ضفائر واحدة إلى الخلف واثنتان إلى الامام، تصلان إلى الخصر المزين بأحزمة موشاة بالفضة، وأخيرا يلبسن في أقدامهن أحذية ذات الوان مختلفة".

ويستطرد قائلا: "وكن يتمخترن في المعاطف الثمينة، وعليهن أحزمة مصنوعة من خيوط من شعر الماعز والغنم المذهب، إضافة إلى الاحذية الجميلة المطرزة... ومن مظاهر الجمال كانت القامة الفارعة المشدودة، والرقبة الطويلة الجميلة، إضافة إلى الخصر النحيل والاقدام والكفوف الصغيرة مع أصابع رقيقة واظافر طويلة، بياض في البشرة مع بعض الاحمرار الوردي، والجبين العالي والحواجب الضيقة والعيون البراقة الجميلة فاتحة اللون او لوزية غامقة مع أهداب كثيفة، اما الاسنان فصغيرة بيضاء ناصعة في فم ضيق.. وكان على الفتيات والنسوة ان يمشين بمنتهى الرشاقة والخفة والاناقة". (١٨)

واما الرحالة (دوبرو) فقال: "كانت الفتيات الشركسيات يتحدثن بكل تواضع واعتزاز، ولم يكن لجمالهن ما يشبهه منذ القدم وجوه في منتهى كمال التقاطيع، قامات ممشوقة، اياد واقدام صغيرة. لقد كانت حركاتهن ممتلئة بعزة النفس والثقة... إن كل من اتيح له ان يرى النساء الشركسيات سيقر بأنه يوجد بينهن من ذوات الجمال الذي لا يستطيع الناظر إليه إلا ان يبقى اسير هذا الانبهار" (١٩)

وتقول (مامخيغ) كان اهم متطلبات الجمال الانثوي لدى الشركسيات "الشعر الكثيف الطويل الاسود او الكستنائي، حيث كان يجدل في ضفيرتين تمتدان على طول الظهر وتصلان احيانا إلى الركب، ويلاحظ ان ترك الشعر طليقا منسابا بدون ضفائر لم يكن مقبولا بل بالعكس كان مرفوضا، كما كان من قواعد الاتيكيت الشركسي بأن يكون الشعر طليقا، كذلك كان قص شعر الفتيات بمثابة اهانة لها ويعرض صاحبته للسخرية والانتقاد".

ويقول ((رستم)) ان المرأة الجركسية من احسن نساء العالم جمالا وكمالا، ولها في ذلك شهرة عالمية، وهي سيدة بيت من الطراز الاول، وموضع الاحترام عندهم مع تمتعها بحرية واسعة. وهي غير محجبة ولا تشترك في اعمال الحقل، وتستقبل الضيف في غياب رب البيت محافظة على الكرم وآداب اللياقة المقدسة

عند الجراكسة ومن أمثالهم "إن بيتا لا سيدة فيه كحقل لا زرع فيه" وللسيدات المكان الاول في الاجتماعات وأكثر ما يغشين الحفلات وهن آنسات قبل الزواج، وان رجال الجنسيات الاخرى خصوصا كبار رجال الدول من قياصرة وسلاطين وامراء ورؤساء ووزراء ورجال العلم والمال تبحث بمختلف الطرق للتشرف بالنسب الجركسي عن طريق الزواج إذ يرون في ذلك رفع مكانتهم بين طبقاتهم، وتحسين نسلهم، وتهذيب نفوسهم وتنظيم حياتهم (٢٠). *

وكذلك الكاتب الروسي كيراشييف، فيقول: "لم يتمن الشراكسة أكثر من أن يستطيعوا إلباس بناتهم أجمل الثياب، وقد اعتبروا أن الملابس الجميلة تفرض على الفتاة السلوك الحسن والمعتبر، وكان ذوقهم في مجال الملابس رفيعا، فلا توجد إضافات لا معنى لها، او الوان فاقعة قبيحة المنظر، لقد كانت رهافة الحس الجمالي موسومة في كل أزيائهم". واستطرد قائلا:

"اذن السلوك الجيد والمعتبر هو ما حدده الناموس الشركسي للنساء والفتيات، هو الاساس الذي يحدد طريقة حياتهن في مختلف المجالات، وعلى الأغلب فإن طريقة سلوكهن قد حددتها أهميتهن الاجتماعية في الحياة، إن يكن جميلات لكي يسررن الناظر ويسترعين الثناء والاحترام". (٢١)

* سجل التاريخ الشخصيات السياسية التي تزوجت بنساء شركسيات وهم: القيصر ايتان الرهيب كما ان أكثر من سلطان عثماني تزوج من شركسية، بالإضافة إلى العشرات بل المئات من كبار الشخصيات التركية، وكذلك الالاف من الشخصيات السياسية والعلمية ورجال المال من العرب في كل من سوريا والاردن وفلسطين تزوجوا نساء شركسيات في بلاد المهجر.

وكذلك فقد كتب الجنرال بيرغ، حول جمال الشركسيات بقوله: "لا تتمتع الفتيات الشركسيات فقط بشهرة الجمال الخلاب الموروث عن اسلافهن، بل ان لديهن ميزة هامة تنبع من المعطيات الروحية لهذا الشعب، ونحن نتكلم هنا عن الاحترام والتقدير الفائق الذي يكنه الشراكسة للمرأة الشركسية نستدل عليها من الحقيقة التاريخية التالية التي تؤكد بأنه **إذا ما قامت امرأة ما سافرة الشعر باقتحام قتال دائر بين فارسين متقاتلين يتوقف القتال فورا، وينهى سفك الدماء، خاصة اذا كانت المرأة متقدمة في السن أو من أسرة مشهورة" كما تؤكد الوقائع التاريخية بأنه:**

"يكفي لأي مطارد ان يأوي إلى امرأة حتى يصبح من المحرم المساس به"، وكذلك لا يمكن إيقاع أية عقوبة او انتقام وخاصة القتل بوجود امرأة، علما بأنه من المتعارف عليه في اوساط الجنسين انه من العار اللجوء لحماية الجنس اللطيف، ولذلك لا يلجأ إليها إلا في حالات نادرة[٢٢].

واما الشاعر الروسي ميخائيل ليرمنتوف الذي عاش فترة من حياته منفيا بين الشراكسة، سبق له أن دون ملاحظاته عنهن في رائعته **((بطل من هذا الزمان))** حيث تحدث عن الفتاة الشركسية وأصالتها كما في الخيول. إنك لا تعرف الشركسيات، شتان بينهن وبين "الجورجيات" إن لهن قواعد خاصة في السلوك وقد نشأن على تربية اخرى" وهو حين يتحدث عن عفة الفتاة الشركسية "بيلا" التي احبها وأحبته قالت له وهي تحتضر "**إنها تأسف على أنها ليست مسيحية ذلك لأن روحها وروح "بتشورين" لن يلتقيا في العالم الآخر وان امرأة اخرى ستكون خليلته في الجنة، وعندما اقترح عليها ان تكون مسيحية، قالت: لا بل أموت على ديني الذي ولدت عليه**".[٢٣]

نستنتج مما تقدم بأن أهم الصفات التي تتحلى بها المرأة الشركسية بشكل عام يمكن ايجازها كما يلي:

* **الاخلاص:** المرأة الشركسية تخلص لبيتها وزوجها وتتفانى في تربية اولادها وفي خدمة زوجها وعائلتها.
* **الطاعة:** تتصف المرأة الشركسية بالطاعة دون ضعف وبالقناعة بنصيبها في الحياة الزوجية دون شكوى او تذمر.
* **الحيوية والنشاط:** تتمتع المرأة الشركسية بنشاط وحيوية دائمة، ولا تكل او تمل في القيام بواجباتها المنزلية وبتقديم العون للاهل وللجارات.
* **الوفاء:** هي سمة من سمات المرأة الشركسية الايجابية، وكذلك حفظ الجميل لمن يحسن إليها ويحترمها.
* **الصبر:** من مميزات المرأة الشركسية في كل المواقف الصعبة والحرجة هو قدرتها على الصبر وأنها لا تتذمر او تشكو لاحد من أهلها وعائلتها او حتى لأقرب صديقاتها.
* **كتومة ومحافظة على اسرار الزوجية** ونادرا ما تبوح بها حتى لأهلها.
* **تتمتع بحرية شخصية** في التخطيط لمستقبل حياتها عامة وفي اختيار شريك حياتها دون تدخل من الاهل، وإن تدخلوا فلها الحق بحكم عادة الكواسة ان تقرر الاقتران بمن تحب وترغب وتوكيل من تشاء لعقد قرانها حتى وان عارض الاهل في ذلك [*]
* **الاعتداد والثقة بالنفس،** دون كبرياء، من السمات المميزة للمرأة الشركسية دون كبرياء.

[*] لمزيد من المعلومات حول ((عادة الكواسة)) يمكن الرجوع إلى العادات المرتبطة بالزواج في الفصل (الرابع) من الجزء (الثاني) في المجلد الأول من الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية "الاديغة".

* **الاعتزاز بأنوثتها وجمالها** دون غرور او تعجرف.
* **الحياء والادب الجم** وهي صفة ميزتها عن كثير من نساء قوميات اخرى، فضلاً عن تواضعها في كل المواقف حتى وإن كانت من اسرة غنية او فقيرة.

إلا ان الباحثين في شخصية المرأة الشركسية وصفاتها وادوارها يؤكدون وجود بعض السمات السلبية.

(٥) الصفات السلبية في شخصية المرأة الشركسية: *

تقتضي الامانة العلمية في بحثنا حول الصفات والخصائص القومية المميزة في شخصية المرأة الشركسية ان تتحدث عن الصفات السلبية في شخصيتها والتي يمكن ايجازها على النحو التالي:

* **المغالاة في التفاني الزائد لزوجها واولادها واسرتها،** وهذه الصفة وان كانت ايجابية في حد ذاتها إلا ان المغالاة فيها تكون على حساب صحتها وحياتها الاجتماعية الخاصة، وهو الامر الذي يؤدي بالمرأة الشركسية لظهورها وكأنها اكبر من سنها كما انها تهرم قبل سن الشيخوخة.
* **ذوبان شخصيتها وانصهارها كليا بشخصية الزوج واهله،** ويصبح اخلاصها لأهل الزوج بلا حدود وهي صفة وان كانت تبدو وكأنها سلبية في ظاهرها إلا انها ايجابية في باطنها وربما كان من الاسباب الرئيسية لانخفاض نسبة الطلاق في المجتمعات الشركسية القديمة هو الاخلاص لأسرتها حتى وإن وجدت خلافات زوجية.

* تؤكد الدراسات الحديثة عن المرأة الشركسية المعاصرة بأنها تخلصت من كثير من هذه الصفات السلبية عامة وبين نساء شراكسة الشتات في دول المهجر خاصة.

* **محدودية علاقات المرأة الشركسية خارج بيتها وأهلها**، إذ يقتصر دورها كما رأينا سابقا في حفظ بيتها واسرتها، ولم يكن لها دور يذكر خارج البيت بحكم العادات والتقاليد.
* **محدودية المشاركة في اتخاذ القرارات القومية والوطنية**، وعدم مشاركتها في الاجتماعات والمجالس القومية بحكم النظام الاجتماعي الطبقي الذي كان سائدا في المجتمعات الشركسية في العصور القديمة والوسطى والمدنية.

(٦) ادوار المرأة في المجتمع الشركسي:

لا شك بأن العادات والتقاليد كانت تحد ادوار المرأة الشركسية في كل من البيت والمجتمع منذ القدم كما ان هذه العادات كانت تفصل فصلا واضحا ادوار الرجال عن ادوار المرأة، فلكل واحد منهما ادواره التي لا تتداخل مع بعضها البعض وكان من اهم ادوار المرأة بحكم العادات الشركسية هي:

الدور الاول: تفرغ المرأة لشؤون بيتها تفرغا كاملا وقيامها بالمسؤوليات التالية:

* تربية الاطفال ومتابعة كل ما يحتاج البيت ومن الجنسين في سن الطفولة.
* متابعة تربية وتدريب البنات على الاعمال والافعال التي تخصها كأنثى.
* متابعة شؤون اعداد وطهي الطعام، فالمرأة الشركسية طاهية جيدة لجميع انواع واصناف المأكولات القومية الشركسية [*].
* العناية بنظافة وترتيب البيت بالغسل والكوي والحياكة واشغال الصوف فالنساء الشركسيات هن المسؤولات عن شؤون البيت من مأكل وملبس وتحرص الواحدة منهن كل الحرص على ان يكون بيتها انيقا في متاعه ونظافته، كما

[*] المطبخ الشركسي غني بالمأكولات القومية التي يصل تنوعها لاكثر من مائة وعشرين نوعا ما بين اكلات رئيسية وأخرى ثانوية، بالاضافة إلى انواع عديدة من الحلويات والمشروبات كما هو مبين في الفصل (الخامس) من الجزء (الرابع) في المجلد الثاني من الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية "الاديغة".

عرف عنها بأنها مغرمة بتنسيق بيتها وتجميله من الداخل والخارج مهما كان بناء البيت متواضعا.

* اشغال الخياطة والتطريز، وكان يندر ان لا يوجد بيت شركسي بدون ماكنة خياطة خاصة بها، فالمرأة الشركسية كانت تقوم بحياكة ملابس زوجها واولادها، كما انها كانت تحيك ملابسها الشخصية اليومية.
* اشغال الصوف، فالمرأة الشركسية مشهورة بمهاراتها في اشغال الصوف منذ عصر الاجداد.

الدور الثاني: صناعة الأغذية من اللحوم ومشتقات الالبان وحفظها

ففي العصور التي لم يكن يوجد فيها ثلاجات ووسائل حفظ المواد الغذائية مبردة.. كانت المرأة الشركسية تصنع العديد من أنواع الغذاء، وقد ابتكرت طرقاً عديدة لحفظها مثل حفظ الجبنة المدخنة، والجبنة المحفوظة في الماء المالح، وكذلك صناعة جميع انواع المربى "التطلي" بالاضافة إلى عمل البرغل والفريكة وانواع مختلفة من مشتقات العجين الناشف وهو ما يشبه انواع المعكرونة.

الدور الثالث: المشاركة في الحفاظ على الفلكلور والتراث القومي الشركسي:

شاركت المرأة في الحفاظ على الموسيقا، وفن التطريز واعمال الزخرفة حيث كان للمرأة الشركسية دور فاعل في الحفاظ على الفلكلور عامة والموسيقا خاصة حين لم يكن ((النوتة)) معروفة كما كان لها دور في الحفاظ على فلكلور ((الرقص)).

يتضح مما تقدم بأن دور المرأة الشركسية كان مقتصراً على الاعمال والاشغال الخاصة بشؤون البيت والاسرة، وفي الحفاظ على فلكلور والتراث القومي وليس لها أي مهام خارجها كما هو الحال مع نساء قوميات قوقازية او اسيوية

اخرى مثل نساء الاكراد والاتراك والأعاجم والروس حيث كانت نساؤهم يعملن في داخل البيت وفي الحقل كما كانت تعمل في الاعمال الخارجية الشاقة.*

الدور الرابع: بالإضافة للادوار الرئيسية للمرأة الشركسية بحكم العادات والتقاليد

فإن بعض الوقائع والاحداث التاريخية تسجل بأنها قامت بأدوار استثنائية خاصة في الأيام واللحظات الحرجة في حروب الابادة والدمار التي تعرض لها الشراكسة ومن هذه الادوار:

* حملت السلاح وشاركت المقاتل الشركسي في السنوات الاخيرة من حرب الابادة والدمار الروسي وقاومت المعتدين.*
* قامت بدور الحماية والدفاع عن بيتها واطفالها ضد الغزاة الروس والقوزاق خاصة عندما كان الرجال يقاتلون على الجبهات.
* قامت بدور اخفاء الخيول والمواشي في مناطق آمنة قبل وقوع الغزوات والهجمات على القرى الامنة.
* ساهمت المرأة الشركسية في تأمين حاجيات اسرتها في فترات انشغال الرجال في القتال، علما بأن العادات الشركسية لا تسمح بعملها خارج المنزل مثل العناية بالحظائر واخراج الحيوانات للرعي ... الخ.

* لا شك بأن دور المرأة الشركسية قد اختلف كليا في الوقت الحاضر، وأصبح لها دور خارج البيت لكن ليس في الاعمال الشاقة والاعمال البدنية خاصة في مجتمعات بلاد المهجر.. كما انها لا تزال تحافظ على دورها داخل البيت بالرغم من خروجها للعمل خارج البيت.

* تشير الاساطير والقصص والحكايات القومية الشركسية بأن النساء الشركسيات عامة والفتيات منهن خاصة كن يركبن الخيل ويرمين الرماح والسهام من على ظهور الخيول المنطلقة بأقصى سرعة لها منذ عصر النساء الامازونات والصارماتيين في عصور ما قبل الميلاد.

(٧) سجل تاريخ الامة الشركسية ظهور نساء بطلات ايضا مثل المصارعة الشركسية (لاشنيكاي Lahinkai) التي صرعت بطل ابطال قوم خانات القرم المدعو (قيسين Kaissyn) .

وتتلخص قصة هذه المصارعة الشركسية التي حدثت في القرن الثالث عشر الميلادي في الرواية التالية: عندما اقترب جيوش الخان (كيتاي خان Kitai Chan) الذي فتح كثيرا من البلاد المجاورة من حدود بلاد "الاديغة" وانتشر خبر انتصاراته وقدومه والطرق التي سلكها، قام زعماء "الاديغة" بجمع جيوشهم واستعدوا للقتال وصد غارة التتر. إلا أن الخان غيّر خطته وعدل عن الحرب وارسل رسله إلى زعماء "الاديغة" ليقولوا لهم بأنه لا يهدف من قدومهم إلى بلادهم محاربتهم، بل الشوق إلى معرفتهم عن قرب ورؤيتهم وجها لوجه وانه لا يريد ان يكون عدوا بل صديقا لما سمعوا عن شجاعتهم الفائقة وقوة جيشهم العظيم.

وقال ايضا "لكي اجرب قوتكم انتخبت بطلا من عندي وهو (قيسين Kaissyn) وهو احسن مصارع في جيشي وأشدهم قوة، فإذا اردتم انتم ايضا ان تنتخبوا من بين صفوفكم من ترون فيه الكفاءة والمقدرة لمنازلة بطلنا، فسوف تتم المبارزة بينهما فإذا تغلب بطلنا على بطلكم وجب عليكم ان تعتبروا انفسكم مهزومين ولا يحق لكم الامتناع عن دفع "الجزية". واذا كان النصر حليف بطلكم فسنكون نحن المهزومين وانا مستعد لدفع ما يجب علينا دفعه وسوف نقبل بكل خدمة تكلفوننا اياها.

فقبل قادة الاديغة بهذه الشروط واختاروا امرأة من عامة الشعب وهي (لاشنقاي – Lashinkai) والبسوها ملابس الرجال لإخفاء معالم جنسها.

فبدأت المنازلة ودامت اكثر من ساعة وكان الفوز للمرأة الشركسية فاكفهر وجه ((الخان)) وتغيرت ملامحه، وكظم غيظه، واعترف بأنه هزم وهنأ الاديغة بفوز بطلهم.

ومن باب المفاخرة كشف قادة الشراكسة بأن البطل الذي هزم بطلهم هي ((امرأة)) عادية من عامة الشعب، وطلبوا إليه ان ينتخب من جيشه بطلا آخر اذا أراد أن يختبر قوة رجال الاديغة.

فرفض "الخان" الطلب واكتفى بما حدث وقال: "إن امرأة عادية من عامة شعبكم تغلبت على أقوى أبطالنا الذين كنا نعتمد عليهم، فسأبر بوعدي وانفذ شروطي التي وضعتها بنفسي قبل بدء المنازلة وفوق ذلك كله فإنني اهدي اميركم سبعة من رجالي ثم انصرف ورجع فورا إلى بلاده".

وأنشد احد الشعراء في هذه المناسبة قائلا "كان قيسين فارسا مغوارا ومحاربا رابط الجأش تخشاه الجموع، لكن ساعد المرأة ((لاشنقاي)) كسر عزمه وسلبه شهرته، لقد أطعمت وسقيت جوادك سدى يا ((قيسين))! وقد جهزت عدتك واصلحت قوسك وصقلته حتى بدا لامعا وملأت كنانتك بالسهام اللامعة، وجعلت درعك ساطعا تبهر بضيائها الابصار، ولكن سبق السيف العذل اذ المرأة الشركسية ((لاشنقاي)) القت ارضا مبارز "الخان" الوقح، نعم لقد خر صريعا بضربة من يد امرأة عادية، انظروا اليوم فخارنا، أما كفانا شرفا رجوع (الآديكة) مثقلين بالهدايا والغنائم كأنها ارباح تاجر كبير [٢٤].

وقيل ان مسرح هذه المبارزة التي جرت بين "الاديغة" و"كيتاي خان" كان بالقرب من نهر (شكم Shagem) أي فوق حصن شكم الحالي في بلاد القبرطاي، ويسمى ذلك الموقع حتى اليوم (لاشنسكايا Lashinskaya).

مصادر ومراجع الفصل الخامس من الجزء الثاني في المجلد الأول

١) دي، جان شارل، عالم مجري، **ثقافة الشعوب القفقاسية**، ١٨٢٩، ص:٢٧.
٢) لوكا، جوفاني، قس ايطالي من المذهب الدومنيكي، كان في مهمة تبشرية في بلاد الشراكسة ((الاديغا)) في القرن الثامن عشر الميلادي، وكتب عن حياة الاديغا عامة وعن شجاعتهم خاصة. ص٢٦.
٣) برونوفسكي، مارتن، في كتابه عن **منطقة بيتغورسك وسكانها**، عام ١٥٩٥.
٤) دورتيلي، رحالة ايطالي كتب عن الشراكسة في "تشيركسيا" في القرن السادس عشر.
٥) انتريانو، جورج، عالم جغرافي ايطالي من جنوا، كتب عن احوال الشراكسة (الجراكسة) ونشره عام ١٥٠٢.
٦) بيل، جيم، داعية سياسية انجليزي الجنسية، زار بلاد تشركسيا عامي ١٨٣٧- ١٨٣٩، وكتب عن حياة الشراكسة فيها.
٧) لاموتر، بري – دين، دبلوماسي رحالة تجول في بلاد الشراكسة في القرن الثامن عشر وكتب عن احوالهم الاجتماعية والسياسية.
٨) المسعودي، مؤرخ عربي زار بلاد الشراكسة التي سماه بلاد الكشك.
٩) انتريانو، جورج، رحالة جغرافي من ايطاليا، كتب عن حياة "الزيخ" في منتصف القرن السادس عشر ونشر كتابه عام ١٥٠٢.
١٠) أبو الثناء الامشاطي، ابو الثناء محمود، المتوفي عام ٨٩٩هـ. دائرة المعارف الاسلامية (جـ٣ – ٨١)
١١) وجدي، فريد، دائرة المعارف الاسلامية، (جـ١٠-٤٤٠).
١٢) انتريانو، جورج، مصدر سابق، ص: ٢٣.
١٣) بيل نجم، مصدر سابق، ص: ٣٢-٣٣.

١٤) بيرغ، ايفان فبدروفيتش، مصدر سابق، ص: ٨٠.
١٥) بيل، جم، مصدر سابق، ص: ٣٠-٣٣.
١٦) انترباتو، جورج مصدر سابق، عام ١٥٠٢، ص: ١٢ – ١٥.
١٧) مامخيغ، رايا، لمحات عن العادات والتقاليد الشركسية "الأديغا خابزة".
١٨) غيردر، يوغان غوتفيلد، عالم مختص بدراسة الشعوب، كتب عن الشعب الشركسي في القرن السابع عشر الميلادي.
١٩) م. دوبرو، رحالة، تجول في بلاد "القبرطاي" وكتب عن حياتهم الاجتماعية.
٢٠) رستم، رشدي، دائرة المعارف الاسلامية (٨-٨٢).
٢١) كيراشيف، م. ت، كاتب روسي، زار بلاد الاديغة اكثر من مرة وكتب عن العادات والتقاليد والناموس الشركسي.
٢٢) بيرغ، مصدر سابق، ص: ٨٥.
٢٣) ليمونتوف، ميخائيل، **بطل من هذا الزمان**، ونقل عنه محمد عبد الحميد الحمد في كتابه تاريخ الشركس وآل انزور دمشق عام ٢٠٠٢، ص: ٥٥.
٢٤) نغموقة، مصدر سابق، ص٦٤-٦٥.